جامعة الكوفة \كلية الفقه

تطور البحث القرآني

من الطبري(ت: 310 هـ) حتى الطبرسي (ت: 548هـ)

رسالة قدمت إلى مجلس كلية الفقه \جامعة الكوفة
وهي جزءٌ من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في الشريعة والعلوم الإسلامية

تقدمت بها
خولة مهدي شاكر الجرّاح

إشراف
الدكتور محمد حسين علي الصغير
الأستاذ الأول المتمرس في جامعة الكوفة

1432هـ 2011م

شهادة الأستاذ المشرف

أشهد أن إعداد هذه الأطروحة الموسومة بـ :
﴿ تطور البحث القرآني من الطبري(ت:310هـ) حتى الطبرسي (ت:548هـ) ﴾
المقدّمة من الطالبة (خولة مهدي شاكر) جرى بإشرافي في جامعة الكوفة / كلية الفقه وهي جزء من متطلبات شهادة الدكتوراه في الشريعة والعلوم الإسلامية \ علوم القرآن 0

التوقيع :

المشرف : الأستاذ الأول المتمرس الدكتور
محمد حسين علي الصغير

التاريخ: 30 / 6 / 2011 م

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الأطروحة للمناقشة

الأستاذ الدكتور
صباح عباس عنوز
رئيس لجنة الدراسات العليا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ التوبة : 105

صدق الله العلي العظيم

الإهداء

إلى سيدتي ومولاتي فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين (عليها السلام) **:**

أهدي ثمرة بحثي هذا لمقامها السامي عساها تُقبل مني

إلى من واكبني في كل لحظات حياتي العلمية موجهاً ومربياً00
إلى أستاذي الشيخ الدكتور محمد حسين علي الصغير

إلى من أخذ بيدي نحو طريق المعرفة الصادقة 00
روحاً وعلماً 00
زوجي الأستاذ صلاح نعمة عبود

شكر وتقدير

لابد لكل نعمة من منعم ، ولابد من شكر المنعم على المنعم عليه، فإليك يا خالقي ومنعمي ومكرمي، شكري وثنائي، وأحمدك فوق حمد الحامدين،وأشكرك فوق شكر الشاكرين لجميل إحسانك وحسن صنعك وتوفيقك إياي 0
ورد في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) قوله:
﴿إذا قصرت يدك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر﴾

وها هما يداي وها هو لساني عاجزان عن كيفية رد العرفان والامتنان إلى مستحقيهما، واخص بالذكر كلاً من:
1- أستاذي المشرف: فضيلة الأستاذ الأول المتمرس الدكتور **محمد حسين علي الصغير**(أمد الله في عمره) لتفضله بالموافقة على الإشراف، وما شملني به من رعاية علمية وأبوية ،إذ بدأ مشجعاً لتذليل الصعاب، وسار معي متابعاً ومدققاً ، فكان قارئاً متفحصاً، مناقشاً ،لطالما أفدت من ثرائه العلمي والمعرفي حتى خرج هذا الجهد ثمرة غرسه، فجزاه الله خير الجزاء0
2- شكري وامتناني إلى عمادة كلية الفقه، متمثلة بعميدها الأستاذ الدكتور **صباح عباس عنوز**،ومعاونيه وأساتذة الدراسات العليا في الكلية0
3- الشكر والعرفان إلى أسرتي على وقوفها معي وصبرها طيلة فترة دراستي، وخصوصاً زوجي الأستاذ **صلاح نعمة عبود**، الذي كان لي الزوج والأخ والصديق0الذي لم يبخل علي من وقته وجهده وصبره وعطفه قيد أنملة0
واشكر ولدي **علي** لما أبداه من مساعدة في طباعة الرسالة ومطابقتها مع النسخة الخطية0متمنية له النجاح والتوفيق في حياته المستقبلية
4- وأتوجه بالشكر الجزيل للعاملين بمكتبة الروضة الحيدرية وخصوصاً الزميل ضياء الكعبي لما أبداه من يد المساعدة والعون في الحصول على الكتب النادرة واستنساخها لي، ومكتبة الإمام الحكيم العامة ،ومكتبة كاشف الغطاء ومكتبة كلية الفقه 0
الشكر والامتنان الكبيرين إلى السادة رئيس وأعضاء لجنة المناقشة الكرام الذين سيغنون البحث بملاحظاتهم السديدة والقيمة والتي يرى البحث انه بأمس الحاجة إليها وهو في بداية مسيرته العلمية0
وأخيرا أتقدم بالشكر الجزيل لجميع من أعانني في إتمام هذا البحث ولو بالكلمة الطيبة

الباحثة

ثبت البحث

الموضوع	الصفحة
المقدمة	1- 3
الفصل الأول : تطور البحث القرآني في علوم القرآن	4- 87
1- علم المحكم والمتشابه	5- 21
أ- معنى المحكم والمتشابه	6
ب- أراء العلماء في قوله تعالى (000وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ 000)	9
1- الرأي الأول وأدلته	9
أولاً: الدليل القرآني	10
ثانياً: الدليل الروائي	10
ثالثاً :دليل القياس على النظير	11
2- الرأي الثاني وأدلته	11
أولاً: الدليل القرآني	12
ثانياً: الدليل الروائي	14
ثالثاً: الدليل العقلي	15
رابعاً: الدليل اللغوي والنحوي	16
خامساً دليل القياس على النظير	17
مناقشة الأدلة وتقويمها	17
2- علم الناسخ والمنسوخ	22- 40
أ- بيان معنى النسخ لغةً	23
ب- بيان معنى النسخ اصطلاحاً	24
الفرق بين النسخ والتخصيص	26
ج- جواز النسخ عقلاً ووقوعه شرعاً	27
د- شروط النسخ	28
هـ- أنواع النسخ	29
و- نماذج من الآيات الناسخة و المنسوخة في القرآن الكريم	32
ز- الفرق بين النسخ والبداء	37
نتائج المبحث	40
3- علم العام والخاص	41- 54
أ- المعنى اللغوي للعام والخاص	42
ب- المعنى الاصطلاحي للعام والخاص	42

ج- أقسام العام	44
د- الألفاظ الدالة على العموم	44
هـ- وجوه الخطاب القرآني بالعام والخاص	46
1- خطاب العام والمراد به العموم	46
2- خطاب العام والمراد به الخصوص	46
3- خطاب الخاص والمراد به العموم	48
4- خطاب الخاص المعطوف على العام	48
5- خطاب العام المعطوف على الخاص	50
6- خطاب عطف العام المراد به الخصوص على الخاص	50
موارد اختلاف العلماء في إطلاق العام والخاص في بعض الآيات القرآنية	51
نتائج المبحث	54
4- علم المجمل والمفصل	**72-55**
أ- المعنى اللغوي والاصطلاحي للمجمل	56
ب- المعنى اللغوي والاصطلاحي للمفصل	57
ج- موارد الإجمال والتفصيل في القرآن والسنة الشريفة	59
أولاً: الإجمال والتفصيل في القرآن الكريم	59
1- الإجمال والتفصيل المتصل	60
2- الإجمال والتفصيل المنفصل	62
ثانياً: الإجمال في القرآن الكريم وتفصيله في السنة الشريفة	69
5- علم المطلق والمقيد	**87 -73**
أ- المفهوم اللغوي لكل من المطلق والمقيد	74
ب- المفهوم الاصطلاحي لكل من المطلق والمقيد	75
1- مفهوم المطلق والمقيد عند اللغويين	75
2- مفهوم المطلق والمقيد عند المفسرين	76
3- مفهوم المطلق والمقيد عند الأصوليين	76
ملاحظة واستنتاج	78
ج-أثر علم المطلق والمقيد في استنباط الحكم الشرعي	79
الفصل الثاني: تطور البحث القرآني في التفسير ومناهجه	160 -88
أولا: المفهوم اللغوي والاصطلاحي لكل من (التفسير، المنهج)	90
1- المفهوم اللغوي والاصطلاحي للتفسير	90
2- المفهوم اللغوي والاصطلاحي للمنهج	94
ثانياً : تطور علم التفسير	96

1- أسلوب التفسير عند الصحابة والتابعين وتابعي التابعين 00	101
2- أسلوب مفسري الإمامية وطبقاتهم	105
ثالثاً: تطور مناهج التفسير	107
توطئة:	108
1- المنهج القرآني	109
2- المنهج الأثري	121
أ- مفهوم التفسير بالمأثور	121
ب- أهمية التفسير بالمأثور	121
ج- مصادر التفسير بالمأثور	122
1- المأثور عن النبي (ص) وأهل بيته (عليهم السلام)	122
2- المأثور عن الصحابة	126
3- المأثور عن التابعين	128
د- مشكلات التفسير بالمأثور	129
هـ - الترجيح بين الروايات	132
3- منهج الرأي	135
4- المنهج اللغوي	140
5- المنهج البياني	144
6- المنهج الموضوعي	150
7- المنهج العلمي	154
الفصل الثالث : تطور البحث القرآني في تاريخ القرآن	161- 272
توطئة	163
أولاً : ظاهرة الوحي	**163**
1- مفهوم الوحي لغةً واصطلاحاً	164
2- طرق الوحي	166
3- شبهات حول ظاهرة الوحي	172
أ- الشبهة الأولى	172
مناقشة هذه الشبهة والرد عليها	172
ب- الشبهة الثانية	175
مناقشة هذه الشبهة	175
ج- الشبهة الثالثة	176
مناقشة هذه الشبهة	178
4- الفرق بين الوحي الإلهي والوحي النفسي والمكاشفة والإلهام	182

ثانياً : إعجاز القرآن	183
توطئة	184
1- مفهوم المعجزة	184
2- شروط المعجزة	186
3- موافقة المعجزة لأرقى فنون العصر	191
4- التحدي في القرآن الكريم	195
5- الصرفة في الإعجاز	218
6- وجوه الإعجاز	225
ثالثاً : نزول القرآن	**226**
1- كيفية نزول القرآن	227
2- أول وآخر ما نزل من القرآن	232
أ- الأقوال في أول ما نزل من القرآن	232
ب- الأقوال في آخر ما نزل من القرآن	234
رابعاً: تدوين القرآن وجمعه	**236**
1- معنى الجمع	237
2- مراحل جمع القرآن	238
أ- جمع القرآن على عهد الرسول	238
ب- جمع القرآن بعد وفاة الرسول	243
ج- جمع القرآن على قراءة واحدة	245
تقويم واستنتاج	246
5- القراءات القرآنية	**247**
1- مفهوم القراءات	247
2- أقسام القراءات	248
3- مراحل نشوء القراءات وتطورها	250
4- مقاييس القراءات (أركانها)	256
5-اختلاف القراءات وأسبابه	261
أ- وجوه اختلاف القراءات	261
ب- أسباب اختلاف القراءات	262
6- موقف بعض العلماء من تواتر القراءات وعدمه	270
نتائج البحث	**277-273**
المصادر والمراجع	310-278

بسم الله الرحمن الرحيم
المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن هدىً للناس وبينات من الهدى والفرقان وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين00

وبعد:

عنى المسلمون بكتاب الله العزيز عنايةً بالغةً فحفظوه في صدورهم وفسروا آياته في موسوعات كبيرة ،ولا زال القرآن يحتل الموقع المتقدم من اهتمام المسلمين على مختلف اتجاهاتهم الفكرية ومدارسهم الفقهية والمعرفية، وذلك لأن القرآن الكريم يمثل دستور الحياة ومصدر الفقه والأحكام ومنهج الكمال والرشاد للنفوس والأرواح على مستوى الأفراد والمجتمعات0

وإذا كان ذلك كذلك، ولما كان القرآن الكريم نازلاً من رب العالمين دستوراً للكون والحياة ، مستوعبا حقائق وجود الإنسان في حركته وتجمعه، متحدياً عبرالزمان والمكان في المساحة والأمد فكان له حفظة يعنون بضبط ظاهر ألفاظه ،وعلماء يفهمون معانيه وأحكامه وسننه الكونية ،مستنبطين الأفكار والمعاني الدقيقة من الأعماق المرتبطة بالظاهر ارتباطاً لغوياً موضوعيا في إطار ضوابط دقيقة، لغوية ونقلية وعقلية0حتى لا يضيع الهدف من إنزاله بتحريف كلام منزله الباري عز وجل، فيخضع تفسيره للأهواء الباطلة والآراء الجاحدة،والانحرافات الضالة0

ولما كان القرآن كذلك فلا بد أن يكون بحاجة ماسة إلى التفسير، لا سيما وأنه يسع الدهر كله، إلى أن يرث الله تعالى الأرض وما عليها ،وهذا هو سر كثرة التفاسير التي حاولت أن توضح للناس معاني القرآن العظيم ومبانيه، إلا أنه لا يستطيع أحد من الناس أن يزعم أنه يستطيع أن يأتي بأفضل مما أتى به أئمة هذه الأمة0

ومن هنا قد انطلق البحث ،في تحليل ودراسة ما احتوته كتب المتقدمين من العلماء وخصوصاً المفسرين،من علوم ومعارف تخص القرآن الكريم ومراحل تطور هذه العلوم والمعارف0

وفي هذا الضوء نهدت هذه الرسالة باستخراج وبيان وتحليل ما لدى علماء التفسير وعلوم القرآن ،من دراسات وأبحاث قرآنية دقيقة في طيات كتبهم ومؤلفاتهم 0

وكانت حقبة هذه الرسالة تمتد من أبي جعفر محمد بن جرير الطبري(ت: 310هـ)حتى أبي الفضل محمد بن الحسن الطبرسي (ت:548هـ) وهي حقبة تمتد إلى أكثر من قرنين من الزمان، وقد حفلت بأقطاب المفسرين أمثال:

أبو جعفر بن جرير الطبري (ت:310هـ)،وأبو النظر محمد بن مسعود العياشي (ت:320هـ)،وأبو الحسن علي بن إبراهيم القمي(ت: 329هـ)،وأبو بكر الجصاص (ت: 370هـ) ،و أبو الحسن الشريف الرضي (ت: 406هـ) ، وأبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي(ت:460هـ) ،و أبو القاسم الراغب الأصفهاني (ت:502 هـ) ،و أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت:538هـ) ،و أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت:548 هـ) 0

وقد تنوعت مناهج هؤلاء المفسرين والباحثين في علوم القرآن ،فظهر فيها المنهج الأثري ثم المنهج العقلي، ثم المنهج اللغوي ،والمنهج الموضوعي، مما جعل هدف البحث يتلخص بالآتي:

1 - ضرورة الاطلاع على الآثار ومؤلفات العلوم القرآنية عند المتقدمين0

2- تنظيم المباحث القرآنية الواردة في مقدمة بعض التفاسير بتسلسل وترابط منطقي0

3- تقديم صورة واضحة عن سير تحوّل مباحث العلوم القرآنية وكيفية تطورها منذ عصر صدر الإسلام وحتى الآن سيرا تكاملياً وتراجعياً أحياناً0

4- المتابعة الدقيقة للخط البياني صعوداً ونزولاً في تطبيق المناهج التفسيرية المتبعة آنذاك0

وبناءً على ما تقدم تم اختياري لهذا الموضوع، فتوكلت على الله راسمةً لمنهجه على مقدمةٍ وثلاثة فصول وخاتمة0

كانت المقدمة- وهي التي بين يدي البحث- عرضاً لدوافع اختيار هذا البحث ،وطريقة عرضه وبيان فصوله0

وبعد المقدمة انتظمت الرسالة في ثلاثة فصول وهي:

الفصل الأول:بعنوان(تطور البحث القرآني في علوم القرآن)وقد اشتمل على خمسة مباحث هي:

1-علم المحكم والمتشابه: وقد تضمن التعريف اللغوي والاصطلاحي ، وآراء العلماء في علم الراسخين بتأويل المتشابه وأدلتهم والرأي الراجح وأدلته0

2- علم الناسخ والمنسوخ: وقد تضمن التعريف اللغوي والاصطلاحي ،وأقسام النسخ، والفرق بينه وبين البداء0

3- علم العام والخاص: وقد تضمن التعريف اللغوي والاصطلاحي، ووجوه الخطاب القرآني بالعام والخاص0

4- علم المجمل والمفصّل: وقد تضمن التعريف اللغوي والاصطلاحي مع موارد الإجمال والتفصيل في القرآن الكريم والسنة الشريفة0

5- علم المطلق والمقيّد: وقد تضمن التعريف اللغوي والاصطلاحي وأثر هذا العلم في استنباط الحكم الشرعي0

الفصل الثاني:بعنوان(تطور البحث القرآني في التفسير ومناهجه)وقد تضمن ثلاثة مباحث ، وهي:

1- المفهوم اللغوي والاصطلاحي لكل من (التفسير،المنهج) وقد تطرق البحث في هذا المبحث إلى التعريف اللغوي لكل من التفسير والمنهج فضلاً عن الاتجاه،مع التعريف الاصطلاحي لها0وذلك لأهميته في صلب الموضوع0

2- تطور علم التفسير: وقد شمل أهم المراحل التي مر بها علم التفسير مع التطرق إلى طبقات المفسرين

3- تطور مناهج التفسير: والذي تضمن إحصاءً للمناهج التفسيرية المتبعة آنذاك مع ذكر أعلام كل منهج من هذه المناهج، مع نماذج تطبيقية لهؤلاء الاعلام0

الفصل الثالث : بعنوان(تطور البحث القرآني في تاريخ القرآن)وقد تضمن خمسة مباحث وهي:

1-ظاهرة الوحي:وقد تضمن المفهوم اللغوي والاصطلاحي للوحي مضافاً إلى طرق الوحي، والشبهات حول هذه الظاهرة ومناقشتها، مع توضيح الفرق بين الوحي الإلهي من جهة والوحي النفسي والمكاشفة والإلهام من جهة أخرى0

2- إعجاز القرآن: وقد تضمن المفهوم اللغوي والاصطلاحي للمعجزة مع تحديد عناصر وشروط المعجزة، وبيان موافقة المعجزة لأرقى فنون العصر، وجهة التحدي في القرآن الكريم وعرض الآراء في ذلك ومناقشتها واستنتاج الرأي الراجح0

3- نزول القرآن: وقد تضمن بحث كيفية نزول القرآن وأول وأخر ما نزل من القرآن

4- تدوين القرآن وجمعه: وقد تضمن التعريف بلفظ الجمع واستعماله في موارد جمع القرآن ،وبيان مراحل عملية جمع القرآن وآراء العلماء فيها والتوصل إلى الرأي الراجح

5- القراءات القرآنية:وقد تضمن تعريف القراءات وأقسامها مع بيان مراحل نشوئها وتطورها، والتعريف بمقاييس القراءات وأركانها،ثم توضيح آراء العلماء في أسباب اختلاف القراءات وتعددها ،منتهية بعرض مواقف بعض العلماء في القول بتواتر القراءات وعدمه 0

ها هي أهم فصول ومباحث الرسالة،التي حاول البحث من خلالها مواكبة عملية التطور في المباحث القرآنية خلال حقبة هذه الرسالة0

وهكذا انطوت صحائف البحث فكانت عصارتها بعض النتائج المهمة والتي وضعها البحث في خاتمة المطاف0

وكانت مصادر هذا البحث ومراجعه تعنى بكتب التفسير وعلوم القرآن وتاريخ القرآن القديم منها والحديث من جهة ،وكتب الفقه و الأصول واللغة والأدب والتاريخ والنقد والبلاغة والمصطلحات من جهة أخرى 0

وقد صنفت هذه المصادر إلى : المصادر القديمة، والمراجع الحديثة،كما استخدمت البحوث المطروحة في المؤتمرات والمجلات0

وقد اتبعت في هذا التصنيف أسلوب الحداثة الذي أشار علي به الأستاذ المشرف،بتقديم اللقب أو الشهرة في المصادر، والاسم في المراجع وغيرها، مبتعدة عن أسلوب المجلات العلمية بذكر معلومات المصادر في الهامش، مُحيلة إليها تفصيلا في مظانّها بآخر الرسالة

وأخيرا: إن كان في هذا البحث من الجهد ما يرضي المنهج العلمي فهو من توفيق الله سبحانه وتعالى وإن كانت فيه بعض الهنات، فالعصمة لأهلها0

آملة أن يكون هذا الجهد في خدمة كتاب الله سبحانه وتعالى وإعلاء كلمة الإسلام0

وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين0

الباحثة

الفصل الأول

تطور البحث القرآني في علوم القرآن

1-علم المحكم و المتشابه 0

2-علم الناسخ و المنسوخ 0

3-علم العام و الخاص 0

4-علم المجمل و المفصل 0

5-علم المطلق و المقيد 0

1- علم المحكم والمتشابه

أ- معنى المحكم والمتشابه

ب- أراء العلماء في قوله تعالى (00وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ 000)

1- الرأي الأول وأدلته
أولاً: الدليل القرآني
ثانياً: الدليل الروائي
ثالثاً :دليل القياس على النظير

2- الرأي الثاني وأدلته
أولاً: الدليل القرآني
ثانياً: الدليل الروائي
ثالثاً: الدليل العقلي
رابعاً: الدليل اللغوي والنحوي
خامساً دليل القياس على النظير

مناقشة الأدلة وتقويمها

توطئة :

إن لعلوم القرآن - وهي كما عبر عنها الدكتور الصغير :(كل مصطلح يؤشر إلى حقيقة قد أنتظم عليها القرآن) ([1]) - مباحثها المتخصصة بها ، وهي مباحث هائلة توافر على دراستها أساطين هذا الفن ،وعلماء الدراسات القرآنية ،والمتخصصون بعلوم القرآن الكريم 0

وفي هذا الفصل سوف يحاول البحث الإشارة إلى أبرز المصطلحات الفنية التي يدور حولها تأسيس علوم القرآن 0 وهي : علم المحكم والمتشابه ،وعلم الناسخ والمنسوخ ،وعلم العام والخاص ، وعلم المجمل والمفصّل،وعلم المطلق والمقيّد 0

وهذه العلوم لأهميتها الكبرى في الدراسات القرآنية وغيرها من الدراسات فقد كان لها النصيب الأوفر في الدراسة عند علماء التفسير وعلوم القرآن و الأصول والفقه والبلاغة والحديث وغيرهم ؛ لما لها من الأثر الفاعل في فهم النص من جهة وفي استنباط الحكم الشرعي من جهةٍ أخرى وقد خصص لها الأصوليون باباً خاصاً أسموه (مباحث الألفاظ)0

وقد خصص البحث في هذا الفصل لكل علم من هذه العلوم مبحثاً خاصاً به يتناول فيه التعريف اللغوي والاصطلاحي ،والأنواع والأقسام إن وجدت ،وأراء المفسرين ضمن تاريخ الدراسة وأدلتهم في بعض المضامين لهذه العلوم، ونماذج من آيات القرآن الكريم التي اتضحت فيها هذه العلوم 0

1- علم المحكم والمتشابه :

أ- معنى المحكم والمتشابه :

يقول الله تعالى في كتابه العزيز ﴿ **كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ** ﴾ ([2]) ،ويقول﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ** ﴾ ([3]) 0

فقد وصف سبحانه وتعالى القرآن في الآية الأولى بأن جميعه محكم ، ووصفه في الآية الثانية بأن جميعه متشابه 0

ومعنى الإحكام كما سيأتي في اللغة : الإتقان والمنع أي هو ممنوع بإتقانه وإحكام معانيه عن اعتراض خلل فيه ، فالقرآن كله محكم من هذا الوجه والمتشابه أي يشبه بعضه في الحسن والصدق والثواب والبعد عن الخلل والتناقض ، فهو كله متشابه من هذا الوجه ([4])

إن مثار بحثنا في هذا الموضوع ليس المراد منه الإتقان وجمال النظم في القرآن بالنسبة للمحكم ولا تماثل آياته في البلاغة والأعجاز بالنسبة للمتشابه ، وإنما مثار بحثنا هو الآية السابعة في سورة آل عمران في قوله تعالى ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ**

1- محمد حسين علي الصغير \مصطلحات أساسية في حياة علوم القرآن \مجلة مآب \6 0
2- هود : 1 0
3- الزمر : 23 0
4- ظ: النحاس /معاني القرآن /346/1-347 + البغوي \تفسير البغوي/278/1 + الطوسي/ التبيان /3/9-11 + السمعاني /تفسير السمعاني/293/1+الطبرسي /مجمع البيان /2/ 242+ القرطبي\الجامع لأحكام القرآن \8 \4 +الرازي\مفاتيح الغيب\7\180 0

ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُو الأَلْبَابِ ﴾ ([1])

فقد أختلف العلماء في معنى كلٍ من المحكم والمتشابه وسوف يتعرض البحث إلى أهم الأقوال فيه وحسب التسلسل الزمني مبتدءاً بالمعنى اللغوي 0

1-المعنى اللغوي للمحكم والمتشابه :

أ- المحكم : من مادة الإحكام ، ومعناها الإتقان والتوقف ، أو المنع عن الفساد ([2]) ويرى بعض العلماء إن مادة الإحكام بجميع مشتقاتها يجمعها معنى واحد هو المنع ([3]) ، ويرى آخرون إن معنى الإحكام وجودي ايجابي هو الوثوق والإتقان ([4]) 0 ويرى البحث إن المعنيين يؤديان إلى مؤدى واحد ، فالشيء المتقن هو الذي يمتنع وصول الفساد إليه والخلل فيه0

ب- المتشابه:إما أن يدل على الالتباس والاختلاط كقوله تعالى﴿ **00إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا000 ﴾**(*)وإما أن يدل على المماثلة والمشاكلة ([5])0كقوله تعالى﴿ **وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾** ([6])

2- المعنى الاصطلاحي:

لقد تعددت الاتجاهات والآراء في معنى المحكم والمتشابه منذ العصور الأولى للتفسير ، وورد في الأثر المروي عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) الكشف عنهما من حيث المعنى والعمل بهما ونقل الشيخ العياشي (ت: 320هـ) ما روي عنهم في كتابه التفسير :

أ- عن أبي محمد الهمداني عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : سألته عن الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه ؟ قال : الناسخ الثابت ، والمنسوخ ما مضى ، والمحكم ما يعمل به ، والمتشابه الذي يشبه بعضه بعضاً ([7]) 0

ب-عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: إن القرآن فيه محكم ومتشابه ، فأما المحكم فنؤمن به ونعمل به وندين به ، وأما المتشابه فنؤمن به ولا نعمل به ([8]) 0

ج- عن مسعدة بن صدقة قال سألت أبا عبد الله عن الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه ؟ قال(عليه السلام) : الناسخ الثابت المعمول به ، والمنسوخ ما قد كان يعمل به ثم جاء ما نسخه والمتشابه ما أشتبه على جاهله ([9]) 0

(ويفاد من أقوال الإمام الصادق (عليه السلام) في المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ المقارنة بينها بان المحكم والمتشابه كالناسخ والمنسوخ من حيث الحكم والعمل بهما ،

1-آل عمران : 7 0
2 - ظ:ابن منظور/لسان العرب /143/12 0
3- ظ : الرازي / التفسير الكبير \7/ 180 + الزرقاني /مناهل العرفان /2 /194 0
4- ظ : محمد باقر الحكيم/ علوم القرآن /185 0
***- البقرة : 70**
5- ظ:ابن منظور/لسان العرب /13 /503 0
6- البقرة : 25 0
7- العياشي / تفسير العياشي/ 1/ 11 0
8- م0ن / 1/ 11 0
9- م0ن/ 1/ 11 0

فالناسخ والمحكم يعمل بهما بحسب قول الإمام (عليه السلام) ، والمنسوخ والمتشابه لا يعمل بهما)([1]) 0

إن اختلاف العلماء في معنى المحكم والمتشابه وإن كان كثيراً لكن أهم الأقوال فيه هي :

1- المحكم الناسخ ، والمتشابه المنسوخ ، وهو ما نقل عن ابن عباس

تعقيب

يورد الطبري رواية مؤداها أن المحكم ما لم يُنسخ وإن المتشابه ما نُسخ 0

وهذا الرأي يختلف عن الرأي السابق بأن المحكم هو الناسخ ، فأن ما لم يُنسخ ليس شرطاً أن يكون ناسخاً وذلك لأنه ليس كل القرآن ناسخاً ومنسوخاً ؛ وإن هذا الرأي ليس مطرداً

أما الرواية فهي : حدثني ابن وكيع ، قال : ثنا أبي عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك بن مزاحم ، قال : ((المحكم ما لم ينسخ ، وما تشابه منه : ما نسخ)) ([2]) 0

2- المحكم ما لا يشتبه معناه ،والمتشابه ما اشتبهت معانيه نحو:**﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلا الْفَاسِقِينَ﴾** ([3]) ونحو قوله تعالى **﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾([4])** وهو منقول عن مجاهد مجاهد

3- المحكم مالا يحتمل إلا وجهاً واحداً ، والمتشابه ما يحتمل وجهين فصاعداً 0

وهذا منسوب لمحمد بن جعفر بن الزبير وأبي علي الجبائي 0

4- المحكم هو الذي لم تتكرر ألفاظه ، والمتشابه هو المتكرر الألفاظ ، وهو المنقول عن ابن زيد0

5- المحكم ما يعلم تعيين تأويله والمتشابه ما لا يعلم تعيين تأويله ، نحو قوله تعالى **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾** ([5]) وهو مروي عن جابر بن عبد الله ([6])

إلا إننا حينما نريد أن نلقي نظرة أكثر شمولاً سنجد أن الاتجاهات في المحكم والمتشابه متعددة0

وقد قام البحث بحصرها في ثلاثة اتجاهات هي :

أ- المحكم ، هو المتقن ، المبيِّن ، والمفصّل ([7]) 0

أما المتشابه:فهو ما تشابه في التلاوة – ويقصد به ما تشابه في اللفظ – وأختلف في المعنى ([8]) 0

ب- المحكم هو ما كان قائماً بنفسه ولا يحتاج إلى استدلال أو قرينة تدل على المراد به؛

1- مسلم جواد / العياشي ومنهجه في التفسير/ 105 0

2- الطبري / جامع البيان / 235/3 0

3- البقرة : 26 0

4- محمد : 17 0

5- الأعراف 187 0

6- ظ : الطوسي/ التبيان /394/2 + الطبرسي / مجمع البيان / 2/ 239 + الطبري / جامع البيان / 3 /235 + النحاس /معاني القرآن /344/1 + الثعلبي/ تفسير الثعلبي/ 3/ 11 + السمعاني /تفسير السمعاني / 293/1+السمرقندي/تفسير السمرقندي/ 219/1+السيوطي\الإتقان \312 0

7- ظ:الطبري/جامع البيان/ 231/3 +الثعلبي/ تفسير الثعلبي/ 11/3+البغوي/ تفسير البغوي/1/ 278

8- ظ: م0ن +القمي /تفسير القمي /7/1+32 0

وذلك لعلم المراد بظاهره، وأن تنزيله قد استغنى عن تأويله ، أما المتشابه فهو ما لم يقم بنفسه وإنما
يحتاج إلى دليل ؛ وذلك ما كان محتملاً لأمور كثيرة أو أمرين ([1]) 0
ج- المحكم : هو المحفوظ من الاحتمال والاشتباه ، أما المتشابه فهو اللفظ المشترك المحتمل لعدة معانٍ ([2]) 0
د- لقد ذكر قسم من العلماء أن معنى قوله (المحكمات) هو فاتحة الكتاب التي لا تجزى الصلاة إلا بها ، أو هو سورة الإخلاص 0 أو أن المحكمات ما فيه من الحلال والحرام وما سوى ذلك من المتشابه0 أو أن المحكمات هن الثلاث آيات في آخر سورة الأنعام أي من قوله تعالى ﴿**قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ 00** ﴾ إلى آخر الآيات الثلاث ([3]) 0
والملاحظ على الاتجاه الأخير بأنه لا يعطي تحديداً معيناً للمحكم والمتشابه ، وإنما يعرفنا عليهما من خلال ذكر بعض مصادقهما وأمثلتهما 0
أما الاتجاهات الثلاثة السابقة فتجمع على إن المتشابه هو كون الآية لا يتعين مرادها لفهم السامع بمجرد استماعها بل يتردد بين معنىً وآخر حتى يرجع لمحكمات الكتاب فتصير الآية المتشابهة محكمة0
وكذلك تبين للبحث بأن المعنى الاصطلاحي لكلٍ من المحكم والمتشابه مهما تعدد وأختلف فإنه ينحدر عن الأصل اللغوي لهما وهو الإتقان والمنع من الخلط بالنسبة للمحكم0
والتشابه والاختلاط بالنسبة للمتشابه 0

ب- آراء العلماء في قوله تعالى (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) 0

أختلف أهل العلم في قوله تعالى ﴿**00 وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ000**﴾ خلافاً نحوياً ، مما أدى إلى اختلافهم في تفسير هذا المقطع من الآية الكريمة 0
وقد أنقسم هذا الخلاف إلى شطرين ولكل منهما رأيه وأدلته ، وفيما يأتي نعرض لهذين الرأيين مع أدلتهما ومن ثم مناقشة هذه الأدلة واستنتاج الرأي الراجح 0

1-الرأي الأول وأدلته :

يتبنى أصحاب هذا الرأي القول بأن كلام الله تعالى قد تم عند قوله (00إلا الله00) وأن الواو بعده استئنافية و (الراسخون) ابتداء الكلام و(يقولون) خبر0 أي إن تفسير قوله تعالى : ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا**﴾ هو : وما يعلم تأويل المتشابه إلا الله ، دون من سواه من البشر الذين أمِلوا إدراك علم

1- ظ:القمي /تفسير القمي /1/7+32 +النحاس/ معاني القرآن /346/1 + الطوسي/ التبيان /394/2
2- ظ: الجصاص /أحكام القرآن/189/1 +النسفي/تفسير النسفي/1 /142 + الزمخشري\الكشاف \412\1
3--ظ:السلمي /تفسير السلمي/88/1+ ابن زمنين /تفسير ابن زمنين/ 274/1+الواحدي/ تفسير الواحدي/198/1 0

ذلك، وأما الراسخون في العلم فأنهم لا يعلمون بالمتشابه وإنما يؤمنون به وإنما فضل علمهم في ذلك على غيرهم العلم بأن الله هو العالم بذلك دون من سواه من خلقه ([1]) 0

أدلة هذا الرأي

أعتدنا في كل مسألة خلافية بين طرفين أو عدة أطراف أن نستقصي أدلتهم ، وهذه الأدلة أما أن تكون من القرآن أولاً ومن ثم السنة الشريفة ومن ثم الدليل العقلي 00وهكذا

أولاً- الدليل القرآني :

يستدل أصحاب هذا الرأي في قولهم بالآية نفسها وهو قوله تعالى ﴿00فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ 000﴾

حيث أن الآية دلت على ذم متبعي المتشابه ووصفهم بالزيغ وابتغاء الفتنة وعلى مدح الذين فوضوا العلم إلى الله ،وسلّموا إليه كما مدح الله المؤمنين بالغيب ([2]) 0

ثانياً – الدليل الروائي :

1- روى الطبري بإسناده عن يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال: أخبرني ابن أبي الزناد ، قال : قال هشام بن عروة:كان أبي يقول في هذه الآية:﴿00وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ 00﴾ أن الراسخين في العلم لا يعلمون تأويله([3])، ولكنهم يقولون:(آمنا به كل من عند ربنا)

2- روى الطبري بإسناده عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ،قال :ثنا خالد بن نزار ، عن نافع ، عن ابن ملكية ،عن عائشة ،قوله(والراسخون في العلم يقولون آمنا به) قالت : كان من رسوخهم في العلم أن آمنوا بمحكمه و متشابهه، ولم يعلموا تأويله ([4]) 0

3- عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عن أبيه أن رجلاً قال لأمير المؤمنين عليه السلام : هل تصف ربنا نزداد له حباً وبه معرفة ، فغضب وخطب الناس فقال : فيما عليك يا عبد الله بما دلك عليه القرآن من صفته تقدمك فيه الرسول من معرفته ،فائتم به واستضيء بنور هدايته، فإنما هي نعمة وحكمة أوتيتها، فخذ ما أوتيت وكن من الشاكرين، وما كلفك الشيطان عليه مما ليس عليك في الكتاب فرضه ولا في سنة الرسول والأئمة الهداة أثره فكِل علمه إلى الله ،ولا تقدر عظمة الله على قدر عقلك فتكون من الهالكين، وأعلم يا عبد الله إن الراسخين في العلم هم الذين أغناهم الله عن الاقتحام على السدود المضروبة دون الغيوب إقرارا بجهل ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب ، فقالوا آمنا به كل من عند ربنا ،وقد مدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً وسمّا تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عنه رسوخاً ([5]) 0

4- كذلك يحتج أصحاب هذا الرأي بما روى طاووس عن ابن عباس أنه قرأ وما يعلم تأويله ألا الله ويقول الراسخون في العلم آمنا به ([6]) 0

4- ظ: الطبري / جامع البيان / 3 / 248 + السمرقندي /بحر العلوم / 1/ 221 + الواحدي / تفسير الواحدي /1/ 198+ السيوطي/ الإتقان/311 0

1- ظ: السيوطي\الإتقان \311 0
2- الطبري / جامع البيان / 3 / 249 0
3- م 0ن
4- العياشي \ 1 \ 163 0
5- النحاس/ معاني القرآن /351/1 +السمرقندي/تفسير السمرقندي/ 220/1 0

5- ويستدلون أيضاً بما روي عن عمر بن عبد العزيز، أنه قرأ هذه ألآية ثم قال : انتهى علم الراسخين في العلم بتأويل القرآن إلى أن قالوا:(آمنا به كل من عند ربنا) ([1])0

6-وقد استند بعضهم في قوله بالوقف على تفسيره لهذه الآية حيث أن تفسير قوله تعالى(**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ**) هو ما يعلم انقضاء ملك أمة محمد (صلى الله عليه وآله) إلا الله لأن انقضاء

ملكهم مع قيام الساعة ولا يعلم ذلك أحد ألا الله ([2]) 0

7- كذلك يستدلون بقراءة عبد الله (إن تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنا 00([3])0

8- وأخرج ابن جرير ،عن ابن عباس مرفوعاً: ((أنزل القرآن على أربعة أحرف: حلال وحرام لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير تفسره العرب، وتفسير تفسره العلماء،ومتشابه لا يعلمه إلا الله ، ومن أدعى علمه سوى الله فهو كاذب)) ([4]) 0

وهذه الروايات وغيرها تدل على أن المتشابه مما لا يعلمه إلا الله ، وأن الخوض فيه مذموم0

ثالثاً – دليل القياس على النظير :

يقول أبو حاتم السجستاني ([5]) أن الوقف عند قوله تعالى ﴿00**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ**﴾ لأنه قد حذف من الكلام (أما) وكأنه تعالى قال : (وأما الراسخون في العلم فيقولون آمنا به) ،وزعم أنه إنما جاز حذفها لأنه قد جرى ذكرها وهو قوله تعالى﴿00**فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ000**﴾ فقال : و(أما) لا تكاد تجيء في القرآن مفردة حتى تثنى أو تثلث أو تزداد على ذلك كقوله سبحانه:﴿ **فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ** ﴾ ([6]) وغيرها ([7]) 0

فلما قال سبحانه :(فأما الذين في قلوبهم زيغ) فقدّر أن (أما) مرادة مع (الراسخين في العلم) فكأنه تعالى قال : وأما الراسخون في العلم ([8])0

2-الرأي الثاني وأدلته:

يتبنى أصحاب هذا الرأي القول بأن الآية (وما يعلم تأويله ألا الله و الراسخون في العلم 00) موصولة وغير مقطوعة، أي أن(الواو) عاطفة و(الراسخون) معطوفة على (الله) و(يقولون) منصوبة على الحال 0

6- الثعلبي/ تفسير الثعلبي/ 14/3 +البغوي/ تفسير البغوي/1/ 280 0

1- الواحدي / تفسير الواحدي /1/ 201 0

2-البغوي/ تفسير البغوي/1/ 280 0

3- السيوطي \ الإتقان \ 312 0

4- هو سهل بن محمد بن عثمان أبو حاتم السجستاني البصري النحوي المقرئ صاحب المصنفات ،له اليد الطولى في اللغة والشعر والعروض ،ولم يكن حاذقاً في النحو،له أعراب القرآن وكتاب ماتلحن فيه العامة ،توفي سنة 250 هـ وقيل 248 0 ظ: الصفدي \الوافي بالوفيات \16\10 0

5-الضحى : 9 ، 10 0

6-سورة الكهف : 78 - 82 0

7- ظ: الشريف الرضي \ حقائق التأويل \ 13 -14 0

وعلى ذلك يكون تفسير قوله تعالى في الآية الشريفة بأن الاستثناء في العلم بتأويل المتشابه إلى جهة الله سبحانه وتعالى و الراسخين في العلم وهم بالإضافة إلى علمهم يقولون آمنا به

أدلة هذا الرأي

أما أدلتهم فقد تنوعت ما بين الدليل القرآني والدليل الروائي والقياس على النظير والشواهد الشعرية0

أولاً -الدليل القرآني :

أ- قوله تعالى :﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لا يَمَسُّهُ إِلا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ ([1]) ولا شبهة في ظهور الآيات في أن المطهرين من عباد الله هم يمسون القرآن الكريم ،وليس هذا المس إلا نيل الفهم والعلم0

(والمطهرون قوم نزلت الطهارة في قلوبهم ، وليس ينزلها إلا الله سبحانه ،فأنه تعالى لم يذكرها إلا كذلك ، أي منسوبه إلى نفسه كقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ ([2]) ، وقوله تعالى : (ولكن يريد ليطهركم) ([3]) ، وما في القرآن شيء من الطهارة المعنوية إلا منسوبه إلى الله أو بأذنه وليست الطهارة إلا زوال الرجس من القلب ، وليس القلب من الإنسان إلا ما يدرك به ويريد به ،فطهارة القلب طهارة بنفس الإنسان في اعتقادها وإرادتها و زوال الرجس عن هاتين الجهتين ، ويرجع إلى ثبات القلب فيما اعتقده من المعارف الحقة من غير ميلان إلى الشك ونوسان بين الحق والباطل ،وثباته على لوازم ما علمه من الحق من غير تماثل إلى أتباع الهوى 0 ونقض ميثاق العلم ،وهذا هو الرسوخ في العلم ،فأن الله سبحانه ما وصف الراسخين في العلم إلا بأنهم مهديون ثابتون على ما علموا غير زائغة قلوبهم إلى ابتغاء الفتنة ،فقد ظهر أن هؤلاء المطهرين راسخون في العلم هذا) ([4]) ويؤيد ذلك قول أمير المؤمنين علي (عليه السلام) حين جمع القرآن وطلبوا منه أن يخرجه بعد ما حرفوا ما عندهم منه ، فقال : (إن القرآن الذي عندي لا يمسه إلا المطهرون والأوصياء من ولدي ، إذا قام القائم من ولدي يظهره ويحمل الناس عليه ، فتجري به السنة) ([5])

وعبارة (يظهره ويحمل الناس عليه) تؤكد أن معنى (المس) في الآية هو الفهم والعلم وذكر بعض العلماء قوله تعالى (لا يمسه) أي :لا يعرف تفسيره وتأويله ([6]) 0

1- الواقعة : 77- 79 0

2- الأحزاب : 33 0

3-المائدة : 6 0

4- الطباطبائي \ الميزان \ 2\22+3 \ 54 + 19\137+الطباطبائي \القرآن في الإسلام \48 + ظ: محمد باقر الملكي\ توحيد الإمامية \696+ ناصر مكارم الشيرازي\ الأمثل \17 \501 +مركز الثقافة والمعارف الإسلامية\ علوم القرآن عند المفسرين \3\140-141 0

5- القمي \تفسير القمي \1 366 ذيل الآية (35) من سورة الرعد + ظ :الفيض الكاشاني \ التفسير الصافي\ 5\ 129 وفيه قول الإمام (عليه السلام) بالتفصيل0

6- ظ: الشوكاني \ فتح القدير \ 5 \160

وفي الدر المنثور أخرج ابن مردويه بسند رواه عن ابن عباس عن النبي (صلى الله عليه وآله) (أنه لقرآن كريم في كتاب مكنون) قال : عند الله في صحف مطهره ، (لا يمسه إلا المطهرون) قال : المقربون(1)0

وتفسير المطهرين بالمقربين يؤيد ما أورده صاحب الميزان0 وقد وجد البحث إن أحد المفاهيم اللغوية للمس هو (مس الشيء بالشيء يكون معرفة الشيء) (2) 0

وقد لاح هذا الرأي عند الأوائل ، حيث إن المطهرين هم الذين قد طهرهم الله من الذنوب ، وقد تدرج الطبري في ذكر الأقوال على ما أختلف فيه أهل التأويل – ويعني التفسير – في مصداق المطهرون ، فقال بعضهم : الملائكة وقد أورد لذلك عدة روايات، وقال آخرون : هم حملة التوراة و الإنجيل وقد ذكر لذلك روايات أيضاً ، وقال آخرون أنه لا يمسه عند الله إلا المطهرون أما في الدنيا فأنه يمسه المجوسي النجس والمنافق الرجس (3)0

أما رأي الطبري فهو:إن الله جلّ ثناؤه أخبر أن لا يمس الكتاب المكنون إلا المطهرون فعمّ بخبره المطهرين ، ولم يخصص بعضاً دون بعض ،فالملائكة من المطهرين ،والرسل والأنبياء من المطهرين ، وكل من كان مطهراً من الذنوب ، فهو ممن استثني ، وعنى بقوله: إلا المطهرون (4) ، وعبارته (وكل من كان مطهراً من الذنوب) عامة وبما إن الأوصياء والأولياء من أهل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله) مطهرون من الذنوب بدليل قوله تعالى﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (5) فأنهم المصداق المصداق الأمثل لـ (المطهرون) في قوله تعالى(لا يمسه إلا المطهرون) 0

ب- قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا﴾(6) والشاهد في هذه الآية قوله﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ 0

والمنازعة : هي المجاذبة في الخصومة ، فيقال : بينهم نزاعة أي خصومة في الحق 0

والتنازع:التخاصم(7)0والمنازعة في الخصومة:مجاذبة الحجج فيما يتنازع فيه الخصمان (8)0

0(8)

وعلى ذلك يكون معنى قوله تعالى ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ ﴾أي تخاصمتم في شيء أو اختلفتم فيه0

ولفظ (شيء) في الآية عام 0 أي يكون النزاع في أي شيء وكل أمر 0 إذاً ألا يجوز أن يكون المتشابه أحد مصاديق ذلك الشيء 0

7- السيوطي \ الدر المنثور \ 6 \162 0

8- ظ : ابن منظور \لسان العرب \ 6 \ 209 0

1- ظ : الطبري \ جامع البيان \ 27 \ 266- 268 0

2- **م 0ن \ 269 0**

3- الأحزاب : 33 0

4- النساء : 59 0

5 – ظ : الجوهري \ الصحاح \ 3 \ 1290 + الفيروز آبادي \ القاموس المحيط \3 \88+ الطريحي \مجمع البحرين \ 4 \295 0

6- ظ: ابن منظور \ لسان العرب \8 \ 351

وبعد ذلك فيما أمر الله تعالى أولئك المتخاصمين ؟ فقد أمرهم بأن يرجعوا إليه سبحانه أي إلى كتابه الكريم و إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) أي السنة0
وذلك أن السنة : هي قول و فعل و تقرير الرسول (صلى الله عليه وآله) ([1]) 0
وكيف يكون ذلك أذا لم يكن الرسول (صلى الله عليه وآله) لديه علم المتشابه ؟ وفاقد الشيء لا يعطيه 0 فكيف يكون حكماً على غيره أذا لم يكن يعلم جواب ما تخاصموا فيه؟0
إذاً فأن الله سبحانه وتعالى قد علَّم الرسول(صلى الله عليه وآله) بكل شيء ثم علَّم الرسول (صلى الله عليه وآله) بدوره ذلك الإمام علي(عليه السلام) من بعده وإلى ذلك أشار الرسول (صلى الله عليه وآله) بقوله:
(أنا مدينة العلم وعلي بابها) 0
عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن سيف بن عميرة عن أبي الصباح قال: والله لقد قال لي جعفر بن محمد(عليه السلام) : (أن الله علم نبيه التنزيل و التأويل فعلمه رسول الله (صلى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام) ([2])0
ويتضح في هذهِ الآية أن عطف (الرسول) على (الله) بائنٌ وان الرجوع عند المنازعة والخصومة أليهما أمرٌ مقضي 0 إلا أننا نجد بعض المفسرين وكأنه يتجاهل لفظ (الرسول) في الآية الكريمة ويقول :أن ما أشتبه عليكم فردوه إلى كتاب الله ([3]) 0
وهذا صحيح إذا كشف اللبس في ذلك دون قول الرسول،وإذا كان قول الرسول كاشفاً للّبس فيؤخذ به إلى جنب كتاب الله 0
وأما قوله تعالى :﴿ **وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلا قَلِيلا**﴾([4]) ففيه دليل في الرجوع عند المنازعة إلى أولي الأمر وذلك كون قولهم قولهم حجة من حيث كانوا معصومين حافظين للشرع جروا مجرى الرسول في هذا الباب ([5]) 0
وهكذا نستنتج أنه عند المنازعة والخصومة والإشكال يكون الرجوع إلى كتاب الله وسنة نبيه(صلى الله عليه وآله) وآل بيته الطاهرين (عليهم السلام) 0
ثانياً- الدليل الروائي:
تعددت وتنوعت الروايات الدالة على علم أهل البيت (عليهم السلام) وهم الراسخون في العلم بتأويل المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله وهم (عليهم السلام) 0 وقد جاءت هذه الروايات عند الفريقين الخاصة والعامة0 ومنها :

7- حسن الحكيم\مذاهب الإسلاميين في علوم الحديث\ 15 0
1- الكليني \ الكافي \ 7 \442 + الطوسي \ تهذيب الأحكام \ 8 \286 + الحر العاملي \ وسائل الشيعة \ 23
224+ المجلسي \بحار الأنوار \26 \ 173 + البروجردي \جامع أحاديث الشيعة \ 19\ 447 + هادي النجفي\ موسوعة أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) \12 \346
2- ظ : السمرقندي \ تفسير السمرقندي \1 \259 0
3- النساء : 83 0
4- ظ : الطوسي \التبيان \3\236 0

أ- ينقل الطبري روايات عن مجاهد والربيع أن الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه ويقولون آمنا به ([1]) 0
ب- كذلك ينقل عن ابن عباس أنه قال : أنا من يعلم تأويله ([2]) 0
ج- (حدثنا ابن حميد،قال :ثنا سلمة ،عن ابن إسحاق،عن محمد بن جعفر بن الزبير: (وما يعلم تأويله) الذي أراد الله ما أراد إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به 0ثم ردوا تأويل المتشابه على ما عرفوا من تأويل محكمه الذي لا تأويل لأحد فيه إلا تأويل واحد ، فاتسق بقولهم الكتاب ،وصدق بعضه بعضاً ، فنفذت به الحجة ، وظهر به الغدر وزاح به الباطل ، ودمغ به الكفر) ([3])0
د- عن ثوير بن أبي فاختة عن أبيه قال: قال علي (عليه السلام): ما بين اللوحين شيء إلا وأنا أعلمه ([4])
هـ - عن سليمان الأعمش عن أبيه قال : قال علي(عليه السلام) ما نزلت آية إلا وأنا علمت فيمن أنزلت وأين أنزلت وعلى من نزلت ، إن ربي وهب لي قلباً عقولاً و لساناً طلقاً ([5]) 0
و- عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أفضل الراسخين في العلم قد علم جميع ما أنزل الله عليه من التنزيل و التأويل وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلمه تأويله وأوصياؤه من بعده يعلمونه كله) ([6])0
ز- عن جابر ، عن أبي الطفيل ، عن أنس قال : قال النبي (صلى الله عليه وآله) : علي يعلم الناس بعدي من تأويل القرآن ما لا يعلمون ([7])0
ح- عن ابن أذينه عن أبان بن أبي عياش قال : حدثني سليم بن قيس الهلالي قال : سمعت علياً يقول : ما نزلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) آية من القرآن إلا اقرأنيها أو أملاها علي فأكتبها بخطي وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها ودعا الله لي أن يعلمني فهمها وحفظها ، فلم أنس منه حرفاً واحداً ([8]) 0
ط- عن منصور بن يونس عن ابن أذينة عن محمد بن مسلم قال سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول : (فلم يعلم والله رسول الله (صلى الله عليه وآله) حرفاً مما علمه أله إلا علمه علياً (عليه السلام) ثم انتهى ذلك العلم إلينا) ([9]) 0
وغيرها من الروايات الدالة على علم النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة المعصومين (عليهم السلام) بتأويل المتشابه

ثالثاً- الدليل العقلي :

5- ظ : الطبري\جامع البيان \ 3\249+ :النحاس \ معاني القرآن\1\ 353+ الثعلبي\ تفسير الثعلبي \3\ 13
6 - م 0 ن 0
1– الطبري \ جامع البيان \ 3 \249 0
2 - العياشي \تفسير العياشي\ 1\ 17 0
3- م 0 ن + الحاكم الحسكاني\ شواهد التنزيل \1 \ 46 0
4 – القمي \ تفسير القمي \ 1 \ 97 0
5- الحاكم الحسكائي\ شواهد التنزيل \ 1\ 39
6- الحاكم الحسكائي\ شواهد التنزيل \ 1\ 48 0
7- الصفار \ بصائر الدرجات \ 315 0

أ- مما يُعلم أن معنى التفسير و التأويل إنما يكون لما غمض ودق من الكلام ولم يُعلم بظاهره ([1])، وهذه صفة المتشابه ، وأما المحكم فهو الذي يعلم بظاهره0
وبذلك تظهر الحاجة للتعلم بالنسبة للمتشابه ، أما المحكم فلا حاجة بأحد إلى تعلمه لأن أهل اللسان فيه سواء0
ولما روي أن الرسول (صلى الله عليه وآله) علم علياً (عليه السلام) التفسير والتأويل ودعا لابن عباس (رض) بأن يعلمه الله التأويل (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) فأكيد أنه (صلى الله عليه وآله) لم يرد بذلك الظاهر الواضح وإنما الغامض الباطن ([2]) 0

ب- قال تعالى :﴿ **بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**﴾ ([3]) وقال ﴿ **وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾([4]) و﴿**لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾([5])0فوصف تعالى الكتاب جميعه بالتفصيل والتبيين،وأنه لا يجوز أن يبين الرسول(صلى الله عليه وآله)للناس شيئاً لا يعلمه([6]) يعلمه([6])

ج- قال تعالى :﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾([7]) ولا تؤمر بأتباع ما لا يعلم ([8]) 0

د- لو لم يكن للراسخين في العلم معرفة بعلم التأويل لما كان لهم على المتعلمين والجهال فضل ؛ لأنهم أيضاً يقولون آمنا به ([9]) 0

هـ - لم نرَ أحداً من المفسرين وقفَ عن شيء من تفسير القرآن وقال : هذا متشابه لا يعلمه إلا الله ، بل أعزوه كله وفسروه حتى حروف التهجي وغيرها ([10]) 0

و- إن الصحابة والتابعين أجمعوا عل تفسير جميع آي القرآن ، ولم نرهم توقفوا على شيء منه ، ولم يفسروا بأن هذا متشابه لا يعلمه إلا الله 0 وكان ابن عباس يقول في هذه الآية : أنا من الراسخين في العلم ([11]) 0

ز- لو كانت الآي المتشابهة مما لا يعرف تأويلها إلا الله ، لأصبح قسط كبير من آي القرآن لا فائدة في تنزيلها سوى ترداد قراءتها ، وقد قال الرسول (صلى الله عليه وآله) ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأملها ([12]) قال تعالى :﴿ **كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ** ﴾([13])0

8- ظ : الخوئي \ البيان \ 287 0
9- ظ : الشريف الرضي \ حقائق التأويل \13 + كمال الحيدري\ أصول التفسير والتأويل\268 0
1- الشعراء : 195 0
2- الأعراف : 52 0
3- النحل : 44 0
4- ظ : الثعلبي \ تفسير الثعلبي\ 3 \ 15 0
5- الأعراف : 3 0
6- ظ : الثعلبي \ تفسير الثعلبي\ 3 \ 15 + السيوطي\ الإتقان \311 0
7- ظ: النحاس \معاني القرآن \1\354+ الثعلبي \ تفسير الثعلبي\ 3 \ 15 0
8- ظ: الثعلبي \ تفسير الثعلبي\ 3 \ 15 + محمد هادي معرفة \التمهيد\33 0
9– الطبرسي\مجمع البيان\2\241 + ظ: الثعلبي \ تفسير الثعلبي\ 3 \ 15 0
10 – المجلسي \بحار الأنوار\66\350 + الإيجي\ المواقف\ \1\148+ الزيلعي \تخريج الأحاديث والآثار \1\259 0
11 – ص : 29

رابعاً- الدليل اللغوي و النحوي :

أ – يقول الشريف الرضي : (أن حقيقة الواو الجمع ، فوجب حملها على سنن حقيقتها ومقتضاها، ولا يجوز حملها على الابتداء إلا بدلالة ، ولا دلالة هاهنا توجب صرفها عن الحقيقة، فوجب حملها على الجمع، حتى تقوم الدلالة) ([1])

ب- قال يزيد بن مفرِّغ الحميري لما سامه عبّاد بن زياد أن يبيع عبده برداً في دين لزمه وشريت برداً ، ليتني من بعد برد كنت هامه

فالريح تبكي شجوها والبرق يلمع في ألغمامه ([2])

أراد والبرق لامعاً في غمامه أي في حال لمعانه وتبكي شجوه أيضاً، ولو لم يكن البرق يشرك الريح في البكاء لم يكن لذكر البرق ولمعانه معنىً ([3]) 0

ج- إن أصل العطف هو عطف المفردات دون عطف الجمل، فيكون الراسخون معطوف على أسم الجلالة فيدخلون في أنهم يعلمون تأويله ([4]) 0

خامساً- دليل القياس على النظير

أحتج أصحاب هذا الرأي بالقياس على النظير ،أي قياس أعراب هذه الآية ([5]) على نظيراتها من الآيات الأُخرى ،ومنها :

قوله تعالى في معنى قَسْم الفيء : ﴿ **مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ ([6]) ثم أعقب أعقب ذلك بالتفصيل وتسمية من يستحق هذا الفيء ، فقال :﴿ **لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ 000000 وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا000** ﴾* ففي هذه الآيات ذكر لأصناف مستحقي الفيء فيدخل من ضمنهم ﴿**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ** ﴾ فالواو هنا للجمع0

أما ﴿**يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا000** ﴾ فمعناه قائلين ربنا أغفر لنا ولإخواننا أي منصوب على الحال

12- الشريف الرضي\ حقائق التأويل \ 13 0
1- أبو الفرج الأصفهاني\الأغاني\ 17\51-72
2-ظ: الشريف الرضي\ حقائق التأويل \12+ الثعلبي \ تفسير الثعلبي\ 3 \ 13
3- ظ : ابن عاشور \ التحرير والتنوير\3\24 0
4- آل عمران : 7 0
5- الحشر : 7 0
***- الحشر : 8- 10 0**

فكذلك قوله تعالى (والراسخون في العلم يقولون آمنا به) يكون معناه : والراسخون في العلم يعلمون تأويل ما نصبت لهم عليه الدلائل ،ونحيت لهم إليه المذاهب من المتشابه قائلين آمنا به ([1])0

مناقشة الأدلة وتقويمها :

عند النظر في أدلة الفريق الأول نجد أغلبها أدلة روائية عدا الدليل الأول و الأخير ،

أما الدليل الأول : فالرد عليه بالآية نفسها كذلك ،حيث أنهم اخطأوا الفهم للآية؛ لأنها لا تمنع من العمل بالمتشابه وإنما تحرم إتباع المتشابه بقصد الفتنة والتأويل ، دون العمل به بعد إرجاعه إلى المحكم ([2]) 0

أما الأدلة الروائية فعند دراستها وجدناها من حيث السند أن هناك رواة ليس ممن يحتج به أصحاب الحديث كعبد الرحمن بن أبي الزناد ، فلقد كان يضعف الرواية عن أبيه([3]) ، وكان مضطرب الحديث ، ويعتبر سبب علة الحديث المعلول ([4])0

وكذلك رواية طاووس عن ابن عباس في الدليل الرابع كذلك الدليل الثامن حيث أنها مردودة بقول ابن عباس:أنا من الراسخين في العلم0 ودعاء النبي (صلى الله عليه وآله) له : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل 0

وأما الدليل السادس ، فقد أعتمد أصحابه على تفسيرهم الخاص لهذه الآية والذي اعتمدوا فيه على أحد أسباب النزول المذكورة لهذه الآية ، وهو قول ذكر عن جابر بن عبد الله بن رباب في أن قوم من اليهود على عهد الرسول (صلى الله عليه وآله) طمعوا أن يدركوا معرفة مدة الإسلام وأهله، ويعلموا نهاية أجل محمد وأمته عن طريق حساب الحروف المقطعة التي في أوائل السور – والتي يعدها بعضهم من المتشابه – وموافقات حروف حساب الجمل فاكذب الله أحدوثتهم بذلك ،وأعلمهم أن ما ابتغوا علمه من ذلك من قبل هذه الحروف المتشابهة لايدركونه ولا من قبل غيرها،وأن ذلك لا يعلمه إلا الله ([5]) 0

إلا أنه لا يمكن الاعتبار بهذا السبب لأنه تعددت الأقوال في سبب نزول هذه الآية فمنها : (قال الربيع: نزلت هذه الآية في وفد نجران لما حاجوا النبي (صلى الله عليه وآله) في المسيح ،فقالوا أليس هو كلمة الله وروح منه؟ فقال:بلى،فقالوا:حسبنا ،فأنزل الله تعالى﴿ 00 **فَأَمَّا الَّذِينَ**

6– ظ: الشريف الرضي\ حقائق التأويل \11-12 + الثعلبي \تفسير الثعلبي\ 3\13+ البغوي\ تفسير البغوي \1\281 0

1- ظ: عبد الجبار المعتزلي \ تنزيه القرآن عن المطاعن \ 52+ محمد باقر الحكيم \ علوم القرآن \205

2- ظ: حامد النقوي \خلاصة عبقات الأنوار \8 \ 324+ ابن داود الطيالسي\ مسند أبي داود الطيالسي\14+95+207+214+ ابن أبي شيبة الكوفي\المصنف\6\416 + البرجلاني\الكرم والجود \64+ البخاري\ الأدب المفرد \56+73+101+143 000 + البخاري\خلق أفعال العباد \60+ ابن قتيبة \ تأويل مختلف الحديث \ 275 0

3- ظ: ابن حجر \تهذيب التهذيب \6\171 + الأميني\ الغدير \8\38 +234 +9\294 + علي بن جعفر المديني \سؤالات ابن أبي شيبة\ 131+ النسائي \السنن الكبرى\6\94+ أبو يعلي\مسند أبي يعلي\2\46 0

4- ظ: الطبري\جامع البيان\3\231 0

فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ 00﴾ ثم أنزل ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ([1]) ([2]) 0

أما الدليل الأخير وهو القياس على النظير فقد ردَّ عليه الشريف الرضي بقوله : (وكلام أبي حاتم في ذلك غير سديد ولا مطّرد ، لأنه قدّر في الكلام حذف (أما) وذكر أنها تقع في القرآن كثيراً مكررة ،ولعمري أن الأمر كما قال من وقوعها مكررة في القرآن ؛ وما علمناها جاءت فيه مرادة محذوفة ، وكان ينبغي أن يرينا من القرآن موضعاً هي فيه مرادة وقد حذفت ليكون شاهداً على ما ذكره ، فأما أن يستشهد بتكريرها على حذفها فذلك غير

مستقيم، ولو كان الأمر على ما قال لكان وجه الكلام أن يقول تعالى:(والراسخون في العلم فيقولون آمنا به) ، كما قال سبحانه : (فأما الذين 000) فيعلم أن الموضع لأمّا ، وألا لم تكن على ذلك دلالة) ([3]) 0

وقد قال بهذا الرأي _ رأي أبي حاتم السجستاني – آخرون ([4]) وهو أن قوله تعالى (والراسخون في العلم) مقابل قوله (فأما الذين في قلوبهم زيغ) وفي ذلك أشارة إلى إن الوقف على قوله (إلا الله) 0

وردنا عليهم هو :

إن قوله تعالى (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم) هو ردٌّ على من يزغ قلبه ويتبع المتشابه ابتغاءً للضلال والإضلال وإفساد الدين على الناس، وذلك بأنه لا يمكن أن يكون ممن يرسخون في العلم ؛ لأن الرسوخ لا يحصل إلا بعد التثبت العام و الاجتهاد البليغ ، فإذا استقام القلب على طرق الإرشاد ورسخ القدم في العلم ، أفصح صاحبه النطق بالقول الحق 0وهذا لا يتأتى إلا لمن اصطفاهم الله تعالى0

أما بالنسبة لأدلة الفريق الثاني فهي من المتانة والرصانة حيث لا تشوبها شائبة كونها اشتملت على الأدلة الأساسية المعتمد عليها وهي القرآن والسنة والإجماع والعقل واللغة والقياس على النظير0

تعقيب

بعد أن تعرفنا على رأي الفريقين في علم الراسخين بالعلم بتأويل المتشابه واطلعنا على أدلتهما ووقفنا عند الأقوى حجة ،نجد أن هناك فريقاً ثالثاً يجوّز الوقف والوصل في الآية الكريمة وذلك بحسب تحليله للمتشابه والوقوف على أضربه ، ومنهم الراغب الأصفهاني حيث يقول إن جميع المتشابه على ثلاثة أضرب :

1- ضرب لا سبيل إلى الوقوف عليه ،كوقت الساعة ، وخروج الدابَّة 000
2- ضرب للإنسان سبيل إلى معرفته ، كالألفاظ الغريبة والأحكام الغلقة 0

5- آل عمران : 59 0
6- الطوسي \التبيان\ 3\ 399 0
1- الشريف الرضي \حقائق التأويل\ 14 0
2- ظ: السيوطي\ الإتقان \312 0

3- ضرب متردد بين الأمرين يختص بمعرفته بعض الراسخين في العلم ويخفى على مَن دونهم ([1]) 0

وقد بين ما وقع فيه الاشتباه من الكلام المفرد و المركب ،وقد لخصه البحث بما يأتي :

حيث يقول إن المتشابه في الجملة ثلاثة أضرب ، متشابه من جهة اللفظ فقط ، ومتشابه من جهة المعنى فقط ، ومتشابه من جهتهما0

أما المتشابه من جهة اللفظ فضربان :

أ- الألفاظ المفردة : وتنقسم إلى

1- من جهة الغرابة : نحو لفظ (أبا) في قوله تعالى﴿ **وَفَاكِهَةً وَأَبًّا** ﴾ ([2])

2- من جهة المشاركة في اللفظ : كاليد و العين

ب- جملة الكلام المركب : وينقسم إلى :

1- لاختصار الكلام نحو قوله تعالى:﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا**﴾ ([3])

2- لبسط الكلام نحو قوله تعالى : ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ ([4])

3- لنظم الكلام نحو قوله تعالى:﴿**أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا * قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا** ﴾ ([5])

وأما المتشابه من جهة المعنى عنده فهي أوصاف الله تعالى و أوصاف يوم القيامة، حيث أن تلك الصفات لا تتصور لنا ،إذ كان لا يحصل في نفوسنا صورة ما لم نحسه أو لم يكن من جنس ما نحسه 0

وأما المتشابه من جهة اللفظ و المعنى فخمسة اضرب :

1- من جهة الكمية ، كالعموم و الخصوص نحو :﴿**فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾([6])

2- من جهة الكيفية ، كالوجوب والندب نحو: ﴿ **فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا**﴾ ([1])

3- ظ: الراغب الأصفهاني\ المفردات\255+ السيوطي \الإتقان \313 – 314 + محمد باقر الحكيم \علوم القرآن \201 – 203 0

4-عبس : 31 0

1- النساء : 3 0

2- الشورى : 11 0

3- الكهف : 1 و 2 0

4- التوبة : 5 0

3- من جهة الزمان،كالناسخ والمنسوخ نحو: **﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾** ([2])

4- من جهة المكان والأمور التي نزلت فيها نحو:**﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾**([3]) وقوله:**﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾** ([4]) فإن من لا يعرف عادتهم في الجاهلية يتعذر عليه معرفة تفسير هذه الآية 0

5- من جهة الشروط التي يصح بها الفعل أو يفسد ، كشروط الصلاة والنكاح ([5]) 0

ونخلص من هذا أن المتشابه عند الراغب هو ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره سواء كان الإشكال من جهة اللفظ أومن جهة المعنى 0

إلا أنه من خلال دراسة الآية الكريمة نجد أن المتشابه المقصود فيها هو التشابه في تجسيد صورة المعنى وتحديد مصداقه ، لا التشابه في علاقة اللفظ بالمعنى ، وذلك بقرينة أخذ مفهوم الأتباع في المتشابه ، وهو لا يتحقق في موارد الإجمال اللغوي ([6]) 0

5- النساء : 3 0
6- آل عمران : 102 0
7- البقرة : 189 0
1- التوبة : 37 0
2- ظ: الراغب الأصفهاني\ مقدمة التفسير \394 – 400 + مفردات ألفاظ القرآن \ 254 – 255
3- ظ : محمد باقر الحكيم \ علوم القرآن \ 201 0

2- علم الناسخ والمنسوخ

أ- بيان معنى النسخ لغةً

ب- بيان معنى النسخ اصطلاحاً
الفرق بين النسخ والتخصيص

ج- جواز النسخ عقلاً ووقوعه شرعاً

د- شروط النسخ

هـ- أنواع النسخ

و- نماذج من الآيات الناسخة و المنسوخة في القرآن الكريم

ز- الفرق بين النسخ والبداء

نتائج المبحث

2- علم الناسخ والمنسوخ

يعد هذا المبحث من أمات المسائل في علوم القرآن لما له من أهمية في معرفة الأحكام الشرعية ،والتي تتوقف قطعاً هذه المعرفة على معرفة وقت نزول الآيات وفيم نزلت وأين نزلت ،ومن خلاله يمكن تفسير القرآن بالاشتراك مع باقي العلوم 0 حتى قالوا أنه لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله تعالى إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ ،وقالوا أيضاً : (إن كل من يتكلم في شيء من علم هذا الكتاب العزيز ولم يعلم الناسخ والمنسوخ كان ناقصاً([1]) 0

وقيل إن الإمام علي (عليه السلام)مرَّ على قاضٍ فسأله :(أتعرف الناسخ من المنسوخ ؟ فقال:لا 0 فقال (عليه السلام) : هلكت و أهلكت) ([2]) 0

وفيما يأتي دراسة هذا الموضوع على وفق الفقرات الآتية :

أ- بيان معنى النسخ لغةً :

للنسخ معانٍ متعددة ذكرتها كتب اللغة تدور بين النقل و الإزالة و الإبطال([3]) واللغويون حين يذكرون هذه المعاني المتعددة يختلفون في أي واحد منها هو المعنى الحقيقي للكلمة ،أو أنها بأجمعها معانٍ حقيقية 0

فالنسخ يأتي في كلام العرب على ثلاثة أوجه:

1- أن يكون مأخوذاً من قول العرب : (نسخت الكتاب أذا نقلت ما فيه إلى كتاب آخر 0 فهذا لم يغير المنسوخ منه وإنما صار له نظيراً مثله في لفظه ومعناه ، وهما باقيان 0 وهذا المعنى ليس من النسخ المقصود بيانه، إذا ليس في القرآن آية ناسخة لآية أخرى كلاهما بنفس اللفظ والمعنى وهما باقيتان 0

2- أن يكون مأخوذاً من قول العرب : نسخت الشمس الظل ،إذا أزالته وحلت محله 0 وكذلك نسخ الشيب الشباب ، أذا أزاله وحلّ محله 0 وهذا المعنى هو الذي عليه الجمهور أي معنى الإزالة 0

---

[1]- الزركشي \ البرهان\ 2\29+ السيوطي\ الإتقان \ 339 0

[2] - العياشي\ تفسير العياشي\ 1\23+ ابن حزم \ الناسخ والمنسوخ\5

[3] - ظ: ابن منظور \السان العرب \4\28 0

3- أن يكون مأخوذاً من قول العرب:نسخت الريح الآثار،إذا أزالتها فلم يبق منها عوض،ولا حلّت الريح الآثار ،بل زالا جميعاً 0 وهذا المعنى أيضاً ليس من النسخ المقصود بيانه لأنه ليس في القرآن آية ناسخة لآية أخرى وكلاهما زائلان ([1])0

وبهذا الصدد نجد أن الإزالة هي أوفق تلك المعاني؛ ولملاحظة أن فكرة النسخ في القرآن ورد التعبير عنها بموارد مختلفة تنسجم كلها مع الإزالة ، لأن كل واقعة لا يمكن أن تخلو من الحكم الشرعي ، فإذا أزيل حكم فلابد أن يحل محله حكم آخر ([2]) 0

وذلك لقوله **تعالى ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾** ([3]) 0

وقوله تعالى: **﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾** ([4])

فالإزالة هي المعنى الأكثر توفيقاً وانسجاما مع المحو و التبديل الوارد في هذه الآيات المباركة 0

ويقارب الراغب الأصفهاني بين كلمتي(النسخ)و(المسخ) إلا أنه جعل المسخ في نقل الأعيان ، والنسخ في نقل الصور نحو : نسخ الكتاب ، وهو نقل صورة الكتاب إلى غيره من غير إبطال الرسم الأول([5])0

ب- بيان معنى النسخ اصطلاحا :

أن كلمة (النسخ) قد مرت بمراحل متعددة من التطور ،حتى انتهى الأمر بها إلى خصوص الفكرة التي عرضناها سابقاً 0

حيث كان بعض الصحابة والتابعين يطلق كلمة النسخ على مجرد مخالفة آية لأخرى حتى لو كانت هذه المخالفة على نحو العموم و الخصوص من جهة أو نحو التخصيص ، أو كانت أحدى الآيتين مطلقة والأخرى مقيدة 0 وعلى ذلك سار بعض المتقدمين من المفسرين ، والتزموا لأجله بأن الآية المتأخرة ناسخة لحكم الآية المتقدمة ([6]) 0

ويرجح بعض العلماء السبب في ذلك ؛ إلى :

1- التوسع في فهم أصل الفكرة – أي النسخ – 0
2- الفهم الساذج لبعض الآيات القرآنية 0
3- قلة التدبر ([7]) 0

---

[1] - مكي بن أبي طالب\الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه\ 41-46

[2] - ظ: محمد باقر الحكيم \ علوم القرآن \222-223 + محمد حسين علي الصغير\مصطلحات أساسية في حياة علوم القرآن\\مجلة مآب\8

[3] -البقرة : 106 0

[4] - النحل : 101 0

[5] - ظ: مركز الثقافة والمعارف الإسلامية \علوم القرآن عند المفسرين\ 2\ 572 نقلاً عن مصدره 0

[6] - ظ: محمد هادي معرفة \ تلخيص التمهيد \1\424+ علوم القرآن عند المفسرين \ 2\579 0عن مصدره 0

[7] - ظ: الخوئي \ا لبيان\ 304+ محمد باقر الحكيم \ علوم القرآن\ 224 0

ولكن بعد مضي مدة من الزمن على ألدراسات القرآنية وجد بعض العلماء يحاول أن يميز بين النسخ وبين (التقييد) و(التخصيص) و(البيان) ، وقيل أن أول محاولة في ذلك كانت من قبل (الشافعي) ([1])0

وسوف يورد البحث تعريف بعض العلماء للنسخ :

1- تعريف ابن حزم (ت 456هـ) : (المعروف من النسخ في القرآن هو أبطال الحكم مع إثبات الخط وكذلك هو في السنة أو في الكتاب أن تكون الآية الناسخة و المنسوخة ثابتتين في التلاوة إلا أن المنسوخة لا يعمل بها) ([2]) 0

2- تعريف الشيخ الطوسي(ت 460 هـ) (هو زوال مثل الحكم الثابت بالنص الأول بدليل شرعي – وهو الناسخ – في المستقبل على وجه لولاه لكان ثابتاً بالنص الأول مع تراخيه عنه) ([3]) 0

وقد أعتبر الشيخ الطوسي هنا الدليل شرعياً ؛ وذلك لأن دليل العقل إذا دلّ على زوال مثل الحكم الثابت بالنص الأول لا يسمى نسخاً ، وقد استند بذلك بدليل عقلي وهو أن المكلف للعبادات إذا عجز أو زال عقله ، زالت عنه العبادة بحكم العقل ، ولا يسمى ذلك الدليل ناسخاً 0

3- تعريف الراغب الأصفهاني(ت : 502هـ):(هو إزالة مثل الحكم الثابت بالشرع بشرع آخر مع التراخي) ([4]) 0

4- تعريف السمرقندي(ت:539هـ):(إزالة مثل الحكم الثابت بقول منقول عن الله تعالى أو عن الرسول(صلى الله عليه وآله)أو فعل منقول عن رسوله مع تراخيه عنه على وجه لو لاه لكان ثابتاً0

وقال بعض أهل الحديث :هو الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتاً به مع تراخيه عنه) ([5]) 0

وسوف يورد البحث تعريف بعض من علمائنا المتأخرين وهو :

1- تعريف الشيخ المظفر (ت:1964م):(رفع ما هو ثابت في الشريعة من الأحكام ونحوها)([6])0

2- تعريف الطباطبائي(ت:1402هـ) :(وضع حكم مؤقت في حين لم تتم مقتضيات الحكم الدائم ، ثم وضع الحكم الدائم وإبدال الحكم المؤقت به) ([7]) 0

3- تعريف السيد الخوئي (ت:1413هـ) : (رفع أمر ثابت في الشريعة المقدسة بارتفاع أمده وزمانه سواء أكان ذلك الأمر المرتفع من الأحكام الوضعية أو التكليفية و سواء أكان

---

[1] **- محمد باقر الحكيم \ علوم القرآن\ 224**

[2] **- ابن حزم \ الناسخ والمنسوخ \7 0**

[3] **- الطوسي \ التبيان \ 1\12 0**

[4] **- علوم القرآن عند المفسرين \ 2\573 0 عن مصدره**

[5] **- السمرقندي\ ميزان الأصول\ 2\ 976 + الفخر الرازي \ المحصول في علم الأصول\ 1\430**

[6] **- المظفر \ أصول الفقه \ 3 \ 46 0**

[7] **- الطباطبائي \ القرآن في الإسلام \ 66 0**

من المناصب ألإلهية أم من غيرها من الأمور التي ترجع إلى الله تعالى بنا أنه شارع ([1])0
4- تعريف الدكتور الصغير : (رفع حكم مؤقت بحكم آخر ، وبالدقة: رفع حكم شرعي مؤقت بحكم شرعي ثابت) ([2]) 0
ويرى البحث من خلال تدقيقه في تعاريف المتقدمين اعتبار زوال مثل الحكم ولم يعتبروا الحكم نفسه كما في تعريفات المتأخرين ؛ وعلتهم بذلك : أنه لا يجوز أن ينسخ نفس ما أمر به ؛ لأن ذلك يؤدي إلى البداء ([3]) 0
وكذلك بين الشيخ الطوسي أن (الحكم ثابت بنص شرعي) ؛ لأن ما ثبت بالعقل إذا أزاله الشرع لا يسمى بأنه نسخ في حكم العقل ،ففعل الصلاة و الطواف لولا الشرع لكان قبيحاً فعله في العقل وإذ أورد الشرع بهما لا يقال نسخ حكم العقل ([4]) 0
أما المتأخرين فقد وضحوا معنى قولهم (أمر ثابت في الشريعة الإسلامية) وذلك ليخرج به ارتفاع الحكم بسبب ارتفاع موضوعه خارجاً ، كارتفاع وجوب الصوم بانتهاء شهر رمضان ، أو ارتفاع مالكية شخص لماله بسبب موته أو ارتفاع حرمة الخمر عند تحوله إلى خل ، فلا ريب في ارتفاع تلك الحرمة الفعلية التي كانت ثابتة للخمر وتحل محلها الحلية للخل ، فأن هذا النوع من ارتفاع الأحكام لا يسمى نسخاً ، ولا إشكال في إمكانه ووقوعه ، ولا خلاف فيه من أحد ([5]) 0

الفرق بين النسخ و التخصيص

يفرق الشيخ الطوسي بين النسخ والتخصيص، حيث أن الأول يكون فيه التراخي أي الناسخ بعد المنسوخ، أما أذا أقترن به أي الناسخ مع المنسوخ فيقول ربما يكون تخصيصاً إن كان اللفظ عاماً ، ويوافقه الرأي الراغب الأصفهاني ويعطي مثالاً على ذلك بقوله: (ألا ترى أنه لو قال : اقتلوا المشركين إلا اليهود لم يكن قوله إلا اليهود نسخاً لقوله اقتلوا المشركين) ([6]) 0
وقد أجاز الشيخ الطوسي دخول النسخ في الخبر بشرط أن يكون الخبر قد تناول ما يصح تغييره عن صفة لأنه في معنى الأمر ، وفي صحة دخول النسخ في الأمر والنهي لا يوجد خلاف 0 ويستشهد بقوله تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** ﴾ ([7]) 0 وقوله : ﴿ **وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ** ﴾ ([8]) ([8]) بأنها أخبار ومع ذلك يصح دخول النسخ فيها 0 وأما ما لا يصح تغييره من صفة فلا

---

[1] - الخوئي \ البيان\ 294 0
[2] -- محمد حسين الصغير \ مصطلحات أساسية في حياة علوم القرآن \ مجلة مآب العدد 2\ 8
[3] -- ظ : الطوسي \ التبيان \ 1 \12 0
[4]- ظ : الطوسي \ التبيان \ 1 \12 + ابن حزم \الناسخ والمنسوخ\7
[5]- ظ: الخوئي \البيان\ 294-295 بالتفصيل + محمد باقر الحكيم \علوم القرآن \225 +محمد هادي هادي معرفة \ تلخيص التمهيد \1\ 421 0
[6] - ظ: الطوسي \ التبيان \1\13+ الراغب الأصفهاني\ مقدمة التفسير\ 1\ 82+ محمد هادي معرفة \تلخيص التمهيد\1\421 0
[7] - آل عمران : 97 0
[8]- البقرة : 228 0

يصح دخول النسخ فيه ، نحو الإخبار عن صفات الله ، وصفات الأجناس ([1])0 أما الراغب الأصفهاني فيقول أن التخصيص قد يكون في الخبر ، والنسخ لا يكون فيه 0 أي نفي صحة دخول النسخ في الخبر سواء أكان الخبر مما يصح تغييره عن صفة أم لا وهو بذلك يوافق رأي ابن حزم([2])0والتخصيص أخراج ما لم يرد بالخطاب من الأعيان و و المعاني والأمكنة0

والنسخ : إخراج ما لم يرد من الحكم في بعض الأزمنة ([3]) أي النسخ يختص بالحكم و التخصيص يختص بالأفراد 0

ج- جواز النسخ عقلاً و وقوعه شرعاً :

لقد أجمع المسلمون على جواز النسخ ، وخالف في ذلك أبو مسلم الأصفهاني (ت: 322هـ) ([4]) حيث يجوّز النسخ عقلاً ويمنع وقوعه شرعاً محتجاً بقوله تعالى : ﴿ **لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾ ([5]) على معنى أن أحكامه لا تبطل أبداً ، وقد حمل آيات النسخ على التخصيص ([6]) 0

وهذا الفهم منه للآية فيه وهم حيث أن معنى الآية أن القرآن لم يتقدمه ما يبطله من الكتب ولا يأتي بعده ما يبطله ، وقد قال بجواز النسخ أهل الشرائع إلا اليهود ([7]) حيث استندوا في ذلك إلى بعض الشبهات ([8]) وخلاصتها أن النسخ يستلزم أحد أمرين باطلين هما (البداء أو العبث) وذلك أن تشريع الحكم من قبله سبحانه يستلزم ترتيب المصلحة ، حيث أن تشريعه بشكل جزافي يتنافى وحكمة الشارع ، فحينئذ يكون رفع هذا الحكم الثابت لموضوعه بسبب المصلحة إما أن يكون مع بقاء حاله على ما هو عليه من وجه المصلحة و علم ناسخه بها، وهذا منافاة لحكمة الجاعل وهو العبث نفسه ،وأما يكون من جهة البداء وجهله بواقع الحكمة والمصلحة ،وعلى كلا الفرضين يكون وقع النسخ في الشريعة محالاً ؛ لأنه يستلزم المحال([9]) 0

وللإجابة على هذه الشبهة فقد قُسم الحكم المجعول من قبل الشارع ’إلى قسمين

1- ما كان طلب المولى فيه ظاهره الحقيقة وداعيه الإخبار كالأوامر الإمتحانية كما في أمر الله سبحانه و تعالى نبيه إبراهيم بذبح ولده إسماعيل 0

---

[1] - ظ: الطوسي \التبيان \ 1\13 0

[2] - ظ: ابن حزم \الناسخ والمنسوخ \9 0

[3] - ظ: الراغب الأصفهاني \مقدمة التفسير \ 1\82 + محمد هادي معرفة\ تلخيص التمهيد\1\425

[4] - هو محمد بن بحر أبو سلمة\ معتزلي ، أهم كتبه (جامع التأويل) في التفسير ، على مذهب المعتزلة 0 ظ: الداوودي \طبقات المفسرين\ 373 0

[5] - فصلت : 42 0

[6] - مناع القطان \مباحث في علوم القرآن\235-236 + علوم القرآن عند المفسرين\2\578 0

[7] - ظ: ابن حزم \الناسخ والمنسوخ\8 + ظ: عبد الرحيم السقا\ تفسير آيات الأحكام\35 + أحمد البهادلي \مفتاح الوصول \1\374 0

[8] - ظ:المظفر \ أصول الفقه\ 3\47-50 0

[9] - ظ: الخوئي\ البيان \295 + محمد باقر الحكيم\ علوم القرآن \226 0

2- ما كان طلب المولى فيه ظاهره وداعيه الحقيقة،كالأوامر والنواهي المقصود منها التعبد([1])0

فالنوع الأول من الأحكام يمكن إثباته أولاً ثم رفعه ، لأن كل منهما قد نشأ عن مصلحة وحكمة 0

وهذا النسخ لا يلزم منه خلاف الحكمة ، ولا ينشأ من البداء الذي يستحيل في حقه تعالى 0

أما النوع الثاني فيكون الالتزام بالنسخ فيه دون أن يستلزم ذلك شيئاً من البداء أو العبث ، وذلك بإضافة فرض ثالث إلى الفرضين اللذين ذكرتهما ألشبهه 0 وهذا الفرض هو أن يكون النسخ لحكمة معلومة لله سبحانه من أول الأمر مجهولة عند الناس 0

وبذلك فلا يكون هناك بداء لأنه لم يأت النسخ بجديد على الله سبحانه لعلمه بالحكمة مسبقاً، كما لا يكون هناك عبثاً لوجود الحكمة في متعلق الحكم الناسخ وزوالها في متعلق الحكم المنسوخ ([2]) 0

د- شروط النسخ :

1- أن يكون الحكم المنسوخ شرعياً ، لأنه ما ثبت بالعقل إذا أزالهُ الشرع لا يسمى بأنه نسخ حكم العقل ، ففعل الصلاة و الطواف مثلاً لولا الشرع لكان قبيحاً فعله في العقل ، وإذ أورد الشرع بها لا يقال نسخ حكم العقل ([3]) 0

2- أن يكون الدليل على ارتفاع الحكم دليلاً شرعياً ؛ لأن دليل العقل إذا دلّ على زوال مثل الحكم الثابت بالنص الأول لا يسمى نسخاً 0 فالمكلف بالعبادة أذا عجز أو زال عقله ، زالت عنه العبادة بحكم العقل، ولا يسمى ذلك الدليل ناسخاً([4]) 0

3- أن يكون خطاب الحكم الناسخ متراخياً عن الخطاب المنسوخ حكمه 0 وذلك لأنه عند اقترانهما لا يكون نسخاً وربما يكون تخصيصاً أن كان اللفظ عاماً أو مقيداً إن كان اللفظ مطلقاً ([5]) ،وقد مثل الشيخ الطوسي لذلك بأنه لو قال تعالى : اقتلوا المشركين إلا اليهود0فلم يكن قوله (إلا اليهود) نسخاً لقوله (اقتلوا المشركين) وإنما يكون تخصيصاً ([6])

ويقول الراغب: (وكأن النسخ في الحقيقة ضرب من التخصيص إلا أنهما في الحقيقة مختلفان([7])0

4- واستدراكاً على النقطة السابقة بوجوب التراخي ،فأن النسخ لا يكون إلا متأخراً عن المنسوخ وذلك في النزول ،أما تقدم الآية الناسخة على الآية المنسوخة في التلاوة أو التأليف أو الخط والترتيب فجائز فقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ**

---

[1] -- ظ: محمد كاظم (الآخوند)\كفاية الأصول \1\331 + الخوئي\ البيان \296 0

[2] - ظ: الطباطبائي \القرآن في الإسلام \ 64-65 + ظ: الخوئي\ البيان \296 + محمد باقر الحكيم\ علوم القرآن \228

[3]- ظ : ابن حزم \الناسخ والمنسوخ\ 7 + ظ: الطوسي\ التبيان\ 1\13 0

[4]- م 0 ن 0

[5]- ظ : الطوسي\ التبيان \ 1 \13+ الراغب الأصفهاني\ مقدمة التفسير \1\82 +مناع القطان\مباحث القطان\مباحث في علوم القرآن\232 0

[6] - ظ : الطوسي\ التبيان \ 1 \13 + ابن حزم \الناسخ والمنسوخ\8 0

[7] -- الراغب الأصفهاني\ مقدمة التفسير\1\82 0

﴿ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ ([1]) قد نسخت بقوله:

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ ([2]) 0

والملاحظ أن الآية الأولى تتقدم على الآية الثانية في التلاوة إلا أن الثانية ناسخة للأولى في الحكم 0 ([3])

فكان من عادة العرب قبل الإسلام أن المرأة أذا توفي عنها زوجها أوصى لها زوجها بنفقة سنة و بالسكن ما لم تخرج فتتزوج ثم نسخ ذلك بأربعة أشهر و عشر و بالميراث ([4]) 0

5- أن لا يكون الخطاب الشرعي المرفوع حكمه مقيداً بوقت معين، فالحكم هنا ينتهي بانتهاء أمده ولا يعد هذا نسخاً 0 كما في حكم صوم شهر رمضان فأنه لا خلاف برفع هذا الحكم – الصوم – في حال انقضاء الشهر ([5]) 0

6- تحقق التنافي بين الناسخ و المنسوخ في الحكم ،ولكن بشرط أن تكون الآية الناسخة ناظرة إلى الحكم المنسوخ ومبينة لرفعه ، وقد مثلوا لذلك بآية النجوى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ([6])0**

أما توهم الكثير من المفسرين والعلماء بنسخ آية لحكم آية أخرى غير ناظرة للحكم السابق بل لمجرد التنافي بينهما بأنه نسخ فهذا غير واقع لأنه لا يوجد تنافي من هذا النوع ولو وجد لكان ما عند غير الله ([7]) ؛ وذلك لقوله تعالى :﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ ([8]) 0**

هـ - أنواع النسخ :

لقد قسم العلماء النسخ في القرآن الكريم إلى ثلاثة أنواع عدا نزر يسير منهم : قال بنوعين فقط وهما : نسخ الحكم دون التلاوة ونسخ التلاوة دون الحكم([9]) 0

وهذه الأنواع هي :

1- نسخ التلاوة دون الحكم:

---

[1] - البقرة : 240 0

[2]- البقرة : 234

[3] - ظ : القمي\ تفسير القمي\ 1\6+77 + ابن حزم \الأحكام \4\465+ الطوسي\التبيان\2\262+ ابن الجوزي\نواسخ القرآن\90 0

[4] - ظ: الطبري\جامع البيان\2\784+ العياشي\تفسير العياشي\1\129+ القرطبي\تفسير القرطبي\ 3\ 174

[5] - ظ: ابن حزم \الناسخ و المنسوخ \7+ ظ: الخوئي \البيان \294-295 + مناع القطان\ مباحث في في علوم القرآن \232+ محمد هادي معرفة\تلخيص التمهيد \1\426 0

[6] - المجادلة : 12 0

[7] -- ظ: الخوئي \ البيان \ 303-304 + محمد باقر الحكيم\ علوم القرآن \238 0

[8] -- النساء : 82 0

[9] - ظ: الجصاص\ أحكام القرآن \1\71 0

ويقصد بهذا النسخ أن تكون هناك آية قرآنية نزلت على الرسول (صلى الله عليه وآله) ثم نسخت تلاوتها ونصها اللفظي مع الاحتفاظ بما تتضمنه من أحكام، والعمل ضمن هذا القسم أجمع عليه أكثر الباحثين من علماء الجمهور في علوم القرآن ورفضه علماء الإمامية ([1]) عدا بعضهم ([2])

وقد مثلوا لهذا القسم بآية الرجم المدعاة، حيث أن وجوب الرجم على المحصنة لا خلاف فيه ، والآية التي كانت متضمنة له منسوخة - وعلى حد تعبير الشيخ الطوسي (بلا خلاف) ([3]) – وهي :

(والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة ، فأنهما قضيا الشهوة جزاء بما كسبا نكالا من الله و الله عزيز حكيم) 0

ومستند رفض أغلب الإمامية لهذا القول من وجهين :

أ – أن القول بنسخ التلاوة هو نفس القول بالتحريف، أي أن في المصحف من كلام الله ما هو ساقط أو مُزال ، وهذا هو التحريف بعينه ([4]) 0

ب- إن هذه الرواية من أخبار الآحاد ، وإن خبر الآحاد لا أثر له في مثل هذا المقام 0 فالنسخ لا يثبت بخبر الواحد كما أن القرآن لا يثبت به ، فالأمور المهمة التي جرت العادة بشيوعها بين الناس وانتشار الخبر عنها على فرض وجودها لا تثبت بالخبر الواحد ، فأن اختصاص نقلها ببعض دون بعض بنفسه دليل على اشتباه الراوي أو خطأه 0 وعلى هذا فكيف يثبت بخبر الواحد أن آية الرجم من القرآن و أنها قد نسخت تلاوتها و بقي حكمها ([5]) 0

ج- لو أفترض صحة السند في مثل هذه الروايات – كما اصطلحوا – فأن صحة السند إنما تجدي في فروع المسائل الفقهية وليس إذا كانت تمس كرامة القرآن وتمهد السبيل لإدخال الشكوك على كتاب المسلمين ([6]) 0

2- نسخ التلاوة و الحكم معاً :

ومعناه بأن تسقط من القرآن آية كانت ذات حكم تشريعي ،وكان المسلمون يتداولونها ويقرؤونها و يتعاطون حكمها ، ثم نسخت وبطل حكمها ومحيت من صفحة الوجود رأساً وهذا النوع من النسخ مرفوض عند علماء الإمامية جملة و تفصيلا 0 وردهم في ذلك عنها هو بنفس الرد على النوع الأول ([7])0وقد أثبته معظم علماء الجمهور بحجة وقوعه سمعاً ومجيئه بحديث عن عائشة بما روي عنها أنها قالت: كان فيما أنزل من القرآن :

---

[1]- ظ : الخوئي \البيان \ 302+ محمد باقر الحكيم \ علوم القرآن\ 236 0

[2] - ظ : الطوسي \التبيان \1\ 13 0

[3] - الطوسي \التبيان \1\ 13 0

[4] - ظ: محمد حسين علي الصغير \ مصطلحات أساسية في علوم القرآن\ مجلة مآب \8-9 0

[5]- ظ : الجصاص \أحكام القرآن \1\25+ الخوئي\ البيان\ 302+ محمد باقر الحكيم\علوم القرآن \237+ محمد هادي معرفة\ تلخيص التمهيد \1\432-436 وفيه تفصيل 0

[6] - ظ : محمد هادي معرفة \ تلخيص التمهيد \ 1 \ 433 0

[7] - ظ : الخوئي\ البيان\ 302 + الزركشي \ البرهان \2 \39-40 + محمد حسين علي الصغير \ مصطلحات أساسية في علوم القرآن\ مجلة مآب \8

(عشر رضعات معلومات يحرمن) ثم نسخن بخمس معلومات 0 قالت : وتوفي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهن فيما يقرأ من القرآن ([1]) 0
ويذكر الراوي عن عائشة بأن هذه الصحيفة كانت تحت السرير ،وعند الانشغال بدفن الرسول (صلى الله عليه وآله) دخل داجن البيت فأكلها ([2]) 0
ويستدل السرخسي على بطلان هذا القول بقوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ([3]) ومعلوم أنه ليس المراد الحفظ لديه تعالى ، فأنه يتعالى من أن يوصف بالغفلة أو النسيان ، فالمراد هو الحفظ لدينا 0 وكذلك فقد ثبت بأنه لا ناسخ للشريعة الإسلامية بوحي ينزل بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) ولو جاز ذلك في بعض ما أوحي إليه لوجب القول بتجويز ذلك في جميعه ([4]) 0
وعلى هذا فلا نسخ للتلاوة والحكم معاً ،والرواية جاءت بأخبار أحاد 0

3- نسخ الحكم دون التلاوة :

ويقصد به أن تبقى الآية المنسوخة ثابتة في الكتاب يقرأها المسلمون عبر العصور سوى أنها من ناحية مفادها التشريعي منسوخة لا يجوز العمل بها بعد مجي الناسخ القاطع لحكمها 0
وهذا النوع هو المعروف و المشهور بين العلماء و المفسرين من جميع الطوائف ، ورفضه بعض المحققين و أنكروا وجود المنسوخ في القرآن ([5]) 0
ولهذا النوع من النسخ أنحاء ثلاث ، وقع الكلام في أمكان بعضها ، وهي :
أ- نسخ الحكم الثابت في القرآن بالسنة المتواترة القطعية ، أو الإجماع القطعي الكاشف عن صدور النسخ عن المعصوم (عليه السلام) ، وهذه الناحية من النسخ لا إشكال فيها عقلاً ونقلاً وقد منع هذا النوع الشافعي و أهل الظاهر و أحمد في رواية ، لقوله تعالى: ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ([6]) والسنة ليست ليست خيراً من القرآن ولا مثله ([7]) 0

ب- نسخ الحكم الثابت في القرآن بآية أخرى ناظرة إلى الحكم المنسوخ،ومبينة لرفعه،وهذا القسم أيضاً لا أشكال فيه وقد مثلوا له بآية النجوى قوله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ

---

[1] - ظ : مسلم \صحيح مسلم \ 4 \167 + الترمذي \ سنن الترمذي \ 3 \456 0
[2] - ظ : محمد هادي معرفة\ تلخيص التمهيد \ 1\431 0
[3] - الحجر : 9 0
[4] - ظ : االسرخسي \أصول االسرخسي\ 2 \78-80 0
[5] - - ظ: الزركشي \البرهان \2\28+ السيوطي\ الإتقان \3\66+ الخوئي\ البيان\ 303 0
[6] - البقرة : 106 + الخوئي \البيان \393-400 0
[7] - ظ : الجصاص \أحكام القرآن \1\72 + ظ : مناع القطان \ مباحث في علوم القرآن \237 0

غَفُورٌ رَحِيمٌ * أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ([1])

لقد أجمع المفسرون أنها نزلت في شأن الإمام علي (عليه السلام) ؛ وذلك أن المسلمين كانوا لا يقدرون معنى قيادة الرسول (صلى الله عليه وآله) ووقته الثمين فكان الهذر و الثرثرة و عدم المسؤولية تصاحب التعنت بالأسئلة0فأراد الله تعالى أن يؤدبهم من جهة ويختبرهم من جهة أخرى،فكان الاختبار بالمال ، فضنوا به وشحوا إلا الإمام علي (عليه السلام)

فقد أصرف ديناراً ذهبياً بعشرة دراهم و سأل النبي (صلى الله عليه وآله) عشرة أسئلة متصدقاً بين يدي كل سؤال بدرهم 0

فعاقبهم الله عز وجل وأنبهم، و في الآية الثانية نسخ حكم هذه الآية في وجوب التصدق وأمرهم بأوامر أخرى بعد التوبة عليهم ([2]) 0

ج- نسخ الحكم الثابت في القرآن بآية أخرى غير ناظرة إلى الحكم السابق ولا مبينة لرفعه، بل مجرد التنافي بينهما يلتزم أن الآية المتأخرة ناسخة لحكم الآية المتقدمة ([3]) 0

وقد نفى السيد الخوئي وقوع هذا القسم من النسخ في القرآن([4]) قال تعالى**﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾ ([5]) 0**

و – نماذج من الآيات الناسخة و المنسوخة في القرآن الكريم :

أكدت المصادر الإسلامية وقوع النسخ في القرآن في عدد من الآيات إلا أنه أُختلف في تحديد عددها ، فهناك من أوصل العدد إلى أكثر من مائة و ثلاثون ، وبعضهم أدنى من ذلك بكثير ([6]) ،حتى أوصلها بعض المتأخرين إلى آية واحدة فقط ، وهي آية النجوى ([7]) ([7])

ويبدو أن الاختلاف الذي حصل بين العلماء المتقدمين و المتأخرين في تحديد الآيات الناسخة والمنسوخة يعود لاختلاف الفهم بينهم في تحديد معنى النسخ ، مما أدى إلى فقدان الفائدة في معرفة بعض الأحكام المستحدثة في الآيات الناسخة على وجه الدقة 0

وقد أستند المتقدمون على وقوع النسخ في عدة آيات إلى بعض الروايات الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) منها :

في تفسير العياشي وردت عدة روايات بإسناده عن الأئمة (عليهم السلام) تثبت وقوع النسخ في معظم الآيات القرآنية :

---

[1] - المجادلة : 12 – 13 0

[2] - الخوئي \ البيان \393-400 + ظ : محمد حسين علي الصغير \تاريخ القرآن \13-14 + مصطلحات أساسية في علوم القرآن \مجلة مآب\ 8 0

[3] - ظ : الخوئي \ البيان \303 + محمد هادي معرفة \ تلخيص التمهيد \1\438 0

[4] - ظ : الخوئي \ البيان \304

[5] - النساء : 82 0

[6] - ظ : عبد الرسول الغفار\ الميسر في تفسير القرآن \188-189 0

[7] - ظ : الخوئي \البيان \ 393-400 0

أ- روى بإسناده عن أبي بصير الذي سأل الإمام أبي جعفر(عليه السلام) عن قوله تعالى ﴿مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ([1]) قال الإمام (عليه السلام) منسوخة نسختها ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾([2]) ونسختها آية الميراث ([3]) 0

وهذا النوع من النسخ جعله القمي في بيان تقدم الآية الناسخة على الآية المنسوخة في التلاوة ([4]) 0

وقد قيل في تقدم الآية الناسخة على المنسوخة في التلاوة فائدة وهي اعتقاده حكم المنسوخة قبل العلم بنسخها ([5]) 0

ب- روى العياشي بإسناده عن حفص بن غياث عن جعفر بن محمد (عليه السلام) قال : (أن الله بعث محمداً بخمسة أسياف 00 فسيف على أهل الذمة قال الله ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾([6])نزلت في أهل الذمة ثم نسختها أخرى قوله تعالى:﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ ([7])) ([8]) 0

ج- في قوله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ ([9]) استعان العياشي بما رواه عن أبي بصير حينما سأل الإمام أبي عبد الله (عليه السلام) في قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ قال الإمام (عليه السلام) منسوخة ، قلت : وما نسختها؟ قال : قوله الله ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَااسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لأنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ([10])([11])

وغيرها من الروايات التي أوردها العياشي بهذا الخصوص ([12])

---

[1] - البقرة : 240 0

[2] - البقرة : 240 0

[3] - العياشي \ تفسير العياشي \1\ 141 0

[4] - ظ : القمي \ تفسير القمي \ 1\6 + 77 0

[5] - ظ : الزركشي \ البرهان \ 2\ 38 0

[6] - البقرة : 83 0

[7]- التوبة : 29 0

[8] - العياشي \ تفسير العياشي\ 1\ 67 + ظ : القمي \ تفسير القمي \ 2\ 320 0

[9] - آل عمران : 102 0

[10] – التغابن : 16 0

[11] - العياشي \ تفسير العياشي \1\ 325 0

[12] – ظ : العياشي \ تفسير العياشي \10\ 96 + 1 \325 + 2\ 271 +1 \248 + 1\ 97 + 253

وسوف يورد البحث نماذج من الآيات التي أجمع العلماء على نسخها مع الآيات الناسخة لها :

1- في بداية مبعث الرسول (صلى الله عليه وآله) أمر المسلمين بمداراة أهل الكتاب في قوله تعالى ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ ([1])

وبعد مدة أنهي هذا الحكم وأمروا بالقتال معهم ([2]) في قوله تعالى : ﴿ **قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ** ﴾ ([3])

وقد روى جماعة من الصحابة و التابعين وغيرهم القول بأن الآية الأولى منسوخة بالآية الثانية ، وهي آية السيف ([4]) 0

أ- وجه الاستدلال على وقوع النسخ :

أن الآية الأولى تأمر بالعفو والصفح عن أهل الكتاب مع رغبتهم في رد المؤمنين كفاراً ([5]) ،أما الآية الثانية فتأمر بقتال و منابذة أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية ([6]) ولكون الآية الآية الثانية متأخرة عن الآية الأولى في النزول ، لزم نسخ الثانية للأولى ([7]) 0

(وقيل أن قوله **تعالى ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا** ﴾ ([8]) نزلت في أهل الذمة ثم نسخها قوله :

﴿ **قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ 00** ﴾) ([9])

ب- مناقشة البحث واستدلاله :

الحق أن النسخ لم يدخل في هذا المقام لما يأتي :

1- لما جُعِل من شروط النسخ وهو كون الحكم المنسوخ غير مؤقت أو محدد بأمد ، سواء أكان هذا الوقت مجملاً أم مبيناً0 وما دامت الآية الأولى محددة بأمد غير معلوم (مجمل) وهو لقوله تعالى:﴿**00حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ 00** ﴾ ضمن سياق الآية الكريمة فلا يمكن أن تكون منسوخة الحكم 0

---

[1] - البقرة : 109 0

[2] - الطباطبائي \ القرآن في الإسلام \65

[3] التوبة : 29 0

[4] - ظ: الطبري \ جامع البيان \1\185 + النحاس\ الناسخ والمنسوخ\ 26 + الطوسي\ التبيان \1\408 + الطبرسي \مجمع البيان \1\347

[5] - ظ: الواحدي \ أسباب النزول\ 22

[6] - ظ : الطوسي \ التبيان \ 5\ 202 0

[7]- ظ : القمي \ تفسير القمي\ 2\ 320

[8] - البقرة : 83 0

[9] - القطب الراوندي \ فقه القرآن \1\255 0

2 - كون الآية الثانية غير مطلقة و أنما قيدت بقيد وهو إعطاء الجزية ، حيث أن منطوق الآية ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ له مفهوم وهو ما يسمى عند الأصوليين (مفهوم الغاية)وهو: (ما دل عليه القضية المشتملة على حرف من حروف الانتهاء على نقيض الحكم السابق على حرف الغاية)([1])
حيث أن الغاية لغةً : المدى ([2])وتستعمل في الفائدة والانتهاء ، والاستعمال الثاني هو المقصود فالآيتان المدعى دخول النسخ فيهما قد تضمنتا مفهوم الغاية ،أما الآية الأولى فكان انتهاء الحكم بالعفو و الصفح حتى يأتي الله بأمره ، ومن مصاديق ﴿ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ هو القتال، ولذا فالآية الثانية ليست ناسخة لها وإنما هو بيان الوقت والغاية للحكم المذكور 0
و أما الآية الثانية فكان الحكم بالقتال حتى يعطوا الجزية ، أي بالمفهوم أنه عند أعطاء الجزية ينتهي الحكم بالقتال 0 وهو أمر وقتي كذلك 0
فبما أن القيد هنا قيدٌ للحكم دون الموضوع فالغاية دالة على المفهوم([3]) 0

ج- تقويم و استنتاج :
1- قد أستفيد من هذه الآية – آية السيف – ومن أخر غيرها في تقييد الحال التي يجوز عندها قتال أهل الكتاب وهي :
أ- مبادأة أهل الكتاب المسلمين بالقتال،قال تعالى:﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ ([4]) 0
ب- محاولتهم فتنة المسلمين عن دينهم ، قال تعالى :﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ ([5])
ج – امتناعهم عن أعطاء الجزية للآية المتقدمة 0

2- يجزم البحث أن ما انتهى إليه العلماء من أن الإطلاق والتقييد لا يعد نسخاً حاله حال العام و الخاص بعدم كونه نسخاً ، وكذا الأجمال و التفصيل وهو أمر بديهي لا يحتاج إلى مزيد بيان0

2- القول بالنسخ في آية المتوفى عنها زوجها :
قال تعالى :﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ([1]) هذه

---

[1]- أحمد كاظم البهادلي \ مفتاح الوصول إلى علم الأصول \1\333 0
[2] – ظ : الفيروز آبادي \ القاموس المحيط \4\372 0
[3] ظ : الآخوند الخراساني \ كفاية الأصول \1\225+ أحمد كاظم البهادلي \ مفتاح الوصول إلى علم الأصول \1\336
[4] - البقرة : 190 0
[5] - البقرة : 191 0

الآية منسوخة بالإجماع ([2]) بآية :﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ ([3]) قيل في سبب نزول الآية الأولى : أن رجلاً من أهل الطائف قدم المدينة و معه أبواه و زوجته وأبناءه فعندما مات أعطى الرسول (صلى الله عليه وآله) لأبواه و لأولاده ولم يعط للزوجة بل أمر بالأنفاق عليها من تركة زوجها إلى الحول ([4]) 0
وهذا ما كانت عليه حال الجاهلية حيث أن الزوج كان يوصي لزوجته بعد وفاته بنفقة حول وكان الورثة ينفقون عليها حولاً ، وكان الحول عزيمة عليها في الصبر عن التزوج ، وكانت مخيرة في أن تكمل العدة وينفق عليها لمدة حول ، وإن شاءت خرجت قبل الحول فتسقط النفقة ([5]) 0
ثم نسخ ذلك الحكم بأربعة أشهر وعشر و بالميراث ([6]) 0

أما أدلة القول بالنسخ في هذا المقام فهي :

1- مجموع الروايات عن العامة والخاصة بهذا الصدد و التي ربما تبلغ حد التواتر ([7])
2- أجماع علماء الأمة و أتفاق كلمة المفسرين 0
3- لم يأخذ أي أحد من فقهاء الأمة سلفاً وخلفاً بمفاد الآية الأولى ولم يفتِ بمضمونها لا فرضاً و لا ندباً ([8]) 0
4- إحاطة العلم بتقديم إحدى الآيتين عن الأخرى ولزوم القضاء بنسخ الآية الثانية للأولى ، وذلك كون الآيتان عامتين لجميع الأزواج المخلفات بعد الوفاة و حكمهما متنافيتان فلولا هذا العلم لكان الصواب هو الوقوف عن الحكم بشيء منهما ([9]) 0

مناقشة البحث وتقويمه :

1- زيادة لما جاء في مناقشة السيد الخوئي على لسان محمد هادي معرفة في كون الروايات الواردة بهذا الشأن كلها ضعيفة الإسناد أو مقطوعة ،و عدم العبرة بالإجماع كون معقده قضية عدمية المفاد ([10]) ، يعضد البحث رأى السيد الخوئي في أن آية العدد و المواريث لا يوجد فيها نظر إلى آية الإمتاع – وهذا شرط في النسخ – حيث أن آية

---

[1] - البقرة : 240 0
[2] - ظ : ابن حزم \ الأحكام \4\ 465+ الطوسي\ التبيان \2\262+ ابن الجوزي \نواسخ القرآن \90 + ظ : عبد الله شبر \ تفسير المختصر\ 76+ محمد هادي معرفة\ تلخيص التمهيد \1\445 0
[3] - البقرة : 234 0
[4] - ظ : الواحدي \ أسباب النزول \52 0
[5] - الواحدي \ تفسير الواحدي \1\ 179 0
[6] – ظ:العياشي\ تفسير العياشي \ج1\ 129+الطبري\جامع البيان\2\784+ القرطبي \ تفسير القرطبي \ 3 \174
[7] - ظ : الحر العاملي \ وسائل الشيعة \15\451 + السيوطي\ الدر المنثور \1\309 0
[8] – ظ : محمد هادي معرفة \ تلخيص التمهيد\ 1\ 445-446 0
[9] - ظ : المفيد \ التذكرة بأصول الفقه\ 35 0
[10] - ظ : محمد هادي معرفة \ تلخيص التمهيد\ 1\ 446 0

الإمتاع تخص حكم النفقة- بدليل سبب النزول آنف الذكر- لا حكم العدة ،أما آية العدة فتخص حكم العدة فقط دون النظر إلى أي موضوع آخر مضاف كالنفقة و غيرها 0
وأما ذكر الأمد – وهو الحول – في آية الإمتاع فهو أمد النفقة و ليس أمد العدة ،ولا يوجد دليل يدل على كونه للعدة0 و أما غير أخراج أي انقطاع النفقة و سقوطها في حال خروج المرأة من بيت الزوجية ولا يعني بقاؤها يترتب عليه حكم العدة بدليل بعض القيود كعدم التمشيط و النظر في المرأة و غيرها من القيود الأخرى التي ربما كان المقصود منها آنذاك الحداد و ليس العدة 0
ولو كانت عدة المرأة قبل الإسلام – وهي كذلك في المرحلة المكية ؛ لان سورة البقرة هي أول سورة مدنية ([1]) – هي أربعة أشهر وعشراً لكانت الآية التي تنص على النفقة في هذه هذه الفترة موجودة أيضاً كأن تكون :
والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعا إلى أربعة أشهرٍ وعشر00 ، وذلك أن المقام هنا في خصوص النفقة وليس مدة العدة 0فالآية الثانية غيرُ ناظرة للآية الأولى في الحكم 0
2- إن الله سبحانه وتعالى عندما يشرع حكماً معيناً فهو لحكمة عنده سبحانه، فعندما شرع حكم الصدقة في آية النجوى كان لاختبار المسلمين في حبهم لمناجاة الرسول أكثر من حبهم للمال ، ولا ريب في أن إعراضهم عن المناجاة يفوّت عليهم كثيراً من المنافع و المصالح العامة 0 ومن أجل حفظ تلك المنافع رفع الله عنهم وجوب الصدقة بين يدي المناجاة تقديماً للمصلحة العامة على المصلحة الخاصة وأبدله بالترخيص([2]) 0
أما بالنسبة لمقام كلامنا في آيتي الإمتاع و العدة ،فما الحكمة من جعل العدة سنة – إن كانت عدة – ثم نسخها بأربعة أشهر وعشر ؟ ونحن نعلم إن العدة الأولى كانت قبل الإسلام ، أي لم يشرعها تعالى في شريعة محمد (صلى الله عليه وآله) أبتداءاً ، فهي تحت عنوان (شرع من قبلنا) ، ولكن أبقى عليها الإسلام 0 فإن قيل الحكمة هي التخفيف عن المتوفى عنها زوجها في الفترة، فلِمَ لَم يخففها في بداية الإسلام ، لِمَ هذه الفترة حتى يخفف الله تعال هذا الحكم ؟ وهذا مناف لحكمته 0
وإن كان تخفيفاً لها فلمَ لَّم يُجزْ لها قطع العدة مع أجازته لها في آية الإمتاع ؟ 0
وبالجملة يرى البحث أنه لو كان هناك نسخ في هذا المقام فهو نسخ شريعة لشريعة و ليس داخل الشريعة الواحدة
وغير ذلك من الآيات الكثير التي لم يغص البحث في أعماق مناقشتها تحاشيا للإطناب غير اللازم ويترك ذلك بالرجوع إلى المصادر الغنية بها 0

ز- الفرق بين النسخ و البداء

---

[1] - ظ : الزنجاني \ تاريخ القرآن\ 49+ محمد حسين الصغير علي \ تاريخ القرآن \ 56 0
[2] - ظ : الخوئي \ البيان \ 396 0

يحسَبُ كثير من المسلمين أن البداء من المفاهيم التي قالت بها الإمامية فحسب ،بينما البداء مفهوم إسلامي يجعل لله البداء لا عليه ،فالإمامية حينما تقول به فلأجل تنزيه الباري عز وجل عن مقالة المنحرفين عن الخط الإلهي ([1])

والبداء في اللغة : (من بدا فعلٌ ماضٍ معناه الظهور و البيان ،ومنه قوله تعالى **: ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ﴾** ([2]) 0 ومعنى البداء في الإنسان ظهور رأي جديد له غير السابق0

يقول أبو البدوات معناه أبو الآراء التي تظهر له وواحدها بداة)([3]) 0

وهو في الاصطلاح : تبدل أحكام الأشياء المتعينة في العلم الإلهي منذ الأزل وفق تعلق المشيئة بها حسب اقتضاء المصالح و المفاسد المختلفة باختلاف الظروف التي يحيط بها العلم الإلهي ([4])

ولهذا نجد أن البداء يتعلق بالأمور التكوينية التي تمتاز بظاهرة التغير وإن كانت النظرة الأولية لها تقضي الثبات لولا المشيئة 0أما النسخ فما يتعلق بالأمور التشريعية 0

ويخرج البداء لفوائد كامتحان نفس العبد كقصة أمر إبراهيم بذبح ابنه ، بل لولا البداء لم يكن ثمة وجه للصدقة و الدعاء 00 الخ ([5]) 0

أما أدلة قول الإمامية بالبداء في التكوين فهي :

1- قوله تعالى : **﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾** ([6]) 0

2- قوله تعالى **:﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾** ([7]) 0

3- عن أبي عبد الله الصادق(عليه السلام):(ما بدا لله في شيء إلا كان في علمه أن يبدو له) ([8]) 0 0

4- وعنه (عليه السلام) : (إن لله علمين : عِلم مكنون مخزون لا يعلمه إلا هو من ذلك يكون البداء ، وعلم علمه ملائكته و أنبيائه و رسله فنحن نعلمه) ([9]) 0

5- الدليل العقلي : إن كان أظهار أمر على خلاف المتوقع مستلزماً لجهله (تعالى)، يلزم نسبة الجهل إليه (تعالى) في البداء و النسخ ،وإن كان إظهاره غير مستلزم للجهل في النسخ فكذلك في البداء ([10]) 0

---

[1] - ظ : المفيد \أوائل المقالات\80 ، 185 + الطوسي \التبيان \1\14 +الكراجكي\ كنز الفوائد \102 + محمد باقر الحكيم\ علوم القرآن \231-232 + حسن عبد الستار \ نظرية البداء\7

[2] - الزمر : 48 0

[3] - الزبيدي \ تاج العروس \32 0

[4] - ظ : الخوئي \البيان \ 406 0

[5] ظ : المفيد \أوائل المقالات \ 80+ 327 0

[6] المائدة : 64 0

[7] - الرعد : 39 0

[8] - الكليني \الكافي\ 1\148 0

[9] - م 0 ن 0

[10]- إبراهيم الأنصاري\تحقيق كتاب أوائل المقالات للشيخ المفيد\ 327 0

وبعد هذا لا نجد مجالاً للتشكيك في فكرة البداء إذا أخذناها في حدود فكرة النسخ مطبقة على التكوين ،ولا يكون اتهام الإمامية بالانحراف لأنهم قالوا بهذه الفكرة إلا شبيهاً بالاتهام الذي وجهه اليهود و النصارى إلى عامة المسلمين لأخذهم بفكرة النسخ 0

أما مخالفة بعض المسلمين في عدم جواز إطلاق هذا اللفظ (البداء) عليه تعالى فقد رُدَّ عليهم بالأدلة السمعية من القرآن الكريم في قوله تعالى **﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾** ([1]) أي ظهر لهم من فعله بهم ما لم يكن بحسبانهم ([2]) **وقوله ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾** ([3]) وغيرها من الآيات والأخبار المروية بالطرق الصحيحة في كتب الفريقين ([4])0

فالبداء في الآية السابقة هو بمعنى ظهور أمر خفي،لأن متعلقه الناس أما أن كان متعلقه الله تعالى كأن نقول بدا لله فحينئذ يكون البداء بمعنى الابداء ([5]) 0

وقد أورد المفسرون العديد من الروايات الدالة على وقوع البداء في كتبهم ومنها ما يأتي :

1- روي العياشي عن ابن سنان عن أبي عبد الله (عليه السلام) يقول : (أن الله يقدم ما يشاء ،ويؤخر ما يشاء،ويمحو ما يشاء،ويثبت ما يشاء وعنده أم الكتاب،وقال فكل أمر يريده الله فهو في علمه قبل أن يصنعه ،ليس شيء يبدو له إلا وقد كان في علمه0إن الله لا يبدو له من جهل) ([6])

2- ما في تفسير القمي عن عبد الله بن مسكان عن أبي جعفر وأبي عبد الله وأبي الحسن(عليه السلام) في تفسير قوله تعالى :**﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾** ([7]) أي يقدّر الله كل أمر من الحق ومن الباطل ،وما يكون في تلك السنة ،وله فيه البداء و المشيئة 0 يقدم ما يشاء و يؤخر ما يشاء من الآجال و الأرزاق و البلايا و الأعراض و الأمراض ،و يزيد فيها ما يشاء وينقص ما يشاء 000 ([8]) 0

3- وروى الشيخ الطوسي في كتاب (الغيبة) بإسناده عن البزنطي، عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال علي بن الحسين ،وعلي بن أبي طالب قبله،ومحمد بن علي ، وجعفر بن محمد:(كيف لنا بالحديث مع هذه الآية **﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ**

---

[1] - الزمر : 47 0

[2] - المفيد\ المسائل العكبرية\99+ تصحيح اعتقادات الإمامية\ 65 + البلاغي \رسالة في البداء\ من كتاب رسالتان في البداء للبلاغي والخوئي \إعداد : محمد علي الحكيم \20

[3] - الزمر : 48 0

[4] - ظ : المفيد \ أوائل المقالات \ 185+ تصحيح اعتقادات الإمامية\ 65 + المجلسي\ بحار الأنوار\4\122 0

[5] -ظ : إبراهيم الأنصاري\ تحقيق كتاب أوائل المقالات للشيخ المفيد \329 0

[6] - العياشي \تفسير العياشي\2\218+ المجلسي\بحار الأنوار \4\120 0

[7] - الدخان : 4 0

[8] - القمي \تفسير القمي\2\290+ علي الكوراني العاملي\معجم أحاديث الإمام المهدي (ع)\ 5\412

﴿أُمُّ الْكِتَابِ﴾ ([1]) فأما من قال بأن الله تعالى لا يعلم الشيء إلا بعد كونه فقد كفر وخرج عن التوحيد) ([2]) 0

4- عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال : (لولا آية في كتاب الله ،لأخبرتكم بما كان وبما يكون وبما هو كائن إلى يوم القيامة، وهي هذه الآية : يمحو الله00) ([3])0

نتائج هذا المبحث :

1- أن ظاهرة النسخ أمرُ لابد منه في كل تشريع يحاول تركيز معالمه في الأعماق ،والأخذ بيد أمة جاهلة إلى مستوىً عالٍ من الحضارة الراقية، الأمر الذي لا يتناسب مع الطفرة المستحيلة لولا أناة السير التدريجي المستمر خطوة بعد خطوة ([4]) 0

2- بعض العلماء ذكر الأنواع الثلاث للنسخ إلا أنه لا يقول إلا بوقوع نوع واحد وهو (نسخ الحكم دون التلاوة) ومنهم الإمامية ،أما الجمهور فمنهم من يؤيد الإمامية ([5]) ومنهم من يقول بالنوعين الآخرين فقط([6]) ،ومنهم من يقول بوقوع الأنواع الثلاثة في القرآن 0

3- أجمع العلماء على دخول النسخ في الأمر و النواهي ولا يصح دخوله في الأخبار أما الشيخ الطوسي فقد فصّل في ذلك، حيث أجاز دخول النسخ في الخبر إن كان الخبر قد تناول ما يصح تغييره عن صفة لأنه يكون هنا في معنى الأمر 0 كما في قوله تعالى:﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾([7])و﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾([8]) فهذه أخبار ومع ذلك يصح دخول النسخ فيه ، أما مالا يصح تغييره عن صفة فلا يصح دخول النسخ فيه نحو الأخبار عن صفات الله و صفات الأجناس ([9]) 0

4- يجزم البحث أن ما انتهى إليه العلماء من أن الإطلاق والتقييد لا يعد نسخاً حاله حال العام و الخاص بعدم كونه نسخاً ، وكذا بين الإجمال و التفصيل وهو أمر بديهي لا يحتاج إلى مزيد بيان 0

---

[1] - الرعد : 39 0
[2] الطوسي \الغيبة\ 430 + المجلسي \ بحار الأنوار \4 \ 114 0
[3] - المجلسي \ بحار الأنوار \4 \ 97 0
[4] - ظ : المفيد\ أوائل المقالات\ 327 + محمد هادي معرفة\ تلخيص التمهيد\1\416 0
[5] - ظ : ابن حزم \الناسخ والمنسوخ\ 7 0
[6] - ظ : الجصاص \ أحكام القرآن \1 71 0
[7] - البقرة : 228 0
[8] - آل عمران : 97 0
[9] - ظ : الطوسي \التبيان \1\13 0

5- لا يوجد مجال للتشكيك في فكرة البداء إذا أخذناها في حدود فكرة النسخ مطبقة على التكوين ،ولا يكون اتهام الإمامية بالانحراف لأنهم قالوا بهذه الفكرة إلا شبيها بالاتهام الذي وجهه اليهود و النصارى إلى عامة المسلمين لأخذهم بفكرة النسخ 0

3- علم العام والخاص

أ- المعنى اللغوي للعام والخاص

ب- المعنى الاصطلاحي للعام والخاص

ج- أقسام العام

د- الألفاظ الدالة على العموم

هـ- وجوه الخطاب القرآني بالعام والخاص

1- خطاب العام والمراد به العموم
2- خطاب العام والمراد به الخصوص
3- خطاب الخاص والمراد به العموم
4- خطاب الخاص المعطوف على العام
5- خطاب العام المعطوف على الخاص
6- خطاب عطف العام المراد به الخصوص على الخاص

موارد اختلاف العلماء في إطلاق العام والخاص في بعض الآيات القرآنية

نتائج المبحث

3- علم العام و الخاص:

للنظم التشريعية و الأحكام الدينية مقاصد تهدف إليها ، وقد يجتمع للحكم التشريعي خصائص تجعله عاماً يشمل كل الأفراد ،أو ينطبق على جميع الحالات، وقد يكون لذلك القصد غاية خاصة فالتعبير عنه يتناول بعمومه الحكم ثم يأتي ما يبين حده أو يحصر نطاقه ،والبيان العربي في تلوين الخطاب وبيان المقاصد و الغايات مظهر من مظاهر قوة اللغة وأتساع مادتها 0فأذا ورد هذا في كلام الله المعجز كان وقعه في النفس عنوان إعجاز تشريعي مع الإعجاز اللغوي ([1]) 0

وفيما يأتي سيخوض البحث في مباحث هذا العلم محاولاً التوصل إلى رؤية عامة عنه مبتدءاً :

أ- المعنى اللغوي للعام و الخاص :

كلمة (العام) مشتقة من أل (عموم) ويراد به:الشمول ،يقال عمَّ يعم عموماً :شمل الجماعة([2])0 وتستعمل كلمة العموم في الاستيعاب ،وقد تستعمل في الكثرة المقاربة للاستيعاب تنزيلاً لها منزلة الاستيعاب، يقال:مطر عام أو خصب عام، أذا عم الأماكن كلها أو كثيراً منها 0ومنه عامة الناس لكثرتهم ([3]) 0

والظاهر أن العام في كلمات الأصوليين مستعمل في معناه اللغوي والصرفي وهو الشمول([4])0

أما الخاص فمعناه في اللغة : المنفرد ،يقال فلان خاص بفلان ،أي منفرد به وأختص فلان بكذا ،أي أنفرد به ([5]) 0

ب- المعنى الاصطلاحي للعام و الخاص :

1- مناع القطان\ مباحث في علوم القرآن\ 221 0
2- ظ : الجوهري\ الصحاح\ 5\1993 0
3- ظ: الفيروز آبادي\ القاموس المحيط\ 3\316 0
4- ظ : محمد إسحاق الفياض\ محاضرات في أصول الفقه \5\161 تقرير بحث الخوئي 0
5- ظ : ابن منظور\ لسان العرب \7\24 0

عُرف العام بعدة تعريفات منها :

1- هو اللفظ المتناول لجميع ما هو صالح له أو ما هو موضوع له([1]) 0
2- ما دل على مسميات باعتبار أمر اشتركت فيه مطلقاً ([2]) 0
3- هو اللفظ الذي نجد فيه دالا-ً في أصل وضعه اللغوي – على استغراقه جميع الأفراد التي يصدق عليها معناه من غير حصر كمي ولا عددي([3]) 0
4- ما دلّ على سريان الحكم في أفراد متعلقه أو أحواله بحيث تتساوى فيه مهما كان منشأ الدلالة ([4]) 0 وغيرها من التعريفات التي نجدها تكاد تتفق جميعها بالدلالة على الشمول و الاستيعاب ،أي أن التعريف الاصطلاحي ينحدر عن الأصل اللغوي له 0 ولكن يجب الانتباه إلى أنه هذه التعريفات للعام هي لمعناه لا للفظه ، أي المصداق العام مثل الجمع المعرف بـ (أل) و أمثاله 0

أما الخاص فقد عُرف بما يأتي :

1- هو كل لفظ موضوع لمعنىً معلوم على الانفراد وكل أسم لمسمىً معلوم على الانفراد ([5])0
2- الخاص يقابل العام ،وهو الذي لا يستغرق الصالح له من غير حصر ([6]) 0
3- خاص القرآن هو اللفظ الموضوع للدلالة على فرد واحد مثل محمد ، أو واحد بالنوع مثل رجل ،أو على إفراد محصورة الكم و العدد: كاثنين و عشرة وألف ، وقوم وأمة وطائفة وفريق([7])0

وهكذا نجد أن التعريف الاصطلاحي للخاص ينحدر عن الأصل اللغوي له 0
ويحسن الالتفات إلى أن عموم كل شيء بحسبه ،أي أن مناط وصف الشيء بالعموم كونه شاملاً لجميع أفراد معناه دون استثناء 0 مثل : الرجال شامل لكل رجل، وهذا لا يمنع أن تتصف بعض العمومات بالخصوص إذا نسب بعضها إلى بعض 0 فالحيوان وإن كان عاماً بلحاظ شموله لجميع أفراد حقيقته ،إلا أنه خاص بلحاظ انفراده عن النامي الشامل للنبات و الحيوان معاً، والإنسان وأن كان عاماً بلحاظ شموله لجميع أفراد نوعه، إلا أنه خاص بلحاظ إنفراده عن الحيوان الشامل له وللأنواع الأخرى من الحيوانات 0

أما الشخص مثل (محمد) فهو خاص فقط ولا يتصف بالعموم، مثلما يكون جنس الأجناس عام ولا يتصف بالخصوص، وما بينهما من الأجناس و الأنواع و الأصناف

6-الرازي \المحصول \2\309 0
7- ابن الحاجب\ مختصر المنتهى\1\100 0
8- السيوطي \الإتقان\ 331 + صبحي الصالح\ مباحث في علوم القرآن \ 304+ ظ : مناع القطان\ مباحث في علوم القرآن\221+ محمد حسين الصغير\ مصطلحات أساسية\في حياة علوم القرآن \مجلة مآب\ 9 0
9- محمد سعيد الحكيم \المحكم في أصول الفقه\ 2\10 0
1- السرخسي \ أصول السرخسي \ 124 0
2- مناع القطان \مباحث في علوم القرآن \ 226 0
3- صبحي الصالح\ مباحث في علوم القرآن \307 عن مصدره 0

فهي عامة بنفسها و خاصة قياساً إلى ما فوقها،وهذا ما يسمى بنسبية وصفي العموم و الخصوص ([1]) 0
والعام أذا حمل على الخاص صدق القول ،نحو : زيد إنسان و حيوان 0
والخاص أذا حمل على العام كذب نحو : الحيوان إنسان ، والإنسان زيد 0 إلا أذا قدّر لفظاً و تقديراً ، فيقال : هذا الإنسان زيد ، أو الإنسان زيد، بجعل الألف و اللام للعهد لا للجنس ، أو يراد أن معنى الإنسان كملاً موجود في زيد 0
وتفسير الخاص بالعام جائز إذا قصد تبيين جنسه ،نحو:الحرباء حيوان ،والحرباء دويبة([2])0

ج- أقسام العام :

قسم بعض الأصوليين العام بلحاظ تعلق الحكم به وأمثال حكمه إلى ثلاثة أقسام هي :
أ - العام ألاستغراقي : وهو ما يكون الحكم المتعلق بالموضوع شاملاً لجميع أفراد حقيقته ،على نحو يكوم كل فرد من أفراد العام موضوعاً مستقلاً للحكم، وكأنه منصوص عليه بخصوصه ، مثل قوله تعالى :﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ ([3]) 0
ب - العام المجموعي :وهو ما يكون الحكم المتعلق به ناظراً للمجموع بما هو مجموع ،بحيث لا يتحقق امتثال الأمر به بامتثال الأمر ببعض أفراد العام ،وإنما يتحقق الامتثال بطاعة الأمر في جميع أفراد العام 0 ومثاله :الأمر باعتقاد صحة جميع ما جاء به الرسول (صلى الله عليه وآله) فإذا أعتقد ببعض و أنكر بعض آخر ،فقد عصى الأمر بالكامل 0
ج- العام البدلي : وهو ما يكون فيه متعلقاً بواحد من أفراد العام دون تعيين 0 مثل الحكم في قوله تعالى: ﴿00 وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ ([4]) المتعلق بتحرير رقبة مؤمنة واحدة غير معينة من بين عموم الرقاب المؤمنات([5])0

د- الألفاظ الدالة على العموم 0

وهي بعض الحروف والأدوات والصيغ التي تشير إلى العموم ،وقد أختلف الأصوليون في دلالة بعض الألفاظ أهي بوضع الواضع أو بالإطلاق وأقوى وأعلى دال على العموم

4- ظ : أحمد البهادلي \ مفتاح الوصول\ 1\347 + ظ : مركز الثقافة و المعارف الإسلامية\ علوم القرآن عند المفسرين\3\31 عن الراغب الأصفهاني 0
5- ظ : مركز الثقافة و المعارف الإسلامية\ علوم القرآن عند المفسرين\3\31 عن الراغب الأصفهاني 0
1- المدثر : 38 0
2- النساء : 92 0
3- ظ: المظفر \أصول الفقه\2\ ص122 +أحمد البهادلي\ مفتاح الوصول\1\348 0

من هذه الألفاظ، ولكن سوف يكتفي البحث ببيان هذه الألفاظ محيل من يريد الاطلاع على خلاف الأصوليين إلى مصادرهم ([1])0

وقد تنوع ورود هذه الألفاظ في مصادرها فمنهم من ضم بعضها لبعض ومنهم من أفردها وسوف يوردها البحث بحسب ترتيبه:

1-لفظ (جميع)،مثل قوله تعالى:﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴾ ([2])0

2-لفظ (كل)،مثل قوله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ ([3])

3-لفظ (كافة)،مثل قوله تعالى : ﴿ 00ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً 00﴾([4])

4-الجمع المعرّف:سواء أكان تعريفه بال الاستغراقية،مثل قوله تعالى:﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ([5]) أم كان تعريفه بالإضافة ،مثل قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ 000﴾ ([6]) 0

5-المفرد المعرّف:سواء كان تعريفه بال الاستغراقية مثل:﴿ 000وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا000﴾([7]) أم كان بالإضافة مثل :﴿00فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ 00﴾ ([8]) 0

6-النكرة الواقعة في سياق النفي أو النهي أو الشرط:مثل قوله تعالى:﴿00مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ000﴾ ([9]) فكلمة (بشر)نكرة وقعت في سياق النفي،وقوله:﴿ وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا 000﴾ ([10]) فكلمة (أحد) وقعت في سياق النهي وقوله:﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا00﴾([11]) فكلمة(آية)نكرة وقعت في سياق الشرط0ومفاد الآية الأولى:أي بشر0 والثانية: أي أحد0 والثالثة : أي آية 0

7- الموصولات : إفراداً وتثنيةً وجمعاً، تذكيراً وتأنيثاً 0مثل : قوله تعالى ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا 000﴾ ([12]) 0وقوله:﴿ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا000 ﴾ ([1])

4- ظ : الآخوند الخراساني \الكفاية\1\333-335+ العاملي\معالم الدين\ 104-112 + المظفر \أصول الفقه\1\ 123 + الآمدي\ الأحكام\ 2\407 0

5- الشعراء : 56 0

6- الرحمن : 26 0

7 –البقرة : 208 0

1- المؤمنون : 1 0

2- النساء : 11 0

3- البقرة : 275 0

4 – النور : 63 0

5- الأنعام : 91 0

6- التوبة : 84 0

7- القمر : 2 0

8- البقرة : 17 0

وقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى 000﴾ ([2]) وقوله : ﴿ وَاللاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ000 ﴾ ([3]) وقوله: ﴿ 00وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ 000﴾ ([4]) 0

8-أسماء الاستفهام : مثل قوله تعالى: ﴿00مَتَى نَصْرُ اللَّهِ000﴾ ([5])

9- أسماء الشرط : مثل قوله تعالى : ﴿00فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ000﴾ ([6]) وقوله تعالى:﴿00وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ 000﴾ ([7]) وقوله تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ000﴾ ([8])وقوله تعالى:﴿00 أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى000﴾([9])

وهذه الصيغ – بحسب الوضع اللغوي – تعين العموم تعييناً حقيقياً ما لم يرد مخصص لها ،وموارد التخصيص كثيرة في القرآن الكريم حتى لقد تعذر على بعض العلماء أن يتصور عاماً باقياً على عمومه غير قابل للتخصيص ،ويبدو أن هذا الأمر قد أجهد السيوطي حتى أستطاع أن يستنبط من القرآن مثالاً على ذلك وهو قوله تعالى:﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ 000﴾ ([10])0معللاً ذلك بأن العموم الباقي على عمومه كثير في القرآن في غير الأحكام الفرعية ،وعزيز جداً في الأحكام الفرعية مؤيداً بذلك رأي البُلقيني([11]) ([12]) 0

هـ - وجوه الخطاب القرآني بالعام و الخاص :

1- خطاب العام المراد به العموم: أو العام الباقي عل عمومه 0

وهو ما تحدثنا عنه آنفاً ، ومثاله أيضاً قوله تعالى:﴿00إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ([13])،وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا 000 ﴾ ([14]) 0

9- النساء : 16 0
10- النساء : 10 0
11- النساء : 15 0
12- النساء : 24 0
13- البقرة : 214 0
14- البقرة : 185 0
15- البقرة: 272 0
16- النساء : 78 0
17 الإسراء : 110 0
1- النساء : 23 0
2- هو عبد الرحمن بن عمر بن رسلان،أبو الفضل جلال الدين البلقيني ولد في 15 رمضان سنة 763 هـ بالقاهرة ،كان عالماً بارعاً في الفقه والتفسير وأصول العربية ،وله تعليق على البخاري سماه: ((الإفهام لما في صحيح البخاري من الإبهام)) تولى القضاء في مصر ،وتوفي سنة 824هـ
ظ: الداوودي \طبقات المفسرين\ 196 0
3 – ظ: السيوطي\ الإتقان \ 332 0
4- المجادلة : 7 0
5- يونس : 44 0

2- خطاب العام والمراد به الخصوص:

وقد أنكر بعض العلماء وقوع هذا النوع من الخطاب في القرآن ؛ لأن الدلالة الموجبة للخصوص بمنزلة الاستثناء المتصل بالجملة ([1]) 0

والحق أنه واقع وأمثلته كثيرة منها:قوله تعالى:﴿ **ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ 000**﴾([2])

وقد أختلف المفسرون في المقصود بالناس فقيل إبراهيم الخليل (عليه السلام) ؛ فأنه لما كان إماماً كان بمنزلة الأمة قال تعالى﴿ **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً00** ﴾ ([3])، فسماه وحده ناساً ([4]) 0

وقيل إبراهيم وإسماعيل وإسحاق([5]) 0

وقيل المراد بالناس سائر العرب غير الحُمس([6])0وقيل هم العلماء الذين يعلمون الدين ، ويعلمونه للناس ([7]) فالانتقال من العموم لغرض بلاغي يزيد التعبير جمالاً ،والفكرة وضوحاً ، ومثله قوله تعالى :﴿ **أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ000**﴾ ([8]) **0**

فالمقصود بالناس هنا إنسان واحد هو النبي محمد (صلى الله عليه وآله) جُمع ولم يفرد لأنه المثل الأعلى للإنسانية ([9]) 0

وقد عبّر بعض المفسرين عن العام المراد به الخصوص ،بأنه من فعل العرب 0

حيث أن العرب تفعل ذلك كثيراً فتدل بذكر الجماعة على الواحد ،وأستشهد بقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا 000**﴾ ([10]) قيل عنى بذلك النبي محمداً (صلى الله عليه وآله) 0 ونظائر ذلك في كلام العرب أكثر من أن تحصى ،إلا أن الطبري وغيره من العلماء لم يعطونا شاهداً من كلام العرب وإنما أستشهد بدليل قرآني ([11]) 0 وقد أستشهد الشيخ الطوسي في هذا المقام بقول القائل : أكلنا عنده كل شيء ،ورأينا منه كل خير، ويقال :هذا قول أهل العراق، وأهل الحجاز ،ويراد به قول أكثرهم، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا000**﴾ ([12]) فهنا الدلالة ليست على العموم وإنما التكثير و التفخيم

6- ظ : الزركشي\ البرهان \ 2\139 0

7- البقرة : 199 0

8- النحل : 120 0

9- ظ : الطبري \جامع البيان \ 2\401 + ابن أبي حاتم\ تفسير ابن أبي حاتم \2\354+ النحاس \معاني القرآن 1\141 + الجصاص \أحكام القرآن \1\375+ الثعلبي\تفسير الثعلبي\2\112 0

10- ظ: العياشي \تفسير العياشي\ 1\97 +الكليني\الكافي\4\247+الطوسي \تهذيب الأحكام\5 \456 +الحر العاملي\وسائل الشيعة\ج11\216+ج13\553+الطبري(الشيعي) \المسترشد \ص462 +المجلسي\بحار الأنوار\21\392 0

1- الحُمس : هم أهل الحرم الذين شددوا في دينهم 0 ظ : الزمخشري\الكشاف\1\349+ الثعلبي\تفسير الثعلبي\2\112+الواحدي \تفسير الواحدي\1\157+ البغوي\تفسير البغوي\1\157

2- ظ : الطوسي\التبيان\2\168+ الطبرسي\مجمع البيان\2\296+ النووي\شرح مسلم\8\181 0

3- النساء : 54 0

4- صبحي الصالح \مباحث في علوم القرآن\ 307 0

5- المؤمنون : 51 0

6- ظ : الطبري\جامع البيان\2\402 + السمعاني\ تفسير السمعاني\1\202 +الزركشي \البرهان \3\7-8

7 – طه : 56 0

والمراد به الخصوص ([1])0 أما قوله تعالى: ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ ([2]) فقد وقع اشتباه بعض المفسرين كون اللفظ عام وقد دلَّ على الخصوص ؛ إذ إنها (بلقيس) لم تؤت أشياء كثيرة ([3]) (وتوهم آخرون كون دلالة الآية هو التكثير دون التعميم ([4]) ، والواضح من سياق الآية أنها قد خصصت بلفظ(من)التي تفيد التبعيض ،فاللفظ هنا ليس عام و المراد منه الخاص([5]) 0

وهناك نماذج كثيرة من الآيات الدالة على هذا النوع من الخطاب القرآني متناثرة في كتب التفسير وعلوم القرآن ([6]) 0

3- خطاب الخاص والمراد به العموم :

كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ 000﴾ ([7]) فأن دليل الخطاب خاص بالنبي(صلى الله عليه وآله) ولكن المعنى دال على الشمول و العموم فأنه لكافة الناس ([8])0 فاللفظ قد خاطب واحداً وهو النبي محمد(صلى الله عليه وآله) ثم جمع بقوله(طلقتم) ليعلم أن الخطاب للأمة ،وإنما يبتدئ تعالى بخطاب النبي (صلى الله عليه وآله) قبلها إذ كان المؤدي عنه إليها والسفير بينه وبينها والشهيد له عليها واللسان الناطق عنها ([9]) 0ومنه قوله تعالى :﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ 000﴾ ([10]) فلفظ الآية خاص في بني إسرائيل ومعناه عام في الناس كلهم ([11]) 0

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ اللاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ

8- ظ : الطوسي : التبيان\ 4\ 138 \ + الطبرسي\ مجمع البيان\ 4\59 0

9- النمل : 23 0

10- ظ : القمي\ تفسير القمي\ 1\7 0

11- ظ: الطبرسي\ مجمع البيان \4\59 0

12- ظ: هدى علي\تفسيرا التبيان و مجمع البيان موارد الاتفاق و الاختلاف \41 – 42 0

13- ظ: القمي \تفسير القمي\1\7+8 + الشريف الرضي\حقائق التأويل\151+ الطوسي\التبيان\4\128+ ابن العربي\أحكام القرآن\1\151+ + الحربي\غريب الحديث\3\961 +محمد باقر الحكيم\تفسير سورة الحشر\150-151+الزركشي\البرهان \2\139+السيوطي\ الإتقان /332 0

1- الطلاق : 1 0

2- ظ : القمي \تفسير القمي\2\373 + المفيد \المسائل العكبرية \51 0

3- ظ : الشريف الرضي\حقائق التأويل\ 105+ الطوسي \التبيان\1\28+ ابن كثير\ تفسير ابن كثير\4\403+ الزمخشري\الكشاف \ج \ص

4 – المائدة : 32 0

5- ظ: : القمي \تفسير القمي\1\8 0

00﴾ ([1]) فكان ابتداء الخطاب في الآية للرسول (صلى الله عليه وآله) فلما قال في الموهوبة:(خالصة لك) عُلم أن ما قبلها له ولغيره([2]) 0

4- خطاب الخاص المعطوف على العام:

وهو كثير في القرآن منه قوله تعالى:**﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ 000﴾** ([3]) حيث قيل إن الإثم : هو الجرم كائناً ما كان و العدوان : الظلم ([4]) 0

وقيل الإثم : الكذب ، بدليل قوله تعالى:**﴿00 عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ 000﴾**([5])،والعدوان:الظلم ([6]) 0 ([6])

وقيل الإثم : المعصية ، والعدوان : تعدي حدود الله ([7]) 0وقيل الإثم هو الكفر ([8]) ، وقيل وقيل الإثم:هو ما أشير به في قوله تعالى:**﴿00وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ([9])** ، والعدوان:ما أشير به في قوله تعالى:**﴿00وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾([10])** فالإثم أعم من العدوان ([11]) 0

وهنا قد عطف الخاص وهو (العدوان) على العام وهو (الإثم) ([12]) 0

ومنه قوله تعالى : **﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى 000﴾** ([13]) قيل إن الصلاة الوسطى هي صلاة الفجر لأنها بين صلاتي ليل وصلاتي نهار، وقد أفردها الله تعالى تخصيصاً ([14]) 0

وقيل إنها صلاة العصر ([15]) 0وسميت صلاة الوسطى لأنها بين صلاتين من صلاة النهار تقدمتا عليها ،وصلاتين من صلاة الليل تأخرتا عنها ([16]) 0

6- الأحزاب : 50 0
7- ظ: الزركشي\ البرهان\2\138 عن مصدره 0
8- المائدة : 62 0
9- ظ: الطوسي \التبيان\3\577+ القرطبي\تفسير القرطبي\6\236 0
10- المائدة : 63 0
11 – الزمخشري \الكشاف \1\226+ ظ : الميزان \الطباطبائي\6\30 0
12- ظ : الطبري\جامع البيان\6\401+ البغوي \تفسير البغوي\2\49 +ظ: الكاشاني\ التفسير الأصفى \1\283 0
13- ظ : الطبري\جامع البيان\6\401 +ابن أبي حاتم \تفسير ابن أبي حاتم\4\1166 0
1- المائدة : 44 0
2- 0 المائدة : 45 0
3- ظ : الراغب الأصفهاني \مفردات غريب القرآن \10 0
4- ظ : أبو هلال العسكري\الفروق اللغوية \16
5 0 البقرة : 238 0
6- ظ : الواحدي \تفسير الواحدي 1\176 + الجواهري \جواهر الكلام \7\14 0
7- ظ: الطوسي \التبيان\2\275 + الزمخشري \الكشاف \1\375 +التفتازاني\مختصر المعاني\ 177
8- ظ: ابن البراج\جواهر الفقه \255+ الشهيد الأول\الذكرى \2\289 0

وقيل هي صلاة الظهر([1]) ؛ لأنها وسط بين صلاتين بالنهار: صلاة الغداة والعصر 0وقيل 0وقيل لأنها وسط بين نافلتين متساويتين ([2]) 0ولقد قام المحقق السبزواري بنقل أراء العلماء في تحديد الصلاة الوسطى مع دليل كل منهم واستنتاجاته العقلية ([3]) 0أما عند الزركشي فهي غيرها كصلاة الوتر والضحى والعيد،فهو لم يعتبر هذا العطف من عطف الخاص على العام ([4]) 0

وقيل إن ذكر الخاص بعد العام هو للتنبيه على فضله حتى كأنه ليس من جنس العام ،لما يمتاز به عن سائر أفراد العام لما له من الأوصاف جعل كأنه شيء آخر مغاير للعام لا يشمله العام ولا يعرف حكمه منه ([5]) فالفائدة من زيادة الألفاظ على المعاني بذكر الخاص الخاص بعد العام ،هو أهمية الخاص لعناية المتكلم به وهو من الأساليب البلاغية 0

ويميل البحث إلى أن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر ؛وذلك لكون الأدلة الروائية مختلفة،أما الدليل العقلي فيحكم بأنها صلاة العصر ،وذلك لأن عدد الصلوات في اليوم الواحد (خمس)وأوسطها صلاة العصر 0

وكذلك من أمثلة هذا النوع من الخطاب قوله تعالى : ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ ([6]) ([6]) فهو من عطف الخاص على العام([7]) 0 وهناك من لم يعتبر النخل والرمان من الفاكهة ،فهو لا يجد هنا عطف الخاص على العام ،وكذلك من قال أن (فاكهة) مطلق وليس بعام ([8]) 0

5- خطاب العام المعطوف على الخاص :

ومنه قوله تعالى: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴿000﴾ ([9]) والمراد بمن دخل بيته مؤمناً المؤمنون من قومه ، وبالمؤمنين و المؤمنات عامتهم إلى يوم القيامة ([10]) فيكون هنا عطف العام على الخاص في هذه الآية ([11])،وقد ابتدأ النبي نوح (عليه السلام) الدعاء لنفسه وذلك لأنه من سنة الدعاء أن يبدأ بنفسه ([12])0

9- ظ: الشهيد الأول\ ذكرى الشيعة\ 2\288 +الطوسي \الخلاف \1\294 + ابن الجنيد \مختلف الشيعة\123 + الجواهري \جواهر الكلام \7\14 0

10- ابن الجنيد \مختلف الشيعة\123 0

11 ظ: السبزواري \ذخيرة المعاد \1\2\183 + الجواهري \جواهر الكلام \7\ 14 0

12- ظ: الزركشي \البرهان \2\287 0

13 – ظ: الطوسي \التبيان\2\275 + التفتازاني\مختصر المعاني\ 177 + الزمخشري \الكشاف \1\375 + الدسوقي \حاشية الدسوقي\ 1\179 + النووي \شرح مسلم\1\44 0

1- الرحمن : 68 0

2 – ظ: الطريحي\مجمع البحرين\ 2\227 0

3-ظ: الزركشي \البرهان\2\287 0

4– نوح : 28 0

5 – ظ : الطبري \جامع البيان\ 29 \125 + السمرقندي\ تفسير السمر قندي\ 3\ 479 + الثعلبي \ تفسير الثعلبي\ 10\48+ السمعاني \تفسير السمعاني\ 6\61 +ابن البطريق \العمدة \ 73 + النووي\ شرح مسلم \1 44 + الطباطبائي \الميزان \6\268 + 20\36+ عبد الله شبر \تفسير شبر\\534+ الشيرازي \الأمثل \19\70

6- ظ: النووي\ شرح مسلم \1\ 44 + ابن هشام الأنصاري\ مغني اللبيب\ 2\356 0

7- ظ: ابن عابدين \ حاشية رد المحتار \ 2\230 0

ثم خص بالدعاء من يتصل به لأنهم أولى وأحق بدعائه ،ثم عم المؤمنين والمؤمنات ([1]) 0
0
أما المراد بالبيت فقيل مسجده وقيل سفينته ([2]) 0 وقيل هو دينه وشريعته ([3]) 0

6- خطاب عطف العام المراد به الخصوص على الخاص:

وهذا النوع من الخطاب مما تفرد البحث بذكره، أي لم يرد في كتب علوم القرآن ذكر هكذا نوع من أنواع الخطاب حول العام و الخاص 0

وأما مثاله فهو قوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ000** ﴾([4]) فدلالة (الَّذِينَ آمَنُوا) عامة ولكن المراد به الخصوص هنا،والمعني به أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بدليل سياق الآية ﴿ **الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ حيث لم يدّعِ أحد من أهل القبلة لأحد أنه آتى الزكاة في حال ركوعه سوى أمير المؤمنين (عليه السلام) ([5]) ، وهذا دليل من أدلة وجوب الإمامة ؛ حيث ثبوت ولايته حسب ولاية الله ورسوله(صلى الله عليه وآله) 0 إذ كانت ولاية الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) للخلق إنما هي فرض الطاعة التي تجب للرعية ([6]) 0

وقد أشتبه على بعضهم اختصاص أمير المؤمنين (عليه السلام) بالولاية لظاهر لفظ العموم (الَّذِينَ آمَنُوا) فيقولون نزلت في المؤمنين ([7]) فأنكروا أن يكون المعني واحد، فالرد عليهم عليهم يكفي بجملة واحدة وهي : أنهم بعيدون عن اللغة؛ لأنه مثلما أسلفنا فقد تضمن القرآن الكريم مواضع عديدة من هذا الخطاب كقوله تعالى : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ ([8]) وهو لفظ عموم أختص بالباري وحده0 وقوله :﴿ **يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ 000**﴾ ([9]) والمخاطب به رسول واحد ([10]) 0

وهذا اللفظ العام المراد به الخصوص قد عطف في هذه الآية على الخاص وهو لفظ: (رسوله)0

8- ظ: الزمخشري \الكشاف\4\165 + الطباطبائي\ الميزان \6\268 0
9- ظ: الطبري \جامع البيان\ 29 \124 + السمرقندي\ تفسير السمر قندي\ 3\ 479 + الثعلبي \ تفسير الثعلبي\ 10\48 + ابن العربي\أحكام القرآن \4\313+ الطوسي\ التبيان \10\142 + الزمخشري\الكشاف\ 4\165 0
10- ظ : الشيرازي\ الأمثل \19\72 0
11- المائدة : 55 0
1-ظ : السيوطي : الدر المنثور \2\293 + الزيلعي \ تخريج الأحاديث و الآثار \1\409 0
2-ظ: العلامة الحلي \ تذكرة الفقهاء \6\193 + الكلبابكاني \الهداية الأولى\ 26 + الصدوق \ الخصال \479 + الصدوق \عيون أخبار الرضا (ع)\ 2\215 0
3- ظ: + الكليني\ الكافي \2\513 + الجواهري \جواهر الكلام \5\40 0
4- الحجر : 9 0
5 - المؤمنون : 51 0
6- ظ: المفيد \المسائل العكبرية \49-51 0

موارد اختلاف العلماء في أطلاق العام و الخاص في بعض الآيات القرآنية :

كثيراً ما وجد البحث في أثناء خوضه غمار علم (العام و الخاص) تعدد آراء العلماء في أطلاق العموم على بعض المراد القرآني في حين أراد آخرون به الخصوص، ويعزو البحث ذلك لعدة أسباب : فربما يكون بسبب اختلاف فهم النص القرآني، أو عدم المعرفة التامة والملمّة بأسباب النزول لتلك الآيات ، أو المعرفة الوجيزة بعلوم القرآن من ضمنها علم العام و الخاص 00وغيرها من الأسباب التي دعت إلى ذلك الاختلاف 0

وسوف يقوم البحث بإيراد بعض النصوص القرآنية التي ورد فيها ذلك الاختلاف :

1-قوله تعالى ﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾([1])

لقد وقع الكلام بين المفسرين في تحديد المراد من الاسم الموصول (الذين) في الآية الشريفة ؟ فذكروا في ذلك عدة احتمالات :

أ- إنهم اليهود من بني القينقاع و بني النظير وبني قريظة ([2]) ، باعتبار أن هذه السورة الشريفة - سورة الحشر – في مقاطعها السابقة تحدثت عن بني النظير الذين أخرجوا لأول الحشر ،وتحدثت عن بني القينقاع ، وفي ما جرى عليهم بعد غزوة بدر ، فالقرآن الكريم أراد التنبيه على أن الإنسان المؤمن لا ينبغي أن يكون حاله كحال هؤلاء 0 وبذلك يذهب الطبرسي إلى إرادة الخصوص من هذا المعنى 0

ب- إن المراد من (الذين) هو الأعم من اليهود و المنافقين؛ لأن السورة تحدثت عن اليهود و المنافقين 0

ج- إن المراد من ذلك هو الأعم من اليهود والمنافقين والمشركين ، الذين أشار أليهم القرآن الكريم0والذي عبر عنه بعض المفسرين بـ (الكفار)([3]) وهؤلاء أرادوا العموم من هذا المعنى 0ولعل الأظهر و الأفضل من هذه الاحتمالات هو الاحتمال الثالث ؛ لأنه احتمال شامل ؛حيث نص القرآن على أن الذين نسوا الله هم المنافقون في قوله تعالى: ﴿ **الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ ([4]) وهذا عين الوصف الذي وصفوا وصفوا به في سورة الحشر 0 وقوله تعالى (فَنَسِيَهُمْ) أي أنساهم أنفسهم ؛ لأن الله تعالى لا ينسى ﴿**00 لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى000**﴾ ([5]) و ﴿**00وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا**﴾ ([6]) 0

وقد جاء أيضاً وصف كل من اليهود و النصارى و المشركين بالنسيان في الجملة ،ففي اليهود يقول تعالى: ﴿ **فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلا قَلِيلا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ**

7- الحشر : 19 0
8- ظ: الطبرسي \ مجمع البيان \9\439+ الطباطبائي\ الميزان\19\220 0
1- ظ: ابن عطية الأندلسي\ المحرر الوجيز\5\219 0
2- التوبة : 67 0
3- طه : 52 0
4- مريم : 64 0

وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾([1]) وفي النصارى يقول تعالى **:﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾**([2])وفي المشركين يقول تعالى:**﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾**([3]) فيكون التحذير منصباً أصالة على المنافقين و شاملاً معهم كل تلك الطوائف لاشتراكهم جميعاً في أصل النسيان([4]) 0
وبالتالي فما أراد القرآن بيانه هو أن الإنسان لا ينبغي له أن يكون حاله حال اليهود أو المنافقين أو المشركين 0

2- قوله تعالى **:﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ000﴾**([5]) فمن المفسرين من قال أن المقصود بـ(بني آدم) هم الذكور فقط مستدلاً باللغة فقال:(لان بني جمع ابن ،وإنما نصِبَ لأنه نداء مضاف،والابن هو الولد الذكر والبنت الولد الأنثى) ([6]) في حين كان المقصود عند غيره جميع المكلفين من الذكور و الإناث ([7])0
فالمعنى في الرأي الأول يعتبر خاص بالنسبة له في الرأي الثاني لما أسلفنا في النسبية لوصفي العموم و الخصوص 0
ويبدو على الأظهر أن الرأي الثاني هو الأصح لما يأتي:
أ- وضوحه جلياً في سياق الآية التالية للآية المتقدمة وهي قوله تعالى **:﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾**([8]) حيث بين سبحانه أن الزينة غير محرمة على عباده ولا الطيبات من الرزق ، وعباد الله هم الذكور و الإناث ولا يستطيع أن ينكر ذلك منكر ،ولو أحصينا عدد الآيات التي خاطب الله بها البشر كافة بكلمة (عبادي) لوجدناها كثيرة ،منها قوله تعالى: **﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾**([9])0

5- المائدة : 13 0
6- المائدة : 14 0
7- الأعراف : 51 0
8- ظ: الشنقيطي \ أضواء البيان \8\54-55 0
1- الأعراف : 31 0
2- الطوسي \التبيان \4\326 0
3- ظ: الطبرسي\مجمع البيان \4\269 0
4 – الأعراف : 32 0
5- الزمر : 53 0

ب- لا مسوغ لتخصيص الرجل باتزين دون المرأة إذ أن الزينة على ما عرفها الراغب الأصفهاني هي : الزينة الحقيقية مما لا يشين الإنسان في شيء من أحواله لا في الدنيا ولا في الآخرة ،وعموم الزينة تنطوي على ثلاثة معانٍ : زينة نفسية كالعلم و الاعتقادات الحسنة، وزينة بدنية كالقوة وجمال المظهر و القامة ، وزينة خارجية كالمال والجاه وما يتولد ويظهر منها([1])

ج- اعتبار الزينة ضرورية لوجود الإنسان مع غيره من الأفراد يقول العلامة الطباطبائي (الزين يقابل الشين ،وهو ما يعاب به الإنسان ، فالزينة ما يرتفع به العيب ويذهب بنفرة النفس 000 ولو كان الإنسان يعيش في الدنيا وحده في غير مجتمع من أمثاله لم يحتج إلى زينة يتزين بها قط ولا تنبه للزوم إيجادها ؛ لأن ملاك التنبه هو الحاجة لكنه لم يسعه إلا الحياة في مجتمع من الأفراد وهم يعيشون بالإرادة و الكراهة والحب والبغض والرضا والسخط000 وهي من الآداب العريقة التي تلازم المجتمعات، وتترقى وتنزل على حسب تقدم المدينة والحضارة) ([2]) ومن هنا تؤكد حاجة الرجل و المرأة إلى الزينة على حدٍ سواء ولا معنى لتخصيص الرجل بها على ما ذهب إليه الشيخ الطوسي 0

وقد ذهب الطباطبائي إلى أن الخطاب في الآية الكريمة يشمل النساء بالتبع للرجال شرعاً لا لغةً ([3]) 0

3- قوله تعالى:﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ000﴾([4]) وهذه الآية كما وردت في بحث(خطاب العام و المراد به الخصوص) والتي ذكرنا تعدد آراء العلماء في المراد بلفظ (الناس) ، فكان أحد الآراء هو : النبي إبراهيم(عليه السلام) في حين كان رأي آخر يدل على أنه المراد بالناس سائر العرب و رأي آخر على أنه العلماء الذين يعلمون الدين 00 وهنا نجد اختلاف العلماء ،فمن قال بالرأي الأول يذهب إلى الخصوص ،ومن قال بالرأي الثاني يذهب إلى العموم ومن قال بالرأي الثالث فيذهب إلى الخصوص من جهة الرأي الثاني ،وإلى العموم من جهة الرأي الأول 0

وكذلك الحال في الآيات القرآنية التي اشتملت على هذا الموضوع 0

نتائج المبحث :

1- وجد البحث أن موضوع العام و الخاص قد بُحِثَ عند المتقدمين ضمن المدة الزمنية المحددة للبحث بصورة سطحية عامة ،حيث لم يستغرقوا جميع مباحثه بصورة مفصلة إلا غالباً في أنواع الخطاب القرآني 0

في حين كان بحثه عند المتأخرين أشمل و أوسع وخصوصاً عند الأصوليين 0

2- جاء الاختلاف واضح في أطلاق بعض المفسرين العام و الخاص على بعض المفردات القرآنية على الرغم من التوافق الواضح بينهم في أغلب الأمور 0

6- الراغب الأصفهاني\ المفردات \ 218 بتصرف

7- الطباطبائي\ الميزان\ 8\79 0

1- ظ: الطباطبائي\ الميزان\ 8\79 0

2- البقرة : 199 0

3- توصُل البحث إلى نوع من أنواع الخطاب القرآني لم يرد في كتب علوم القرآن عنواناً وإنما جاء متضمناً في تفسير الآيات القرآنية، وهو خطاب عطف العام المراد به الخصوص على الخاص 0

4- علم المجمل والمفصل

أ- المعنى اللغوي والاصطلاحي للمجمل

ب- المعنى اللغوي والاصطلاحي للمفصل

ج- موارد الإجمال والتفصيل في القرآن والسنة الشريفة

أولاً: الإجمال والتفصيل في القرآن الكريم

1- الإجمال والتفصيل المتصل
2- الإجمال والتفصيل المنفصل

ثانياً: الإجمال في القرآن الكريم وتفصيله في السنة الشريفة

4- علم المجمل و المفصل (المبيّن):

لا تخفى أهمية هذا العلم على كل من كتب في علوم القرآن؛ وذلك لأن المجمل و المفصل مفهومان قرآنيان يتصلان بالنص القرآني اتصالا مباشراً ، وينبثقان منه ،ولأن حمل المجمل على المفصل - ليفسر به قسم منه – يمثل صورة من صور المنهج القرآني – تفسير القرآن بالقرآن – الذي هو أحسن طرق التفسير و أرقاها ([1]) 0

ولكي تتضح الصورة أكثر حول هذا العلم يقوم البحث بإلقاء الضوء على أهم ما يتعلق به من مباحث مبتدءاً بالمعنى اللغوي و الاصطلاحي لكلا المصطلحين 0

أ- المعنى اللغوي و الاصطلاحي للمجمل :

1- المعنى اللغوي :

أن المجمل في اللغة يطلق على : الجمع و الضم ،والتجمع والتحصيل ،وعظم الخلق ،والكثرة ،والقوة0 وهو مأخوذ من الفعل الرباعي (أجْمَل – يُجْمل) :إجمالاً وتُجْملاً 0 و(أجْمَل) بمعنى : جَمَعَ ،وأجْمَلَ من (الجُمْله) و(الجُمله) : جماعة كلِّ شيء بكماله 0 ولعلّ الجملة اشتقت من (جملة الحبل) فجملة الحبل :حبال مجموعة0 وكذلك الجملة :ألفاظ مجموعة قال تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً000 ﴾([2]) أي مجتمعاً لا متفرقاً ([3]) 0

1- ظ: الزركشي\البرهان \2\175 +السيوطي\ الإتقان \2\177+ محمد حسين علي الصغير \ المبادئ العامة \ 92 0

2- الفرقان : 32 0

3- ظ: الفراهيدي \العين \ 6\143 + الجوهري\ الصحاح \ 4\1661 + الراغب الأصفهاني \مفردات ألفاظ القرآن \98 + ابن منظور \السان العرب \ 11\125

2- المعنى الاصطلاحي :

تعددت تعريفات العلماء لمصطلح (المجمل) وسوف يقتصر البحث على ذكر بعض منها

1- عرفه اللغويون بأنه : (الكلام الذي لم يبين تفصيله) و (المشتمل على جملة أشياء كثيرة غير ملخصة) ([1]) أي غير موضحه مبهمة 0

ومن خلال هذا التعريف نجد الصلة واضحة بين التعريف اللغوي و الاصطلاحي حيث أن (الأشياء الكثيرة) قد تأتي عن (جمع ، وضم) 0

2- عرفه المتكلمون بأنه: (المفتقر إلى بيان ،فلا يصح التعلق بظاهره) ([2]) أو هو (الذي يحتاج في تفسيره وتفصيله إلى بيان) ([3]) أو هو (ما أخذ بيانه من غيره ،ولا يدخل العقل في تفسيره ،فلا يعلم إلا بسمع وتوقيف) ([4]) 0

3- عرفه الفقهاء بأنه : (الخطاب الذي لا يدل على المراد بنفسه من غير بيان) أو هو (الخطاب الذي قصد به شيء معين واللفظ لا يعيِّنه) ([5]) أو هو (ما يفتقر فيه إلى بيان) ([6]) أو هو (الكلام الذي خفي المراد منه بحيث يحتاج إلى بيان لكشف معناه) ([7]) 0

ويبدو للبحث أن الفقهاء و المتكلمين متقاربين في المعنى الاصطلاحي حيث كانوا ناظرين إلى البيان 0 والأمثلة على المجمل عند الفقهاء كثيرة لأن أغلب آيات الأحكام مجملة وخاصة التي تتعلق بالفرائض 0 مثل قوله تعالى : ﴿ **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ** ﴾ ([8]) الذي بينته السنة الشريفة من حيث الأوقات وعدد الركعات والسجدات 0

4- عرفه المفسرون بأنه : (المحتاج في أثبات حكمه إلى دليل من غير) أو (هو الذي لا يلزم استعماله بورود اللفظ) ([9]) أو هو (ما لا ينبئ ظاهره عن المراد به مفصلاً) ([10]) أو هو : ما كان دالاً على معنيين بشكل متساوٍ ([11]) 0

ومما يبدو للبحث أن مجموع هذه التعريفات الاصطلاحية منطلقة عن الأصل اللغوي أو مرتكزة عليه بزيادة وتوسعه 0 ويؤيد ذلك قول السيد الخوئي : (ولا يخفى أن المجمل مستعمل في معناه اللغوي ،وليس للأصوليين فيه اصطلاح خاص) ([1]) 0

4- الراغب الأصفهاني \المفردات \ 98 0
5- المرتضى \الشافي في الإمامة\ 1\217 0
6- م 0 ن 0
7- الماوردي \أعلام النبوة \1\69 0
1- السيد المرتضى \رسائل المرتضى \ 2\282 0
2- ابن زهرة الحلبي\ غنية النزوع \146 0
3 – محمد القلعجي\ معجم لغة الفقهاء \406
4- البقرة : 43 0
5- الجصاص \ أحكام القرآن \ 1\333 0
6- الطوسي \ التبيان \1\5 + الطبرسي\ مجمع البيان \1\12 0
7- ظ: الفخر الرازي \التفسير الكبير\ 7\180 + المقداد السيوري \كنز العرفان \247 + صبحي الصالح \مباحث في علوم القرآن\ 308 + السيوطي الإتقان \ 2\18+ نصر حامد أبو زيد\ مفهوم النص دراسة في علوم القرآن \180 + البهائي \زبدة الأصول \55

ب- المعنى اللغوي و الاصطلاحي للمفصّل :

1- المعنى اللغوي:

الفصل هو: بونٌ مابين الشيئين (*)،وهو الحاجز بين الشيئين﴿ هَـٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ000﴾ ([2])
أي يوم يفصل بين المحسن و المسيء ،واليوم الفصل هو يوم القيامة (**) 0
والفَصْل :القضاء بين الحق والباطل ([3]) 0 والفَصْل :تمييز الشيء من الشيء وإبانته عنه،يقال فصلت الشيء فصلاً ،أي ميزته وأبنته ،وسمي اللسان (مفْصلا) لأنه به تفصل الأمور ، وتميّز ([4]) 0
وفصّل : بيَّن ،قال تعالى:﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلا000﴾ ([5]) أي :بيناه 0 وقوله تعالى:
﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ000﴾ ([6]) أي :ثم بيِّنَت ([7]) ، والتفصيل التبيين (*)
وقرأ عكرمة و الضحاك وابن كثير فيما روي عنه (ثم فصلت) بفتح الفاء والصاد واللام ويحتمل ذلك معنيين أحدهما فصلت أي نزلت إلى الناس كما نقول فصل فلان لسفره ونحو هذا المعنى 0
والثاني فصلت بين المحق والمبطل من الناس ([8]) 0
وهذا المعنى الأخير يقترب جداً من المعنى اللغوي الذي هو البون أو الحاجز 0
ونستخلص مما تقدم أن (المفصَّل) في اللغة هو (المبيَّن) مأخوذ من الفعل (فصَّل – يَفصِّلُ)فهو مُفَصَّل بصيغته أسم المفعول0قال تعالى:﴿ 00آيَاتٍ مُفَصَّلاتٍ000﴾ ([9])أي: مبينات

2- المعنى الاصطلاحي :

أ- عرفه اللغويون بأنه : (الكلام الذي يفهمه كل سامع عرف ظاهر كلام العرب) ([10]) 0
ب- عرفه البلاغيون بأنه : (هو صياغة الموضوع أو الفكرة بنحو يتبين من خلاله معالم الموضوع أو الفكرة بحيث تتضح أجزاؤه ،ومستوياته وحدوده بشكل مفصَّل) ([11]) ومن

8- الخوئي \محاضرات في أصول الفقه\ 5\386 0
***- الفراهيدي\العين\7\126**
9- الصافات : 21 0
****- ظ: ابن منظور\لسان العرب \11\521**
10- الفراهيدي\العين \7\126+ ظ: ابن منظور\ لسان العرب \11\521+ الزبيدي\تاج العروس\15\ 573
11- ابن فارس\ مقاييس اللغة \4\505
1- الإسراء : 12 0
2 – هود : 1 0
3- ظ: الراغب \ المفردات \381
***- الجوهري\الصحاح \5\1791+ابن منظور \لسان العرب\11\522 +الفيروز آبادي \4\31**
4- ابن عطية \ المحرر الوجيز\ 3\148 0
5– الأعراف : 133 0
6- ابن فارس \الصاحبي في فقه اللغة\ 74 0
7- محمود البستاني\ القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي\ 104 0

الأمثلة على المفصل قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ ([1]) حيث جاءت الآية تفصيلاً لما أُجمِل في الآية التي سبقتها وهي قوله تعالى : ﴿00 إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ ([2]) فـ (شَيْءٌ عَظِيمٌ)مجمل فُصِّل ووضح وبُيِّن في الآية 0

ج- عرفه الفقهاء بأنه : (الخطاب الدال على المراد بنفسه من غير بيان) أو (هو مازال أجماله بورود بيانه) ([3]) أو هو – المفصل – (المستغني عن البيان) ([4]) أو (هو الكلام الذي يفهم منه مراد المتكلم عند الإطلاق) ([5]) 0

والذي يبدو من هذه التعريفات أنها متقاربة في المعنى وأن اختلفت صياغتها اللفظية فهي تكاد تتفق على أن المفصَّل هو: (الخطاب الذي يفهم المراد منه عند الإطلاق؛لكونه متضح الدلالة،فاستغنى بذلك عن البيان) ([6]) 0

د- عرفه المفسرون بأنه : (ما ينبئ ظاهره عن المراد به مفصَّلا) فالمفصل نقيض المجمل ([7]) أو هو :(ورود لفظٍ،أو فعل لأحد محتملات المجمل) ([8]) أو (هو نوع يُظهَر يُظهَر به المراد من اللفظ ،ويسمى بياناً) ([9]) وعرفه بعضهم بأنه: البيان الذي يرد على المجمل بقوله : (إن المجمل أذا ورد عليه بيان ،سمي مفصَّلاً أو مفسَّرا ، أو مبيَّناً) ([10]) 0

ويتضح مما تقدم أن المفصل هو بيان للمجمل بإظهاره المراد من اللفظ أو يبين أحد محتملاته،وهو بذلك يعد بياناً خاصاً؛كونه بياناً لمجمل سبقه ويؤكد ذلك السيد المرتضى([11])

وبملاحظة التعريفات الأنفة الذكر يتضح أن التعريف الاصطلاحي للمفصَّل موافقاً لمفهومه في اللغة إلا أنه أضيف 0 حيث أنه في اللغة يعد بياناً عاماً ينطبق على أنواع البيان كلها ،أما من حيث الاصطلاح فهو بياناً خاصاً كونه متعلقاً بالمجمل الذي يرد عليه فيزيل الإجمال عنه ([12]) 0

8- الحج : 2 0
9- الحج : 1 0
10- المرتضى \رسائل المرتضى \2\ 282 0
11- الشهيد الأول\ الذكرى\ 3 0
12- محمد القلعجي\معجم لغة الفقهاء\ 401 0
1- سكينة عزيز\ المجمل والمفصل في القرآن الكريم دراسة موضوعية\ 74 0
2- الطوسي\ التبيان\ 1\5 + الطبرسي\ مجمع البيان\1\12+ ابن عطية الأندلسي \المحرر الوجيز\3\148+البهائي\ زبدة الأصول\ 145
3- المقداد ألسيوري\ كنز العرفان\1\48 0
4- الزركشي\ البرهان \2\215 0
5- صبحي الصالح\ مباحث في علوم القرآن\ 308 0
6- المرتضى \رسائل المرتضى\ 2\264 0
7- ظ: سكينة عزيز\ المجمل والمفصل في القرآن الكريم دراسة موضوعية\ 77 0

ج- موارد الإجمال و التفصيل في القرآن والسنة الشريفة :

أولاً- الإجمال و التفصيل في القرآن الكريم :

والتفصيل في هذا النوع يكون من داخل النص القرآني بالصيغة اللفظية ،وهو صورة من تفسير القرآن بالقرآن الذي هو أرقى طرق التفسير ،فما أجمل في مكان ،قد فصِّل في مكان آخر ، فيحمل المجمل على المفصل لتفسيره ،أي : تجمع الآيات التي تكررت في حادثة ،أو قضية معينة – من هذا الباب – ثم تقابل تلك الآيات ،فيستعين المفسر بالآية على فهم أختها ([1]) 0

وتعد دلالة السياق من أعظم القرائن التي ترشد إلى تفصيل المجمل،وتدل على المراد من كلام الله تعالى([2])0وكيف لا يكون القرآن بياناً وتفصيلاً لنفسه إن كان هو بيان وتفصيل لغيره 0

والتفصيل القرآني (محكم) فيرجع إليه لفهم (المجمل) وتفسيره وتفصيله ،والآيات القرآنية الكريمة حين يُفصّل بعضها بعضا تكون من قبيل (القرائن اللفظية) التي يستعان بها على

فهم النص القرآني وإظهار المراد من لفظه([3]) 0

ولكون تلك القرائن تكون متصلة ومنفصلة فلقد تم تقسيم التفصيل القرآني إلى قسمين هما :

1- الإجمال و التفصيل المتصل :

ويقصد به أن ما أُجمل في القرآن يأتي تفصيله ببيان متصل بعده مباشرة في الآية نفسها0 وسوف نورد نماذج من هذا النوع مع ذكر آراء العلماء فيها:

أ- قوله تعالى: ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ ([4]) والآيات البينات هي :مقام إبراهيم ([5]) وقد أورد الزمخشري إشكالا حول تفسير (الآيات) بـ (المقام) وهو: كيف صح بيان الجماعة بالواحد؟ وقد كان ردّه لهذا الإشكال من وجهين :

1- أن يجعل (المقام) وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله ونبوة إبراهيم،كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً000﴾ ([6]) 0

2- اشتماله على آيات لأن أثر القدم في الصخرة الصماء آية ،وغوصه فيها إلى الكعبين آية،وإلانة بعض الصخور دون بعض آية 000 ألخ 0

8- ظ : محمد حسين علي الصغير\ المبادئ \ 81 0

9- ظ: الزركشي \البرهان \ 1\199 0

1- ظ: الزركشي\البرهان \2\215 +علي الأوسي\ الطباطبائي ومنهجه في تفسير الميزان \ 125

2- آل عمران : 97 0

3- ظ: الطبري \جامع البيان\ 2\603 +الطوسي\التبيان \2\537 + الزمخشري\ الكشاف\1\415 +البغوي\معالم التنزيل \1\325 +الطبرسي\مجمع البيان \2\607 +القرطبي\ الجامع لأحكام القرآن \4\139 + السيوطي\ الدر المنثور \2\269 + السبزواري\ ذخيرة المعاد\1 ، ق3 \ص548 0

4- النحل : 120 0

وأضاف أنه يجوز أن يراد فيه آيات بينات مقام إبراهيم ،وأمن من دخله ؛لأن الاثنين نوع من الجمع كالثلاثة و الأربعة 0 ويجوز أن نذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرها، دلالة على تكاثر الآيات ،كأنه قيل : آيات بينات مقام إبراهيم،وأمن من دخله ،وكثير سواهما ([1]) ويقارب هذا الرأي ما ذكره العلامة الطباطبائي بقوله: أن (الآيات) في الآية مجملة وإن وصفت بـ(البينات) كون هذا الوصف تخصصاً ما في الموصوف ولا يقوم بالبيان 0 وقد فصّلت (الآيات) بما بعدها من السياق القرآني في جمل ثلاث هي:

1- قوله تعالى (مقام إبراهيم) وتقديره (فيه مقام إبراهيم) أو (هي مقام إبراهيم،وهو الحجر الذي عليه أثر قدمي إبراهيم الخليل (عليه السلام) ([2]) 0
2- قوله تعالى ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ سواء كانت جملة خبرية أو إنشائية 0
3- قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ 000﴾ 0

فبهذه الجمل الثلاث بُيِّنت (الآيات) وأعطت فائدة البيان وإن سيقت لغرض خاص بها من إخبار أو إنشاء حكم ([3]) 0

أما الشريف الرضي فقد أورد في الجواب على هذا الإشكال ما يأتي :

أ- رواية عن ابن عباس : أنه قرأ (فيه آية بينة مقام إبراهيم) فجعل البدل وهو(مقام) على حد المبدل وهو (آية) 0 فيسقط هذا الإشكال على هذه القراءة 0
ب-قال قائلون :المعنى (منها مقام إبراهيم) وهنا يكون على نحو بدل بعض من كل وبه يسقط الإشكال 0
ج- وقال بعضهم :معنى فيه آيات بينات أي علامات ظاهرات،وهي المناسك والشعائر التي بين الله للناس مواضعها 0
د- وقيل أن المراد بمقام إبراهيم أكرم كله، لا الموضع المخصوص من الصخرة التي أثر فيها قدمه ،إذ المقصود بمقام إبراهيم في تأويل الجمع ،وتقديره مقامات إبراهيم،إلا أنه قال مقام لأن المصدر بمعنى الجمع ([4]) 0

ب- قوله تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ 000﴾ ([5]) فقوله تعالى(**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ**) قول مجمل ؛ لأنه سبحانه وتعالى لم يبين ما أوصى به

5- ظ: الزمخشري \الكشاف\ 1\415 0
6- ظ الصدوق\ الهداية\ 234+الطريحي \مجمع البحرين\ 3\563 +الطباطبائي\الميزان\ 3\ 404
1- ظ : الطباطبائي \ الميزان \3\403-405 0
2- ظ: الشريف الرضي\حقائق التاويل\179-181 0
3- النساء : 11 0

،ومن ثم جاء بعد ذلك تفصيل هذا الخطاب بقوله تعالى(للذكر مثل حظ الأنثيين) فقد بين المجمل ([1]) 0
ومن خلال هذه الآية يتضح جلياً أثر المجمل و المفصل في استنباط الحكم الشرعي،حيث كان في الجاهلية يمنع توريث النساء ([2]) ،فجاء هذا التفصيل ليبن الحكم الشرعي في توريث النساء أولاً ، ومن ثم في تحديد نصيب المرأة حسب موقعها كأم أو بنت أو زوجة 000 ألخ 0
ففي الآية محل البحث يكون نصيب الذكر سهمان والبنت سهم مهما كان عدد الأولاد ([3])0

ج - قوله تعالى: **﴿00وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ00 ﴾**([4])فقوله تعالى(**الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ**)مجمل،فسره قوله تعالى(**مِنَ الْفَجْرِ**) وهو بيان متصل ([5])0و(من) بيانية ،أي بينت الخيط ،والخيط الأبيض هو الفجر الصادق([6])0
وقد سمي هكذا لصدقه فيما يحكيه ويخبر به من قدوم النهار واتصاله بطلوع الفجر ([7]) 0
ويجوز أن تكون (من) للتبعيض ؛لأنه بعض الفجر وأولّه وليس كله([8]) 0
ويؤكد الزمخشري أن الأسلوب البياني في هذه الآية هو من باب التشبيه لا الاستعارة ،حيث إن قوله تعالى(من الفجر) قد أخرجه من باب الاستعارة إلى التشبيه ،كما لو قلت: رأيت أسداً مجازاً ، فأن زدت(من فلان) رجع تشبيهاً 0
وقد جاء البيان هنا من باب التشبيه لا الاستعارة مع أن الثاني أبلغ وأدخل في الفصاحة ؛ لأنه من شرط المستعار أن يدل عليه الحال أو الكلام وبمجرد ذكر الخيطين فلا يحصل العلم بالاستعارة لولا ذكر (من الفجر) الذي أصبح تشبيهاً بليغاً وخرج من أن يكون استعارة ([9]) 0

2- الإجمال والتفصيل المنفصل :

4- - ظ: الطوسي\التبيان \3\129 + الطبرسي\ مجمع البيان \3\215 + المقداد السيوري\كنز العرفان \2\437 + الطباطبائي \الميزان\4\215 0
5- ظ: الطباطبائي \الميزان\4\213 0
6- ظ: المحقق الأردبيلي\ زبدة البيان \645 0
7- البقرة : 187 0
1- ظ: الطوسي \التبيان\ 3\135 +الزمخشري\ الكشاف\1\232 +القرطبي\ الجامع لأحكام القرآن \2\230 + الزركشي \البرهان \2\136 0
2- ظ: الطوسي \التبيان \3\125 + الطبرسي \مجمع البيان \2\364 0
3- الطباطبائي \الميزان \2\48 0
4- الزمخشري \الكشاف \1\257 + الطوسي \التبيان \2\131 0
5- ظ: الزمخشري \الكشاف \1\257-258 0

ويقصد به أن ما أجمل في القرآن يأتي تفصيله ببيان منفصل عنه،وهذا البيان قد يكون في السورة نفسها مع المجمل ،أو منفصلاً عنه في سورة أخرى([1]) 0 ولهذا فقد تم تقسيم هذا النوع إلى قسمين:

أ- التفصيل المنفصل عن المجمل في السورة نفسها: وهنا قد يكون التفصيل في آية أخرى بعد المجمل مباشرة، أو بعد فاصل بينهما كما يأتي :

1- قوله تعالى : ﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ** ﴾([2])فالحطمة لفظ مجمل ،وقد فسر ببيان منفصل عنه في نفس السورة بعده مباشرة وهو قوله تعالى: ﴿ **نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ** ﴾([3]) فالاستفهام في في الآية الأولى جاء للتفخيم والتهويل والتعظيم ([4]) 0(حتى كأنها ليست مما تدركه العقول وتبلغه الأفهام) ([5]) فهنا التفصيل جاء منفصلاً عن المجمل ولكن بعده مباشرة بآية أخرى من نفس السورة ([6]) وقد أضاف الله تعالى (النار) إلى نفسه ؛ليعلم أنها ليست كسائر النيران ([7]) 0

فالقرآن الكريم بيّن أن (الحطمة) هي من أسماء جهنم ([8]) 0

2- قوله تعالى: ﴿ **00أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ 000** ﴾ ([9]) فأن حليّة أكل لحوم الأنعام في هذه الآية قول مجمل ؛لأنه أستثنى منه مجمل مجهول([10])0 وهو قوله تعالى (ما يتلى عليكم) أي ما يقرأ عليكم تحريمه في القرآن ([11]) فأنه ليس بحلال0 فسرى الإجمال إلى الحلية (الإباحة) في صدر الآية ؛لأن (استثناء المجهول من المعلوم يعود بالإجمال على أصل الكلام) ([12]) ثم فصّل هذا الإجمال ببيان واضح في آية أخرى من السورة نفسها([13]) وهي قوله تعالى:﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ 000** ﴾ ([14]) فالآية استثنت من المحللات عشرة من المحرمات ([15]) 0

6- ظ: الزركشي \البرهان \2\188 0
7- الهمزة : 5 0
8- الهمزة : 6 0
9- ظ: الطبري\جامع البيان\ 3\378+الطوسي \التبيان\10\408+الطبرسي\مجمع البيان \10 \688
10- الشوكاني \فتح القدير \5\494 0
1- ظ: الطبري\جامع البيان \3\378 + الطوسي\ التبيان \10\ص408 +الطبرسي\ مجمع البيان \10\688 + القرطبي\الجامع لإحكام القرآن\ 20\185
2- ظ: الطبرسي\مجمع البيان \10 \688 0
3- الطباطبائي\ الميزان\ 20\414 0
4- المائدة : 1 0
5- ظ: محمد حسين علي الصغير \ المبادئ\ 93 0
6- الطبرسي\مجمع البيان \3 \ 0
7- الزركشي \البرهان\2\136 عن الشافعي 0
8- ظ: محمد حسين الصغير \ المبادئ\166 0
9- المائدة : 3 0
10- ظ: الطباطبائي \الميزان \5\166 0

وهكذا يتضح أن الآية الأولى من سورة المائدة مجملة وقد فصلتها – ببيان منفصل عن المجمل بآية واحدة – وهي قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ 000﴾ ([1]) الآية الثالثة من السورة نفسها 0

ب- التفصيل المنفصل عن المجمل في سورة أخرى :

1- قوله تعالى: ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ 000﴾ ([2]) قيل أن هذه الآية مجملة وذلك في كون نفي الإدراك يعني نفي الرؤية أصلاً أم نفي الإحاطة والحصر دون أصل الرؤية ([3]) 0

وأختار بعض العلماء بأن المراد هو نفي الرؤية أصلا مستدلين بذلك بقوله تعالى:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ([4]) فقالوا أن هذه الآية وقوله تعالى﴿ كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾([5]) مفصلات لقوله تعالى (لا تدركه الأبصار) فاختاروا معنى الرؤية بالعين ([6]) 0

وسوف يورد البحث أقوال العلماء في معنى الإدراك الوارد في الآية الشريفة

1- معناه : لا تحيط به الأبصار لأنه أعظم من أن تدركه الأبصار 0 وهو يحيط بها 0

وأستند أصحاب هذا الرأي إلى قوله تعالى﴿ 00حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ 000﴾ ([7]) فوصف الله أن الغرق أدرك فرعون ،والغرق مما لا يوصف بأن رآه ولا يجوز وصفه بأنه مما يرى شيئاً0ولذلك فقد استبعدوا تفسير قوله تعالى (لا تدركه الأبصار) بمعنى :لا تراه([8]) 0 0

2- معناه : لا تراه الأبصار وهو يرى الأبصار، أي لا يراه شيء وهو يرى الخلائق ومعنى الإدراك في هذا الموضع هو :الرؤية 0 وأنكروا أن يكون الله يُرى بالأبصار في الدنيا والآخرة،ومعنى قوله تعالى :(إلى ربها ناظرة) أي انتظارها رحمة الله وثوابه0 وقد علل أصحاب هذا الرأي رأيهم بعدة تعليلات منها :

أ- تأويل الروايات الواردة عن الرسول (صلى الله عليه وآله) برؤية أهل الجنة ربهم يوم القيامة بتأويلات 0

ب- أنكر بعضهم مجيء هذه الروايات 0

ج- استندوا إلى العقل في استحالة جواز الرؤية 0 حيث قالوا إن أبصارهم لا ترى إلا مابين أعينهم فهي لا ترى ما يلاصقها ، فإذا كانت الأبصار ترى ربها يوم القيامة وجب أن يكون الله محدوداً ،وهذا وصف بالتجسيم، وكذلك قالوا أن الأبصار تدرك الألوان كما

11- المائدة : 2 0

12- الأنعام : 103 0

13- ظ: الزركشي \البرهان \2\136 0

14- القيامة : 22-23 0

1- المطففين : 15 0

2- ظ: الطبري \جامع البيان \7\396 +ابن عطية الأندلسي\ المحرر الوجيز \3\330 0

3- يونس : 90 0

4 – ظ: الطبري\جامع البيان \7\396 + ابن الجوزي \زاد المسير \3\67 0

تدرك الأسماع الصوت 0ولما كان غير جائز أن يوصف الله تعالى بأنه ذو لون كان غير جائز وصفه بأنه مرئي ([1]) 0

3- معناه لا تدركه أبصار الخلائق في الدنيا ،وأما في الآخرة فإنها تدركه0 وهنا يكون معنى الإدراك هو الرؤية ؛ لأنه الرؤية هي أحد مصاديق الإدراك ،فقالوا إن قوله تعالى وجوها يومئذ إليه ناظرة محال أن تكون إليه ناظرة وهي له غير مدركة رؤية ،وإن كانت الرؤية جزئية أي غير محيطة بأجزائه كلها ([2]) 0

وعلى هذا الأساس يعتبر أصحاب هذا الرأي أن قوله تعالى(لا تدركه الأبصار)على نحو الخصوص من حيث أنه لا تدركه أبصار الظالمين في الدنيا و الآخرة ،وتدركه أبصار المؤمنين وأولياء الله 0وأستفادوا بذلك من قوله تعالى﴿ كَلَا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ويقصد به حجب الفجار عن رؤيته تعالى خزياً لهم ،وهو دليل على ثبوت الرؤية للأبرار ([3])0 وكذلك ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال : إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر، وكما ترون الشمس ليس دونها سحاب فالمؤمنون يرونه ،و الكافرون عنه يومئذ محجوبون وهذا ما أختاره الطبري([4])0

4- وقال آخرون إن الآية على العموم ، ولن يدرك الله بصر أحد في الدنيا و الآخرة ولكن الله تعالى يحدث لأوليائه يوم القيامة حاسة سادسة سوى حواسهم الخمس فيرون بها0 وعلة هذا التعريف هي: أن أخبار الله لا تتباين ولا تتعارض ،وقد أخبر الله بنفي إدراكه بالأبصار من غير أن يدل بآية أخرى على خصوصها ،وأخبر في موضع آخر بأن وجوهاً إليه يوم القيامة ناظرة، وكلا الخبرين صحيح معناه على ما جاء به التنزيل0 وهؤلاء أيضاً استندوا برأيهم على العقل بأنه :أن جواز رؤية الله في الآخرة بأبصارنا وأن زيد في قواها يوجب رؤيته في الدنيا وأن ضعفت قواها؛ لأنه كل حاسة خلقت لأدراك معنىً من المعاني وأن ضعفت كل الضعف ما لم تُعدم ،فلو كان البصر يدرك صانعه في وقت من الأوقات وجب أن يدركه في الدنيا ويراه فيها وإن ضعف0 ولما كان ذلك غير موجود في الدنيا كان غير جائز أن يكون في الآخرة، ولما كان ذلك كذلك ،وقد أخبر الله بأن وجوهاً في الآخرة تراه غير جائز أن يكون خبره إلا حقاً ([5]) 0

وربما عبر بعضهم عن هذه الحاسة السادسة بالرؤية بعين القلب والبصيرة أي لم تره العيون 0بمشاهدة العيان ، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان ([6]) 0

أما الشيخ الطبرسي فيفصل القول في قوله تعالى: (000إلى ربها ناظرة) على وجهين هما :

1- معناه نظر العين 0

2- إنه الانتظار 0

5- ظ: الطوسي\التبيان \10\189

6- ظ: ابن تيمية \دقائق التفسير\2\125 0

7- ظ: الطبري \جامع البيان\7\394 + علي الخاقاني \رجال الخاقاني\302 + ألصالحي الشامي\\سبل الهدى والرشاد\ 3\57 + ابن عطية الأندلسي\المحرر الوجيز\2\330 0

1- ظ: الطبري \جامع البيان \7\396 0

2- ظ: الطبري \جامع البيان\7\394 0

3- ظ: علي سعادات \سر ألأسرار في شرح حديث المعراج\1\193 0

أما الوجه الأول فيحتمل معنيين هما :

أ- قيل إلى ثواب ربها ناظرة،أي هي ناظرة إلى نعيم الجنة حالا بعد حال0 وهذا ما أختاره القمي بقوله: (إلى ربها ناظرة : أي ينظرون إلى وجه الله أي إلى رحمة الله ونعمته) ([1]) ، ويجوز الشيخ الطوسي هذا الرأي؛ لأن الثواب الذي هو أنواع اللذات من مأكول ومشروب 00ألخ تصح رؤيته([2]) 0

ب- إن النظر بمعنى الرؤية،أي تنظر إلى الله معاينة ،وهذا ما أختاره ابن عطية الأندلسي بقوله: (يقصد بتعدية النظر لمعنى الرؤية لا لمعنى الانتظار على ما ذهبت إليه المعتزلة) ([3]) والطبرسي لا يجوز هذا الرأي ،أي الرؤية ؛لأن كل منظور بالعين مشار إليه بالحدقة واللحاظ ، وتعالى الله سبحانه عن ذلك ،وقد أورد عدة ردود على أصحاب هذا الرأي([4]) 0 0

وأما الوجه الثاني وهو حمل الآية على الانتظار فقد أختلف العلماء على أقوال :

أ-أن المعنى منتظرة لثواب ربها 0وهو مروي عن مجاهد والحسن وسعيد بن جبير والضحاك، وهو المروي عن الإمام علي (عليه السلام) ([5]) 0وهذا ما أختاره الشيخ الطوسي بقوله: (إلى ربها ناظرة : معناه منتظرة نعمة ربها وثوابه أن يصل إليهم) ([6]) والذي أستند بذلك إلى قوله تعالى:﴿ **وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ** ﴾([7]) أي منتظرة بم يرجع المرسلون ([8]) 0

ب- أن معناه مؤملة لتجديد الكرامة كما يقال : عيني ممدودة إلى الله تعالى ،وإلى فلان ،ولما كانت العيون بعض أعضاء الوجه ،أضيف الفعل الذي يقع العين إليها 0وإلى هذا يذهب الزمخشري بقوله: (إلى ربها ناظرة: تنظر إلى ربها خاصة لا تنظر إلى غيره0فأن المؤمنين نظارة ذلك اليوم لأنهم الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون،فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظوراً إليه : محال 0 فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص ،والذي يصح معه أن يكون من قول الناس : أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي ،تريد معنى التوقع والرجاء0

والمعنى أنهم لا يتوقعون النعمة والكرامة إلا من ربهم كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون إلا إياه)([9]) 0

4- القمي \تفسير القمي\2\397 0
5- ظ: الطوسي\ التبيان\ 10\199 0
6- ابن عطية الأندلسي \ المحرر الوجيز\2\330 + ابن الجوزي \زاد المسير\8\138 0
7- ظ: الطبرسي \مجمع التبيان \ 10 \198 0
1- الصدوق \عيون أخبار الرضا (عليه السلام)\ 1\115 + التوحيد \262 0
2- الطوسي \التبيان \ 10 \189 0
3- النمل : 35
4- ظ: الطوسي \التبيان \10 \199 + الطبرسي\الاحتجاج \1\362 0
5- الزمخشري \الكشاف\4\663 0

ج- أنهم قطعوا آمالهم وأطماعهم عن كل شيء سوى الله تعالى ووجوده دون غيره ،فكنى سبحانه عن الطمع بالنظر ([1])0وقيل أن هذا الانتظار يكون بعد الاستقرار في الجنة ،وقيل ،وقيل أنه قبل استقرار الخلق في الجنة و النار ،فكل فريق ينتظر ما هو له أهل،وهذا اختيار القاضي عبد الجبار ([2]) 0

ويجد البحث أن القول الأول – بعد الاستقرار في الجنة – أولى وأصح ؛لأنه سياق الآية يدل على ذلك بما سبقه بقوله تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة) وهذه الوجوه هي وجوه المؤمنين الناعمة ([3]) ،والحسنة الجلية([4]) ،المسرورة المضيئة بيض يعلوها نور ([5]) ،أي ،أي أهل الجنة 0

ويذكر جمهور أهل العدل أن النظر يجوز أن يحمل على المعنيين (نظر العين ،والانتظار) فكأنه سبحانه أراد أنهم ينظرون إلى الثواب المعد لهم في الحال من أنواع النعم، وينتظرون أمثالها حالا بعد حال ليتم لهم ما يستحقونه من الإجلال ([6]) 0

استنتاج :

بعد استقراء البحث لآراء هؤلاء العلماء مع أدلتهم في المراد من قوله تعالى (لا تدركه الأبصار) و (وجوه يومئذ ناظرة 0 إلى ربها ناظرة) وجد أن من قال:النظر بمعنى الرؤية بالعين فهو يذهب إلى قوله تعالى (إلى ربها ناظرة)بيان لقوله (لا تدركه الأبصار)وذلك لأنه الإدراك أذا قرن بالبصر أفاد الرؤية ، فلا يقال أدركت ببصري شيئاً ولم أره ([7]) 0

وأما من قال بأن النظر معناه : النظر لثواب الله أو انتظاره فهؤلاء لا يذهبون للقول بالبيان ، وذلك إن الله سبحانه وتعالى ليس بمرئي ،وهي أحدى صفاته سبحانه وتعالى التي (ما لفظه ومعناه النفي) وقد استفادوا ذلك من قوله تعالى(لا تدركه الأبصار)ووجه الاستفادة أنه تمدح بنفي الرؤية ،وكل صفة تمدح بها فإثباتها نقص 0 وكذلك استفادوا من قوله تعالى في قصة موسى(عليه السلام) جواباً لسؤال الرؤية: ﴿ 00لَن تَرَانِي 000﴾ ([8]) ولن لنفي الأبد0 وكذلك ما روي من الأحاديث الصريحة في نفي الرؤية([9]) ([10])0

2- قوله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ 000﴾ ([11]) وهذه الآية تتحدث عن نزول القرآن في شهر رمضان على الإجمال

6- ظ: الطبرسي\ مجمع البيان \10 \200
7- م 0 ن 0
8- الزمخشري\ الكشاف \4\247 0
9- الطبري \جامع البيان\29\237 + الطبرسي\مجمع البيان\10\196 0
10- القمي \تفسير القمي\2\397+ الطوسي \التبيان \10\189 0
11- الطبرسي\مجمع البيان \10\200 0
1- ظ: المحقق الحلي \المسلك في أصول الدين\ص56 0
2-الأعراف : 143 0
3- ظ: الصدوق \التوحيد \121 0
4- ظ: المحقق الحلي\المسلك في أصول الدين\56 0
5- البقرة : 185 0

([1]) وقوله تعالى:﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ ([2]) مبين ومفصل لما أجمل أجمل في الآية السابقة حول ليلة نزول القرآن بالتحديد ،بأن جعلها ليلة مباركة0 وقيل جعلت مباركة لأنها كثيرة الخير لما يتيح الله فيها من الأمور التي يتعلق بها منافع العباد في دينهم ودنياهم ،ولو لم يوجد فيها إلا أنزال القرآن وحده لكفى به بركة([3]) 0 وقيل لأن فيها يُقسّم الله تعالى نعمه على عباده من السنة إلى السنة، والبركة نماء الخير،فالليلة التي أنزل بها كتاب الله مباركة([4]) 0 وهذه الآية – في ليلة مباركة – سكتت عن تعيين تلك الليلة 0 فأختلف أهل التفسير في تعيين تلك الليلة وقيل :

أ- هي ليلة القدر، عن ابن عباس وقتادة وابن زيد، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليه السلام)0

ب- هي ليلة النصف من شعبان ،ولها أربعة أسماء : الليلة المباركة،وليلة البراءة ،وليلة الصك ،وليلة الرحمة 0 وقيل بينهما وبين ليلة القدر أربعون ليلة 0وقيل في تسميتها ليلة البراءة والصك أن البندار أذا استوفى الخراج من أهله كتب لهم البراءة كذلك الله عز وجل يكتب لعباده المؤمنين البراءة في هذه الليلة ([5]) 0

ويختار معظم المفسرين بل أغلبهم الرأي الأول وذلك لرجاحة الأدلة عليه وهي :

1-لقوله تعالى ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ 000﴾ ([6]) فتعين أن تكون الليلة في شهر رمضان وليس في شهر شعبان 0وليلة القدر في أكثر الأقاويل في شهر رمضان ([7]) ([7])

2-لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ ولمطابقة قوله تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾([8]) ولقوله تعالى ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾([9])([10])

3-لورود الروايات التي تؤكد فيها أنها ليلة القدر 0 منها حدثني موسى قال: ثنا عمر وقال000عن السّدي (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) ،أما أنزل فيه القرآن ،فأن ابن عباس قال: شهر رمضان0والليلة المباركة: ليلة القدر،فأن ليلة القدر هي الليلة المباركة، وهي من رمضان ([11]) 0

6- محمد حسين الصغير \مصطلحات أساسية في حياة علوم القرآن\ مجلة مآب\10 0

7- الدخان : 3 0

8- ظ: الزمخشري \الكشاف\3\499 +عبد الرحمن بن ناصر السعدي\تيسير الكريم الرحمن في كلام المنان\771+ الصالحي الشامي\ سبل الهدى و الرشاد\ 1\50 0

9- ظ: الطوسي\التبيان\9\223 0

1- ظ: الطبري\جامع البيان\25\138 +الطوسي\التبيان\9\223+ الزمخشري \الكشاف\3\499 - 500+ الطبرسي\مجمع البيان\9\101 +ابن الجوزي\زاد المسير \7\111-112 + الشوكاني \فتح القدير\ 4\572

2 البقرة : 185 0

3- الطوسي\\التبيان \9\223 +الزمخشري\الكشاف\3\500 0

4- الدخان : 4 0

5- القدر : 4 0

6- الزمخشري \الكشاف \3\500 0

7- الطبري \جامع البيان \2\197 0

ومنها : حدثني يونس ،قال :أخبرنا ابن وهب ،قال ابن زيد في قوله عز وجل: أنا أنزلناه في ليلة مباركة00قال: تلك الليلة ليلة القدر ([1]) 0
ومنها : عن حمران أنه سأل أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله عز وجل : إنا أنزلناه في ليلة مباركة 0قال (نعم ،هي ليلة القدر 0وهي في كل سنة من شهر رمضان في العشر الأواخر ،فلم ينزل القرآن إلا في ليلة القدر) ([2]) 0
أما الرأي الثاني – بأنها ليلة النصف من شعبان – فتذكر رواية فيها أشارة إلى أن المقصود بالليلة المباركة هي ليلة النصف من شعبان وهي:إخراج ابن زنجويه والديّلمي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : (تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان حتى أن الرجل لينكح ويولد له وقد خرج أسمه في الموتى)([3]) إلا أن هذا الحديث مرسل ولا تقوم به حجة ،ولا تعارض بمثله صرائح القرآن 0 وقد أورد ذلك السيوطي في الدر المنثور ،وأورد ما ورد في فضل ليلة النصف من شعبان وذلك لا يستلزم أنها المراد بقوله في ليلة مباركة ([4]) 0
وبذلك يكون قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**﴾ الآية التي بيّن أن فيها نزل القرآن العظيم ([5]) 0

ثانياً – الإجمال في القرآن الكريم و تفصيله في السنة الشريفة :

يتفق الباحثون على أن جميع ما ورد في القران الكريم من مجمل قد بُيّن و فُصّل في مكان آخر ، سواء كان في القرآن نفسه كما أسلفنا أم في السنة النبوية الشريفة0 (فما أجمل في مكان فانه قد فسّر في مكان آخر 000 فان أعياك ذلك فعليك بالسنة ،فإنها شارحة للقرآن ،وموضحة له)([6])
ويؤكد الشيخ الطوسي على إن بعض المجمل ألقرآني كقوله تعالى ﴿ **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ 000**﴾ ([7])لا يمكن تفصيله ببيان أعداد الصلاة ،وعدد ركعاتها ، إلا ببيان النبي (صلى الله عليه وآله) ووحي من جهة الله تعالى، فتكلف القول في ذلك خطأ ممنوع منه ،يمكن أن تكون الأخبار متناولة له([8])0
ويؤكد ذلك أستاذنا الدكتور الصغير بقولة :(وأما ما ورد في القرآن إجماله ، فتبيينه مختص بالسنة القولية أو العملية أو التقريرية ،وليس لأحد أن يضيف إلى ذلك ما ليس منه لأنها مسائل توقيفية غير خاضعة للاجتهاد ولا قابلة للتأويل)([9]) 0

8- م0ن \25\138
9- الكليني\ الكافي\4\157 + المجلسي \بحار الأنوار \97 \19 + محمد باقر الملكي\ توحيد الإمامية \359 0
10- المتقي الهندي\كنز العمال\15\694+ الثعالبي\تفسير الثعالبي\4\135 0
11 – الشوكاني \ فتح القدير \4\572 0
1- محمد حسين علي الصغير \مصطلحات أساسية في حياة علوم القرآن\10 0
2- أبن تيمية\مقدمة في أصول التفسير\ 93 0
3- البقرة : 43 0
4- ظ: الطوسي \التبيان \1\605 + الطبرسي\ مجمع البيان\ 1\ص123 0
5- محمد حسين الصغير \المبادئ العامة \29 0

وقد صرح القران الكريم في لزوم اعتماد كلام النبي محمد (صلى الله عليه وآله) في بيان معاني القران الكريم ، حيث قال:﴿ 00وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ 000﴾([1])وقال 000﴾([1])وقال ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ 000﴾([2]) وقال﴿ 00وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا 000﴾ ([3]) 0فالسنة النبوية هي التي تفصّل مجمل القرآن الكريم ([4]) وتفصيله أمر ممتنع ، ما لم يكن بتوسط السنة ([5]) 0

وقد أكد الرسول (صلى الله عليه وآله) هذا المعنى واصّله ،فقد روي عنه ،انه قال ((ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه)) ([6]) يعني السنة ([7]) 0

ولاشك إن السنة القطعية الصدور عن النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل البيت (عليهم السلام) هي عدل القرآن في تفصيل مجملاته ،وهي ثابتة على الناس ،ولا يجوز التعدي منها إلى غيرها ،إلا انه يجب الحيطة في دراسة مصدرها وسندها والتثبت من صحتها وصدورها ،فالاحتياط سبيل النجاة ([8]) 0

ولقد تكفل البيان النبوي الشريف بتفصيل المجمل القرآني ،وإن لم يصل بعضه إلينا ،وبعضه جاء متفرقا في متون كتب الحديث ،ولكن باعتماد البيان الصادر عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام)المنقول عنهم بالرواية الصحيحة الثابتة ؛ وذلك لأن(قولهم حجة ،كقول النبي (صلى الله عليه وآله)([9])لما تواتر من وصية الرسول (صلى الله عليه وآله) فيهم : ((إني تارك فيكم ما تمسكتم به ،لن تضلوا بعدي ،أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما))([10]) 0يكون البيان النبوي قد غطى كل مجمل قرآني ([11]) 0

وفيما يأتي نذكر نموذج من المجمل القرآني وقد فصلته السنة النبوية الطاهرة :

قال تعالى ﴿ 00وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ 000﴾([12]) فالحق في الآية الكريمة مجمل ؛لأنه لا ينبئ

ظاهره عن المراد به مفصلاً ([13])0

6- النحل : 44 0
7-النحل : 64 0
8- الحشر: 7 0
9- محمد حسين علي الصغير\المبادئ \ 29 0
10- محي الدين الموسوي الغريفي\ قواعد الحديث \9 0
11- أبو داود \سنن أبي داود\4\210 + أبن ماجة\سنن ابن ماجة\1\6
12- السيوطي \الإتقان \2\176 + محمد حسين الذهبي\التفسير و المفسرون\1\55 +محمد حسين علي الصغير\المبادئ\ 30 0
1- محمد حسين علي الصغير\المبادئ\ 94-95 0
2- الطوسي \التبيان \1\4 0
3- الترمذي \سنن الترمذي\ج5\ص329 +الصدوق \عيون أخبار الرضا\2\208 0
4- سكينة عزيز\المجمل و المفصل في القرآن الكريم \104
5-الأنعام : 141 0
6-الطوسي \التبيان \1\5+ ظ: محمد حسين علي الصغير\ المبادئ العامة\29 0

فالآية الكريمة أمرت بإخراج الحق يوم الحصاد ،على الجملة دون التفصيل ([1])0والحق الذي يجب إخراجه فيه قولان :
أ-إن الحق هو الزكاة 0روي عن ابن عباس وأنس بن مالك والحسن ابن أبي الحسن وطاووس وجابر بن زيد وسعيد بن المسيب وقتادة ومحمد بن الحنفية والضحاك وزيد بن أسلم وأبنه 0
ب-أن الحق هو الصدقة0 قاله عطاء ومجاهد وفي قول لمحمد بن الحنفية وغيرهم ([2])
وقيل إن هذه الآية مكية وقد نسخت بآية الزكاة المدنية على شرط أن تكون آية الحصاد أمر وجوب ، أما أن كانت أمر استحباب فهي غير منسوخة لعدم تعارض الآيتين ([3]) 0
أما الزمخشري فيقول أن آية (وآتوا حقه يوم حصاده 000) مكية والزكاة إنما فرضت بالمدينة، فأريد بالحق من كان يتصدق به على المساكين يوم الحصاد0 وكان ذلك واجباً حتى نسخه افتراض العشر ونصف العشر ([4]) 0
ومن خلال استقراء بعض المصادر الفقهية والتفسيرية وجد البحث أن الذي عليه مذهب الجمهور هو الزكاة وذكروا دليلاً لذلك عدة روايات ([5]) ،وهو يتناول (العشر، ونصف العشر) ([6]) والذي عليه مذهب الإمامية هو الصدقة المندوبة،أي ما يتصدق به يوم الحصاد الحصاد على المارة من (فقراء و مساكين)وغيرهم من المحتاجين ([7]) 0
وقول الإمامية مبني على بيان أئمة أهل البيت (عليهم السلام) الذين بيانهم كبيان النبي(صلى الله عليه وآله) يفصِّل المجمل القرآني ويوضحه،فقد وردت روايات كثيرة عن الإمامين الصادقين(الباقر والصادق)(عليهما السلام) نستدل بها ، منها :
1- رواية علي بن إبراهيم ، عن أبيه ،عن حماد بن عيسى ،حريز عن زرارة ومحمد بن مسلم وأبي بصير،عن أبي جعفر(عليه السلام)في قوله تعالى(وآتوا حقه يوم حصاده 00)قالوا:قال:(هذا من الصدقة يعطي المسكين القبضة ([8]) بعد القبضة ومن الجذاذ الحفنة ([9]) بعد الحفنة حتى يفرغ) ([10])0

7- الطبرسي \مجمع البيان \4\465 0
8- ظ:الطبري \جامع البيان\8\70-73 + الصنعاني\تفسير الصنعاني\2\219+ الطبرسي \مجمع البيان \4\465+ ابن الجوزي\زاد المسير\3\92-93 +الشيخ سيد سابق\فقه السنة\1\347 +ابن عطية الأندلسي \المحرر الوجيز\2\353 0
9- ظ: ابن عطية الأندلسي \المحرر الوجيز\2\353+ ابن الجوزي\زاد المسير\3\92 0
10- ظ: الزمخشري \الكشاف \2\56 0
1- ظ: الطبري \جامع البيان\8\71-73+محي الدين النووي\المجموع\5\569+ ابن قدامة\ المغني \6\563 +الإمام مالك\المدونة الكبرى\1\349+ ابن حزم \المحلى \5\215 0
2- محمد حسين مخلوف\ صفوة البيان \193 0
3- ظ: الجواهري \جواهر الكلام\15 \12+ المرتضى\ الانتصار\208 +السيوري\كنز العرفان \1\321+ المحقق الحلي\ المعتبر \2\531+ المحقق السبزواري\ذخيرة المعاد\1\ق3\ 419+ محمد علي الأنصاري\الموسوعة الفقهية الميسرة \3\220+ علي أصغر مروارید \الينابيع الفقهية\ 5\44+ علي بن محمد القمي\جامع الخلاف والوفاق \130 0
**4- القبضة : ما قبضت عليه من شيء 0ظ: أبو بكر الرازي \مختار الصحاح \ **
5- الحفنة : ملء الكفين من طعام 0 ظ: الطريحي \مجمع البحرين \1\542 0
6-الكليني \الكافي\3\137 0

2- سؤل أبا عبد الله (عليه السلام) عن قوله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده 00) قال : (هو سوى ما تخرجه من زكاتك الواجب ،تعطى الضغث([1]) بعد الضغث ،والحفنة بعد الحفنة - ونهى ونهى (عليه السلام)عن الحصاد والتضحية بالليل وقال – إذا أنت حصدت بالليل لم يحضرك سائل ،وأن ضحيت بالليل لم يجئك قانع) ([2]) 0

وهذا الحديث فيه دليل واضح على أن المراد بالحق في الآية ليس الزكاة وإنما الصدقة ؛وذلك لوجوب إعطاؤها حال الحصاد ،أما الزكاة فلا تُعطى يوم الحصاد وإنما بعد الحصاد والدرس و الذرو والكيل ،وفي الثمار بعد اليبس والتصفية والكيل ([3]) 0

3- سأل الحلبي الإمام الصادق (عليه السلام) عن قوله تعالى (واتو حقه يوم حصاده 00) كيف أعطي ؟قال : ((تقبض بيدك الضغث ،فتعطيه المسكين ثم المسكين حتى تفرغ منه ([4]) 0 وإذا ناولت السائل صدقة فقبلها قبل أن تناولها إياه ،فان الصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل ،وهو قوله عز وجل **:﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾**([5])))([6])

4- روي عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله تعالى **﴿ 00وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾** أنه قال :(ليس ذلك من الزكاة ألا ترى أنه تعالى قال **:﴿ 00وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾** وقد عقب السيد المرتضى على هذه الآية بقوله :(وهذه نكتة منه (عليه السلام) مليحة لأن النهي عن الإسراف لا يكون إلا فيما ليس بمقدر والزكاة مقدرة) ([7]) فالمقصود فالمقصود بالحق في الآية هو الصدقة المستحبة لا الواجبة بقرينة (لاتسرفوا) لأن الواجبة محددة ومعينة وليس في دفع المعين إسراف ([8]) 0 والإسراف أن يعطي بيديه جميعا ([9]) ومن خلال هذه الروايات الصادرة عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) نجد البيان واضحا وجليا لقوله تعالى : **﴿ 00وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ 000﴾**المجمل 0

وغيرها من الآيات القرآنية المجملة التي فصلتها السنة النبوية الصادرة عن المعصوم (النبي أو الإمام) (صلوات الله عليهم أجمعين) كقوله تعالى **: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ 000﴾** ([10]) فهي مجملة – من حيث عدد ركعاتها وأركانها وشروطها ،والتي

7- الضغث : كل مجموع مقبوض عليه بجمع الكف \ابن منظور \السان العرب\2\164 0
8- الحر ألعاملي\ وسائل الشيعة\6\137 0
9- ظ: ابن حزم \المحلى \5\215+ المفيد \المقنعة \262+ المحقق الحلي\المعتبر \2\531+ المرتضى \الانتصار \208 0
10- الكليني \الكافي \3\564 + الصدوق \من لا يحضره الفقيه\2 \24 + العياشي \تفسير العياشي \1\380 + الحر العاملي \وسائل الشيعة \9\197 0
1- التوبة :104 0
2- الصدوق \الخصال \3\619 + ثواب الأعمال \169 + المقنع \175 + الحر العاملي \وسائل الشيعة \9\370
3- المرتضى \الانتصار \201 + المحقق السبزواري \ذخيرة المعاد \1\3\419 0
4- ظ: محمد علي الأنصاري \الموسوعة الفقهية \3\220 0
5- الصدوق \الهداية \178 + علي أصغر مروارید \الينابيع الفقهية \5\22 0
6- البقرة :43 0

بينتها السنة النبوية القولية والفعلية ،فصلاته بين ظهرانيهم بيان عملي ،وقوله : (صلوا كما رأيتموني أصلي)([1]) بيان قولي ([2]) 0 وهذا غاية في البيان ([3]) 0

وهكذا نستخلص أن السنة النبوية هي الشطر الثاني في بيان المجمل القرآني بالإضافة مع الشطر الأول وهو التفصيل القرآني نفسه ،أي تفصيل مجمل القرآن بالقرآن 0

5- علم المطلق والمقيد

أ- المفهوم اللغوي لكل من المطلق والمقيد

ب- المفهوم الاصطلاحي لكل من المطلق والمقيد

1- مفهوم المطلق والمقيد عند اللغويين
2- مفهوم المطلق والمقيد عند المفسرين
3- مفهوم المطلق والمقيد عند الأصوليين

ملاحظة واستنتاج

ج- أثر علم المطلق والمقيد في استنباط الحكم الشرعي

7- أبو السعادات \جامع الأصول في أحاديث الرسول \2\631 0
8- العلامة الحلي \تهذيب الوصول إلى علم الأصول \163 + جمال الدين \معالم الدين \393 + الشاطبي \الموافقات \3\246 0
9- الشاطبي \الموافقات \3\248

5- علم المطلق و المقيد

وهو أحد علوم القرآن الذي يبلغ من الأهمية لما له من الدور الفعَّال في فهم النص القرآني من جهة وفي استنباط الحكم الشرعي من جهة أخرى،والذي أدى إلى تناوله بالبحث والدراسة لدى علماء التفسير في مقدماتهم التفسيرية0
إلا أنه ليس بالقدر الذي خصّه به علماء الأصول ،حيث اعتنوا بهذا العلم و أوفوه بالدراسة التمحيصية الدقيقة حتى عاد من أهم مباحث الألفاظ المبحوثة لديهم 0
وسوف يقوم البحث بالتصدي لدراسة هذا العلم على قدر طاقته ووفق حدوده البحثية متصدراً ذلك بالتعريف الغوي و الاصطلاحي لكلا الاصطلاحين 0

أ- المفهوم اللغوي لكل من المطلق و المقيّد :
1- المطلق : يقال رجل طلق الوجه وطليق الوجه، وقد طلق من باب ظرف، ورجل طلق اليدين ،أي سمح، ورجل طلق اللسان وطليق اللسان 0
والطليق : الأسير الذي أطلق عنه إساره وخلى سبيله 0 وبعير طلق 0 ناقة طلق ،بضم الطاء والكلام، أي غير مقيد 0والجمع أطلاق 0وقولك أطلقت الناقة فطلقت إذا أرسلتها من عقال أو قيد ،والطلاق مأخوذ منه ،فكأن ذات الزوج موثقة عند زوجها فإذا فارقها أطلقها من وثاق0 وحُبس فلان في السجن طلقاً ،أي بغير قيد ([1])0

---

[1] - ظ: ابن قتيبة \غريب الحديث \1\20+ألجواهري\الصحاح\ 4\1517- 1518 + ابن الأثير \النهاية في غريب الحديث\3\134- 135 0

وقد ورد في الحديث في كنايات الطلاق : حبلكِ على غاربك، أي أنت مرسلة مطلقة غير مشدودة ولا ممسكة بعقد النكاح ([1])0
ويستعمل المطلق عند الأصوليين بما له من المعنى في اللغة أي مأخوذ من الإطلاق وهو الإرسال و الشيوع ([2])0

2- المقيّد : من القيد ،والجمع أقياد وقيود ،وقد قيدت الدابة وقيدت الكتاب : شكلته 0
وهؤلاء أجمال مقاييد ،أي مقيدات0
والمقيد :موضع القيد من رجل الفرس، والخلخال من المرأة ([3])0
ومنه قولهم في صفة الفرس :هو قيد الأوابد، يريدون أنه يلحق الأوابد وهي الحمر الوحشية بسرعة فكأنها مقيدة لا تعدو ([4]) 0

ومنه قول امرؤ ألقيس :
وقد أغتدي و الطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل ([5]) 0
وفي الحديث : قيد الإيمان الفتك0 أي إن الإيمان يمنع عن الفتك بالمؤمن كما يمنع ذا العيث عن الفساد قيده الذي قيد به ،فكأنه جعل الفتك مقيداً ([6]) 0
والقيد :ألقيس في المقدار، ومنه قول الرسول (ص) حين ذكر صلاة الفجر:
(لا صلاة حتى تطلع الشمس وترتفع قيد رمح أو رمحين0000) ([7]) وقيد هنا بمعنى مقدار([8]) 0

ب- المفهوم الاصطلاحي لكل من المطلق و المقيد:
تعددت حدود العلماء لمصطلحي المطلق والمقيّد كنتيجة طبيعية لكثرة الفنون ،فكل فن له صلة بالمطلق والمقيّد يضع حداً له 0فقد حدّوهما تصريحاً وتلميحاً،تفصيلاً وإيجازاً على وفق تعرضهم لهما وشدة مساسهما بفنهم0

1- مفهوم المطلق والمقيّد عند اللغويين :

---

[1] - غارب كل شيء : أعلاه0 ظ: الزبيدي\تاج العروس\2\286 0
[2] -ظ:المظفر\أصول الفقه \1\149 +أحمد البهادلي \مفتاح الوصول\1\397 +محمد صادق الروحاني \زبدة الأصول\2\382 0
[3] - ظ: ألجواهري\ الصحاح \2\529 +ابن منظور\لسان العرب\3\347 0
[4] - ظ: الفراهيدي\ العين \5\196+ابن الأثير\النهاية في غريب الحديث\4\130+ابن منظور\لسان العرب \3\372 0
[5] - السندوبي\شرح ديوان امرئ ألقيس\153 0
[6]- ظ: ابن منظور\ لسان العرب\3\373 0
[7] - الكليني\الكافي\2\236 +ابن حنبل\ المسند\4\111 0
[8] - ظ: الفراهيدي \العين\ 5\196+ ابن قتيبة\ غريب الحديث \1\20+ ابن منظور\ لسان العرب \3\373 0

لقد حدّ الرماني(ت:388هـ) المطلق والمقيد بقوله: (المطلق :هو المجرد مما يعيِّن المعنى) ([1]) أما المقيّد فهو : (الموصول بما يعيِّن المعنى) ([2]) ويعلق باحث معاصر حول تحديد الرماني بأنه بالنسبة للمطلق فأن الحد غير مانع؛ لأن المشترك داخل فيه ،وأما بالنسبة للمقيد فهو حد مقتضب غير مانع ؛لأن المخصّص والمفصّل والمفسّر ،كل ذلك يعيّن المعنى([3]) 0

وقال ابن فارس (ت: 395هـ) أن المطلق : (أن يذكر الشيء باسمه لا يُقرن به صفة ولا شرطاً ولا زماناً ولا عدد ولا شيء بسبب ذلك) أما المقيد فهو : (أن يذكر بقرين من بعض ما ذكرناه ([4]) ، فيكون ذلك القرين زائداً في المعنى) ([5]) وهكذا نجد أن وظيفة المقيد عند اللغويين: هي إبانة المعنى وتوضيحه للسامع بالقرائن المضافة إلى المطلق 0

2- مفهوم المطلق والمقيّد عند المفسرين :

لم يضع المفسرون تعريفاً محدداً للمطلق والمقيد وإنما جاء كلامهم عنهما في مضان تفسيراتهم القرآنية وهذا أمر طبيعي لأنهم بصدد تفسير النص لا ضبط المفهوم فالمقيد هو أحدى الأدوات التفسيرية للنص القرآني؛ فما من لفظ مقيد يأتي في القرآن الكريم إلا لغاية معينة 0

فالمطلق عند الزمخشري : هو المتناول لكل ما يصلح أن يكون بمكانه من جنسه،أما المقيد فهو ما أفاد زيادة في المعنى ([6])0ونظير ذلك نجده عند الرازي وأبي حيان الأندلسي ([7])0 0([7])

وجاء في الانتصاف : أن المطلق هو ما يقتضي إبهاماً وشيوعاً ([8]) 0 أما المقيّد فهو المعيّن الذي يُشخص به المطلق المجرد ([9]) 0 ثم يقول : (إذ كل مقيَّد ظرف لمطلقه ، إذ المطلق بعض المقيّد) ([10]) ،ويعني بقوله هذا إن المقيد محل يستقر فيه معنى المطلق الذي كان شائعاً مبهماً لا يمكن التعامل معه مشخصاً،وبهذا فأن المطلق بعض المقيّد لأن المقيّد مرحلة لاحقة على المطلق (المبهم) مضاف إليه قيد (موضح) لمعناه 0

---

[1] - الرماني\ رسالتان في اللغة\70 0

[2] - م 0 ن 0

[3] - سيروان عبد الزهرة\الإطلاق والتقييد في النص القرآني دراسة دلالية\ 14+ 112 0

[4] - يقصد ما ذكره في تعريف المطلق وهو : الصفة، والشرط، والزمان، والعدد

[5] - ابن فارس\ الصاحبي في فقه اللغة\194 0

[6] - ظ:الزمخشري\الكشاف\ج1\205 – 206 – 345 – 549+ظ: الطباطبائي\ الميزان\ \2\ 261

[7] - ظ: الرازي\التفسير الكبير\ج32\15+ أبو حيان الأندلسي\البحر المحيط\ 2\419 0

[8] - احمد بن المنير الاسكندري \الانتصاف (بها مش الكشاف) \1\13 0

[9] - م 0ن \310

[10] - احمد بن المنير الاسكندري \الانتصاف (بها مش الكشاف) \1\310 0

ويرى القرطبي: (ت: 671هـ) أن المطلق: ما ليس فيه شرط ولا تقييد ولا بيان قصد0 أما المقيّد : فهو ما جاء لبيان المطلق وتحديده ([1]) 0

3- مفهوم المطلق والمقيّد عند الأصوليين :

أهتم الأصوليون بتحديد المفهوم الاصطلاحي لكل من المطلق و المقيد – قديماً وحديثاً – لما له من مدخل في استنباط الأحكام الشرعية وتقريرها والتي هي المحصلة الأساس في الدراسات الأصولية 0

وفيما يأتي تعريفات لبعض الأصوليين للمطلق و المقيد :

1- ذهب الرازي (ت: 606هـ) إلى إن المطلق هو : (اللفظة الدالة على الحقيقة من حيث إنها هي هي من غير أن تكون فيها دلالة على شيء من قيود تلك الحقيقة ،سلباً كان ذلك القيد أو إيجابا) ([2]) أما المقيد : (فهو عبارة عن الحقيقة مع قيد زائد ،ولا شك أن الإطلاق الإطلاق أحد أجزاء الحقيقة المقيدة)([3])0

2- وعرّف الآمدي(ت:631هـ) المطلق على أنه : (عبارة عن النكرة في سياق الإثبات)([4]) وعاد و قال : (وإن شئت قلت هو اللفظ الدال على مدلول شائع في جنسه ، وأما المقيد فأنه يطلق باعتبارين :

الأول : ما كان من الألفاظ الدالة على مدلول معين ،كزيد وعمر وهذا الرجل ونحوه 0

الثاني: ما كان من الألفاظ دالاً على وصف مدلوله المطلق بصفة زائدة عليه كقولك دينار مصري ،ودرهم مكي 0

وهذا النوع من المقيد، وإن كان مطلقاً في جنسه من حيث هو دينار مصري ودرهم مكي، غير أنه مقيد بالنسبة إلى مطلق الدينار والدرهم، فهو مطلق من وجه ومقيد من وجه([5]) 0 0

وعليه فصفتي الإطلاق والتقييد نسبيتين ،أي أن المطلق يكون مطلقاً بالنسبة لشيوعه فيما يصدق عليه ،ويكون مقيداً نسبة إلى ما فوقه مما يشمله وغيره،وهذه النسبية مثل نسبية العموم والخصوص كما تقدم 0

ويمكن توضيح ذلك ببيان قرآني في قوله تعالى: **﴿00وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ 000 ﴾** ([6])

فالمُقيَّد هنا هو (الرقبة) و المقَيِّد هو (الإيمان) والذي قلل من شيوع الرقبة في جميع أفرادها ،وقصرها على الرقبة المؤمنة0 ولو التفتنا إلى المُقيِّد نجده هو أيضاً شائع في جنس الرقاب المؤمنات أي (مطلق) إلا أنه مُقَيَّد بالنسبة إلى الرقبة المطلقة 0

---

[1] - ظ: القرطبي\الجامع لأحكام القرآن\8\191 ،246 0

[2] - الرازي \ المحصول في علم الأصول\ 2\ 314 + ظ:العلامة الحلي\مبادئ الوصول إلى علم الأصول\119 0

[3] -الرازي\المحصول في علم الأصول\3\142 0

[4] - الآمدي \ الأحكام في أصول الأحكام \3\ 3 0

[5] - الآمدي \ الأحكام في أصول الأحكام \3-4

[6] - النساء\92 0

3- وقد حدّه نبذة من علماء الأصول بأنه : ما دلّ على معنىً شائع في جنسه ،والمقيد بخلافه ،فهو ما يدل لا على شائع في جنسه،أو هو ما أخرج من شياع ([1]) 0
وتحديد المقيّد بكونه ما يدل لا على شائع في جنسه يشمل ما لا شيوع فيه أصلا كالأعلام ، وما كان فيه شيوع ثم ورد عليه قيد أخرجه من ذلك الشيوع0 كما أن تعريفه بما دل لا على شائع لإخراج مالا يدل كالمهمل ([2]) وقد أشكل بعض الأعلام على هذا التعريف بعدم الاطراد والانعكاس([3])0وقد ذكر صاحب الكفاية أن هذه الإيرادات لا وجه لها ؛لأن التعريف يقصد به شرح الاسم لا بيان الحد أو الرسم ([4]) 0
ويرى بعضهم أن هذا التعريف هو أسدُّ التعريفات ومعناه أن المطلق (لفظة محتملة لحصص كثيرة مما يندرج تحت أمر مشترك من غير تعيين) ([5]) ويخرج شرط الشيوع العموميات لاستغراقها باستثناء النكرة في سياق الإثبات فهي تُعد من المطلق ([6]) 0
4- أما الشيخ المظفر: فيعطي معنىً للمطلق وهو: (شيوع اللفظ وسعته باعتبار ماله من المعنى وأحواله، ولكن لا على أن يكون ذلك الشيوع مستعملاً فيه اللفظ كالشيوع المستفاد من وقوع النكرة في سياق النفي وإلا كان الكلام عاماً لا مطلقاً) ([7]) 0
ويعلق الشيخ المظفر حول تعريف المطلق كونه:(ما دل على معنىً شائع في جنسه) بأنه قديم بحثوا عنه كثيراً0وأحصوا عليه عدة مؤاخذات لم يذكرها لانعدام الفائدة في مقام كلامه 0
وغاية ما في الأمر أنه أذا نسب الإطلاق و التقييد إلى اللفظ فإنما يراد ذلك بحسب ماله من دلالة على المعنى0 فيكونان وصفين للفظ باعتبار المعنى ، أما العلم الشخصي والمعرف بلام العهد لا يسميان مطلقين باعتبار معناهما، لأنه لا شيوع ولا إرسال في شخص معين، ولكن يصح أن نصفهما بالإطلاق بلحاظ الأحوال فإذا قيل : (أكرم محمداً) وإن لمحمدٍ أحوالاً مختلفة ولم يقيد الحكم بحالٍ من الأحوال فيكون الحكم بأن الكلام يوصف بالإطلاق بلحاظ الأحوال ،وأن لم يكن له شيوع باعتبار معناه الموضوع له 0
وكذلك لا يجوز أن يسمى العام مطلقاً بالنسبة إلى أفراده ،أما بالنسبة إلى أحوال أفراده غير المفردة فأنه جائز0 وعلى ذلك أسس الشيخ المظفر للتعريف الأنف الذكر ([8]) 0

ملاحظة و استنتاج :

---

[1] - ظ: الشهيد الثاني\ معالم الدين\ 154 + الآخوند الخراساني\ كفاية الأصول\ 244+ محسن الحكيم \ حقائق الأصول \1\554
[2] - ظ: تقرير بحث السيد البروجردي\ حاشية على كفاية الأصول\1\571+ محمد صادق الروحاني\ زبدة الأصول \ج2\381 – 382
[3] - ظ: الآخوند الخراساني\الكفاية \ص243 0
[4] - ظ: أحمد البهادلي \مفتاح الوصول\1\400 0
[5] - الشوكاني \إرشاد الفحول \164 0
[6] - م 0 ن 0
[7]- المظفر \أصول الفقه \1\150 0
[8] - ظ: المظفر \أصول الفقه \1\149 – 150 0

1- من خلال ما لمسناه من كلام العلماء حول مفهوم المطلق والمقيد لغةً و اصطلاحاً 00 نجد أن علماء الأصول هم الأكثر توفيقاً من الآخرين في فهمهم و توضيحهم للمطلق والمقيد، وربما يعود ذلك لشدة اهتمامهم به لما له من مدخل في استنباط الأحكام الشرعية و تقريرها والتي هي المحصلة الأساس في الدراسات الأصولية0

2- عند التأمل في المعنى اللغوي للإطلاق والتقييد و المعاني الاصطلاحية سوف نتلمس نوع صلة ورابط بين المعنيين 0 فدلالته المعجمية في اللغة تعطي معنى الإرسال والحبس 0 وهذا المعنى قريب من المعنى الاصطلاحي، ولذلك فالأرجح أن المفهوم الاصطلاحي مستقى من معناه اللغوي وهذا ما أكدّه علماء الأصول ([1])

ج- أثر علم المطلق والمقيّد في استنباط الحكم الشرعي

يقوم البحث بإلقاء الضوء من خلال هذا المطلب على بعض الأحكام المستنبطة من النصوص القرآنية ومدى تأثر ذلك الاستنباط بالإطلاق و التقييد 0 وكذلك للتعريج على قولنا السابق من أن المفسرين لم يضعوا حداً معيناً لكل من المطلق والمقيد وإنما جاء كأداة يتزودون بها ويتوسلونها كمفاتيح لحل مقاصد الآيات ،ومعرفة الغاية و المراد من تقييد اللفظة وعدمه 0 فقد وجد البحث أن المفسرين لم يتوغلوا في تفسير آية تحتوي على هذه الظاهرة إلا وأعطوها حقها بالشرح و التفصيل تارة والاستناد عليها في إعطاء الحكم الشرعي تارة أخرى ،بالإضافة إلى إسنادها بآية أخرى تؤكد أثر تلك الظاهرة بالآية الأولى0

وسوف يقوم البحث باستعراض لبعض الآيات الكريمة التي لعلم المطلق والمقيد أثر في استنباط الحكم الشرعي من خلالها:

---

[1] - ظ : محمد صادق الروحاني \زبدة الأصول\2\382+ المظفر\أصول الفقه\1\ 149 + أحمد البهادلي \مفتاح الوصول\1\397 0

1- قوله تعالى:﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ ([1]) 0

لقد أمتاز القرآن عن الكتب السماوية التي سبقته بإنزاله تدريجياً ،بخلاف ما يشير إليه القرآن الكريم من إنزال التوراة على شكل ألواح دفعة واحدة أو في مدة زمنية محددة([2]) وهذا التدريج كان آية من آيات الإعجاز القرآني بيد إنه كتاباً ليس كسائر الكتب ،وإنما هو عملية تغيير الإنسان تغييراً شاملاً كاملاً في عقله وروحه وإيراداته ،وهذا العمل لا يمكن أن يوجد مرة واحدة وإنما هو عمل تدريجي بطبيعته ،ولهذا كان من الضروري أن ينزل القرآن الكريم تدريجياً ،ليحّكم عملية البناء وينشئ أساساً بعد أساس ،ويجتث جذور الجاهلية ورواسبها بأناة وحكمة 0

وعلى أساس هذه الأناة و الحكمة في عملية التغيير والبناء ،نجد أن الإسلام تدرج في علاج القضايا العميقة بجذورها في نفس الفرد أو المجتمع،وقاوم بعضها على مراحل ، حتى استطاع أن يستأصلها ويجتث جذورها،وقصة تحريم الخمر وتدرج القرآن في الإعلام عنها من أمثلة ذلك 0

وشرب الخمر عادة من عادات الجاهلية السائدة وقد استمرت حتى ما بعد الإسلام إلى أن حرمها الله تعالى تدريجياً لما لها من مضرة كبيرة ومنها إذهاب العقل يقول الإمام الصادق (عليه السلام) : (إن الخمر رأس كل إثم ومفتاح كل شر) ([3]) إذ تؤول الخمر والميسر إلى الشر فـ(يؤديان إلى ارتكاب سائر المحرمات وترك الموجبات) ([4]) 0 وقد خالف جماعة لا يؤبه بهم وقالوا بحليتها مستدلين بقوله تعالى:**﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ 000 * وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا000﴾** ([5]) فقالوا امتن الله علينا وعدد من جملة نعمه علينا أن خلق لنا الثمار التي نتخذ منها السكر والرزق الحسن،وهو سبحانه لا يمتن بما هو محرم 0

وليس في هذه الآية ما يدعوا إلى حلية المسكر لأنه لو كان كذلك لما كان لقوله تعالى(ورزقاً حسناً) معنىً ؛ لأن ما أحله فهو أيضاً رزقاً حسناً 0

وتفسير الآية :هو أنه تعالى خلق هذه الثمار للانتفاع بها فاتخذوا هم منها ما هو حرام عليهم وتركوا ما هو رزق حسن ([6]) 0

إن أول آية نزلت في تحريم الخمر قوله تعالى: **﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ000﴾**([7]) فلما نزلت هذه الآية أحس القوم بتحريم الخمر وعلموا أن الإثم مما يجب اجتنابه 0

نجد في الآية الكريمة أن لفظ (أثم) لفظة مطلقة تنطوي على جزيئاتها ذات دلالة كلية ([1]) ، وقد قيدها سبحانه وتعالى بقيد (كبير) فأداة التقييد هنا (نعت) فجاء هنا لبيان صفة من

---

[1]- البقرة : 219 0

[2] - محمد باقر الحكيم \علوم القرآن\33 0

[3] - الكليني\الكافي\6\402 0

[4] - شبر\ الجوهر الثمين\1\218+ظ: الحائري \مقتنيات الدرر\2\56 0

[5] - النحل : 66 – 67 0

[6] - ظ: القطب الراوندي \فقه القرآن \2\279 0

[7] - البقرة : 219 0

صفات المنعوت([2]) (إثم) وقد استفاد المفسرون من هذا القيد(كبير) ووظفوه في إثبات حرمة الخمر وقد عبر عن ذلك الشيخ الطوسي بقوله: (على أنه قد وصفها بأن فيها إثماً كبيراً والكبير يحرم بلا خلاف) ([3]) 0

وقد استفاد الشيخ الطبرسي من هذه الآية كذلك في تحريم الخمر في قوله تعالى: (وأثمهما أكبر من نفعهما) ؛ فأنه إذا زادت مضرة الشيء على منفعته ، أقتضى العقل الامتناع عنه ([4]) 0 وأن الكبر مثل العِظم، ومقابله الصغر 0

وقد استعملوا في الذنب أذا كان موبقاً الكبيرة ، كقوله تعالى: **﴿ 00 كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ 000﴾** ([5]) فلذلك فشرب الخمر و الميسر من الكبيرة ([6]) 0

ثم نزلت آية أخرى وهي قوله تعالى: **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾** ([7]) وكانت هذه الآية أشد من الأولى وأغلظ في التحريم ،ثم ثلّث بآية أخرى وكانت أغلظ من الآية الأولى والثانية وأشد ،وهي قوله تعالى: **﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾** ([8]) فقد أمر باجتنابها وبيّن عللها ومضارها بالتفصيل ومن أجل ذلك حرمّها 0

ثم بيّن تعالى تحريم الخمر وكشفه في الآية الرابعة مع ما دلّ عليه في الآي المتقدمة بقوله: **﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ000﴾** ([9]) فهذه الآية تدل على حرمة الإثم نصاً بلا خلاف وجاء قوله تعالى فيما تقدم:(00 قل فيهما إثم كبير000) فأخبر أن الإثم في الخمر وغيرها وأنه حرام ([10]) 0

وقيل أن الخمر يسمى إثماً في اللغة ،ومنه قول الشاعر ([11]) :

شربت الإثم حتى ضلّ عقلي كذلك الإثم يصنع بالعقول 0

ومن الأدلة على أن المراد بالإثم (الخمر) هو الرواية الآتية :

---

[1] - ألألفاظ ذات المعاني الكلية على ضربين:1- ما يقبل التجزؤ و التعدد وهو الذي يدخله العموم0 2- ما لا يقبل التجزؤ و التعدد بل تكون ذات معانٍ كلية شاملة لجزئياتها لا لأجزائها، فهذه الألفاظ لا يدخلها العموم لعدم إمكان تجزؤها ليعمل على سبيل الشمول0 على حين إن الإجمال و الإطلاق يدخلان في جنس هذه الألفاظ بلحاظ أمكانية تفصيلها إن كانت مجملة، وتقييدها إن كانت مطلقة \ ظ: سيروان عبد الزهرة \الإجمال و التفصيل في التعبير القرآني\ 69 0

[2] - قد يأتي النعت لبيان صفة من صفات ما يتعلق بالمنعوت، ويسمى بالنعت السببي 0 ظ: فاضل السامرائي \ معاني النحو\ 3\176 0

[3] - الطوسي\ التبيان\2\213 + ظ: الطبرسي\ مجمع البيان\2\81+ القطب الراوندي\ فقه القرآن\2\276 0

[4] -الطبرسي \مجمع البيان \2\81 0

[5] - النساء : 31 0

[6] - الطبرسي \مجمع البيان \2\78 + جوامع الجامع \1 \ 207 0

[7] - المائدة : 90 0

[8] - المائدة : 91 0

[9] - الأعراف : 31 0

[10] - ظ: الطوسي\ التبيان \2\213+ الطبرسي\مجمع البيان \ج2\ص81+ القطب الراوندي\2\282 – 283 0

[11]- ظ: الطبرسي\ مجمع البيان \2\81 0

حدّث علي بن يقطين قال: سأل المهدي الخليفة أبا الحسن موسى بن جعفر(عليه السلام) عن الخمر أهي محرمّة في كتاب الله تعالى،فأن الناس إنما يعرفون النهي عنها ولا يعرفون التحريم لها 0 فقال له أبو الحسن :هي محرّمة في كتاب الله تعالى0
فقال : في أي موضع هي محرمة في كتاب الله تعالى يا أبا الحسن؟ فقال : قول الله تعالى: **﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾** ([1]) فأما قوله (ما ظهر منها) فأنه يعني بذلك الزنا المعلن000وأما قوله(وما بطن) فأنه يعني به ما نكح من الآباء ،فأن الناس كانوا من قبل أن يبعث الله النبي (صلى الله عليه وآله) إذا كان للرجل زوجة و مات عنها زوجها تزوجها أبنه من بعده إذا لم تكن أمه فحرّم الله ذلك وأما قوله (والإثم) فأنه يعني به الخمرة بعينها 000 ([2]) 0

2- قوله تعالى : ﴿ قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ([3]) 0
جاءت هذه الآية الكريمة رداً على ما أحلت العرب وحرمت، فالعرب كانت تحلل على نفسها أشياء وتحرم أشياء فحكى الله تعالى ذلك لنبيه (صلى الله عليه وآله) ما قالوا 0 وليس معنى الآية أو سبب نزولها ما تأوّله قوم من أنه ليس شيءٌ محرماً ألا هذا (أي ما ورد في الآية) وأحلوا كل شيء من البهائم،القردة والكلاب والسباع والذئاب والأسد والبغال والحمير والدواب، فغلطوا في هذا غلطاً بيناً ([4]) وقد بيّن سبحانه وتعالى في قوله :**﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ000﴾** ([5]) جميع المحرمات التي يقع عليها أسم (الميتة) وحكمها، ففي هذه الآية بيّن أنواع الميتة بالتفصيل، وفي الآية محل البحث جاءت مجمله، وأجود من ذلك أن يقال :أن الله تعالى خصّ هذه الثلاثة أشياء تعظيماً لتحريمها وبين ما عداها في موضع آخر،إما بنص القرآن، وإما بوحي غير القرآن،وأن سورة الأنعام مكية وسورة المائدة مدنية، فيجوز أن يكون غير ما في الآية من المحرمات إنما حُرِّم فيما بعد ([6])0وليس في ذلك نسخ ،أنما هو تدرج في التنزيل ([7]) وقد ورد خبر بتحريم أربعين شيئاً من المذكى وتم حملها على الكراهية لقرينة تدل عليه([8]) 0

---

[1] - الأعراف : 33 0
[2] -الكليني \الكافي \6\406 مع اختلاف في ألفاظ يسيرة
[3] - الأنعام : 145 0
[4] - ظ: ألقمي \تفسير ألقمي\ 1\219+ الطبري\ جامع البيان\8\ 92 0
[5] -المائدة : 3 0
[6] -ظ: الطوسي \التبيان\4\304 + الطبرسي \مجمع البيان\4\184+ القطب الراوندي\فقه القرآن \2\267 0
[7] - ظ: الخوئي \البيان\ 350 + الطباطبائي \الميزان \5\163 0
[8] - القطب الراوندي\فقه القرآن \2\258 0

وقد جاءت لفظة دم في هذه الآية مقيدة بقيد ألا وهو لفظة (مسفوحاً) والتي تعني: مصبوباً،أي دماً مسالاً مهراقاً ،فنقول:سفحت دمه إذا أرقته،أسفحه سفحاً([1]) 0 في حين جاءت هذه الكلمة(الدم) مطلقة في آية أخرى وهي قوله تعالى : **﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ000﴾** ([2]) 0

وفي مثل هذه الحالة عند ورود اللفظة مطلقة في آية ومقيدة في آية أخرى لجأ العلماء إلى الحكم في مثل ذلك بحمل المطلق على المقيد ولكن بشروط تعتمد على صلة المقيد بالمطلق من حيث الحكم والسبب([3]) وفي مثالنا أعلاه بالنسبة لكلمة (الدم) في الآيتين المتقدمتين فأن الحكم هو حمل المطلق على المقيد بالإجماع وذلك لاتحادهما في الحكم وهو (الحرمة) والسبب وهو كون الدم مضراً بصحة من يتناوله في حالة تعرضه للهواء خارج مستقره الأصلي وكما ثبت في الطب الحديث بأنه يعتبر أخصب وسط لنمو الجراثيم، إضافة إلى أنه يحمل إفرازات سامة ([4]) 0

وقيل في سبب نزولها: أن العرب في الجاهلية كانت تجعل الدم في المباعر(الأمعاء) فيشونها ويأكلونها ([5]) 0

وبذلك فأن حكم حرمة الدم مقيدة بقيد كونه مسفوح ،أما المتلطخ باللحم، فهو كاللحم، وما كان منه كاللحم مثل الكبد فهو مباح ([6]) أما الطحال فيعبر الشيخ الطوسي عنه: (هو محرّم عندنا) ([7]) وعند جميع الفقهاء مباح([8]) وأما حكم الطحال بأنه محرم وذلك كون الدم الدم فيه يتصف بالسيلان ؛فلو ثقب الطحال ووضع في إناء فيه ماء لا تضح سيلان الدم منه إلى الماء وتلوث أخيراً بلون الدم([9]) أما الطبري فقد عدّ الطحال كالكبد وذلك بقوله: (فأما ما كان قد صار في معنى اللحم كالكبد والطحال، وما كان في اللحم غير منسفح،فأن ذلك غير حرام لإجماع الجميع على ذلك) ([10]) وقد استفاد غيره ذلك الحكم من رواية للرسول(صلى الله عليه وآله) وهي :

(أحلت لي ميتتان ودمان) فالمقصود عندهم بالميتتين هما السمك والجراد وبالدمَين هما الكبد والطحال([11])0ولكنهم يعودون ويقولون بأن الطحال كالكبد ليس بالدم المسفوح ،وأن كان كذلك فيا تُرى لِمَ خصّه الرسول(صلى الله عليه وآله) بالذكر أن كان خرج من الحرمة في مفهوم الآية0

---

[1] - ظ: ألطريحي\تفسير غريب القرآن\ 168 0

[2] - المائدة : 3 0

[3] - للاطلاع أكثر : ظ: المظفر\ أصول الفقه\1\166 – 168 + مصطفى الزلمي\ أصول الفقه في نسيجه الجديد \321 – 322 0

[4] - ظ: مصطفى الزلمي\ أصول الفقه \ 323 عن مصدره 0

[5] - ظ: الطوسي \التبيان\ 3\429 + الكاشاني\ تفسير الصافي\ج2\ص7 + تفسير الأصفى \1\259

[6] - ظ: الطوسي\ التبيان\3\429 +الطبرسي\مجمع البيان \4\182 + جوامع الجامع \1\625+ النحاس\ معاني القرآن\2\507 +أحكام القرآن\ الجصاص \1\150 0

[7] - الطوسي \التبيان \3\429 0

[8] - م 0ن 0

[9] - ظ: القطب الراوندي \فقه القرآن\2\266 0

[10] - الطبري\ جامع البيان\ج6\ص90 + ظ: الجصاص \أحكام القرآن\ 2\381 0

[11] - ظ: الجصاص \أحكام القرآن\ 2\381 0

3- قوله تعالى : ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ ([1]) 0

أن حج بيت الله الحرام هو فريضة من الفرائض ،والتي أوجبها الله تعالى على جميع الناس ، وهذا الفرض جاء لمطلق الناس (المستطيع وغير المستطيع)بما تشمله الاستطاعة من مصاديق 0 ولكن هذا الإطلاق كان في حدود جزء من الآية وهو (ولله على الناس حج البيت) أي لو كان الوقف عند هذا الحد0 ولكن بالنظر إلى تكملة بقية الآية نجد أن هذا الإطلاق قد قُيَّد بقيد وهو (من استطاع إليه سبيلا) 0وأداة القيد هنا من نوع (البدل) 0 والبدل : (هو لفظ ثانٍ يقدر في موضع الأول، والغرض من ذلك البيان) ([2]) 0 (وعبرة البدل أن يصلح بحذف الأول ، وإقامة الثاني مقامه) ([3]) والبدل في العربية على أربعة أقسام([4]) ، ونوع البدل في هذه الآية هو : بدل بعض من كُل([5]) ؛ حيث أن من يمتلك الاستطاعة على الحج من الناس هو بعض من الناس لا كلهم 0

وهكذا نجده سبحانه وتعالى قيّد الحج بالمستطيع فقط دون غيره فنجد (ذكر الناس ثم أبدال عنه من استطاع إليه سبيلا) ([6]) وفي هذا القيد (الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال) ([7])، ودلالة القيد هو :التخفيف عن الناس من الحج،فلو لم يقيد ببدل البعض لوجب على الناس مطلقاً الحج (المستطيع وغير المستطيع) ومن لم يؤد هذه الفريضة يحاسب مهما كان المسوغ؛حيث أن اللفظة(ولله على الناس)يعبر بها عن وجوب الواجبات وفرض المفترضات ومعناها إيجاب الأمر وإلزام الفعل([8])لكنه سبحانه لعظم رحمته بالعباد قيد بالبعض المستطيع،وبذا تسقط عن غير المستطيع فريضة الحج بعدم الاستطاعة وتجب عليه بوجودها فيكون(المعنى:ولله على من استطاع من الناس حج البيت) ([9])

والسبيل : ما يلزم به الحج ،وقد أختلف المفسرون فيه :فقيل السبيل هو: القوة والزاد والراحلة([10]) 0 وقيل هو: الزاد والراحلة ،وهو المروي عن ابن عباس وابن عمر والسدي

---

[1] - آل عمران : 97 0

[2] - ابن يعيش\ شرح المفصل\3\63 0

[3] - ابن جني\ اللمع في العربية\169 0

[4] - أقسام البدل هي : بدل كل من كل وبدل بعض من كل وبدل الاشتمال وبدل الغلط أو الإضراب أو النسيان 0ظ: م 0ن 0 + ابن يعيش\شرح المفصل\3\63 +الزمخشري\ المفصل في علم العربية\ص121+ الأشبيلي \شرح جمل الزجاجي \1\281 – 283 +ا السيوطي\همع الهوامع \2\125 – 126 0

[5] - ظ: أبو البقاء العكبري\إملاء ما منّ به الرحمن\ ج1 \ص144 وذكر آراء أخرى في أعرابها + الزركشي \البرهان\ \456 0

[6] - الزمخشري\ الكشاف \1\299 +ظ: الرازي \ التفسير الكبير\8\162 0

[7] - الزمخشري \الكشاف \1\299 + الطبرسي\ جوامع الجامع \1\312 0

[8] - ظ : الشريف الرضي \حقائق التأويل \197 + الطبرسي\ جوامع الجامع \1\312 0

[9] - الرازي\ التفسير الكبير\8\162 +ظ: الطبري\ جامع البيان \4\27 0

[10] - ظ: ألقمي\ تفسير ألقمي\ 1\108 +القطب الراوندي \فقه \القرآن\1\285 0

وغيرهم ([1])0 ويعلق الطبري على الروايات التي جاء بها هذا الرأي بأنها(أخبار في إسنادها نظر)([2]) ويختار هو الرأي الذي قال به ابن الزبير وعطاء وهو: أن السبيل على قدر الطاقة وعبر عنه:(من كان واحداً طريقاً إلى الحج لا مانع له منه من زمانه،أو عجز ، أو عدو أو قلة ماء في طريقه،أو زاد،وضعف عن المشي) ([3]) ويقول الشيخ الطوسي : (وعندنا هو وجود الزاد والراحلة ونفقة من تلتزمه نفقته والرجوع إلى كفاية عند العود إما من مال أو ضياع أو عقار أو صناعة أو حرفة مع الصحة والسلامة وزوال الموانع وإمكان السير) ([4]) 0

وفي رواية عن عبد الرحمن بن الحجاج قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قوله (ولله على الناس حج البيت من أستطاع إليه سبيلا) قال: (الصحة في بدنه والقدرة في ماله) ([5]) ، ففي هذه الرواية نجد الإيجاز الوافي والكافي في قوله (عليه السلام) حيث عبّر بلفظ(الصحة في بدنه) عن كل مصاديق الصحة،وبلفظ(القدرة في ماله) عن كل مصاديق هذه القدرة، والتي فصلها الشيخ الطوسي0

4- قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴾ ([6]) 0

جاء في الآية الكريمة تعداد لثلاث من الكبائر([7]) ،وهي: الشرك بالله ،وقتل النفس التي حرّم الله ،والزنا0 وفي هذا دلالة على أن أعظم الذنوب بعد الشرك: القتل و الزنا ([8]) 0

وقد أختلف أهل التفسير في هذه الآية حول كيفية تطبيق العقاب،فمنهم من قال بأن (كل خصلة من هذه الخصال يستحق بها العقاب لأن من المعلوم أن من دعا مع الله آله آخر لا يحتاج إلى شرط عمل آخر استحق العقاب) ([9])0 وهذا معناه أن مضاعفة العذاب والخلود في النار هو جزاء لكل من يفعل واحدة من هذه الجرائم 0

وقيل من يفعل هذه الخصال جميعاً يلق هذه العقوبة، وهذا قول مقاتل ([10])،وعليه معظم المفسرين 0

وينقل ابن الجوزي قولان لعلماء الناسخ والمنسوخ في هذا المقام وهما :

---

[1] ظ: الطبري\ جامع البيان \4\22 – 26 + النحاس \معاني القرآن\1\447 +ابن كثير\ تفسير ابن كثير\1\394+ القرطبي\ الجامع لأحكام القرآن\4\147 + 4\154+ الجصاص أحكام القرآن\2\30 + السيوطي\ تفسير الجلالين\ 80+ الدر المنثور\ 2\56

[2] - الطبري\ جامع البيان \4\ 26 0

[3] - م 0 ن 0

[4] - الطوسي \ التبيان\2\538 + ظ: الطبرسي\مجمع البيان\2\350 +القطب الراوندي\فقه القرآن\1\285 0

[5] - ألمجلسي \بحار الأنوار \21\ 25 0

[6] - الفرقان : 68 – 69 0

[7] - الكبيرة : هي ما أوجب و أوعد الله تعالى عليها بالنار0 ظ: الطباطبائي \الميزان\4\334 0

[8] - ظ: الطبرسي\ مجمع البيان\ 7\312 0

[9] - الطوسي\ التبيان\ 2\364 + ظ: الطبرسي\ مجمع البيان\7\312 0

[10] - ظ: الطبرسي \مجمع البيان \7\312 0

الأول : أن هذه الآية منسوخة ،وقد أختلف في ناسخها، فمنها أنها منسوخة بقوله تعالى: **﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾** ([1]) وهو قول ابن عباس0حيث الآية المنسوخة مكية والآية الناسخة مدنية0

وقيل أن ناسخها قوله تعالى: **﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ000﴾** ([2])

وقيل أن الآية الأولى نُسخت بالآية الثانية وهي قوله: **﴿ إِلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ 000﴾** ([3]) 0

ويُخَطّئ ابن الجوزي القول الأول ؛لأن القتل لا يوجب تخليداً عند الأكثرين – على حد تعبيره – والشرك لا يغفر إذا مات المشرك عليه، والاستثناء ليس بنسخ 0ويعضد القول الثاني وهو : أن الآية الكريمة محكمة وإنما كان الحكم كذلك لانضمام الشرك و القتل و الزنا بعضها إلى بعض في الحكم ([4]) 0

وهذا معناه أن من يفعل تلك الجرائم مجتمعة يلق ذلك العقاب 0

وإلى مثل هذا الرأي يشير السيد الطباطبائي في تفسيره للآية بقوله: (والخلود في العذاب في الشرك لأريب فيه، وأما الخلود فيه عند قتل النفس المحترمة والزنا وهما من الكبائر، وقد صرح القرآن بذلك فيهما وكذا في أكل الربا ،فيمكن أن يحمل على اقتضاء طبع المعصية ذلك كما ربما استفيد من ظاهر قوله:**﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ 000﴾** ([5]) أو يحمل الخلود على المكث الطويل أعم من المنقطع والمؤبد أو يحمل قوله : (ومن يفعل ذلك) على فعل جميع الثلاثة؛ لان الآيات في الحقيقة تنزه المؤمنين عما كان الكفار مبتلين به وهو الجميع دون البعض) ([6]) 0

أما طبيعة العقاب فكانت بمضاعفة العذاب ،وكيفيته بأن تكون المضاعفة بكثرة الأجزاء لا أنه يضاعف استحقاقه ؛(لان الله تعالى لا يعاقب بأكثر من المستحق لأن ذلك ظلم يتعالى الله عن ذلك 0 وقيل يضاعف عذابه على عذاب الدنيا) ([7]) 0

وفي الآية عقوبة أخرى وهي الخلود في النار مع الإهانة، وهي قيدُ جاء معطوفاً بحرف العطف (الواو) والذي يفيد مطلق الجمع ([8]) بين العذاب المضاعف والخلود ([9]) 0

فدلّ القيد بالعطف على أن عقاب من يفعل هذه الجرائم لا يضاعف له العذاب فحسب، وإنما أضاف له القيد معنىً آخر هو الخلود في النار مستخفاً به ([10]) 0

---

[1] - النساء : 93 0

[2] - النساء : 116 0

[3] - الفرقان : 70 0

[4] ظ: ابن الجوزي\ زاد المسير\6\25

[5] - النساء : 48 0

[6] - الطباطبائي \ الميزان\ 15\241 – 242 0

[7] - الطوسي\ التبيان\ 7\508 + ظ: الطبرسي\مجمع البيان /7\312 0

[8] - حروف العطف هي(الفاء، ثم، حتى، أو، أما،أم ،لابل، لكن، لا ،الواو، والواو تفيد مطلق الجمع0 ظ: ابن جني\ اللمع في العربية\ 174+ الأشبيلي\شرح جمل الزجاجي\1\223 – 226 0

[9] - ظ: الزمخشري\ الكشاف\3\232 0

[10]- ظ: الطوسي\التبيان\7\509 +الرازي\التفسير الكبير\24\111+ الطباطبائي\ الميزان\15\242

وهذا القيد يتفق مع عظم وكثرة الجرائم المعددة في الآية الكريمة،وفيه دلالة على عظم العقاب وزيادته،وزيادة القيد في الآية دلّ على زيادة التحذير والردع عن هذه الجرائم وفيه ترهيب وتهويل حيث يجتمع للمجرم عذابان في آن واحد ([1]) 0

5- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ ([2])

نجد في هذه الآية الكريمة نوع من أنواع التقييد وهو التقييد بالإضافة 0

والإضافة تعني: (إضافة اسم إلى اسم إيصاله إليه من غير فصل وجعل الثاني من تمام الأول يتنزل منه منزلة التنوين) ([3]) 0

فقد قيّد سبحانه وتعالى الأموال بـ(اليتامى) ،ولزاماً لهذا القيد فقد أصبحت الآية فيها دلالة على الترهيب فـ (المعنى: وأكل مال اليتيم على وجه الظلم،وغصبه متساويان في توجيه الوعيد إليه،ولا يدل على مثل ذلك في غير مال اليتيم) ([4]) والدليل قوله تعالى :**﴿ 00لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ 000﴾**([5]) لذا فـ (الزواجر عن مال اليتيم أعظم) ([6]) والمراد بالأكل سائر وجوه الانتفاع دون حقيقة الأكل الذي هو عبارة عن المضغ والابتلاع ،وفائدة تخصيص الأكل بالذكر أنه معظم منافع المال المقصودة ،فذكره الله تعالى تنبيهاً على ما في معناه من وجوه الانتفاع ([7]) 0

(واليتيم أحوج الناس إلى ماله لانعدام المعين والكافل له، لذا قيّد سبحانه لكي يُعرف أن الكلام الذي بعد القيد منحصراً عقابه بمن يأكل مال اليتيم،فناسب عظم العقاب عظم الجريمة) ([8]) ،عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله):(لما أسرى بي إلى السماء رأيت قوماً تقذف في أجوافهم النار

وتخرج من أدبارهم ،فقلت من هؤلاء يا جبرائيل ؟ فقال هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً) ([9])

ونجد في الآية الكريمة قيداً آخر وهو (ظلماً) والذي أفاد البيان والتوضيح ،وفيه دلالة على أن (مال اليتيم قد يؤكل بغير ظلم، وإلا لم يكن لهذا التقييد والتخصيص فائدة،وذلك000 أن للولي المحتاج أن يأكل من ماله بالمعروف) ([10])

عن أحمد بن محمد قال :(سألت أبا الحسن(عليه السلام) عن الرجل يكون في يده مال لأيتام فيحتاج فيمد يده فينفق منه عليه وعلى عياله وهو ينوي أن يرده إليهم،أهو ممن قال الله:

---

[1] - ظ : الزمخشري\ الكشاف\3\232 0
[2] - النساء : 10 0
[3] - ابن يعيش \شرح المفصل\2\118 0
[4] - الطوسي\ التبيان\ 3\125 0
[5] - النساء : 29 0
[6] - الطوسي \التبيان\ 3\125 0
[7] - ظ: الطبرسي\ مجمع البيان \2\ 207 + 3\26 0
[8] - سيروان عبد الزهرة\ الإطلاق والتقييد في النص القرآني\191 0
[9] - القمي \تفسير القمي\1\132+ ظ: 2\7 0
[10] - الرازي\ التفسير الكبير\9\200+ظ: الطوسي\التبيان\3\125 +الطبرسي\مجمع البيان\3\26 0

(إن الذين 000 ظلماً) ألآية ؟ قال: لا ،ولكن ينبغي له ألّا يأكل إلا بقصد ولا يسرف ،قلت له: كم أدنى ما يكون من مال اليتيم إذا هو أكله وهو لا ينوي رده حتى يكون يأكل في بطنه ناراً ؟قال : قليله وكثيره واحد إذا كان من نفسه ونيته أن لا يرده إليهم)([1]) 0

لذا فمن يأكل مال اليتيم ظلماً فكأنه يأكل ناراً بالحقيقة([2]) عن أبي الجارود عن أبي جعفر (عليه السلام)قال (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) :يُبعث أناس من قبورهم يوم القيامة تأجج أفواههم ناراً ، فقيل له: يا رسول الله ،من هؤلاء ؟ قال: (الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً 000))([3])0

أما موقع كلمة (ظلماً) من الأعراب ،فقد أختلف فيه على قولين:

أ- إنها منصوبة على المصدر؛لأن معنى قوله(يأكلون أموال اليتامى) :يظلمونهم0

ب-منصوب على الحال،كقولهم :جاءني فلان ركضاً، أي يركض ([4])0

ويرجح البحث القول الثاني؛وذلك لأن الظلم لا ينطبق على أكل المال فقط وإنما هو أعم من ذلك ،فأكل مال اليتيم مصداق من مصاديق ظلمه؛ لأنه يجوز أن يكون الظلم بالزجر والنهر به وسوء معاملته 0

وهكذا وجدنا أثر المطلق والمقيد في فهم الخطاب الشرعي واستنباط الحكم منه في تلك الآيات وغيرها من الآيات القرآنية التي لم يسع البحث دراستها تحاشياً للأطناب 0

الفصل الثاني

---

[1] - العياشي \ تفسير العياشي\1\224 0

[2] - ظ : الزمخشري\ الكشاف\1\369 0

[3] - العياشي \ تفسير العياشي\1\225 0

[4] - ظ: الطبري\ مجمع البيان\3\25 0

تطور البحث القرآني في التفسير ومناهجه

أولاً : المفهوم اللغوي والاصطلاحي لكلٍ من (التفسير ، المنهج) 0

ثانياً: تطور علم التفسير 0

ثالثاً : تطور مناهج التفسير 0

أولا: المفهوم اللغوي والاصطلاحي لكل من (التفسير، المنهج)

1- المفهوم اللغوي والاصطلاحي للتفسير

أ – المفهوم اللغوي لكلمة التفسير

ب- المعنى الاصطلاحي للتفسير

2- المفهوم اللغوي والاصطلاحي للمنهج

أ – المفهوم اللغوي للمنهج

ب- المعنى الاصطلاحي للمنهج

ج- الفرق بين المنهج والاتجاه التفسيريين

أولاً : المفهوم اللغوي و الاصطلاحي لكل من (التفسير ،المنهج)

1- **المفهوم اللغوي و الاصطلاحي للتفسير :**

أ- المفهوم اللغوي لكلمة التفسير :-

تكاد تتفق المعاجم اللغوية على أن معنى التفسير هو البيان والكشف والإظهار سواء أكان مأخوذ من (الفسر) أو مشتق من (السفر)([1])

وقد فصل أستاذنا الدكتور محمد حسين علي الصغير القول في ذلك وضبطه وأخرجه أخراجاً علمياً رصيناً ([2])0

ويضع الراغب الأصفهاني(ت502هـ)مقارنة سليمة بين الفسر و السفر فيقول:((الفسر و السفر يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما لكن جعل ألفسر لإظهار المعنى المعقول ومنه قيل لما ينبئ عن البول تفسرة وتسمى بها قارورة الماء وجعل السفر لإبراز الأعيان للأبصار فقيل سفرت المرآة عن وجهها وأسفر الصبح وسفرت البيت إذا كنسته) ([3])0

وهناك من يرى إن مادة (فسر) لوحدها تدور حول معنيين هما:الكشف المادي المحسوس،والكشف المعنوي المعقول ،واستعماله في الثاني أكثر من استعماله في الأول([4]) 0

ويذهب أبن عاشور إلى إن التفسير مصدر (فسّر)-بتشديد السين –مضاعف فسر – بتخفيفها –والتضعيف فيه ليس للتعدية بل هو للدلالة على التكثير ،تنزيلاً لما يعانيه المفسر من كد الفكر لتحصل المعاني الدقيقة ([5])0

أما قوله :(ثم قيل المصدران والفعلان متساويان في المعنى([6]) ،وقيل يختص المضاعف بإبانة المعقولات ،قاله الراغب وصاحب البصائر ،وكأن وجهه إن بيان المعقولات يكلف الذي يبينه كثرة القول00) ([7]) فهو مخالف لقول الأصفهاني في ما تقدم الذي لم يجعل التقارب بين(المضاعف والمخفف)وإنما جعله بين الفسر و السفر0

خلاصة واستنتاج

نستخلص مما تقدم:إنه على أي الاحتمالين في معنى التفسير سواء من (الفسر)أو(السفر)،فأن معنى المادتين هو الكشف والإبانة عن شيء غير بين و غير ظاهر و مغطى ([8]) 0

وعليه فالتفسير هو الكشف عن معاني القرآن غير الظاهرة ، أما حمل اللفظ على ظاهره فليس تفسيراً- بحسب أصل الكلمة – لأن التفسير كشف القناع فلا يكون منه حمل اللفظ على ظاهره ،لأنه ليس بمستور حتى يكشف([1])0

---

[1] - ظ: الراغب الأصفهاني \المفردات \636 + ابن منظور \السان العرب\5\55+ ألفيروز آبادي \القاموس المحيط\2\110+ الطريحي \مجمع البحرين \3\401 0

[2] - ظ: محمد حسين علي الصغير \المبادئ العامة \15 – 17 0

[3] - الراغب الأصفهاني /مقدمة التفسير: ملحق بنهاية كتاب(تنزيه القرآن عن المطاعن)للقاضي عبد الجبار /402 + مفردات غريب القرآن /233و 380 + محمد حسين علي الصغير \المبادئ العامة\ 0 16

[4] - ظ:الثعالبي /تفسير الثعالبي /40/1 +ظ:الذهبي /التفسير والمفسرون /1|13 0

[5] - ظ:محمد الطاهر بن عاشور/تفسير التحرير والتنوير /9/1 0

[6] - ويقصد المضاعف والمخفف0

[7] - محمد الطاهر بن عاشور/تفسير التحرير والتنوير /9/1

[8] - محمد حسين علي الصغير\ المبادئ العامة \17 0

ولذا فمن قرأ كتابةً و فهم معناها بحسب ما ظهر منها لا يقال فسرّها 0
ولكن ومع هذا الأصل وهذا المدلول لكلمة التفسير،فأنها بما يفهم منها اليوم بصفتها اسماً لعلم من علوم القرآن الكريم تشمل ما يفهمه المرء منه مطلقاً،سواء أكان هذا المفهوم ظاهراً منه أم خفيا0

ب- المعنى الاصطلاحي للتفسير :-

انقسم العلماء في تعريف (التفسير) اصطلاحاً إلى قسمين :-

1- القسم الأول :-يرى بعض العلماء إن التفسير ليس من العلوم التي يتكلف لها حد ، لأنه ليس قواعد أو ملكات ناشئة من مزاولة القواعد كغيره من العلوم التي أمكن لها أن تشبه العلوم العقلية ،ويكتفي في إيضاح التفسير بأنه بيان كلام الله ،أو انه المبين لألفاظ القرآن و مفهوماتها ([2]) 0

وهذه تعاريف بعض من هؤلاء العلماء :-

أ- ما ورد في تفسير مجمع البيان (فقال بعضهم :هو علم بأحوال تعرف به معاني كلام الله تعالى من الأوامر والنواهي وغيرها) ([3]) 0

ب- قول الرازي(ت/606هـ)(هو ما يبحث فيه عن مراد الله تعالى من قرآنه المجيد))([4])0

ج- عرف القرطبي(ت/ 671 ه)التفسير(بيان كلام الله المبين لألفاظ القرآن ومدلولاتها) ([5])

د - وقد عرفه الزرقاني: (علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية) ([6])

هـ - عرفه السيد الطباطبائي (ت/1402هـ):(التفسير هو بيان معاني الآيات القرآنية والكشف عن مقاصدها و مدا ليلها) ([7]) 0

و- عرفه السيد الخوئي (ت/1413هـ):(التفسير:هو إيضاح مراد الله تعالى من كتابه العزيز)([8])

2-القسم الثاني:-الذي يرى فيه بعض العلماء إن التفسير من قبيل المسائل الجزئية أو القواعد الكلية،أو الملكات الناشئة من مزاولة القواعد،فيتكلف له التعريف،فيذكر في ذلك علوماً أخرى يحتاج إليها في فهم القرآن ،كاللغة ، والصرف ، والنحو ، والقراءات ،وغير ذلك ([9]) 0

وهذه تعريفات بعض من هؤلاء العلماء :-

---

[1] - ظ: الخوئي \البيان \285 – 287 + محمد حسين علي الصغير\ المبادئ العامة \17 0

[2] - ظ:أمين الخولي /دائرة المعارف الإسلامية /مادة تفسير 5 /348 0

[3] - الطبرسي \مجمع البيان \1\17 0 المقدمة 0

[4] - م0ن \18 + حاجي خليفة \كشف الظنون \1\427 0

[5] - القرطبي \الجامع لأحكام القرآن \1\10 0

[6] - محمد عبد العظيم الزرقاني\مناهل العرفان \2\3 0

[7] - الطباطبائي \الميزان\ 1\4 0

[8] - الخوئي \البيان \419 0

[9] - ظ:أمين الخولي /دائرة المعارف الإسلامية /مادة تفسير 5 /348 0

أ- إن التفسير عند الشيخ الطوسي (ت: 460هـ)هو علم معاني القرآن ، و فنون أغراضه من القراءة، والمعاني، والإعراب، والكلام على المتشابه ، والجواب عن مطاعن الملحدين فيه ، وأنواع المبطلين([1]) 0

ب-وقد عرّف أبو حيان الأندلسي (ت745هـ) التفسير :(علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ،و مدلولاتها،وأحكامها الافرادية و التركيبية ،ومعانيها التي تحمل عليها التركيب و تتمات لذلك) ([2]) 0

ج- وقد عرف الزركشي (ت:794هـ) التفسير بأنه (علم نزول الآية و شؤونها و أقاصيصها ، والأسباب النازلة فيها ،ثم ترتيب مكيّها و مدنيها ، ومحكمها و متشابهها ، وناسخها و منسوخها ، وخاصها و عامها ،و مطلقها و مقيدها ،ومجملها و مفسرها ، وزاد قوم:علم حلالها و حرامها ووعدها ووعيدها،وأمرها ونهيها،وعبرها و أمثالها)([3])

وقد أورد الزركشي تعريفاً آخر للتفسير ونقله عنه السيوطي (ت: 911هـ) وهو (التفسير علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد(صلى الله عليه وآله) وبيان معانيه ، واستخراج أحكامه و حكمه،واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف،وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ؛ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ)([4])

فالزركشي هنا في هذا التعريف قد ذكر ووضح ما يحتاج إليه علم التفسير ،وذكر آداب المفسر و شروطه في التفسير ،(بل تجاوز إلى مصادر التفسير في اللغة والنحو،وجعل التفسير شاملاً لجملة من علوم القرآن والأحكام الشرعية ،فهو يتكلم عن التفسير ويريد لوازمه من الإحاطة والتخصص ،ومعرفة طائفة من العلوم التي يعرف بها التفسير وليست هي التفسير) ([5]) 0

خلاصة و استنتاج

من خلال دراستنا لهذا الموضوع وهو(المعنى الاصطلاحي لكلمة التفسير) عند العلماء استطعنا أن نتوصل إلى النتائج الآتية :-

1- عند إعمالنا لمقارنة بسيطة ما بين (المعنى اللغوي)لكلمة التفسير و(المعنى الاصطلاحي) لهذه الكلمة ،نجد إن هذين المعنيين يلتقيان في إرادة الكشف و البيان ، وعلى ذلك يبدو إن المعنى الاصطلاحي لكلمة التفسير منحدر عن الأصل اللغوي له([6])

2- من خلال تتبع آراء و أقوال العلماء في تعريف (علم التفسير) نجد إنها تتفق كلها على إن علم التفسير علم يبحث عن مراد الله تعالى ،فهو شامل لكل ما يتوقف عليه المعنى ،وبيان المراد 0

3- توهم بعض العلماء بان جملة العلوم التي ذكروها أمثال (اللغة ،النحو ،الصرف ، الاشتقاق ،القراءات 000 الخ) هي مادة علم التفسير ،أو هي علم التفسير بذاته ،في حين إن هذه العلوم هي من العلوم التي يجب على المفسر الإحاطة بها لكي يقوم بعملية التفسير،

---

[1] - ظ: الطوسي \التبيان \1\2-3 + محمد حسين علي الصغير \المبادئ العامة \18 0

[2] - أبو حيان الأندلسي\البحر المحيط \1\13 0

[3] - الزركشي \البرهان \2\148 + محمد حسين علي الصغير \المبادئ العامة \18 0

[4] - الزركشي \البرهان \2\148 + السيوطي \الإتقان \570 0

[5] - محمد حسين علي الصغير \المبادئ العامة \18 0

[6] - ظ: محمد حسين علي الصغير \المبادئ العامة \19 0

فليس الذي يدرس الناسخ و المنسوخ ،أو البلاغة ، أو الصرف شرط أن يكون مفسراً، ولكن كما قلنا من شروط المفسر أن يكون عارفاً لجملة من هذه العلوم و المعارف و الفنون 0

4- من خلال دراستي لمعنى (التفسير) لغةً ،وجدتُ المعنى في اغلب الأحيان هو الكشف عن المغطى أو المستور 00 أي (الخفي) غير ظاهر ،وهذا بالنسبة للتفسير عموماً ،وهو يشمل جميع النصوص التي تحتاج إلى توضيح

أما بإضافته إلى القرآن وتعريفه اصطلاحاً،فلم أجد أحداً من العلماء قد عرّف التفسير بأنه إيضاح مراد الله (الخفي) أو غير الظاهر،أو بيان معاني الآيات القرآنية غير الظاهرة و الخفية ، وإنما كان تعريفهم مطلقاً لمراد الله تعالى وغير مخصص بالخفي 0

ولهذا يعتقد البحث والله العالم وكما ذكرت سابقاً بأن مدلول كلمة التفسير بما يفهم منها اليوم بصفتها اسماً لعلم من علوم القرآن تشمل ما يفهمه المرء مطلقاً ،سواء كان هذا المفهوم ظاهراً منه أم خفياً 0

2- المفهوم اللغوي والاصطلاحي للمنهج 0

اعتمدنا في هذا المطلب على رسالتنا في الماجستير بعنوان(البحث القرآني عند السيد محمد باقر الحكيم) ([1]) 0

[1] - ظ: الباحثة \ البحث القرآني عند السيد محمد باقر الحكيم\ 250- 253 0

أ-المفهوم اللغوي للمنهج :-

المنهج من نهج:وهو الطريق الواضح([1])0وقيل الطريق العامر([2])0وقيل الطريق المستقيم ([3])

ومنه قوله تعالى ﴿ 00لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا000 ﴾ ([4]) وفي حديث العباس:(لم يمت رسول الله ،صلى الله عليه وسلم،حتى تركنا على طريق ناهجة) أي واضحة بينة ([5]) 0

ونهجت الطريق ،إذا أبنته وأوضحته ،ونهجت الطريق :سلكته ،وفلان يستنهج سبيل فلان أي يسلك مسلكه ([6]) 0

ب-المفهوم الاصطلاحي للمنهج: -

لقد ذكر للمنهج أكثر من تعريف سوف استعرض أهمها بحدود تتبعي وبقدر الحاجة:-

1-المنهج هو:(أقصر طريق معبد محدود المعالم ،يوصل إلى شيء مطلوب الوصول إليه على نحو أيقن و أسهل وأسرع) ([7]) 0

2- المنهج هو :(طريق البحث عن الحقيقة في أي علم من العلوم أو في أي نطاق من نطاقات المعرفة الإنسانية ([8]) 0

3-المنهج هو:(طريق يصل بها الإنسان إلى حقيقة) ([9]) 0

4- ويعرف ديكارت (1596-1650 م) المنهج بأنه :(مجموعة القواعد المؤكدة والسهلة،التي تمنع مراعاتها الدقيقة المرء من أن يفترض صدق ما هو كاذب ، وتجعل العقل يصل إلى معرفة حقه بجميع الأشياء التي يستطيع الوصول إليها بدون أن يبذل مجهودات غير نافعة) ([10])

وعليه يكون المنهج التفسيري :(هو الطريق التي يسلكها مفسر كتاب الله تعالى وفق خطوات منظمة يسير عليها لأجل الوصول إلى تفسير الكتاب العزيز طبقاً لمجموعة من الأفكار يُعنى بتطبيقها وإبرازها من خلال تفسيره) ([11])

وللتفريق بين المنهج والاتجاه ارتأى البحث ذكر المفهوم اللغوي والاصطلاحي للاتجاه:

---

[1] - ظ:الفراهيدي /العين /392/3 +ألأهوازي –ابن السكيت/الكنز اللغوي /23+الحربي /غريب الحديث /503/2 +الجوهري /الصحاح /346/1 +ابن منظور /لسان العرب /383/2 0

[2] - ظ:ابن سلام /غريب الحديث /ج278/3 0

[3] - ظ:ابن الأثير /النهاية /5 /134 0

[4] - المائدة : 48 0

[5] - ابن الأثير /النهاية/134/5 +ابن منظور /لسان العرب /383/2 0

[6] - الجوهري/الصحاح /346/1 +ابن منظور /لسان العرب /383/2 0

[7] - محمد أحمد مصطفى السرياقوس /التعريف بمنهاج العلوم /7 0

[8] - علي سامي النشار /نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام /7/1 0

[9] - علي جواد طاهر/منهج البحث الأدبي /17 0

[10] - محمد أحمد مصطفى السرياقوس /التعريف بمنهاج العلوم /7+عثمان أمين /ديكارت /79 0

[11] - هدى جاسم أبو طبرة /المنهج الأثري في تفسير القرآن الكريم /23 +ظ د:علي الأوسي/أبحاث المؤتمر الفكري الأول /331 0

أ- المعنى اللغوي للاتجاه :
الاتجاه من (التجاه)و(الجاه):الوجه الذي تقصده ([1])0ويقال للقصد وجه،وللمقصد جهة ووجهة وهي حيثما نتوجه للشيء ،قال:﴿ **وَلِكُلٍّ وِجهَةٌ هُوَ مُوَلّيهَا 00** ﴾ ([2]) إشارة إلى الشريعة ([3]) وقوله تعالى :﴿ **00 فَوَلِّ وَجهَكَ شَطرَ المَسجِدِ00** ﴾ ([4]) 0

ب-المعنى الاصطلاحي للاتجاه :
الاتجاه:(هو الحالة العقلية التي توجه استجابات الفرد)([5])أو(هو الاستعداد أو الحال العقلية العقلية أو الميول النفسية والنزاعات التي توجه الفرد لتقويم موقف أو تجربة ما، ومعالجة ذلك بطريقة مميزة) ([6]) 0
وعليه تكون الاتجاهات التفسيرية عبارة عن نواح وجوانب معينة يهتم بها المفسر أكثر من غيرها عند تفسيره للقرآن الكريم ،بحسب اختصاصه ومهاراته واهتماماته ،والتي تنعكس صورتها في تفسيره 0

ج -الفرق بين المنهج والاتجاه التفسيريين :
من خلال ما سبق ذكره يتضح لنا الفارق بين المنهج التفسيري والاتجاه التفسيري، فالمنهج عبارة عن الخطوات أو الطريقة التي يسلكها المفسر للوصول إلى مراده ،أما الاتجاه فهو عبارة عن الأفكار والمتبنيات التي يحملها المفسر غالباً قبل الشروع بعملية التفسير ،وغالباً ما تحمل طابعه المذهبي 0

ثانياً : تطور علم التفسير

1- أسلوب التفسير عند الصحابة والتابعين وتابعي التابعين000

---

[1] - ابن منظور /لسان العرب /557/13 0
[2] - البقرة : 148 0
[3] - الراغب الأصفهاني /مفردات غريب القرآن /514 0
[4] - البقرة : 144 0
[5] - محمد مصطفى زيدان واحمد محمد عمر /معجم مصطلحات علم النفس /75/1 0
[6] - هدى جاسم أبو طبرة /المنهج الأثري في تفسير القرآن الكريم /23 0

2- أسلوب مفسري الإمامية وطبقاتهم

ثانياً : تطور علم التفسير:

مر تفسير القرآن الكريم بعدة مراحل قد أوجزها الدكتور الصغير بثلاثة مراحل وهي:

1- مرحلة التكوين0
2- مرحلة التأصيل 0
3- مرحلة التجديد ([1]) 0

وسوف يوجز البحث هذه المراحل بما يأتي:

---

[1] - ظ: محمد حسين علي الصغير \المبادئ العامة \133 – 151 0

كان التفسير في عهد نشوئه(تكوينه) إنما يتلقى شفاهاً ويحفظ في الصدور،ثم يتناقل نقل الحديث يداً بيد 0

وهكذا كان التفسير على عهد الرسالة،وعلى عهد الصحابة والتابعين الأوائل 0

وقد كان النبي(صلى الله عليه وآله) أول مفسر للكتاب الكريم،وعنه نشأ التفسير بالمأثور([1])

وبما أن القرآن جاء وفقاً للنظام العام للغة العربية، وتطبيقاً لقواعدها ومناهجها في التعبير، ومتفقاً مع الذوق العربي العام في فنون الحديث فقد كان يحضى بفهم إجمالي من معاصري الوحي – على وجه العموم – مما أدى إلى أن يحقق القرآن تأثير عظيماً في نفوس الأفراد 0

ولكن هذا لا يعني إن معاصري الوحي كانوا يفهمون القرآن كله فهماً كاملاً شاملاً كما زعم ابن خلدون حيث قال في مقدمته: (إن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه ، في مفرداته وتراكيبه) ([2]) 0

وقد سبقه إلى هذا الرأي أبو عبيدة(ت:210هـ) بقوله أن السلف والذين أدركوا الوحي لم يحتاجوا إلى سؤال الرسول(صلى الله عليه وآله) عن معاني القرآن لأنهم كانوا عرب الألسن ([3])0

ويؤيد هذا الرأي من المعاصرين الدكتور محسن عبد الحميد بقوله(فالرسول الكريم لم يفسر القرآن تفسيراً لغوياً لأن الناس في زمانه لم يكونوا بحاجة إلى ذلك، فالعرب الذين نزل فيهم القرآن الكريم ،كانوا يتكلمون بلغتهم وكانوا عارفين بمعاني ألفاظها لفظة لفظه) ([4]) 0

ولا يذهب البحث إلى هذا الرأي ،وذلك أن بعض ألفاظ القرآن فيها انتقال من الحقيقة إلى المجاز ومثال ذلك ما وصلتنا من أخبار حول عدم معرفة الصحابة لمعنى قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾([5]) ففسر الرسول(صلى الله عليه وآله)الظلم بالشرك لقوله تعالى:**﴿ 00إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾** ([6])

إضافة إلى ذلك ما ورد في الأخبار من أسئلة نافع الأزرق لابن عباس والتي بلغت مبلغاً وكان جواب ابن عباس عنها مستشهداً بكلام العرب شعراً وأقوالاً ([7])، والفترة بين ابن عباس والرسول (صلى الله عليه وآله) لم تكن ببعيدة بحيث بدأ العرب خلالها يسألون عن معاني ألفاظ القرآن ، لذلك فأن نزول القرآن بلغة العرب لا يكفي وحده دليلاً على أنهم كانوا – على وجه العموم – يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه ؛لأنه كون الشخص من أبناء لغة معينة لا يعني اطلاعه عليها اطلاعا شاملاً ،وإنما يعني فهمه للغة بالقدر الذي يدخل في حياته الاعتيادية،هذا من ناحية0 ومن ناحية أخرى فأن فهم الكلام واستيعابه لا يتوقف على المعلومات اللغوية فحسب وإنما يتوقف أيضاً على الاستعداد الفكري ، والمران العقلي الذي يتناسب مع مستوى الكلام0

---

[1] - ظ: م0ن/133+ محمد باقر الحكيم\علوم القرآن \290+ الطباطبائي \القرآن في الإسلام \68

[2] - ابن خلدون \تاريخ ابن خلدون \1\438

[3] - ظ:الثعالبي\تفسير الثعالبي \1\48 0

[4] - محسن عبد الحميد \تطور تفسير القرآن \17 0

[5] - الأنعام : 82 0

[6] - لقمان : 13

[7] - ظ: السيوطي \ الإتقان \2\113 0

وكذلك فإن عملية فهم القرآن لا يكفي فيها النظر إلى الجملة القرآنية أو المقطع القرآني،بل كثيراً ما يحتاج فهم المقطع أو الجملة إلى مقارنة بغيره مما جاء في الكتاب الكريم،أو إلى تحديد الظروف والملابسات 0 هذا من ناحية ثالثة([1]) 0

وهكذا نستنتج بأن العرب المعاصرين لنزول القرآن كانوا يفهمون القرآن فهماً إجمالياً غير تفصيلاً يستوعب مفرداته وتراكيبه لعدة أسباب هي :

1- عدم إطلاعهم على مدلول الكلمة القرآنية المفردة من ناحية لغوية 0
2- عدم وجود استعداد فكري يتيح لهم فهم المدلول الكامل
3- فصل الجملة أو المقطع القرآني عن الملابسات والأمور التي يجب أن يُقرن المقطع القرآني بها لدى فهمه 0
4- إن الآية قد تكون من الناحية اللغوية في مستوى معلومات الشخص ،ولكنه يبقى مع ذلك عند محاولة استيعاب المعنى بحاجة إلى البحث والسؤال لتعيين المصداق الذي يتجسد في مدلول اللفظة0 فقوله تعالى :﴿ **وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ** ﴾ ([2])فمن الطبيعي أن يعرف الصحابة معنى كلمة (ليال) ومعنى كلمة (عشر)ولكن يبقى بعد ذلك أن يعرفوا المصداق،وما هي الليالي العشر التي عناها الله تعالى ([3]) 0

والأخبار والآثار الدالة على ذلك كثيرة منها:

جاء عن ابن عباس أنه قال:كنت لا أدري ما فاطر السماوات والأرض حتى أتاني أعرابيان يتخاصمان في بئر فقال أحدهما:أنا فطرتها،يقول :أنا ابتدأتها ([4]) 0

وكذلك ما ذكر عن عدي بن حاتم أنه لم يفهم معنى قوله تعالى ﴿ **000وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ000** ﴾ ([5]) وبلغ من أمره أنه أخذ عقالاً أسود وعقالاً أبيض،فلما كان بعض الليل نظر إليهما فلم يستبينا،فلما أصبح أخبر الرسول (صلى الله عليه وآله)بشأنه فأفهمه المراد([6]) 0

وغيرها من الأخبار والآثار الدالة على أن بعض الصحابة كثيراً ما كانوا لا يفهمون القرآن بصورة تلقائية،ويحتاجون في فهمه إلى السؤال والبحث0

وهكذا فقد كان من الطبيعي أن يقوم الرسول(صلى الله عليه وآله)بدور الرائد في التفسير، بوصفه صاحب الرسالة،ومهبط الوحي،وقد أُعد إعدادا إلهياً لهذه المهمة كغيرها من مهام الدعوة والرسالة0

ولكن التفسير الذي مارسه الرسول(صلى الله عليه وآله)كان له حدود ومدىً 0

فقد وردت الروايات والأخبار التي تدل على أن الرسول(صلى الله عليه وآله)لم يفسر إلا آيات من القرآن،وقد قام السيوطي(ت:911هـ)بجمع مجمل هذه الروايات على علاتها([7])0 والذي

---

[1] - ظ: محمد باقر الحكيم \علوم القرآن \285 – 286 0
[2] - الفجر : 1- 2 0
[3] - ظ: محمد باقر الحكيم \علوم القرآن \284 – 290 0
[4] - السيوطي\الإتقان \2\113 0
[5] - البقرة : 187 0
[6] - ظ: ابن حجر \ فتح الباري\ 9\249 0
[7] - ظ: السيوطي \الإتقان \4\214 – 257 0

يدل على ذلك هو ندرة ما صح عن الصحابة من التفسير بالمأثور عن النبي (صلى الله عليه وآله)0

ولكن في مقابل ذلك الرأي توجد أدلة وشواهد من القرآن الكريم وغيره تشير إلى أن النبي(صلى الله عليه وآله)كان يقوم بعملية تفسير شاملة للقرآن كله،قال تعالى:﴿ **كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ** ﴾ ([1]) وقوله:﴿ **00وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾([2]) 0

ومما سبق يتضح أن الرسول(صلى الله عليه وآله)قد فسر القرآن على مستويين:

المستوى الأول: وهو المستوى العام في حدود الحاجة،ومتطلبات الموقف الفعلي ولهذا لم يستوعب القرآن كله 0

المستوى الثاني: وهو المستوى الخاص،وكان تفسيراً شاملاً كاملاً بقصد إيجاد من يحمل تراث القرآن ،ويندمج به اندماجاً مطلقاً بالدرجة التي تتيح له أن يكون مرجعاً بعد ذلك في فهم الأمة للقرآن ،وضماناً لعدم تأثر الأمة في فهمها بإطارات فكرية خاصة ومسبقات مذهبية ،أو رواسب جاهلية0ولا يكفي المستوى العام لحصول هذا الضمان0

والمستوى الثاني:يتمثل في وضع النبي(صلى الله عليه وآله)لمبدأ مرجعية أهل البيت (عليهم السلام) في التفصيلات الخاصة التي تلقوها عنه في مجال التفسير والفقه وغيرهما ([3])0

ويدعم ذلك النصوص المتواترة الدالة على ذلك ومنها حديث الثقلين ،عن زيد بن أرقم:قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) ((إني تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر:كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ،ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض،فانظروا كيف تخلفوني فيهما))([4]) وغيره من الأحاديث الدالة على مرجعية أهل البيت(عليهم السلام) 0

وهكذا يتبين فهم المسلمين للقرآن على أساس ما لديهم من خبرة في علم اللغة البديهي ،والفطرة العربية الخالصة وعليها تتفرع معرفتهم العامة في فهم النصوص والشعر والعبارة البليغة ،والقرآن أول كل ذلك 0

وهذه الخبرة تمتلك عناصر مهمة جعلت المسلمين آنذاك يمتازون بها على بقية العصور المتأخرة وهذه العناصر هي :

1-الثقافة اللغوية العامة ،فالوجود الإسلامي حينذاك لم يكن قد أنفتح على الشعوب الأخرى،ولغته هي اللغة السليمة من الخطأ والغلط 0

2- تفاعل المسلمين مع الأحداث الإسلامية وأسباب النزول بحكم ارتباطهم بهذه الحوادث واطلاعهم على ظروفها،فكانوا يتعرفون بشكل إجمالي محتوى النص القرآني لمعرفته بأسباب النزول وأحداثها 0

---

[1] - البقرة : 151 0

[2] - النحل : 44 0

[3] - ط: محمد باقر الحكيم \علوم القرآن \293 0

[4] - الترمذي \صحيح الترمذي\2\308

3- الفهم المشترك للعادات والتقاليد العربية،فالقرآن حارب بعض العادات والتقاليد ، والعرب بحكم ظروفهم الاجتماعية كانوا على إطلاع بما تعنيه هذه العادات ومن ثم على المفهوم الجديد الذي تحدث عنه القرآن وأراده 0

4- دور الرسول(صلى الله عليه وآله)في التفسير،فقد كان الرسول(صلى الله عليه وآله)يباشر التفسير في مجرى الحياة الاعتيادية للمسلمين فكان يجيب على الأسئلة،و يشرح النص القرآني في المناسبات التي يفرضها الموقف القيادي الذي كان يضطلع به وسار على نهجه أهل البيت وعلماء الصحابة 0

وهذه العناصر في الحقيقة تمثل ما كان عليه المسلمون من فهم أولي جديد للقرآن ؛ لأنها لم تكن تكلفهم مجهوداً ذهنياً أو عناءً علمياً 0

ومن النصوص التي تشير إلى هذا المعنى:

عن عبد الرحمن السلمي قال: حدثنا الذين كانوا يقرأون القرآن إنهم كانوا إذا تعلموا من النبي (صلى الله عليه وآله)عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل000 قالوا:فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً ،ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة([1])0

وهكذا فان بذور المعرفة التفسيرية القائمة على العناية والتخصص إنما كانت على مستوى خاص من الصحابة ،الأمر الذي أدى إلى ولادة التفاوت بين المسلمين في جميع المعارف الإسلامية ،ومن ثم في خصوص المعرفة التفسيرية0

بعد هذا يمكننا أن نتصور بوضوح التطور الذي سارت به هذه المعرفة الخاصة ،حتى انتهت إلى الفارق الكبير الذي اخذ يفصل مستوى الخبرة الخاصة عن مستوى الخبرة العامة ،الأمر الذي سمح للباحثين إن يطلقوا (علم التفسير) على هذه الخبرة الخاصة التي كان يتمتع بها هؤلاء الأشخاص،وذلك بعد تضاؤل الخبرة العامة بسبب فقدها بعض العناصر التي كانت تعتمد عليها بسبب التوسع الإسلامي؛ لأنه لم يكن للأفراد الجدد معرفة لغوية، ولا اطلاع على الحوادث التاريخية التي ارتبطت بها بعض الآيات القرآنية0

في حين أخذت الخبرة الخاصة بالنمو نتيجة الشعور المتزايد بالحاجة لفهم القرآن، ومواجهة المشاكل الجديدة على ضوء مفاهيمه ولعل ما يعبر لنا عن هذا التفاوت في المعرفة بين الصحابة ما جاء عن مسروق: ((جالست أصحاب محمد(صلى الله عليه وآله) فوجدتهم كالإخاذ(الغدير) فالإخاذ يروي الرجل،والإخاذ يروي الرجلين ، والإخاذ يروي العشرة ،والإخاذ يروي المائة ،والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم)) ([2]) وهكذا كانت بداية تكون علم التفسير في عصر الصحابة0

ومن هذا المنطلق أصبح لزاماً على البحث أن يشطر الكلام في أسلوب التفسير إلى شطرين بحسب طبيعة المنهج المتبع منذ ذلك الحين إلى أسلوب التفسير في عهد الصحابة 000 وأسلوب مفسري الإمامية في التفسير0

1-أسلوب التفسير عند الصحابة والتابعين وتابعي التابعين000:

اشتغل جماعة من الصحابة بالتفسير بعد أن ارتحل الرسول(صلى الله عليه وآله)إلى الرفيق،الأعلى،ومنهم أَبي بن كعب،وعمار بن ياسر،وعبد الله بن مسعود ،وجابر بن عبد

---

[1] -ظ:السيوطي/الإتقان/176/2 0

[2] - النسائي\كتاب العلم \ ص17 0

الله الأنصاري ، وأبو سعيد ألخدري ، وعبد الله بن عمر ،وانس، وأبو هريرة، وأبو موسى ،وكان أشهرهم عبد الله بن عباس في رأي من قال ذلك ([1])0وهؤلاء جميعاً بين إمامي على مذهب أهل البيت ،وبين من حسب على الجمهور،ومهما يكن من أمر فقد برز ابن عباس شهرةً 0

فعن مسروق عن عبد الله بن مسعود ،قال:نعم ترجمان القرآن ابن عباس([2])

ومنهج هؤلاء في التفسير أنهم ينقلون ما سمعوه من النبي(صلى الله عليه وآله)في معاني الآيات بشكل أحاديث مسندة0وبلغت هذه الأحاديث كلها إلى نيف وأربعين ومائتي حديث أسانيد كثير منها ضعيفة ومتون بعضها منكرة لا يمكن الركون إليها([3])0 وربما ذكر هؤلاء تفسير بعض الآيات على انه تفسير منهم بدون إسناده إلى الرسول(صلى الله عليه وآله)،فعد المفسرون من متأخري أهل السنة هذا القسم أيضاً من جملة الأحاديث،بحجة إن الصحابة اخذوا علم القرآن من النبي(صلى الله عليه وآله)ويبعد أن يفسروا من عند أنفسهم ولكن لا دليل على صحة هذا الرأي 0

وكان من أسلوب معظم الصحابة بل اغلبهم هو الاعتماد على النصوص العربية عند محاولتهم التعرف على المعاني القرآنية ،ومنها ما نقل عن مسائل نافع بن الأزرق مع ابن عباس فقد استشهد الأخير عند الإجابة عليها بالشعر في أكثر من مائتي مورد من الآيات([4])0

ومن هنا لا يمكن اعتبار الأحاديث المنقولة عن الصحابة أحاديث نبوية كما لا يمكن القول بأنهم لم يفسروا مطلقاً برأيهم ([5]) 0

وقد ذهب الجمهور إلى أن تفسير الصحابي له حكم المرفوع إذا كان مما يرجع إلى أسباب النزول،وكل ما ليس للرأي فيه مجال0 أما ما يكون للرأي فيه مجال فهو موقوف عليه ما دام لم يسنده إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ([6]) 0

ويوجب بعض العلماء الأخذ بالموقوف على الصحابي؛وذلك لأنهم أهل اللسان،ولما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها ،ولما لهم من الفهم الصحيح ([7]) 0

قال الزركشي: (أعلم أن القرآن قسمان: قسم ورد تفسيره بالنقل،وقسم لم يرد،والأول: إما أن يرد عن النبي(صلى الله عليه وآله) ،أو الصحابة،أو رؤوس التابعين،فالأول يبحث فيه عن صحة السند،والثاني ينظر في تفسير الصحابي ،فأن فسره من حيث أللغة فهم أهل اللسان ،فلا شك في اعتماده أو بما شاهدوه من الأسباب والقرائن فلا شك فيه)([8])

ويعتبر مفسروا الصحابة هم الطبقة الأولى من المفسرين 0

---

[1] - ظ:الطباطبائي/القرآن في الإسلام/69+ صبحي صالح/ مباحث في علوم القرآن/289 0

[2] - الطبري/جامع البيان/31/1 0

[3] - الطباطبائي/ القرآن في الإسلام/69 0

[4] ظ: السيوطي / الإتقان/120-133 0

[5] - ظ:الطباطبائي \ القرآن في الإسلام \70 0

[6] - ظ: مناع القطان \مباحث في علوم القرآن \337 0

[7] - ظ: ابن كثير \تفسير ابن كثير \1\3 0

[8] - الزركشي \البرهان \ 2\172 0

أمـا الطبقــة الثانيــة فهـم التــابعون:وهـم تلامـذة مفسـري الصـحابة،وهم سـعيد بـن جبير(ت:95هـ) ،ومجاهد بن جبر(ت:100هـ) ،وعكرمة مولى ابن عباس(ت:104هـ) ،وطاووس اليماني (ت:106هـ)، والحسن البصري(ت:110هـ)، وعطاء بن رباح (ت :115هـ) وقتادة بن دعامة السدوسي(ت:117هـ) ([1]) 0

وأما تلامذة هؤلاء كربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وأبو صالح الكلبي ونظرائهم فيعتبرون من الطبقة الثالثة 0

وقد تميز كوكبة من هؤلاء التابعين بعلو الباع في التفسير،مع الفارق في الوثاقة و الضعف،حيث كان التفسير مقترناً حينذاك بتاريخ الرواية عن النبي(ﷺ) ، ولكنه وإن كان حديثاً بالمعنى العام إلا أنه لم يختلط بالحديث ،فالحديث له مدوناته الخاصة به([2]) به([2])

ولهذا فمنهج هؤلاء أنهم ينقلون التفسير بصورة أحاديث عن رسول الله(ﷺ) أو الصحابة،وأحياناً ينقلونه بشكل نظريات خاصة بدون إسنادها إلى أحد فتعامل متأخرو المفسرين مع هذه الأقوال معاملة الأحاديث النبوية واعتبروها أحاديث موقوفة ([3]) 0

وقد أطلق على الطبقة الثانية وتلامذتهم بـ(قدماء المفسرين) ([4]) 0

ولعل بداية تسجيل التفسير في الدفاتر والألواح كانت في هذه الفترة،عن ابن أبي مليكة قال: ((رأيت مجاهداً يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه ،فيقول له ابن عباس: أكتب ، حتى سأله عن التفسير كله)) ([5]) 0

ولمجاهد تفسير متقطع ومرتب على السور،من سورة البقرة إلى نهاية القرآن،يرويه عنه أبو يسار عبد الله بن أبي نجيح الثقفي الكوفي(ت:131هـ) وقد أعتمده أرباب الحديث ، وقد طبع في باكستان سنة 1367هـ ([6]) 0

وقيل أن سعيد بن جبير(ت:95هـ) جمع تفسير القرآن في كتاب،وقد أخذه عطاء بن دينار (ت:126هـ) ([7]) 0

ولابن جريح (ت:150هـ) تفسير كبير في ثلاثة أجزاء،يرويه بواسطة عطاء ابن أبي رباح عن ابن عباس،ويرويه عنه محمد بن ثور([8]) 0

وأمثال هذه التفاسير في ذلك العهد كثيرة0

وقد أختلف الجمهور فيما أثر عن التابعين من تفسير إذا لم يؤثر في ذلك شيء عن رسول الله(ﷺ)أو عن الصحابة،فذهب جماعة إلى أنه لا يؤخذ بتفسيرهم؛ لأنهم لم يشاهدوا القرائن والأحوال التي نزل عليها القرآن،فيجوز عليهم الخطأ في فهم المراد

---

[1] - ظ: محمد حسين علي الصغير\المبادئ ا لعامة\135+ صبحي صالح/مباحث في علوم القرآن /290 0

[2] - ظ: محمد حسين علي الصغير\المبادئ ا لعامة\135 0

[3] - الحديث الموقوف هو : ما وقف فيه الإسناد على الراوي ولم يصل إلى المعصوم (ﷺ)0ظ: الداماد الداماد \الرواشح السماوية\198 + حسن الصدر\نهاية الدراية\184 0

[4] - الطباطبائي\القرآن في الإسلام \72 0

[5] - الطبري \جامع البيان \ج1\31 0

[6] - ظ: محمد هادي معرفة \التفسير والمفسرون \2\531 0

[7] - ظ:ابن حجر \تهذيب التهذيب\7\198 0

[8] - ظ: السيوطي\الإتقان \ج4\ص208 0

وذهب آخرون إلى أنه يؤخذ بتفسيرهم؛لأنهم تلقوه غالباً عن الصحابة، وذهب جماعة إلى أنه إذا أجمع التابعون على رأي فيجب أن يؤخذ به([1])0 قال ابن تيمية: (قال شعبة بن الحجاج وغيره:أقوال التابعين ليست حجة،فكيف تكون حجة في التفسير؟ يعني أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم0وهذا صحيح،أما إذا أجمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة،فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم،ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السنة،أو عموم لغة العرب،أو أقوال الصحابة في ذلك) ([2]) 0

إلا أنه الأخذ بالتفسير في هذه المرحلة يتحتم التحرز الشديد لما ذكرناه من وثاقة وضعف المفسر،ولزاماً التأكد من عدم اختلاط التفسير بالوضع والانتحال و الإسرائيليات ،حيث أن من مصادر التفسير في هذه الفترة إضافة إلى القرآن الكريم نفسه والأثر المروي عن الرسول(صلى الله عليه وآله) والصحابة ،واللغة هي أقوال أهل الكتاب من اليهود والنصارى ولعل ذلك بسبب الاتفاق بين القرآن الكريم والتوراة في بعض المسائل وبالأخص فيما يتعلق بقصص الأنبياء والأمم الغابرة([3])0وربما - وهو الأقوى سبباً - أقصاء أهل البيت عن المرجعية الفكرية ،فكان من الطبيعي عندما تواجههم بعض الأسئلة ولا يجدون فيما لديهم من معرفة تفسيرية تسد هذا الفراغ يلجأون إلى أهل الكتاب وخصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن بعض أهل الكتاب ممن رجع إليهم الصحابة في هذه التفصيلات قد اظهر الإسلام وانسجم مع القادة المسلمين في أحكامهم وإطاراتهم الأمر الذي أدى إلى أن يصبحوا من المقربين والمستشارين لهؤلاء القادة أمثال كعب الأحبار([4])0

أما الطبقة الرابعة فهم من أوائل المؤلفين في علم التفسير وهم من تابعي التابعين، كشعبة بن الحجاج (ت:160هـ)، ووكيع بن الجراح(ت:197هـ)،وسفيان ابن عيينة (ت:198هـ) ،وعبد بن حميد(ت:249هـ)ومن هذه الطبقة أيضا ابن جرير الطبري (ت:310هـ) ([5])0

ومنهج هذه الطبقة من المفسرين كان نقل أقوال الصحابة والتابعين بشكل أحاديث في مؤلفاتهم التفسيرية بدون ذكر آرائهم الخاصة،إلا أن الطبري في تفسيره قد يبدي رأي في ترجيح بعض الأحاديث على بعضها وكيفية الجمع بينها([6])0

أما الطبقة الخامسة فكانت من المفسرين الذين نقلوا الأحاديث في تفاسيرهم بحذف الأسانيد واكتفوا بنقل الأقوال والآراء0فدخل من هنا الدخيل والتبس الصحيح بالعليل ([7])0

بل وحتى في الأحاديث المسندة فالوضع والدس والأقوال المتناقضة المنسوبة إلى صحابي واحد من الكثرة التي يجب أن لا يغفل عنها 0

ومن هنا فقد نقل عن الشافعي(ت:204هـ) قوله (لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيه بمائة حديث)([1])0

---

[1] - مناع القطان \مباحث في علوم القرآن\339 0

[2] - ابن تيمية \أصول التفسير \28- 29 0

[3] -ظ: الطبري/جامع البيان/225/1-227 + الذهبي/التفسير والمفسرون/61/1 0

[4] - ظ:محمد باقر الحكيم/علوم القرآن/327+الطباطبائي/القرآن في الإسلام/69 0

[5] - ظ:السيوطي/الإتقان/211/4+ الطباطبائي/القرآن في الإسلام/72 +محمد حسين علي الصغير/المبادئ العامة /138 0

[6] - ظ: الطبري \جامع البيان\ 1\ 569+ 3\ 165

[7] ظ:السيوطي/الإتقان/190/2+مناع القطان/مباحث في علوم القرآن/341 0

(وما من شك انه قد ضاعت بين هذه الأجيال حقائق شتى وراجت خرافات شتى ،حتى عادت الموضوعات في كتب التفسير من الكثرة بحيث لا تعد ولا تحصى 0وهنا يبرز دور الناقد الخبير من المفسرين في تمييز صحيح القول من فاسدة،كما يتجلى دور علم الرجال في كشف جمهرة الكذبة وإلقاء الضوء على المختلف من التفسير)([2])
أما الطبقة السادسة من المفسرين فهم الذين كتبوا التفسير بعد ظهور العلوم المختلفة ونضجها ، فكتب كل منهم حسب اختصاصه وفي العلم الذي أتقنه:فالنحوي أدرج المباحث النحوية كالزجاج (ت:310هـ) والواحدي (ت:468هـ)،والأديب أورد المباحث البلاغية كالزمخشري(ت:538هـ)في كشافه،والمتكلم أورد المباحث الكلامية كالفخر الرازي (ت :606هـ) في تفسيره الكبير،والصوفي غاص في المباحث الصوفية كابن العربي (ت :543هـ) ،والفقيه جاء بالمسائل الفقهية كالقرطبي (ت:668 هـ) في تفسيره0
وقد خلط جماعة آخرون في تفاسيرهم بين العلوم المختلفة كما في تفسير غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري(ت:728هـ) وروح البيان لإسماعيل حقي(ت :1137هـ) ، وروح المعاني لشهاب الدين الآلوسي(ت: 1270هـ) ([3]) 0
والخدمة التي قدمتها هذه الطبقة إلى علم التفسير هي إخراجه من جموده وإخضاعه للدرس والبحث ،حيث إن التفسير كان عبارة عن أحاديث نبوية وأقوال للصحابة والتابعين ولم يكن لإعمال النظر دور فيه لأنه يكون من قبيل الاجتهاد مقابل النص ، ولكن لما ظهر التناقض والتضارب والدس بدأت هذه الطبقة تعمل رأيها وتجتهد([4])0

تعقيب:

لابد من الإشارة إلى أن التفسير في بداية نشوئه كان متقطعاً ومرتباً حسب ترتيب السور والآيات ،وكان المفسر يراجع شيخه في مواضع من القرآن كان قد أشكل عليه فهمها ،فيسأله عنها ويسجله في دفتره مبتدئاً من أول القرآن إلى آخره 0
ولكن خلال هذه المراحل - مرحلة الطبقة الرابعة تقريباً- ظهر إلى جنب هذا النوع من التفسير الرتيب نوع آخر تعرض للجوانب الفقهية أو اللغوية فقط تاركاً جوانبه الأخر ،وهو ما نسميه اليوم بـ(التفسير الموضوعي)0
ومن أمثلة ذلك كتاب(الأشباه والنظائر في القرآن الكريم)لمقاتل بن سليمان البلخي (ت:150هـ) في تفسير المفردات المتشابهة والمترادفة والمشتركة في القرآن0
وكتاب(معاني القرآن)للفراء(ت:207هـ)وكتاب(مجاز القرآن)لأبي عبيدة(ت:210هـ) وكتابي (تأويل مشكل القرآن)و(تفسير غريب القرآن) لابن قتيبة(ت:270هـ)([5])0

---

[1] - م0ن/4/211 0

[2]- محمد حسين علي الصغير/المبادئ العامة/136 0

[3] - ظ: الطباطبائي \القرآن في الإسلام/74- 75+ محمد هادي معرفة/التفسير والمفسرون /2/ 534-535

[4] - ظ: الطباطبائي \القرآن في الإسلام/74- 75+ محمد هادي معرفة/التفسير والمفسرون /2/ 534-535

[5] - محمد حسين علي الصغير/ المبادئ العامة/138-139 0

وهكذا تنوع التفسير من أول يومه إلى تفسير رتيب وتفسير موضوعي غير إن التفسير الرتيب كان مقتصراً في الأكثر على المأثور من الأقوال والآثاروالموضوعي على الفقه واللغة فحسب،وزاد المتأخرون جانب الناسخ والمنسوخ في القرآن،و أسباب النزول،وغيرها من مواضيع قرآنية أفردوا لها كتباً تبحث عنها بالخصوص ([1])

2-أسلوب مفسري الإمامية وطبقاتهم:

تعتقد الإمامية بنص من القرآن الكريم بحجية أقوال النبي(صلى الله عليه وآله)والعترة الطاهرة من أهل بيته(عليهم السلام)، وترى إن الصحابة والتابعين كبقية المسلمين لا حجية في أقوالهم إلا ما ثبت أنه حديث نبوي أو وافق أصول العربية في بعض الآيات؛ وذلك لدخول من كانوا من المنافقين مثلاً، ودعاة اليهود والإعرابي والساذج، أو الذي خلط عملاً صالحاً بأخر سيئ ،أو عرف من الإسلام مجرد مفاهيم عامة وشعارات وطقوس دون أن يدخل الإيمان إلى قلبه، أو كان ممن بقيت في أعماقه رواسب العادات والأخلاق الجاهلية والأفكار الوثنية([2])0 هذا بالإضافة إلى السبب الرئيسي وهو إحاطة أهل البيت بالمستوى الخاص من العلم الذي علمهم إياه رسول الله(صلى الله عليه وآله) وهو مستوى الباطن أو المتشابه أو التأويل، عن إسحاق بن عمار قال:سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: ((إن للقرآن تأويلاً فمنه ما قد جاء ومنه ما لم يجيء ، فإذا وقع التأويل في زمان إمام من الأئمة عرفه إمام ذلك الزمان))([3]) 0

ومن هنا أخذت الشيعة في التفسير بما أثر عن النبي(صلى الله عليه وآله)وأهل بيته(عليهم السلام) فكانت طبقات المفسرين منهم كما يأتي:

الطبقة الأولى:

(وهم طبقة الرواة ،وهم الذين رووا التفسير بإسناده إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وأئمة أهل البيت فحسب ،وفي طليعة هؤلاء :زرارة بن أعين(ت:150هـ) ومحمد بن مسلم(ت: 150هـ) ومعروف بن خربوذ وحريز بن عبد الله الأزدي الكوفي)([4]) 0

الطبقة الثانية:

وهم أوائل المؤلفين في التفسير، وهم الذين أبقوا أثراً تفسيرياً معتمداً على رأي أهل البيت (عليهم السلام)وفي طليعتهم: أبو حمزة الثمالي(ت:184 هـ) ، ومحمد بن مسعود العياشي(ت:320هـ)، وعلي بن إبراهيم القمي(ت: 329هـ) ،و فرات بن إبراهيم الكوفي(ت: 352هـ) ، ،ومحمد بن إبراهيم النعماني(ت:ق4 هـ)([5])0

وكانت طريقة هؤلاء في تفاسيرهم تشبه طريقة الطبقة الرابعة من مفسري الجمهور فقد رووا الأحاديث المأثورة عن الطبقة الأولى وأدرجوها مسندة في مؤلفاتهم ولم يبدوا آراءهم الخاصة في الموضوع 0

---

[1] - ظ:محمد هادي معرفة /التفسير والمفسرون/536/2-537+ مناع القطان/مباحث في علوم القرآن/342 0

[2] - ظ:محمد باقر الحكيم/علوم القرآن /ص361 0

[3] - الصفار/بصائر الدرجات/ص195 0

[4] - محمد حسين علي الصغير \المبادئ العامة \140 0

[5]- ظ:الطباطبائي/القرآن في الإسلام/77+ محمد حسين علي الصغير/المبادئ العامة/140 0

وقد قل عند أوائل مفسري الإمامية نقل أحاديث التفسير بشكل روايات مرسلة في تفاسيرهم ،وكنموذج لنقل الأحاديث مروية بدون أسانيد نجد تفسير العياشي الذي حذف بعض تلامذته أسانيده اختصاراً ،فاشتهرت نسخه التلميذ المختصرة وحلت محل نسخة الأصل([1])0

الطبقة الثالثة:

وهم أصحاب العلوم المختلفة ،ومنهم الشريف الرضي(ت:406 هـ) في تفسيره الأدبي ،والشيخ الطوسي(ت:460هـ) في تفسيره (التبيان) الذي نرى فيه الرواية إلى جنب الدراية ،واللغة إلى جنب العرف ، والاستنباط بمحاذاة الاجتهاد ،والمذهب الكلامي بإزاء الفكر الاحتجاجي([2])0

ومن بعده جاء تفسير الطبرسي(ت:548هـ)المسمى(مجمع البيان)الذي يعتبر من التفاسير الجامعة للعلوم المختلفة من اللغة والنحو والقراءة والكلام والحديث وغيرها من التفاسير كتفسير(أسرار الآيات) لصدر المتألهين محمد بن إبراهيم الشيرازي (ت:1050هـ)، وتفسير (الصافي) للفيض الكاشاني (ت:1091هـ) ،وتفسير(البرهان)للسيد هاشم البحراني(ت:1107هـ) ،وتفسير(نور الثقلين) للشيخ عبد علي الحويزي الشيرازي (ت:1112هـ) 0

ثالثاً: تطور مناهج التفسير

توطئة:

1- المنهج القرآني

---

[1] - الطباطبائي/القرآن في الإسلام/78 0

[2] - محمد حسين علي الصغير/المبادئ العامة/142 0

2- المنهج الأثري

أ- مفهوم التفسير بالمأثور
ب- أهمية التفسير بالمأثور
ج- مصادر التفسير بالمأثور

1- المأثور عن الرسول(صلى الله عليه وآله) وأهل البيت(عليهم السلام)
2- المأثور عن الصحابة
3- المأثور عن التابعين

د- مشكلات التفسير بالمأثور

هـ - الترجيح بين الروايات

3- منهج الرأي

4- المنهج اللغوي

5- المنهج البياني

6- المنهج الموضوعي

7- المنهج العلمي

ثالثاً- تطور مناهج التفسير

توطئة :

بعد أن عرضنا للمراحل التي مر خلالها علم التفسير ومواكبته لعملية التطور سواء على الصعيد التاريخي أو اللغوي أو العلمي 000،كذلك يجدر بالبحث أن يلقي الضوء على التطور الحادث بالنسبة لطرق التفسير(مناهجه)وأساليب المفسرين في طرح المراد من كلام الله تعالى في قرآنه المجيد0

حيث أن طرق التفسير قد تنوعت وتعددت ضمن الحقبة المدروسة في البحث ومنها ما كان له الصدارة والأولوية ،ومنها ما برحت بداياته تظهر إلى الساحة العملية0
هذا ولم يكن للاصطلاحات العلمية الحالية الموضوعة كتسمية لهذه المناهج ظهور حتى القرون الأخيرة بعد أن بدأت دراسات اللاحقين للسابقين وتصنيف مناهجهم ، أو تصنيف مناهج التفسير لجعل كل مفسر ضمن منهج معين قد غلبت معالم ذلك المنهج على تصنيفه0
وقد تتداخل هذه المناهج فيما بينها ،ولا مانع من ذلك بحسب الحاجة، وحسب اتجاه المفسر0 فنجد للمنهج القرآني ولوجاً في جميع المناهج الأخرى وكذلك المنهج الأثري0 وربما تترابط المناهج فيما بينها لتكون الوحدة الموضوعية للمنهج الموضوعي0
وقد يجمع المفسر الواحد بين منهجين أو أكثر كما في منهج الشيخ الطوسي و الطبرسي حيث جمعا كل من المنهج النقلي والعقلي واللغوي0
وتسمى مثل هذه التفاسير بـ(التفاسير الجامعة) وهي: (التفاسير التي تشمل الكلام في جوانب مختلفة من التفسير لغةً وأدباً وفقهاً وكلاماً حسب أنواع المعارف الدارجة)([1])
وكذلك قيل عن تفسير(التبيان) للشيخ الطوسي:(هو أول تفسير شيعي جامع بين النقل والعقل وبين الرواية والدراية)([2]) 0
ويجب التنويه على أن هذه المناهج لم تلق جميعها الرضا والقبول ،وذلك بحسب طبيعة المنهج من حيث طريقته ومصادره ومشكلاته ،على تفاوت بين الاراء0
فمن هذه المناهج القسم الشائع ،وهو المرضي عند العلماء ويمثله المنهج القرآني ، والمنهج الأثري ،والمنهج اللغوي ،والمنهج الأدبي000
والقسم الثاني وهو الذي لا مانع فيه ،وإن عورض بتوقف ،ويمثله المنهج الاحتجاجي(الكلامي)والفلسفي أو العرفاني ،والمنهج العلمي000
والقسم الثالث والأخير ،وهو المنهي عنه أو المناقش فيه ،ويمثله المنهج الصوفي والمنهج الباطني ،ومنهج الرأي القائم على الاستحسان والهوى دون الاستنباط([3])0
وفيما يأتي سوف يقوم البحث بعرض هذه المناهج التفسيرية مبيناً مفهومها ومصادرها ومشكلاتها واهم المفسرين الذين انتهجوا بها0

1-المنهج القرآني:

إن القرآن الكريم كتاب دائم للجميع يخاطب الكل ويرشدهم إلى مقاصده 0 وقد تحدى في الكثير من آياته على الإتيان بمثله واحتج بذلك على الناس ،ووصف نفسه بأنه النور والضياء والتبيان لكل شيء 0
ولذلك فلا شك إن أتقن مصدر لتبيين القرآن هو القرآن نفسه ؛لأنه ينطق بعضه ببعض ،ويشهد بعضه على بعض([4]) ،وإن كله بعضه متصل ببعض([1])

---

[1] محمد هادي معرفة/التفسير والمفسرون 373/2 0
[2] - الأسعد بن علي/الشيخ الطوسي مجدداً/مجلة المنهاج /العدد(20) 0
[3] ظ:محمد حسين علي الصغير/المبادئ العامة/89-90 0
[4] - نهج البلاغة/الإمام علي(عليه السلام)/شرح محمد عبدة/32/2

وبحكم طريقة نزول القرآن التدريجية والأهداف التي كان يتوخاها من وراء هذه الطريقة فقد جاء في بعض الأحيان مبيناً لما قد أجمله سابقاً ومقيداً أو مخصصاً لما كان مطلقا أو عاماً ،أو ناسخاً لحكم كان ثابتاً في وقت سابق، هذه الطريقةً من القرآن تسمح لنا أن نستفيد من بعض الآيات القرآنية لنفهم بها بعض الآيات الأخرى([2])0

ووقوف القرآن بعضه على بعض يعرف بمصطلح (تفسير القرآن بالقرآن)

وهو يعني : (مقابلة الآية بالآية ،والنص بالنص ليستدل على هذه بهذه)([3])

وبتفصيل أدق هو : (مجابهة الآيات بعضها لبعض،وعرض الآيات بعضها على بعض ،ويستخرج - حينئذ- من مقابلتها معنى اللفظ أو الجملة أو الآية ،فيرجع إلى المحكم في تفسير المتشابه ،وإلى المبيّن في معرفة المجمل،وإلى المسهب في تعريف الموجز،وإلى المعلن في استجلاء المبهم،وإلى الواضح في استنباط الخفي،وهكذا)([4])

هذا وقد عد العلماء هذا المنهج من أحسن طرق التفسير كما ذكر ذلك ابن تيمية بقوله : (فان قال قائل فما أحسن طرق التفسير ؟الجواب إن أصح الطرق في ذلك تفسير القرآن بالقرآن)([5])

ويرى البحث إن السبب في ذلك يعود إلى قطعية صدور النص القرآني من جهة ،وعدم سوق المفسر الآيات القرآنية باتجاه خاص من جهة أخرى ،بل إن المفسر يبذل ما في وسعه لاستبيان معاني الآيات بالرجوع إلى آيات أخر ،وذلك لا ينافي أن يكون المفسر الذي يلتزم بهذا المنهج ذا اتجاه إصلاحي أو كلامي أو علمي أو غير ذلك 0وكذلك بهذا المنهج نبتعد عن الكثير من الأمور ،ومنها: وجوه التأويل التي لا تتسم مع النصوص القرآنية والتفسير بالرأي غير المستند إلى دليل ،والروايات الموضوعة والإسرائيليات0

ومن هنا يمكن القول :إن تفسير القرآن بالقرآن منهج عام ينسجم مع جميع الاتجاهات التفسيرية ،إلا أن الاتجاهات قد تختلف في درجة تعاطيها هذا المنهج وتطبيقها له شدة وضعفاً0

ومن الناحية التاريخية فيمكن القول إن أول من عمل بهذا المنهج هم :الرسول (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام)،إذ نلاحظ ملامح منه في ما أثر عنهم من تفسير لكثير من الآيات 0 فقد روى عبد الله بن مسعود أنه لما نزل قوله تعالى﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ** ﴾ ([6])شق ذلك على أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله)وقالوا أينا لم يلبس إيمانه بظلم: فقال: انه ليس بذاك ،إنما هو الشرك ،الم تسمعوا قول لقمان:﴿ **00إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾ ([7]) ([8])

---

[1] - ظ:الجصاص:أحكام القرآن/10/1 0

[2]- محمد باقر الحكيم/علوم القرآن/320 0

[3] - محمد حسين علي الصغير/المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم/92 0

[4]- م0ن/61

[5] - ابن يتيمة/مقدمة في أصول التفسير/93 0

[6]- الأنعام:82

[7]- لقمان:13

[8] -البخاري/صحيح البخاري/6 /144+ الطوسي/التبيان/190/4+ الطبرسي/مجمع البيان/99/4+ القرطبي/تفسير القرطبي/30/7

كما إن التاريخ يحدثنا إن الإمام علي(عليه السلام)اتخذ مثل هذا المنهج للتعرف على بعض المعاني القرآنية ،فيروى إن الخليفة الثاني رفعت إليه امرأة ولدت لستة أشهر ،فهم برجمها ،فبلغ ذلك علياً(عليه السلام) فقال ليس عليها رجم ، فبلغ ذلك الخليفة فأرسل إليه فسأله0 فقال :﴿ **وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ000** ﴾[1] وقال ﴿ **000وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا000** ﴾ [2] فستة أشهر حمله ،وحولين رضاعه، فذلك ثلاثون شهراً ،فخلى ،فخلى عنها[3]

فقد فسر الإمام علي(عليه السلام) مدة الحمل بستة أشهر على أساس الآية الأخرى التي تحدد مدة الرضاع بـ(حولين كاملين) 0

ولكن ومع ذلك فالتفاسير القديمة لم تمارس هذا الأسلوب بشموليته وخصوصياته الراهنة ،وما نشاهده فيها من إحالات أحيانا إلى الآيات ،لا يعدو الإحالة في حالات مشابهة إلى أبيات من الشعر العربي ،وهذا بالطبع يختلف كثيرا عن تفسير القرآن بالقرآن الذي ظهر مؤخراً بوصفه منهجاً واضح المعالم ([4]) 0

وأما على مستوى التطبيق ،فلم يتفق المفسرون على نمط واحد في تطبيق هذا المنهج ،فنجدهم ينقسمون في ذلك إلى فريقين ،فريق يطبقه بنمط ظاهري شكلي يعتمد في فهم معاني الآيات على استقراء الكلمة في القرآن بهيأتها المختلفة ،فيعملون على تتبع استخدام القرآن للألفاظ واستخداماتها في الآيات للكشف عن جوانبها البلاغية والدلالية 0

وطبقه فريق آخر بنمط أكثر دقة وعمقاً، وذلك بالإفادة من ترابط الآيات في الموضوع والمضمون في التفسير ،من دون التقيد بالترادف الشكلي والظاهري للألفاظ 0فهذا النمط يعتمد على مبدأ أن الموضوعات القرآنية يؤثر بعضها في بعض وينسجم بعضها مع بعض فهي تؤلف منظومة يحتاج فهم كل جزء منها إلى استيعاب المجموع فيغني الرجوع إليه والاسترشاد به عن أي معيار أو مقياس من خارج القرآن؛لأن القرآن الذي هو تبيان لكل شيء لابد من أن يكون مبيناً لنفسه قبل أن يبين غيره 0

يقول الطباطبائي: (ومثل هذا الكتاب-القرآن- لو احتاج في بيان مقاصده إلى شيء آخر لم تتم به الحجة)([5])

ويقول: (إن في القرآن آيات تفسر الآيات الأخرى ،ومكانة الرسول وأهل بيته من القرآن كمرشد معصوم لا يخطا في تعاليمه وإرشاداته ،فما يفسرونه يطابق التفسير الذي يستنتج من ضم الآيات بعضها إلى بعض ولا يخالفها في شيء)([6])

والى هذا المفهوم يشير السيد الخوئي بقوله :(وسيجد القارئ أيضاً إني كثيراً ما استعين بالآية على فهم أختها ،واسترشد القرآن إلى إدراك معاني القرآن ،ثم أجعل الأثر المروي مرشداً إلى هذه الاستفادة)([7])

---

[1] -البقرة:233

[2]- الأحقاف:15

[3]- الاميني/الغدير/93/6

[4] - موسى الصدر + أمان الله فريد\ تطورات مناهج التفسير القرآني في القرن الأخير رصد تاريخي مقارن \ مجلة المنهاج \العدد : 32 \297

[5]- الطباطبائي/القران في الإسلام/80

[6]- الطباطبائي/القرآن في الإسلام/81 0

[7]- الخوئي/البيان/22 0

ويذهب أستاذنا الدكتور محمد حسين علي الصغير :إلى أن هذا المنهج-كما هي حال باقي المناهج-لا يستوعب القرآن تفسيراً ما لم يضم إليه الأثر واللغة([1])

وفيما يلي سوف يدرج البحث نماذج من استخدام هذا المنهج عند المفسرين المتقدمين:

النموذج الأول :

في قوله تعالى﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ ([2])

تدل هذه الآية على أن الله سبحانه وتعالى أخرج من الصدقات جميع الناس إلا هذه الأصناف الثمانية المذكورة في الآية ([3]) 0

يقول الزمخشري: (قصر لجنس الصدقات على الأصناف المعدودة ،وأنها مختصة بها لا تتجاوزها إلى غيرها 0 كأنه قيل :إنما هي لهم لا لغيرهم) ([4]) 0

وقد جاء لفظ (الفقراء)في الآية مجمل مبهم،ولم يعرف من المراد بهم0ولذلك فقد أختلف الفقهاء في المراد بهم،والفرق بينهم وبين المساكين0وجاء الخلاف على وجهين :

أ- **الوجه الأول:**وهو الخلاف حول(المسألة) وقد انقسم العلماء إلى قسمين:

الأول : وهم الذين يرون أن الفقير هو ذو الحاجة ومع حاجته يتعفف عن مسألة الناس والتذلل لهم،والمسكين هو المحتاج المتذلل للناس بمسألتهم ([5]) 0

وقد أستند أصحاب هذا الرأي على ما يأتي:

1- قوله تعالى:﴿ **لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ** ﴾([6])- وهذا هو محل الشاهد في المقام – حيث استند معظم المفسرين إلى هذه الآية في بيان (الفقراء)المجمل([7])،وهو من تفسير القرآن بالقرآن 0

2- صحيحة أبي بصير:عن عبد الله بن مسكان عن أبي بصير قال:قلت لأبي عبد الله (عليه السلام)قول الله عز وجل﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ** ﴾ قال: ((الفقير الذي لا يسأل الناس والمسكين أجهد منه والبائس أجهدهم فكل ما فرض الله عز وجل

---

[1] - محمد حسين علي الصغير /المبادئ العامة/93 0

[2] -التوبة :60

[3] - المرتضى\رسائل المرتضى\3\79+ الطوسي \الاقتصاد \282 0

[4] - الزمخشري \الكشاف \2\197 0

[5] - ظ: الطبري \جامع البيان \10\205 +الو احدي \تفسير الو احدي \1\469 + الطبرسي\مجمع البيان \2\73 0

[6] - البقرة : 273 0

[7] - ظ: القمي \تفسير القمي \1\298 +الجصاص \أحكام القرآن \3\ص157+ القطب الراوندي \فقه القرآن \ج1\ص224 0

عليك فإعلانه أفضل من إسراره وكل ما كان تطوعاً فإسراره أفضل من إعلانه) 0 ([1])

3- ما روي عن ابن عباس والحسن وجابر بن زيد والزهري ومجاهد من أن الفقير المتعفف الذي لا يسأل والمسكين الذي يسأل ([2]) 0

الثاني: وهم الذين يرون العكس،أي الفقراء الذين يسألون الناس والمساكين هم المتعففون عن السؤال،وهؤلاء يستندون إلى رواية أبي هريرة عن النبي(صلى الله عليه وآله) أنه قال:
((ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان،إنما المسكين الذي لا يجد غنى فيغنيه ولا يسأل الناس شيئاً،ولا يفطن به فيتصدق عليه ولا يسأل الناس إلحافاً)([3])0
)([3])0
إلا أنه الرأي الأول هو الغالب والأصح 0
ويعقب الطبري على هذه الرواية – وقد أوردها بصيغة مختلفة وهي : (ليس المسكين بالذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان،إنما المسكين المتعفف ، أقرأوا إن شئتم لا يسألون الناس ألحافاً) – بقوله : (ومعنى قوله (صلى الله عليه وآله) إنما المسكين المتعفف على نحو ما قد جرى به استعمال الناس من تسميتهم أهل الفقر مساكين،لا على تفصيل المسكين من الفقير 0
ومما ينبئ عن أن ذلك كذلك انتزاعه(صلى الله عليه وآله) لقول الله : أقرأوا إن شئتم لا يسألون الناس إلحافاً 0 وذلك في صفة من ابتدأ الله ذكره ووصفه بالفقر فقال : (للفقراء الذين أحصروا 00 إلحافاً) ([4])وهذا يدل على أن الطبري من أصحاب الرأي الأول ويستنتج رأيه من الرواية حيث وضفها في تفسير القرآن بالقرآن0

الوجه الثاني : وهو الخلاف حول الأسوأ حالاً،كذلك انقسم العلماء إلى قسمين:

الأول: وهم الذين يرون أن الفقير هو الذي لا شيء له،والمسكين الذي له بلغة من العيش لا يكفيه،والفقير أسوأ حالاً0 وهو ما ذهب إليه كل من الشيخ الطوسي([5]) 0 وابن

---

[1] - الكليني \الكافي \3\501 +الطوسي \تهذيب الأحكام \4\104 + الحر ألعاملي \وسائل الشيعة \6\144 0

[2] - ظ: الطبري \جامع البيان \ج10\202- 203 + ابن أبي حاتم \تفسير ابن أبي حاتم\6\1818+ النحاس \معاني القرآن \ 3\220 +الثعلبي\تفسير الثعلبي\5\57+ الجصاص \أحكام القرآن \3\157 + السمعاني\تفسير السمعاني \2\320 0

[3] - وقد رويت هذه الرواية في عدة مصادر مع اختلاف يسير في متنها 0 ظ: الطوسي \التبيان \5\ 243 +الطبرسي\ مجمع البيان \5\74 0

[4] - الطبري \جامع البيان \1\456 0

[5] - ظ: الطوسي \الاقتصاد \282+ المبسوط \1\246+ الجمل والعقود\206 +الخلاف \2\349

إدريس(ت:598هـ)([1]) والشافعي (ت: 204هـ) ([2])،وأختاره ابن البراج،وابن حمزة ([3])0 ومستند هؤلاء ما يأتي:

1- قوله تعالى:﴿ **أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ000** ﴾([4]) فسماهم مساكين ولهم سفينة بحرية تساوي جملة من المال 0وهذا أيضاً من تفسير القرآن بالقرآن 0
2- إن القرآن نزل على لسان العرب ولغتها ومذاهبها،ومن مخاطباتها،والعرب تبدأ بالأهم فالأهم،فلما كان الفقير أسوأ حالاً من المسكين بدأ به الله تعالى 0
3- ما روي عن الرسول(صلى الله عليه وآله)أنه قال: (أللهم أحيييني مسكيناً واحشرني مع المساكين ونعوذ بالله من الفقر) ([5]) وهو يدل على أنه الفقر أشد حالاً من المسكنة0
4- الاعتماد على اللغة ،وذلك بأن الفقر مشتق من كسر الفقار وكأنه الفقير قد انكسر فقار ظهره لشدة حاجته([6]) 0

الثاني:وهم الذين يرون العكس بأن الفقير هو الذي له بلغة من العيش،والمسكين الأسوأ حالاً والذي لا شيء له،وهو ما ذهب إليه الشيخ الطوسي في(النهاية)([7]) والشيخ المفيد في في المقنعة([8]) وبه قال أبو حنيفة وثعلب والفراء وابن قتيبة،واختاره أبو إسحاق([9]) 0وابن 0وابن زهرة الحلبي([10]) 0وهو ما يرجحه العلامة الحلي في (مختلف الشيعة) لقربه للرواية المروية عن الإمام الصادق(عليه السلام) الآتية الذكر([11]) وما يظهر للمحقق البحراني للسبب ذاته ([12]) 0

وقد استند هؤلاء إلى ما يأتي :

---

[1] - ابن إدريس الحلي\السرائر \1\456
[2] - الشافعي \ المجموع \6 \196 0
[3] -العلامة الحلي \ مختلف الشيعة \3\198 0
[4] - الكهف : 79 0
[5] - البيهقي \سنن والبيهقي \7\ 12+ النسائي \سنن النسائي \8\ 261 +الحاكم \المستدرك \1\540 +الترمذي \سنن الترمذي \4\577+ ابن ماجة \سنن ابن ماجة \2\ 1381 0
[6] - ظ: ابن إدريس \السرائر\1\456+ المحقق الحلي\المعتبر \2\564+العلامة الحلي\تذكرة الفقهاء \5\237+ قواعد الأحكام \1\347 + مختلف الشيعة\3\198
[7] - الطوسي \النهاية\ 184 0
[8] - المفيد \المقنعة\241 0
[9] - ظ: العلامة الحلي\تذكرة الفقهاء \5\238 0
[10] - ابن زهرة الحلبي\غنية النزوع \123 0
[11] - ظ: 3\198 0
[12] - المحقق البحراني\الحدائق الناظرة \12\155 0

1- قوله تعالى:﴿ **أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ** ﴾ ([1]) وهو المطروح على التراب لشدة حاجته0

2- قول الإمام الصادق(عليه السلام): (الفقير الذي لا يسأل والمسكين أجهد منه والبائس أجهدهم) ([2]) 0

3- إن العادة في عبارات أهل اللسان تأكيد الأضعف معنى بالأقوى منه،وإن المؤكِد يفيد زيادة على ما يفيده المؤكَد، ولا شك أنه يحسن تأكيد الفقير بالمسكين ، فيقال:فقير مسكين دون العكس0 فلولا أن وجود الحاجة في المسكين أقوى لما حسن هذا التأكيد 0

4- قول الشاعر:

أما الفقير الذي كانت حلوبته وفق العيال فلم يترك له سبد

فقد جعل للفقير حلوبته (ناقته) وفق عياله،فيكون حاله أجود من المسكين([3])0

وقد رجح المتأخرون هذا الرأي،وهو أن المسكين أسوأ حالاً من الفقير؛لأنه قد حلت به المسكنة والذلة مضافة إلى فقدان المال،أما الفقير فهو الذي أتصف بالعدم وفقدان المال فقط ([4]) 0 فالفقير هو المحتاج قال تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ** ﴾ ([5]) أي المحتاجون إليه0 أما المسكين فهو الذي اشتدت به الحاجة حتى ألجأته إلى ذل السؤال وهو فوق ذل الحاجة([6]) 0

ويناقش المحقق السبزواري(ت: هـ) أدلة الآراء السابقة بالتفصيل ومن ثم يختار الوجه الثاني مستنداً على حديث الإمام الصادق(عليه السلام) وقد اعتبره أقوى الأدلة بعد تفنيده للأدلة الأخرى بالجملة وذلك كما يأتي :

1- إنه يجوز أن يكون اللام في قوله تعالى(لمساكين) للاختصاص لا للملك 0

تعقيب :

---

[1] - البلد : 16 0

[2] - الكليني \الكافي \3\501 +الطوسي\تهذيب الأحكام \4\104 0

[3] - ظ: المحقق الحلي\المعتبر\2\565+العلامة الحلي\تذكرة الفقهاء\ج5\238+ قواعد الأحكام \1\348+ مختلف الشيعة \3\198 0

[4] - ظ: الطباطبائي\ الميزان \9\310+ محسن الحكيم\مستمسك العروة الوثقى \9\212+ السيستاني\ الفتاوى الميسرة\ 224+ محمد سعيد الحكيم\حواريات فقهيه\180

[5] - فاطر : 15 0

[6] - الجواهري \جواهر الكلام \15 \303+ اليزدي \العروة الوثقى \4\98 0

قد أورد هذا الاحتجاج النحّاس وذلك بأنه القول بالملك قول غير لازم لأنه لا يريد الملك وإنما يجوز قال ذلك لأنهم يعملون فيها([1]) 0

2- إنه يجوز أن يكون الاهتمام بالفقير لا باعتبار كونه أسوأ حالاً بل باعتبار كونه أشرف لكونه لا يسأل0
3- إن قوله(صلى الله عليه وآله) أللهم أحيني مسكيناً ،المراد منه التواضع والإخبات وأن لا يكون من الجبارين المتكبرين0
4- وأما القول بأن الفقر مشتق من كسر الفقار فهو نكتة ضعيفة لا يصلح التأسيس المطلق عليها

هذا بالنسبة لأدلة الرأي الأول أما أدلة الرأي الثاني فيضعّفها جميعها إلا رواية أبي بصير والتي يقوي بها الرأي الثاني([2]) 0

النموذج الثاني:

قلنا في المستهل لهذا الموضوع وبالأخص في الناحية التطبيقية لهذا المنهج أن قسم من العلماء قد طبقه بنمط دقيق وذلك بالإفادة من ترابط الآيات في الموضوع والمضمون،وها نحن نقوم بعرض لمثال من هذا النمط كان قد طبقه الشريف الرضي (ت: 406هـ) وذلك في موضوع (التوبة) 0

حيث استفاد من ترابط الآيات مع بعضها في هذا الموضوع للتوصل إلى مفهوم التوبة، وشروط قبولها ،والحكم على توبة المرتد00 وغيرها 0 وهو بعمله هذا قد أسس لنظرية قرآنية تسمى اليوم بـ(علم المناسبة) وهي : ارتباط آي القرآن الكريم ببعضها البعض حتى تكون كالكلمة الواحدة منسقة المعاني منتظمة المباني ([3])0

إن محور هذه المسألة وما دار فيها هو قوله تعالى:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ** ﴾ **([4])** 0

حيث استغلت في إثارة الشبهة وذلك بأنها مخالفة للقول بوجوب قبول التوبة على الله المستفاد من الأدلة السمعية كقوله تعالى﴿ **00إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ00** ﴾ ([5]) وقوله ﴿ **00وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ00** ﴾ ([6]) وقوله ﴿ **غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ التَّوْبِ** ﴾ ([7])

---

[1] - النحاس \معاني القرآن \3\223 0
[2] - ظ: المحقق السبزواري \ذخيرة المعاد \ ط0 ق \1\ق3 \451 – 452 0
[3] - ظ: الزركشي \البرهان \26 0
[4] - آل عمران : 90 0
[5] - البقرة : 222 0
[6] - النور : 31 0
[7] - غافر : 3 0

وغيرها من الآيات المتضمنة لتوصيفه تعالى بقبول التوبة ،والنادبة إلى التوبة ، الداعية إلى الاستغفار ،والمشتملة على وعد القبول بالمطابقة أو الالتزام والله تعالى لا يخلف الميعاد ([1]) 0

وهذه الآية يدل ظاهرها على أن قبول التوبة غير واجب ،وأنه سبحانه متفضل بذلك وله ألّا يفعله كسائر ما يتفضل به 0

والرد على هذه الشبهة هو :

إن لفظ (التوبة) جاء في الآية الكريمة مطلقاً غير مقيداً بصفة تدل على صحة التوبة وبطلانها ؛ذلك أن للتوبة شرائط متى توفرت قبلت 0 فلهذا قد تسمى التوبة توبة وهي مع ذلك غير مقبولة لأنها لم تقع مطابقة لشرائطها ،كما أن (الحجة)تسمى حجة وهي مع ذلك داحضة لا تنصر قائلها ولا تنفع المدلي بها ([2]) قال تعالى﴿ **00 حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ00** ﴾ ([3])

ففي قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا00**﴾ ([4]) قد وصف سبحانه التوبة بـ(النصوح) ومعناه توبة مبالغة في النصح لأنفسكم قال تعالى﴿ **إِلا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ ([5]) أي دخلوا في الصلاح والمراد به كون توبتهم نصوحاً تغسل عنهم درن الكفر وتطهر باطنهم بالإيمان ([6]) 0

وهذا يدل على أن هناك توبة قد تقع على غير هذه الصفة، وإلا لم يكن لزيادة هذه الصفة معنى 0

فإذاً التوبة قد تقع على وجوه فتكون مقبولة ،وقد تقع على خلاف تلك الوجوه فتكون غير مقبولة ([7]) ومن ذلك نستنتج وجوب توفر شروط في التوبة لوجوب قبولها وهي

1- الندم على فعل القبيح لأنه قبيح 0

2- العزم على ترك معاودة فعل القبيح في المستقبل 0

فإذا أخل بهذين الشرطين أو بأحدهما كانت التوبة معتلة غير سليمة ومعوجة غير قويمة ([8])

وهذان الشرطان قد استنبطا من قوله تعالى﴿ **00فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ 00**﴾ ([9]) أي لازموا الطريقة الصالحة وفارقوا الأعمال الموبقة0

وكذلك من قوله تعالى ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ** ﴾ ([10]) حيث يحتمل أن يكون هؤلاء القوم أظهروا التوبة ولم يعتقدوها بل عزموا في المستقبل على إثبات أمثال ما تابوا منه ،وذلك أن إيمانهم كان

---

[1] - ظ: الشريف الرضي \حقائق التأويل\5 \157 – 158 + الطوسي \التبيان \2\528 + الطباطبائي \الميزان \4\246 0

[2] - ظ: الشريف الرضي \حقائق التأويل\5 \ 158 0

[3] - الشورى : 16 0

[4] - التحريم : 8 0

[5] - آل عمران : 89 0

[6] - الطباطبائي \الميزان \3\340 0

[7] -: الشريف الرضي \حقائق التأويل\5 \ 159

[8] - م 0 ن 0 \160 0

[9] - المؤمن : 7 0

[10] - آل عمران : 90 0

إقراراً باللسان فقط كما صرح بذلك القمي في إن هذه الآية نزلت في الذين آمنوا برسول الله (صلى الله عليه وآله) إقراراً لا تصديقاً فلما مضى رسول الله(صلى الله عليه وآله) كفروا وازدادوا كفراً ([1]) 0

وهذا ما يدل عليه أيضاً قوله تعالى﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلا** ﴾ ([2])

ولهذا فقد ضم الحديث في الكافي عن الصادق (عليه السلام)جزء من إحدى الآيتين إلى جزء من الأخرى لبيان اتحادهما في المفاد ،وأن الذم في الآيتين واحد ،وإن كل واحدة منهما مفسرة للأخرى لأن قوله (لن تقبل توبتهم) وقع في موقع(لم يكن الله ليغفر لهم) لإفادته مفاده ([3])

وبعد 00فمن الاستنتاج السابق قد ثبت أنه لا يجب قبول كل ما يقع عليه أسم التوبة ،وفي قوله تعالى:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ** ﴾ علمنا أنه سبحانه أخبر في هذه الآية أنه لا يقبل توبة القوم الذين وصفهم بما وصفهم به - وهو الذي يكفر بعد ظهور الحق وتمام الحجة عليه ولا يتوب بعده توبة مصلحة ،وهو أحد رجلين: إما كافر يكفر ثم يزيد كفراً فيطغي ولا سبيل للصلاح إليه فهذا لا يهديه الله ولا يقبل توبته لأنه لا يرجع بالحقيقة بل هو منغمر في الضلال ولا مطمع في اهتدائه 0 وأما كافر يموت على كفره وعناده من غير توبة يتوبها فلا يهديه الله في الآخرة بان يدخله الجنة إذ لم يرجع إلى ربه ،ولا بدل لذلك حتى يفتدي به ولا شفيع ولا ناصر حتى يشفع له أو ينصره ولذلك قال تعالى﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ** ﴾([4])

وهو نفي انتفاعهم بالشفعاء الذين هم الناصرون يوم القيامة ([5]) وان قبول الشفاعة في حق حق العبد المذنب يوم القيامة من مصاديق التوبة([6])- فبالمفهوم أكيد إن توبتهم غير نصوح نصوح بدلالة قوله (وأولئك هم الضالون) ([7]) لأنه سبحانه يتقبل التوبة النصوح 0

وبمراجعة أسباب النزول لهذه الآيات لوحظ أنها متعددة ولكنها تؤدي نفس الغرض ولذلك قيل تعددت الأسباب والمنزل واحد ([8]) ومنها :

1- قيل أنها نزلت في اثني عشر رجلاً ارتدوا عن الإسلام ،وخرجوا من المدينة كهيئة البداة ،ثم انصرفوا إلى طريق مكة ،فلحقوا بكفار مكة ،منهم :طعمة بن أبيرق الأنصاري، ومقيس بن ضبابه الليثي ،وعبد الله بن انس بن خطل من بني تيم بن مرة القرشي ،ووجوج بن الاسلت الأنصاري ،وأبو عامر بن النعمان الراهب ،والحارث بن سويد بن الصامت الأنصاري من بني عمرو بن عوف اخو الجلاس بن سويد بن الصامت 0

وكان الحارث قد قتل المجذر بن ذياد البلوي غدراً وهرب معهم وارتد عن الإسلام ، ثم ندم فرجع تائباً من ضرار ،ثم أرسل إلى أخيه الجلاس: إني قد رجعت تائباً ،فسل

---

[1] - ظ: القمي\تفسير القمي \ 1\156 + المجلسي \بحار الأنوار \23\376 0

[2] - النساء : 137 0

[3] - ظ: الكليني \الكافي \1\421 + المازندراني \شرح أصول الكافي\7\76 0

[4] آل عمران:91

[5] - الطباطبائي/الميزان /341/3 0

[6] - م0ن/245/4 0

[7] - ظ:الطوسي/التبيان/527/2 0

[8] - ظ:الطباطبائي/الميزان/343/3 0

النبي(صلى الله عليه وآله) هل لي من توبة وإلّا لحقت بالشام؟ فانطلق الجلاس إلى النبي(صلى الله عليه وآله) فأخبره فلم يرد عليه شيء ،فأنزل الله عز وجل في الحارث ، فاستثنى ﴿ **إِلا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ ([1]) 0

فبلغ أمر الحارث الأحد عشر الذين بمكة ،فقالوا :نقيم بمكة ما أقمنا ونتربص بمحمد الموت فإذا أردنا المدينة فسينزل فينا ما نزل في الحارث ويقبل منا ما يقبل منه، فأنزل الله عز وجل فيهم : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ** ﴾([2])0 وهذا الخبر يدل على إنهم عزموا على إظهار التوبة بألسنتهم عياذا ،وليس على وجه الإخلاص ولذلك وصفهم تعالى(أولئك هم الضالون) لأنهم لو حققوا التوبة واخلصوا فيها لكانوا مهتدين ،وكانت مقبولة منهم ومحسوبة لهم([3])0

(وقال بعضهم: إنما قال سبحانه(لن تقبل توبتهم) لأنهم تابوا من الكفر الزائد ،وثبتوا على الأصل الثابت ،ولذلك كانت توبتهم غير مقبولة0

وقيل :بل تابوا من الكفر الأول ولم يتوبوا من الكفر الثاني ،فكان كفرهم واقعاً بعد التوبة ،فلذلك لم يقبل توبتهم)([4])

ويختار الشريف الرضي رأيا وهو:أن لا تقبل توبتهم وهم على هذه الصفة من كونهم ضالين ،فيكون قوله تعالى(وأولئك هم الضالون)حالاً،ولا يكون ابتداءً وخبراً ،فنفى تعالى قبول التوبة منهم وهم في حال الضلال؛ لان التوبة كما اتضح لا يجب قبولها إلا مع الإخلاص وبقاء العقد والضمير([5])0

2- وقيل أنها نزلت في اليهود والنصارى؛ لأنهم كانوا يبشرون بنبوة محمد(صلى الله عليه وآله) ويؤمنون به قبل مبعثه ،فلما ظهر (صلى الله عليه وآله) مصدقاً لتلك البشائر ،كذبه أعداء الله حسداً له ونفاسة على العرب بمثله؛ فأنزل الله تعالى(إن الذين كفروا بعد إيمانهم)أي بمحمد(صلى الله عليه وآله)،(ثم ازدادوا كفراً)أي بما انزل عليه من القرآن، فكفروا كفراً مجدداً ،(لن تقبل توبتهم) أي :عند موتهم0 وهو المروي عن الحسن0 ويكون معنى(الإيمان)في هذه الآية هنا هو:التصديق0وهو الأصل في اللغة ،قال تعالى حاكياً عن بني يعقوب(عليهم السلام): ﴿ **وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ**﴾([6]) أي بمصدق لنا([7])0

3- وقيل إنها نزلت في اليهود إنهم كفروا بعيسى(عليه السلام) وما انزل عليه ثم ازدادوا كفراً بمحمد(صلى الله عليه وآله) فلن تقبل توبتهم عند موتهم ،وذلك مروي عن قتادة([8])

4- وقيل (ازدادوا كفراً)أي:أقاموا على كفرهم إلى وقت حضور آجالهم ،ثم تابوا حين لا تنفع التوبة، لأنها تكون في حال الإلجاء،ومعناه:أنهم لا يتوبون إلا عند حضور الموت

---

[1] - آل عمران : 89 0

[2] - ظ:مقاتل بن سليمان/تفسير مقاتل/ج181/1+الشريف الرضي/حقائق التأويل\5 /161+الطبرسي/مجمع البيان/340/2+الكاشاني/تفسير الصافي /354/1 0

[3] - الشريف الرضي/حقائق التأويل/5 /161+الطبرسي/مجمع البيان/354/2 0

[4] - الشريف الرضي/حقائق التأويل/5 /161

[5] - ظ:الشريف الرضي/حقائق التأويل/161-162 0

[6] - يوسف:17

[7] - ظ:الشريف الرضي/حقائق التأويل/164/5

[8] - ظ:م0ن0+الطوسي/التبيان /527/2 + الزمخشري \الكشاف \1\443 0

ومعاينة الآخرة ([1]) يقول الطباطبائي: (فان المراد بحضور الموت ظهور أثار الآخرة وانقطاع الدنيا وتفوت عند ذلك التوبة)([2])
وقد نفى ذلك الطبري(ت:310هـ)بأنه لا يجوز تأويل من قال لن تقبل توبتهم عند حضور موتهم؛لأنه لاخلاف بين الأمة إن الكافر إذا اسلم قبل موته بطرفة عين في إن حكمه حكم المسلمين في وجوب الصلاة عليه والدفن له،وفي الموارثة ،وسائر الأحكام الجارية في الشريعة ،ولو كان إسلامه غير صحيح لما جاز ذلك([3])
وقد رد عليه بأنه قد يجوز التعبد بذلك كله فيه مع كونه ملجأ إلى إظهار الإيمان ،كما يتعبد في المنافقين بإجراء أحكام المسلمين عليهم، وإن كانوا كفاراً بنفاقهم([4])
وإنما لم يجز قبول التوبة في حال الإلجاء إليه، لان فعل الملجأ كفعل المكره في سقوط الحمد والذم0 وقد استدل الطوسي على ذلك بقوله تعالى: **﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾**([5]) **كُفَّارٌ﴾**([5]) وقوله:**﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ *فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا 00﴾([6])** وهو بذلك قد استفاد من هاتين الآيتين في بيان قوله تعالى:**﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴾** وهو من تفسير القرآن بالقرآن([7])
وفي هذا المقام ما جاء في قصة غرق فرعون وتوبته، قال تعالى:**﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾([8])**
فقال بعضهم إن ما محصله إن الآية لا تدل على رد توبته وليس في القرآن أيضا ما يدل على هلاكه الأبدي ،وانه من المستبعد عند من يتأمل سعة رحمة الله وسبقتها غضبه أن يجوز عليه تعالى أنه يرد من التجأ إلى باب رحمته وكرامته متذللاً مستكيناً بالخيبة واليأس ،والواحد منا إذا أخذ بالأخلاق الإنسانية الفطرية من الكرم والجود والرحمة ليرحم أمثال هذا الإنسان النادم حقيقة على ما قدم من سوء الفعال ،فكيف بمن هو أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين وغياث المستغيثين 0
وهذا القول مدفوع بقوله تعالى : **﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾** لأن الندامة حينئذ ندم كاذب يسوق الإنسان إلى إظهاره مشاهدته وبال الذنب ونزول البلاء ،أو لأنه أسلم كرهاً وقال ما قاله مضطراً ([9])

---

[1] - م0ن0+الطبرسي/مجمع البيان/341/2+الكاشاني/الصافي/354/2
[2] - الطباطبائي /الميزان/342/2 0
[3] - ظ:الطبري/جامع البيان/466/3 0
[4] - ظ:الشريف الرضي/حقائق التأويل/162/5 0
[5] -النساء : 18
[6] - المؤمن:84- 85
[7] - ظ:الطوسي/التبيان/527/2 0
[8] - يونس:90
[9] - ظ:الشريف الرضي/حقائق التأويل/152/5 0 ويروى هذا القول عن قتادة واختاره البلخي

ولو كان كل ندم توبة وكل توبة مقبولة لدفع ذلك قوله تعالى حكايةً لحال المجرمين يوم القيامة :﴿ 00 **وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ 00**﴾ ([1]) إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الحاكية لندمهم على ما فعلوا وسؤالهم الرجوع إلى الدنيا ليعملوا صالحاً والرد عليهم بأنهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون([2])

وهكذا فقد وضح البحث لنموذجين من نماذج المنهج القرآني عند المتقدمين من العلماء ،علماً إن النماذج متنوعة ومتعددة في ثنايا كتبهم ،ولكن اقتصر البحث على هذين النموذجين لعدم الإطناب ،ولأنه ارتأى الخوض في النموذج الواحد بالتفصيل والدقة والشمول والدراسة الوافية خير من الإشارة السريعة والعابرة على نماذج متعددة ،ونرجو أن يكون أكثر فائدة بعون الله 0

---

[1] - سبأ:33

[2] - الطباطبائي/الميزان/4/247 0

2- المنهج الأثري :

أ- مفهوم التفسير بالمأثور:

الأثر في اللغة هو بقية الشيء والجمع آثار ([1]) ،والأثر أيضا مصدر قولك أثرت الحديث إذا ذكرته عن غيرك ومنه قيل حديث مأثور أي ينقله خلف عن سلف([2])0
وقد وردت كلمة الأثر في القرآن الكريم بمعنى البقية في مواقع كثيرة منه،نذكر منها:
ا- قوله تعالى: ﴿ 00سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ000 ﴾ ([3])
ب- قوله تعالى:﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾([4])
ج-قوله تعالى:﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴾([5])
وأما في الاصطلاح فهو:الأثر الصحيح الوارد عن النبي ((صلى الله عليه وآله))وآله(عليهم السلام)، أو الصحابة والتابعين مرفوعا إليه(صلى الله عليه وآله)([6])0
ومن هذا فقد عرّف التفسير بالمأثور بما يأتي:(هو إبانة كل ما ورد في القرآن الكريم نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته وما روي عن النبي محمد(صلى الله عليه وآله) وما نقل عن الصحابة (رض)وما نقل عن التابعين من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم)([7])
وقد تضمن هذا التعريف تفسير القرآن بالقرآن ،ولا مانع من ذلك حيث يعده قسم من الباحثين كذلك، إلا إن البحث لا يرى ذلك ؛لان القرآن الكريم لا يعتبر من المأثور بحسب تعريف الأثر لغةً واصطلاحاً ،ولأن القرآن مصدر غير محدود بأمد معين أو بأشخاص معينين كما هو حال السنة 0
وكذلك يختلف المنهج القرآني عن المنهج الأثري من حيث الدقة والمتانة؛وذلك بسبب ما تعرض له المنهج الأثري من مشكلات سوف يوردها البحث فيما يأتي0

ب- أهمية التفسير بالمأثور:

يرى العلماء إن السنة الشريفة مصدراً مهماً لامناص منه في تفسير القرآن ،فقد قال الشيخ الطوسي في مقدمة تفسيره:(واعلم أن الرواية ظاهرة في أخبار أصحابنا بأن تفسير القرآن لا يجوز إلا بالأثر الصحيح عن النبي(صلى الله عليه وآله)وعن الأئمة (عليهم السلام) وقولهم حجة كقول النبي)([8])ويوافق الشيخ الطوسي على رأيه جميع علماء الإمامية0

---

[1] - ظ:ابن منظور/لسان العرب/574/2 0
[2] -الجوهري/صحاح العربية/
[3] - الفتح : 29 0
[4] - يس:12
[5] - طه:96
[6] - محمد حسين علي الصغير/المبادئ العامة /94 0
[7] -إحسان الأمين/التفسير بالمأثور وتطويره عند الشيعة الإمامية/23 0
[8] -الطوسي/التبيان/4/1 0

فالسنة عندهم يراد بها:(هو كل ما اثر عن المعصوم النبي(صلى الله عليه وآله)وأهل البيت (عليهم السلام) من قول أو فعل أو تقرير)([1]) حيث يعتقدون أن الإمام كالنبي يجب أن يكون معصوماً من القبائح وكل ما ينحل بالواجبات ،فالأئمة حفظة الشرع والقوامون عليه ،والدليل الذي يقتضي بالاعتقاد بعصمة الأنبياء هو نفسه يقتضي بعصمة الأئمة(عليهم السلام)([2])

وكذلك يرى علماء الجمهور أن للأثر في التفسير أهمية كبرى عند انعدام الإشارة له في القرآن الكريم فقد ذكر ابن كثير(ت:774هـ):(إن أفضل تفسير هو القرآن بالقرآن إلا إذا أعياك ذلك فعليك بالسنة الشريفة فإنها شارحة وموضحة له)([3]) 0

لذا فالاستعانة والاسترشاد بالسنة الشريفة أمر حتمي لا بد منه لما تقدمه للمفسر من بيان كاشف للدلالات النصية في الآيات القرآنية0

وهناك من يذهب إلى اتخاذ موقفاً متطرفاً بحسب وصف أحد الباحثين :(يرفض أي منهج في التفسير سوى تفسير القرآن بالسنة)([4])بوصفها ركن أساس في التفسير ولا يقوم بأي حال من الأحوال بدونها لأن رسول الله(صلى الله عليه وآله)هو الواسطة الوحيدة بين الله والناس والقرآن ([5])0

قال تعالى: **﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى ﴾** ([6])فكان النبي(صلى الله عليه وآله) يبلغ ما يوحى إليه ويبينه قولاً وفعلاً وإقرارا للناس،فقد قال:((ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه))([7]) **أي** السنة المطهرة0

إذاً فالسنة المطهرة للنبي(صلى الله عليه وآله)وأهل بيته(عليهم السلام)يجب الأخذ بها وعدم ردها إذا كانت قطعية الصدور عنهم لأنها تعد عدل القرآن في شرح كلياته وتفصيل مجملاته ([8])0

ج-مصادر التفسير بالمأثور :

اعتمد أصحاب هذا المنهج التفسيري في تفسيرهم للقرآن على عدة مصادر،أهمها:

1- المأثور عن النبي(صلى الله عليه وآله)و أهل بيته(عليهم السلام):

لا شك أن السنة النبوية الشريفة هي الموضحة الشارحة لكتاب الله تعالى سواء كانت قولية أم فعلية أم تقريرية ،ولولاها لتعطل العمل بالقرآن ولما اتضحت معالم الإسلام ([9])0

([9])0

ولا خلاف بين العلماء في أن آيات التشريع محصورة بنحو خمسمائة آية، وإن الأحكام الشرعية تغلب ذلك بكثير، فمعرفة هذه الأحكام الكثيرة من تلك الآيات القليلة أمراً ليس ميسوراً،بل ممتنعاً ما لم يكن بتوسط السنة0

---

[1] -محمد تقي الحكيم/الأصول العامة للفقه المقارن/117 0

[2] - ظ:الطوسي/الاقتصاد /305+محمد رضا المظفر/عقائد الإمامية/89 0

[3] ابن كثير/تفسير القرآن العظيم/4/1+ظ:ابن تميمة/مقدمة في أصول التفسير/92 0

[4] -محمد علي رضائي/دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية /73 0

[5] - ظ:مساعد مسلم آل جعفر ومحي هلال السرحان/مناهج المفسرين/39 0

[6] - النجم:3-4 0

[7] -ابن كثير /تفسير القرآن العظيم/4/1+السيوطي/الإتقان /175/2 0

[8] - ظ:محمد حسين علي الصغير/المبادئ العامة/95 0

[9] - ظ:محمد تقي الحكيم/الأصول العامة للفقه المقارن/117

ومن تطبيقات التفسير بالمأثور عن النبي في كتب التفسير:
قال تعالى:﴿ **وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا** ﴾ ([1])
إن المستفاد من هذه الآية هو أن المسلم إذا قتل مسلماً ثم تاب لم تقبل توبته،ولكن إذا قتل غير المسلم مسلماً ثم تاب فان توبته تقبل ،وقد استدل بذلك على قول النبي(صلى الله عليه وآله):((الإسلام يجب ما كان قبله))([2]) أي يمحوه، لأن أعظم الذنوب عند الله تعالى هو الشرك بالله، فإذا قبلت التوبة في الشرك قبلت فيما سواه([3])0 قال تعالى:﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾([4]) وعن أبن عباس: لا توبة لقاتل المؤمن إلا إذا قتله في حال الشرك ثم اسلم وتاب وبه قال ابن مسعود، وزيد بن ثابت([5])0
والقتل الذي أشارت إليه الآية ووعدت عليه بما وعدت هو قتل العمد، والمتعمد في اللغة هو قاصد إلى الشيء([6]) وهو الذي يقتل غيره على دينه، فذاك هو التعمد الذي ذكره الله([7])0
والمأثور عن النبي (صلى الله عليه وآله) هو نفسه المأثور عن أهل البيت (عليهم السلام)؛لأن علمهم من علمه،وهو أولهم(صلى الله عليه وآله)ووصيه الإمام علي(عليه السلام)وابنته فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، وبنوها الأئمة الأثنا عشر(عليهم السلام) على ما هو متواتر من الأخبار ([8])0
ومنشأ تسميتهم بـ(أهل البيت)هو قوله تعالى:﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾([9])
فقد روى الطبري بسنده عن النبي (صلى الله عليه وآله)أنه((كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر كلما خرج إلى الصلاة فيقول :الصلاة أهل البيت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا))([10])
أما الشبهة التي أثارها عكرمة(ت:105هـ)ومقاتل بن سليمان(ت:150هـ)- وهما من جملة الكذابين المعروفين بالوضع - من أن الآية نزلت في نساء النبي(صلى الله عليه وآله) خاصة متمسكاً بوحدة السياق([11]) فمردودة بأنه:(00لو كانت الآية فيهن خاصة لكنّى عنهن بكناية

---

[1] - النساء:93
[2] - الشريف الرضي/المجازات النبوية/54+الاحسائي/عوالي اللئالي/54/2+المجلسي/بحار الأنوار/23/6 0
[3] - ظ:القمي/تفسير القمي/148/1
[4] - النساء:116
[5] - الطبرسي/مجمع البيان/161/3+الطبري/جامع البيان/297/5+54/19+البغوي/تفسير البغوي /465/1
[6] - ابن منظور/لسان العرب/302/3
[7] - ظ:العياشي/تفسير العياشي/267/1+الطبرسي/مجمع البيان/159/3+الراوندي/فقه القرآن /2 /395 395/
[8]- ظ: الطبري/جامع البيان/6/22+البخاري/صحيح البخاري/217/6، 291+السيوطي/الدر المنثور/198/5+احمد بن حنبل /مستند احمد/331/1، 293/6، 323،296، 406
[9] - الأحزاب:33
[10] - الطبري/جامع البيان/6/22 0
[11] - ظ:م0ن0/8/22/0+ابن كثير/تفسير القرآن العظيم/452/5

المؤنث كما يفعل في جميع ما تقدم من نحو:﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ** ﴾ ([1]) فذكر جميع ذلك بكناية المؤنث،فكان يجب أن يقول:إنما يريد الله ليذهب عنكن الرجس أهل البيت ويطهركن ،فلما كنّى بكناية المذكر، دل على أن النساء لا مدخل لهن فيها)([2])

وبعد ثبوت نزول الآية فيهم(عليهم السلام) وأن الرجس هو الذنب والدنس، وان الله قد طهرهم منه تطهيرا، فقد عصمهم منه، ومن كان معصوماً عن الذنب تكون جميع أفعاله وأقواله مطابقة لأحكام الشريعة، فتكون كاشفة عن الحكم الشرعي، وهذا هو معنى الحجية([3])0

ومن ثبتت حجية سنته يكون تفسيره كاشفاً لمراد الله تعالى كتفسير الرسول(صلى الله عليه وآله)0

يقول الطوسي:(واعلم أن الرواية ظاهرة في أخبار أصحابنا بان تفسير القرآن لا يجوز إلا بالأثر الصحيح عن النبي(صلى الله عليه وآله)وعن الأئمة(عليهم السلام)والذين قولهم حجة كقول النبي(صلى الله عليه وآله)([4])

إلا أن التفسير المأثور عن الأئمة(عليهم السلام)لم يسلم من الوضع كغيره من المصادر التفسيرية المأثورة الأخرى،ولذلك يجب التأكد من سندها وإخضاعها للضوابط التي نص عليها الأئمة من عرضها على الكتاب والسنة00فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) : ((إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله أومن قول رسول الله (صلى الله عليه وآله)فخذوه، وإلا فالذي جاءكم به أولى به))([5])

وتطبيقات التفسير بالمأثور عن أهل البيت(عليهم السلام)في كتب التفسير كثيرة وبمختلف العلوم منها:

1- معرفة الناسخ والمنسوخ:

فقد جاء في تفسير الطبري بسنده عن مجاهد قال:(قال علي(رض):إن في كتاب الله عز وجل لآية ما عمل بها احد قبلي، ولا يعمل بها احد بعدي﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً** ﴾([6])قال:فرضت ثم نسخت)([7])0

وعن الإمام علي(عليه السلام) أنه قال:آية في كتاب الله عز وجل لم يعمل بها احد قبلي ولم يعمل بها احد بعدي،كان عندي دينار فصرفته بعشرة دراهم ،فكنت إذا ناجيت الرسول(صلى الله عليه وآله)تصدقت بدرهم، فنسخت ولم يعمل بها احد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي ثم تلا هذه الآية﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ**00﴾([8]) ثم بين الإمام علي(عليه السلام) ناسخ هذه

---

[1] - الأحزاب:33

[2] - الطوسي/التبيان/340/8

[3] - ظ: احمد البهادلي/مفتاح الوصول إلى علم الأصول/52

[4] - الطوسي/التبيان/4/1 0

[5] - الكليني/الكافي/69/1 0

[6] - المجادلة: 12

[7] - الطبري/جامع البيان/20/28

[8] - ابن كثير/تفسير القرآن العظيم/313/6

الآية هو قوله تعالى:﴿ **أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾([1]) 0

2- معرفة العام والخاص من القرآن :

ففي قوله تعالى:﴿ **مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا00** ﴾([2])
فقد ورد في تفسير العياشي بسنده عن أبي جعفر (عليه السلام) في تفسيره الآية :﴿ **00وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا000** ﴾ قال ((من أخرجها من الكفر إلى الإيمان)) ([3])
وفي هذه الآية وغيرها تجلت معرفة أهل البيت (عليهم السلام)في عام القرآن وخاصه بما جاء عن الإمام علي (عليه السلام) بأنه قال: ((وأما ما لفظه خصوص ومعناه عموم فقوله عز وجل:﴿ **مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا00** ﴾ فنزل لفظ الآية خصوصاً في بني إسرائيل وهو جارٍ على جميع الخلق عاماً لكل العباد من بني إسرائيل وغيرهم من الأمم))([4]) 0

3- معرفة أسباب النزول:

في قوله تعالى ﴿ **إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ**﴾ ([5])فقد فسر الطوسي هذه الآية بما جاء عن الإمام الباقر(عليه السلام)في سبب نزولها بقوله (عليه السلام):
((نزلت الآية في بني عبد الدار لم يكن أسلم منهم غير مصعب بن عمير وحليف لهم يقال له سويبط))([6])0
وفي قوله تعالى ﴿ **00وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ000** ﴾ ([7])فقد استفاد العياشي في تفسيرها بما نقل عن الإمام الباقر (عليه السلام) في سبب نزولها بقوله (عليه السلام): ((كان الناس حين أسلموا عندهم مكاسب من الربا ومن أموال خبيثة ،فكان الرجل يعتمدها من بين ماله فيتصدق بها ،فنهاهم الله عن ذلك وأن الصدقة لا تصح إلا من كسب طيب)) ([8])
وقد شملت تطبيقات التفسير بالمأثور عن أهل البيت علوماً أخرى من علوم القرآن كالمحكم والمتشابه ،وتعيين أول وآخر ما نزل من القرآن وغيرها0 إضافة إلى نماذج تفسيرية أخرى في مجال آيات الأحكام ،والإشارات العلمية مما ذكره البحث في مطاوي صفحاته 0

---

[1] - المجادلة : 13 0
[2] - المائدة : 32 0
[3] - العياشي إتفسير العياشي\1\313 0
[4] - المجلسي\بحار الأنوار \92\25 0
[5] - الأنفال : 22 0
[6] - الطوسي \التبيان \5\117 0
[7] - البقرة : 267 0
[8] - العياشي إتفسير العياشي\1\149 – 150 0

2- المأثور عن الصحابة:

الصحابي هو:(من أقام مع رسول الله(صلى الله عليه وآله)سنة أو سنتين وغزا معه غزوة أو غزوتين) ([1])0

أو(هو كل من لقي النبي(صلى الله عليه وآله) وآمن به ولازمه فترة زمنية بحيث يطلق عليه عرفاً أسم الصاحب،ومات مؤمناً)([2])

وعرفه آخرون أنه:(كل مسلم رأى رسول الله(صلى الله عليه وآله))([3])

ويميل البحث إلى التعريف الثاني ؛لأنه لا يجوز إطلاق الصحبة على مجرد الرؤية، وذلك إن الصحبة في اللغة معناها:الملازمة والمرافقة والمعاشرة يقال تصاحب الرجلان:أي ترافقا، واستصحبه: لازمه([4]) 0

أما بالنسبة إلى التفسير المأثور عنهم فيأتي أهميته بعد تفسير النبي(صلى الله عليه وآله) وأهل بيته(عليهم السلام)0وذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال،ولما امتازوا به بمعرفة أسباب النزول التي تفيد إلى حد كبير في معرفة ملابسات النص ،مضافاً إلى ما امتازوا به من ملكة اللغة التي نزل بها القرآن الكريم0([5])

وعليه فان التفسير المروي عنهم إذا صحت طريقته وصح إسناده فانه من التفاسير المعتبرة للقرآن الكريم 0ولكن ليس المقصود من تفسيرهم أقوالهم المجردة فانه لا يجوز التفسير بمظنون الرأي ومجرد الاعتقاد0

يقول أستاذنا الدكتور الصغير في حديثه عن مكانة الصحابيين الجليلين وهما ابن عباس وابن مسعود :(وتأتي حجة هؤلاء في التفسير بعد النبي وآله،فما كان موافقاً لكتاب الله وسنة نبيه اخذ به من قوليهما،وأقوال أخيارهم، وما كان مجانباً لهما ضرب به عرض الحائط، وهذا لا يقدح بمنزلتهما، وإنما يرد إلى سند الرواية عنهما، أو للالتباس الذهني الذي يقع فيه غير المعصوم)([6]) 0

وهذا الكلام ينطبق على جميع الصحابة من حيث الأخذ بتفسيرهم؛ ذلك إن الصحابة على طبقات في عدالتهم ففيهم الثقة العدل النزيه عن معصية الله تعالى، وفيهم العصاة العتاة وفيهم مجهولو الحال([7]) ولذلك يجب عرضهم على ضوابط الجرح والتعديل،وعرض أقوالهم على قواعد نقد متن الحديث0

وأما حجية أقوالهم فقد انقسم العلماء فيها إلى قسمين :

فريق يرى حجية سنة الصحابي ،وفريق نفى حجية الاستدلال بأقوالهم من غير حجة متواترة فهم أناس يجوز عليهم الغلط والسهو ولم تثبت عصمتهم،وهذا ما عليه الإمامية ([8])

---

[1] - ابن الصلاح/علوم الحديث/224

[2] - مصطفى الزلمي/أصول الفقه في نسيجه الجديد/95

[3] - ابن الصلاح/علوم الحديث/263+الطريحي/مجمع البحرين/585/2

[4] - ظ: ابن منظور \لسان العرب\1\519 +الفيروز آبادي \القاموس المحيط \1\90

[5] - ظ:محمد حسين علي الصغير /المبادئ العامة/95-96

[6] - م0ن0/96

[7] - ظ:الشهيد الثاني/الرعاية لحال البداية في علم الدراية/443+ ظ: عبد الحسين شرف الدين/النص والاجتهاد/520

[8] - ظ:محمد تقي الحكيم/الأصول العامة للفقه المقارن/135

ومن تطبيقات التفسير بالمأثور عن الصحابة:
في قوله تعالى:**﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾**([1])
إن استيفاء الكيل وعدم نقصه من الأمور التي حثنا الإسلام عليها وأكد عليها الرسول(**صلى الله عليه وآله**) لما لها من المساس المباشر في حياتنا اليومية تعاملاً بيعاً وشراءً، وقد توعد الله من يقوم بالغش في معاملاته وخصوصاً في الكيل والوزن بالعذاب والهلاك0
وقد استند معظم المفسرين في سبب نزول هذه الآيات بما روي عن ابن عباس بقوله:(لما قدم رسول الله(**صلى الله عليه وآله**) المدينة، كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله عز وجل (**وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ00**)فأحسنوا الكيل بعد ذلك)([2])0
والطفيف :الشيء النزر، ومنه الطفافة لما لايعتد به، وطفف الكيل:قلل نصيب المكيل له في إيفائه واستيفائه([3]) 0ولذلك قيل للذي ينقص الميزان مطفف؛ لأنه لا يكاد يسرق في الميزان والمكيال إلا الشيء الطفيف([4])
وقد استند القمي في تفسيره للآية على قول ابن عباس:(الذين إذا اشتروا يستوفون بكيل راجح،وإذا باعوا يبخسوا المكيال والميزان وكان هذا فيهم وانتهوا)([5])
وجاء الاستيفاء في الحديث أي يأخذون من الناس بكيل راجح([6])0
ولا يشترط معظم المفسرين أن يكون رجحان في الكيل، وإنما(يستوفون)في الآية تعني أخذهم بالكامل ، وليس ثمة ما يدل على أخذهم أكثر من حقهم، وإنما الذم الحاصل في الآية هو:أخذهم حقهم كاملاً عند الشراء، وينقصون من حق الآخرين عند البيع([7])
وقد ذهب بعض العلماء إلى إن التطفيف في الآية لا يختص بالكيل والميزان حسبما جاء اللفظ عليه، وإنما يتعدى بمفهومه إلى أكثر من ذلك حتى يشمل أي تجاوز لحدود الله ، وأي إنقاص أو إخلال في الروابط الاجتماعية إنما هو من مفردات ومصاديق هذا المفهوم0وقد استندوا في ذلك إلى ما يروى عن ابن مسعود انه قال:(الصلاة مكيال، فمن وفّى، وفّى الله له، ومن طفّف قد سمعتم ما قال الله في المطففين)([8])
يقول ابن العربي(ت:543هـ):(قال علماء الدين التطفيف في كل شيء في الصلاة والوضوء والكيل والميزان، كما أن السرقة في كل شيء، وأسوأ الناس من يسرق صلاته

---

[1] - المطففين:1-3
[2] - ظ:الطبري/114/30+الطوسي ا/التبيان/295/10+الثعلبي/تفسير الثعلبي / 10/ 150+البغوي/تفسير البغوي/457/4+ابن العربي/أحكام القرآن/364/4+ الطبرسي /مجمع البيان/290/10+القطب الراوندي/فقه القرآن/55/2 0
[3] - الراغب الأصفهاني/مفردات غريب القرآن/305
[4] - ظ:البغوي/تفسير البغوي/457/4+ابن العربي/أحكام القرآن/364/4+الطبرسي/مجمع البيان /291/10+الثعلبي/تفسير الثعلبي+10+149+الزمخشري/الكشاف/229/4
[5] - القمي/تفسير القمي/410/2
[6] - السمعاني/تفسير السمعاني/177/6
[7] - ظ:الطبري/جامع البيان/114/30+السمرقندي/تفسير السمرقندي/534/2+ابن زمنين/تفسير ابن زمنين/105/5+ الواحدي/تفسير الواحدي/1182/2+الطباطبائي/الميزان/230/20+ مكارم الشيرازي /الأمثل/15/20
[8] - ابن العربي/أحكام القرآن/366/4+الطبرسي/مجمع البيان /10/ 291+ الشيرازي /الأمثل /20 /16

فلا يتم ركوعها ولا سجودها)([1]) ويمكن الاستدلال على ذلك كذلك من قوله تعالى :﴿ **00فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ000﴾** ([2]) أي لا تنقصوا الناس حقوقهم([3])وسئل أبو حفص عن قوله تعالى:((ويل للمطففين)) قال :(الذي يستوفي حقه من من الخلق،ولا يوفيهم حقوقهم، ويقتفي حقه ،ولا يقضي حقوقهم ، ويبصر عيوبهم فيعيرهم بها وهو يرتكب مثل ذلك وافضع منها فيغفل عنها) ([4])
إذاً فالتطفيف هو أن يأخذ الإنسان حقه بالكامل في كل شيء مادياً ومعنوياً إلا أنه ينقص ويبخس الناس حقوقهم عند ما يريد أن يعطيها لهم 0

4- المأثور عن التابعين:

يطلق لفظ التابعي ويراد به صاحب الصحابي ،وهو من لقي احد الصحابة مؤمناً بالنبي (صلى الله عليه وآله) ومات وهو مسلم([5])0
وقد يكون سبب تسمية التابعين بهذا الاسم هو قوله تعالى:﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ** ﴾ ([6]) أما السابقون من المهاجرين والأنصار فهم من أهل البيت والصحابة دون أدنى ريب0﴿ **وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ ([7]) فهؤلاء من أهل الإسلام إلى أن تقوم الساعة([8])0 وعليه يمكن عد من حسنت سيرته من التابعين مصاديق لهذه الآية الكريمة 0
والأخذ بالمأثور عن التابعي إذا لم يوجد التفسير في القرآن ولا في السنة الشريفة ولا عن الصحابة ولكن بشرطها وشروطها ([9]) 0
وذلك كما في تفسير الصحابي يجب التأكد والتحرز من أقوال التابعين لأن(منهم من صحت طريقته، وحمدت منهجيته، ومنهم من فسد رأيه، وتلاشت موضوعيته ،فيجب إخضاع كل واحد منهم إلى مقاييس الجرح والتعديل فيما تعارف عليه أهل الرجال)([10]) 0
وكما نقل عن أبي حنيفة(ت:150هـ)انه قال:(ما جاء عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) فعلى الرأس والعين،وعن الصحابة تخيرنا،وما جاء عن التابعين فهم رجال ونحن رجال) ([11])

---

[1] - ابن العربي/أحكام القرآن/366/4
[2] - الأعراف : 85 0
[3] - السمرقندي/تفسير السمرقندي/166/2 0
[4] - السلمي/تفسير السلمي/380/2 0
[5] - ظ:احمد فتح الله/معجم ألفاظ الفقه الجعفري/95
[6] - التوبة:100
[7] - الجمعة:3
[8] - الطبري/جامع البيان/96/28
[9] - ظ: محمد حسين علي الصغير/مبادئ العامة/96
[10] - م0ن/96-97
[11] - محمد أبو زهرة/المعجزة الكبرى القرآن/505 0

ومن تطبيقات التفسير بالمأثور عن التابعين :
ما نقلته كتب التفسير عن التابعي مجاهد بن جبر في قوله عن قول الإمام علي(عليه السلام) في خصوص آية النجوى وناسختها- وقد أورد البحث هذا القول في موضوع المأثور عن أهل البيت(عليهم السلام)- حيث اعتمدته هذه الكتب في تفسير الآية([1])0

د- مشكلات التفسير بالمأثور

إن التفسير بالمأثور وإن كان أوثق المناهج بعد التفسير القرآني للقرآن لا سيما فيما يصدر عن المعصوم (عليه السلام)إلا أنه لا يخلو من مشكلات تولدت لأسباب مذهبية وإقليمية وفكرية وسياسية واقتصادية،ومن أهم هذه المشكلات:

أ- الإسرائيليات:

والمراد بها المرويات عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين دخلوا في الإسلام ، سواء أكان ما روي عنهم خاصاً بأديانهم أم لا ([2])0

وقيل إن الإسرائيليات لفظ يطلق على كل ما في كتب التفسير من خرافات وأساطير وخيال وكذب وتحريف سواء كان مصدرها اليهود أو غيرهم،وإنما نسب إليهم للتغليب([3])0

أما المتقدمون فأنهم يتناولون هذه الكلمة بتعابير ومعانٍ مختلفة،فمنهم من يرى أنها مطلق الأخبار الواردة عن بني إسرائيل، وبعضهم يخصصها بالأخبار التي جاءت من طريق اليهود الذين دخلوا الإسلام ، وفريق ثالث يتحدث عنها على اعتبار أنها كل ما جاء عن أهل الكتاب سواء كانوا يهوداً أو نصارى0

وقد عُرف عن هؤلاء القوم بالكذب والافتراء والتزوير والتحريف قال تعالى﴿ **مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ000** ﴾ ([4]) وغيرها من الآيات الدالة على ذلك0إلا أن منهم من أسلم وحسن إسلامه،فانزل الله تعالى:﴿ **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾([5]) الْمُفْلِحُونَ﴾([5])**

ولذلك قسمت الإسرائيليات على ثلاثة أقسام،وهي:

1- ما وافق شرعنا:أي ما علمنا صحته مما بأيدينا ممايشهد له بالصدق،فذلك صحيح

2- ما خالف شرعنا:أي ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه0

---

[1] - ظ: الطبري/جامع البيان/27/28+القمي/تفسير القمي/357/2+الفرات الكوفي/تفسير فرات/ 470+ابن بطريق/خصائص الوحي المبين/163+الصنعاني/تفسير القرآن/3/ 280+ الجصاص /أحكام القرآن/572/3+السمرقندي/تفسير السمرقندي/297/3+الثعلبي/تفسير الثعلبي/9/ 261+ السمعاني /تفسير السمعاني/389/5+حاتم الحسكاني/شواهد التنزيل/311/2+البغوي/تفسير البغوي /310/4+الشيخ الحويزي/نور الثقلين/265/5+الخوئي/البيان/375

[2] - ظ: محمد حسين الذهبي\التفسير والمفسرون\1\165 0

[3] - محمد أبو شهبة \الإسرائيليات والموضوعات\22 0

[4] - النساء : 46 0

[5] - الأعراف : 157 0

3- ما سكت عنه شرعنا: أي ما هو مسكوت عنه،لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل ، فلا نؤمن به ،ولا نكذبه،وتجوز حكايته ،وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني([1])0

وقد وردت الإسرائيليات في معظم كتب التفسير بالمأثور منها :ما جاء في مسألة سؤال موسى (عليه السلام)ربّه الرؤية،وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ ([2])0

فقد ذكر الثعلبي والبغوي عن وهب بن منبه([3]) في تفسير هذه الآية ما ذكر من أن الله سبحانه وتعالى قد أرسل الدواب والصواعق والظلمة والرعد والبرق000 ثم بدأ بإرسال ملائكة السماوات السبع،كلٌ منها يشبه نوع من أنواع الحيوانات كثيران البقر والأسود والنسور00 0 وألوانهم كلهب النار،وفي كل مرة يشتد خوف موسى (عليه السلام) ويرتعد قلبه ويكثر بكاؤه0 حتى أمر الله تعالى ملائكة السماء السابعة بأن يحملوا عرشه ،حينها بدا نور العرش وانفرج الجبل من عظمة الرب جل جلاله فأرتج الجبل ،وأندكت كل شجرة كانت فيه ،وخرّ العبد الضعيف موسى (عليه السلام) صعقاً على وجهه ليس معه روح،فأرسل الله برحمته الروح فتغشّاه000 وبعد ذلك كله ذكر البغوي أنه طارت لعظمة الرب والعرش ستة أجبل وقعت ثلاثة بالمدينة وهي : أحد ، وورقان ، ورضوى0 ووقعت ثلاثة بمكة، وهي :ثور، وثبير ،وحراء0

ثم يعود ويُعرج على ما قال بأن ملائكة السماوات أتوا موسى(عليه السلام) وهو مغشي عليه ،فجعلوا يركلونه بأرجلهم،ويقولون:ابن النساء الحيّض،أطمعت في رؤية ربّ العزّة([4])؟ 0

وفي هذه المرويات وغيرها كما في قصة أخراج آدم(عليه السلام)من الجنة([5]) 0 دلالة واضحة على اعتماد بعض التفاسير على مرويات أهل الكتاب،فهم مرة يعتمدون عليها في التفسير([6]) ،ومرة يعقبون عليها ([7])،وثالثة لا يعقبون عليها على الرغم مما تحتويه من أمور غريبة0وقصص خرافية،ومنافاة لعصمة الأنبياء والملائكة0 كما في قصة الملكين هاروت وماروت وانخداعهما بالمرأة الحسناء التي أغوتهما على فعل المعصية فباءوا بغضب من الله واختاروا عذاب الدنيا على الآخرة،فكبلا أكعبهما إلى أعناقهما ،وجعلا ببابل ([8]) 0

وهكذا نجد للإسرائيليات وجود ملحوظ في كتب التفسير بالمأثور 0

---

[1] - مركز الثقافة والمعارف الإسلامية\علوم القرآن عند المفسرين \3\419 0 عن مصدره +
ظ: ابن تيمية \مقدمة في أصول التفسير \45 – 46 0

[2] - الأعراف : 143 0

[3] - وهو أبو عبد الله وهب بن منبه الأنبا ري الصنعاني الذماري (ت:114هـ) مؤرخ كثير الأخبار عن الكتب القديمة،عالم بأساطير الأولين ولا سيما الإسرائيليات ،يعد في التابعين ،أصله من أبناء الفرس،ظ: ابن حجر \تهذيب التهذيب\ 11\166 +حاجي خليفة \كشف الظنون \1328

[4] - الثعالبي\تفسير الثعالبي\4\276 – 279 0

[5]- ظ: الطبري \جامع البيان \2\610+19 \165 0

[6] - ظ: الطوسي \التبيان\8\554 – 555 + الطبرسي \مجمع البيان \8\391 0

[7] - ظ: الطبري \جامع البيان \1\ 186 – 187 0

[8] - ظ: م0ن \1\465 – 459 0

ب- الوضع في التفسير :

يعد الوضع والتزوير من أهم مشكلات التفسير بالمأثور0 وقد بدأ الوضع منذ حياة الرسول(صلى الله عليه وآله) كما روي عن الإمام علي(عليه السلام): ((وقد كذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله) على عهده حتى قام خطيباً وقال :أيها الناس قد كثرت علي الكذّابة ،فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار،ثم كذب عليه من بعده000)) ([1]) 0

والحديث الموضوع: هو ذلك الحديث المختلق المصنوع المنسوب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) زوراً وبهتاناً سواء أكان ذلك عمداً أم خطأً ([2])وكذلك الحديث المنسوب كذباً إلى أحد الأئمة المعصومين من أهل البيت(عليهم السلام) ([3]) 0

وأما أسباب الوضع فكانت ما بين سياسية واقتصادية وعقائدية ودينية وفكرية0 حيث وجد في تاريخ الحديث والتفسير فرق روجت لآرائها ،وتعصب لأهوائها فدست في كتب الحديث والتفسير ما يعبر عن خبثها وأغراضها وأهدافها0 وضرر الوضع في كتب الحديث والتفسير من الخطورة بمكان مما حدا بالعلماء إلى تأليف الكتب في علم الرجال والجرح والتعديل لفضح الكذابين الوضاعين،كرجال الكشي،والنجاشي، والطوسي ،وأخيراً معجم رجال الحديث للسيد الخوئي 0

ولقد بلغ الوضع عن ابن عباس من الكثرة حتى قال الشافعي: (لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيه بمائة حديث) ([4])

وكذلك ما أبتلي به الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام)بجماعة من الكذابين والغلاة في وضع الأحاديث ونسبتها عليهم(عليهم السلام)،فعن الإمام الصادق(عليه السلام) : ((لا تقبلوا علينا حديثاً إلا ما وافق القرآن والسنة، أو تجدون معه شاهداً من أحاديثنا المتقدمة،فإن المغيرة بن سعيد([5]) – لعنه الله – قد دسّ في كتب أصحاب أبي أحاديث لم يحدّث بها أبي،فاتقوا الله ، ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربنا تعالى ،وسنة نبينا (صلى الله عليه وآله))) ([6]) 0

ومن أمثلة الوضع في التفسير،ما جاء في تفسير قوله تعالى:﴿ **إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ** ﴾ ([7]) ،حيث وضع الوضاعون مختلف القصص فيها ومنها: عن عبد الله بن قلابة خرج في طلب إبل له فوصل إلى جنة شداد ([8]) فحمل ما قدر عليه مما كان هناك ،وبلغ خبره معاوية فاستحضره وقص عليه،فبعث إلى كعب فسأله،فقال:هي إرم ذات العماد،وسيدخلها

---

[1] - الكليني \الكافي\ 1\62 + البخاري \صحيح البخاري \1\37 0

[2] - محمود أبو رية\أضواء على السنة المحمدية \119 0

[3] - حسن عيسى الحكيم \مذاهب الإسلاميين \265 0

[4] - السيوطي \ الإتقان \4\239 + محمد حسين علي الصغير \المبادئ العامة \136 0

[5] - أحد الغلاة الملعونين من قبل الأئمة (عليهم السلام)

[6] - الكشي \رجال الكشي\ 146 – 147 0

[7] - الفجر : 7 0

[8] - يروى أنه كان لعاد ابنان: شداد وشديد، فملكا وقهرا، ثم مات شديد وخلص الأمر لشداد،فملك الدنيا ودافت له ملوكها،فسمع بذكر الجنة،فقال أبني مثلها،فبني إرم في بعض صحارى عدن في ثلاثمائة سنة،وكان عمره تسعمائة سنة،وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة،وأساطينها من الزبرجد والياقوت، وفيها أصناف الأشجار والأنهار المطردة ،ولما تم بناؤها سار إليها بأهل مملكته ،فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا0 الزمخشري\الكشاف \4\250 +النسفي \تفسير النسفي\ 4\337 0

رجل من المسلمين في زمانك0 أحمر أشقر قصير على حاجبه خال،وعلى عنقه خال،يخرج في طلب إبل له ،ثم ألتفت فأبصر ابن قلابة فقال:هذا والله هو ذلك الرجل([1])0
ويذكر الآلوسي عن ابن حجر أن خبر شداد وأخوه فيه ضعف بل لم تصح روايته،وهو موضوع كخبر ابن قلابة([2]) 0 وقد أورد الطبرسي هذا الخبر عن وهب بن منبه بإطالة ووصف أكثر([3]) 0
ويقول ابن كثير:(فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها ولو صح عن ذلك الأعرابي – عبد الله بن قلابة – فقد يكون اختلق ذلك أو أنه أصابه نوع من الهوس والخبال) ([4]) 0
وأمثال ذلك وغيره من الوضع والدس في كتب التفسير بالمأثور لما يستدعي النظر والتمعن والتأني 0

هـ – الترجيح بين الروايات :

وتمتاز كتب التفسير بالمأثور بعضها عن بعض في خاصية مهمة جداً ألا وهي : الترجيح بين الروايات باستخدام أدلة متنوعة حسب القدرة العقلية والثقافة الواسعة بالعلوم ذات الاختصاص0
في حين لجأ آخرون إلى الجمود الفكري والتوقف على ما اثر لديهم من المرويات سواء المرفوعة للنبي(صلى الله عليه وآله)أو أهل البيت(عليهم السلام) أو الموقوفة على الصحابة والتابعين،غثها وسمينها، معتلها وصحيحها0وهذا ما أطلق عليه الشيخ الطوسي بـ(التقليد)الذي يعني التوقف عن التفكير واعتماد عقول الاخرين0حيث يقول :(ولا ينبغي لأحد أن ينظر في تفسير آية لا يبنى ظاهرها على المراد تفصيلاً أو يقلد احد من المفسرين00لأن من المفسرين من حمدت طرائقه،ومدحت مذاهبه،كابن عباس ،والحسن وقتادة ومجاهد وغيرهم ، ومنهم من ذمت مذاهبه ،كأبي صالح والسدي والكلبي وغيرهم)([5])
أما الأدلة التي اعتمد عليها المفسرون في الترجيح بين الروايات فهي متنوعة ما بين النص القرآني وعموم اللفظ ،وظاهر اللفظ،وإجماع المفسرين،والعقل،والشواهد الشعرية وكلام العرب
فمثلاً نجد الطبري عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ **00 0فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ000** ﴾([6])

---

[1] - الزمخشري \الكشاف \4\250+ النسفي\4\337+ الرازي\التفسير الكبير\31\168+أبو السعود \تفسير أبي السعود\9\155+ الآلوسي\تفسير الآلوسي\30\123 0
[2] - ظ: الآلوسي \تفسير الآلوسي\30\123 0
[3] - ظ: الطبرسي \مجمع البيان \10\349 – 351 + الثعلبي\تفسير الثعلبي\10\197+ابن الجوزي\زاد الجوزي\زاد المسير\8\242 0
[4] - ابن كثير\ تفسير ابن كثير\4\542
[5] - الطوسي التبيان/6/1
[6] - البقرة:282

قد اختار معنى(السفيه)هو الجهل بالإملاء وهو المروي عن مجاهد،ورفض المعنى الآخر وهو إن السفيه هو الطفل الصغير وهو المروي عن السدي والظحاك0

وكان اعتماده في ذلك هو كلام العرب بقوله:(إن معنى السفه في كلام العرب: الجهل) ([1])0

ثم يستخدم الطبري دليلا آخر لتأكيد هذا المعنى وهو(ظاهر الآية)وذلك أنه قد يدخل في معنى(السفيه)كل جاهل بالإملاء من صغير وكبير ،ذكر وانثى0 إلا أن ظاهر الآية أن يكون المراد:كل جاهل بموضع خطأ ما يمل وصوابها من بالغي الرجال الذين لا يولى عليهم والنساء؛ وذلك لقوله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ000** ﴾في مطلع الآية، والصبي ومن يولى عليه لا يجوز مداينته([2])

علما إن هذا المعنى(الجهل) قد اختاره باقي المفسرين([3])

كذلك نجد للشيخ الطوسي السبق في هذا المقام، فهو المطور والمجدد لهذا المنهج فهو لم يعرض الروايات ويختار الرأي الصحيح فقط وإنما كان يوازن ويحاكم تلك الروايات وعدته في ذلك العقل- فقد وضع لنا قاعدة عامة في الترجيح بين الروايات أورد بعضها بقوله (الأخبار تبنى على أدلة العقول)([4])- وما كان يمتاز به من الثقافة الواسعة في علمي الحديث والرجال، حيث صنف كتابي(التهذيب)و(الاستبصار) في الحديث، و(الفهرست) والرجال)في علم الرجال0

لهذا نراه يقف من الأحاديث موقف الناقد والمرجح أو الرافض لها احياناً0

ففي قوله تعالى:﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ000** ﴾([5])

نجد الطوسي قد ذكر الأقوال في معنى(روح القدس) المذكور في الآية الكريمة وهي:جبرائيل، وهو المروي عن قتادة والسدي والضحاك والربيع ([6]) والإنجيل وهو المروي عن ابن زيد([7])**0** وروى الضحاك عن ابن عباس إن الروح: الاسم الذي كان يحيي به الموتى([8])0

وقد اختار الطوسي من بين هذه المعاني وعبر عنه بـ(أقوى الأقوال)وهو جبرائيل (عليه السلام) ([9]) واستند في ذلك إلا قوله تعالى:﴿ **إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ00** ﴾([10])

---

[1] -ظ: الطبري/جامع البيان/165/3-166

[2] - ظ:م0ن/166

[3] - ظ:الطوسي/التبيان/372/2+الزمخشري/الكشاف/403/1+الطبرسي/جوامع الجامع /1/ 255+ ا لقطب الراوندي/فقه القرآن/405/1

[4] - الطوسي /التبيان/55/5

[5] - البقرة:87

[6] - الطبري /جامع البيان/569/1+الثعلبي/تفسير الثعلبي//232/1

[7] - م0ن

[8] - م0ن

[9] - وهو ما اختاره كل من:القمي/تفسير القمي/390/1+الزمخشري /الكشاف /428/2+ الطبري /جامع البيان/1/6/+ الطبرسي/مجمع البيان /200/6+السمرقندي/تفسير السمرقندي /2/ 292+ السلمي/تفسير السلمي/375/1

[10] - المائدة:110

فلو كان المراد بروح القدس (الإنجيل) لكان ذلك تكراراً([1])0
فترجيح الشيخ الطوسي هنا كان على أساس النص القرآني وهو تفسير القرآن بالقرآن ويبدو أن مثل هذا الترجيح والاستنتاج موجود في التفاسير المعاصرة([2])
في حين نجد مفسرين متقدمين آخرين قد ذكروا هذه الأقوال بمعنى(روح القدس) وبالتفصيل، ونسبوها إلى أصحابها ولكنهم لم يرجحوا الأصح أو الأقوى([3])
ويكتفي البحث بهذين النموذجين كمثال لاستخدام الأدلة في الترجيح بين الروايات وذلك لكثرة النماذج في كتب التفسير بالمأثور 0

استنتاج:

لقد استنتج البحث من هذين النموذجين وغيرهما من إن مثل هذه التفاسير يمكن أن نطلق عليها أسم التفاسير المقارنة ؛ وذلك إنها تذكر آراء المفسرين المختلفة وأدلتهم ثم تذكر الرأي الراجح على وفق أقوى الأدلة وأفضلها 0

---

[1] - ظ:الطوسي/التبيان/340/1 وقد اختار الطوسي هذا المعنى في مواضع أخرى من تفسيره 0ظ426/6

[2] - ظ: الطباطبائي/الميزان/346/12 + ناصر مكارم الشيرازي/الأمثل/291/1

[3] - ظ:الثعلبي/تفسير الثعلبي/232/1-233

3- منهج الرأي

لا شك إن تفسير القرآن الكريم ما لم يستند إلى دليل منقول أو معقول هو من التفسير بالرأي المنهي عنه، يقول الزركشي: (ولا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأي والاجتهاد من غير أصل)([1])

ويعرف أستاذنا الدكتور الصغير هذا النوع من التفسير بقوله :(هو التفسير بالاستحسان والترجيح الظني أو الميل النفسي لإتباع الهوى، ولا يعني ذلك الاجتهاد أو الاستنباط القائم على أساس من الكتاب والسنة النبوية، فأن ذلك من التفسير بالمأثور على وجه من الوجوه)([2])

وبهذا نجد أن الدكتور الصغير قد قسم هذا النوع من التفسير إلى قسمين وهما:

أ-القسم المذموم :وهو الذي يعتمد فيه المفسر في بيان المعنى على فهمه الخاص واستنباطه بالرأي المجرد من غير برهان أو دليل شرعي وعقلي، مع جهله بقواعد اللغة وأصول الشرع 0

ب- القسم الممدوح: وهو الاستنباط والاجتهاد القائم على أساس من الكتاب والسنة النبوية ،وكذلك العلم بقواعد اللغة وآدابها([3])

والقسم الأول هو القسم المنهي عنه عند العلماء بل المحرم وذلك لأنه تقوّل على الله بما لا علم لهم به0

أما الثاني فهو المرضي عنه عند العلماء ويسميه بعضهم بالتفسير العقلي

ولم يجوّز المفسرون المتقدمون التفسير بالرأي ،حيث نجد الطبري يقول:(فالقائل في تأويل كتاب الله الذي لا يدرك علمه إلا ببيان رسول الله(صلى الله عليه وآله) الذي جعل الله إليه بيانه، قائل بما لا يعلم وان وافق قيله ذلك في تأويله ما أراد الله به من معناه ،لان القائل فيه بغير علم ،قائل على الله ما لا علم له)([4])

وقد استند في قوله هذا إلى قوله تعالى :(**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ**)([5])0 وما نقله عن جندب ،إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال:((من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد اخطأ))([6]) ويشرح الطبري الحديث بأنه من يقول في القرآن برأيه فقد اخطأ وان كان قوله صائباً وذلك لأنه لم يقله عن علم وإنما تخميناً وحدساً فهو آثم لفعله ما قد نهي عنه وحظر عليه([7]) 0

وبهذا المعنى نجد العياشي قد أورد عدة روايات عن الأئمة فيها النهي عن تفسير القرآن بالرأي وفق الاستحسان والهوى نذكر منها:

---

[1] - الزركشي/البرهان/161/4

[2] - محمد حسين علي الصغير/المبادئ العامة/100

[3] - ظ: القرطبي/تفسير القرطبي/33/1

[4] - الطبري/جامع البيان/55/1 0

[5] - الأعراف:33

[6] - المجلسي \بحار الأنوار \30\512

[7] - ظ:الطبري/جامع البيان/56/1

ا-عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله(عليه السلام)قال:((من فسر القرآن برأيه فأصاب لم يؤجر،وان أخطأ كان إثمه عليه))([1])والمروي عن أبي بصير:إن اخطأ فهو ابعد من السماء

ب-عن عمار بن موسى عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال:سئل عن الحكومة، قال:((من حكم برأيه بين اثنين فقد كفر، ومن فسر برأيه آية من كتاب الله فقد كفر))([2])

أما السمرقندي فنجده يحث على التدبر والتفكر في القرآن بل يجده واجباً وذلك كون القرآن حجة، وكيف يكون حجة ولم يعلم تفسيره وتأويله، ثم يستدرك ويقول: لكن لا يجوز لأحد أن يفسر القرآن برأيه من ذات نفسه ما لم يتعلم أو يعرف وجوه اللغة وأحوال التنزيل([3]) وقد استدل بما روي عن ابن عباس:(من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار)([4])0

أما الشيخ الطوسي فيعد الرائد والمؤسس للمنهج العقلي، حيث بدت له بعض الأخبار متناقضة، وهي الأخبار التي تحرم تفسير القرآن بالرأي ومنها قوله(صلى الله عليه وآله) : (من فسر القرآن برأيه وأصاب الحق فقد اخطأ)([5]) والأخبار التي تدعو إلى التفكر والتدبر في تفسير القرآن الكريم وهي قوله تعالى:﴿ 000 **لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ000** ﴾([6]) وقوله:﴿ **أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾([7]) وحديث الثقلين الذي بين فيه النبي(صلى الله عليه وآله) إن الكتاب الكريم حجة والعترة حجة ،فكيف يكون حجة ما لا يفهم به شيء 0

لذلك نجد الشيخ الطوسي يقول:(والذي نقول في ذلك أنه لا يجوز أن يكون في كلام الله تعالى وكلام نبيه تناقض وتضاد)([8])

وللوصول إلى شرعية تفسير القرآن الكريم باستخدام العقل وليس الرأي ،قام الشيخ الطوسي بتقسيم معاني القرآن الكريم إلى أربعة أقسام هي:

1- ما اختص الله تعالى بعلمه، فلا يجوز لأحد تكلف القول فيه، ولا تعاطي معرفته وذلك مثل قوله تعالى:﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلا هُوَ000** ﴾([9])00فتعاطي معرفة ما اختص الله تعالى به خطأ0

2- ما كان ظاهره مطابقاً لمعناه فكل من عرف اللغة التي خوطب بها عرف معناها مثل قوله تعالى:﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ ([10]) وغير ذلك0

3- ما هو مجمل لا ينبيء ظاهره عن المراد به مفصلاً، ومثل قوله تعالى:﴿ **وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ** ﴾([1]) فأن تفصيل أعداد الصلاة وعدد ركعاتها

---

[1] - العياشي/تفسير العياشي/1/29-30

[2] - م0ن0

[3] - السمرقندي/تفسير السمرقندي/1/35

[4] - المجلسي \بحار الأنوار \30\512

[5] - الحر العاملي/وسائل الشيعة/27/205 0

[6] - النساء:83

[7] - محمد:24

[8] - الطوسي/التبيان/1/5

[9] - الأعراف:187

[10] - التوحيد:1

لا يمكن استخراجه إلا ببيان النبي(صلى الله عليه وآله) ووحي من جهة الله تعالى0 وتكلف القول فيه خطأ ممنوع منه 0
4- ما كان اللفظ مشتركاً بين معنيين فما زاد عنهما ،ويمكن أن يكون كل واحد منهما مراداً0فلا ينبغي أن يقدم احد به فيقول: إن مراد الله فيه بعض ما يحتمل-إلا بقول النبي أو إمام معصوم- بل ينبغي أن يقول: إن الظاهر يحتمل الأمور،وكل واحد يجوز أن يكون مراداً على التفصيل والله أعلم بما أراد 0
ومتى كان اللفظ مشتركاً بين شيئين أو ما زاد عليهما، ودل دليل على أنه لا يجوز أن يريد إلا وجهاً واحداً، جاز أن يقال:انه هو المراد([2])
والشيخ الطوسي بتقسيمه هذا لمعاني القرآن إنما يرفض تفسير القرآن بالرأي كما هو واضح ففي القسم الأول حرم تفسير ما اختص الله بالعلم فيه 0
وفي القسم الثاني أشار إلى التفسير الظاهري وهو ليس من أنواع التفسير بالرأي إذ يقول السيد الخوئي:(إن حمل اللفظ على ظاهرة بعد الفحص عن القرائن المتصلة والمنفصلة من الكتاب والسنة أو الدليل العقلي لا يعد من التفسير بالرأي)([3])
وفي القسم الثالث يجب الاعتماد على الأثر في التفسير، وفي القسم الرابع الاعتماد على الأثر أيضاً أو إحدى الأدلة الشرعية 0
والحقيقة إن الشيخ الطوسي بتقسيمه هذا فرق بين التفسير بالرأي وبين التفسير بالعقل بقوله:(ومتى قسمنا هذه الأقسام نكون قبلنا هذه الأخبار- الأخبار الواردة في النهي عن تفسير القرآن بالرأي- ولم نردها على وجه يوحش نقلتها والمتمسكين بها، ولا منعنا بذلك من الكلام في تأويل الآي جملة)([4])
وبذلك يكون الشيخ الطوسي قد أسس منهجاً عقلياً سليماً في تفسير القرآن الكريم0
ويوافق الشيخ الطوسي في رأيه الشيخ الطبرسي بقوله في حرمة تفسير القرآن بالرأي وجواز تفسيره باستخدام دليل العقل([5])
ويُذكر في مقدمة كتابه ما جاء في كشف الظنون في أنواع التفسير بالرأي وهي:
1-التفسير من غير حصول العلوم التي يجوز معها التفسير0
2- تفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم0
3-التفسير المقرر للمذاهب الفاسدة، بان يجعل التفسير تابعاً للمذهب فيرده إليه بأي طريق كان0 وان كان ضعيفاً
4- التفسير بان مراد الله كذا على القطع من غير دليل0
5- التفسير بالاستحسان والهوى المنهي عنه([6])
أما القرطبي فقد جعل للتفسير بالرأي المنهي عنه وجهان هما :

---

[1] - البقرة:43
[2] - ظ:الطوسي التبيان/1/5-6
[3] - الخوئي/البيان/268 0
[4] - الطوسي/التبيان/1/7 0
[5] - ظ:الطبرسي/مجمع البيان/1/14-15
[6] - م0ن/1/26 مقدمة احمد رضا+ محمد حسين علي الصغير/المبادئ العامة/102-103

الوجه الأول: أن يكون للمفسر في شيء ما رأي فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه، ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى0

ويقسم القرطبي هذا الوجه على ثلاثة أقسام:

أ- نوع يكون مع العلم، كالذي يحتج بعض الآيات على تصحيح بدعته، وهو يعلم أن ليس المراد بالآية ذلك ،ولكن مقصوده أن يلبس على خصمه0

ب- نوع يكون مع الجهل، وذلك إذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه إلى الوجه الذي يوافق غرضه، ويرجح ذلك الجانب برأيه وهواه، فيكون قد فسر برأيه أي رأيه حمله على ذلك التفسير، ولولا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه0

ج- نوع يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلاً من القرآن ويستدل عليه بما يعلم انه ما أريد به، كمن يدعو إلى مجاهدة القلب القاسي فيستشهد بقوله تعالى:﴿ **اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى** ﴾([1]) ويشير إلى قلبه ،ويومئ إلى انه المراد بفرعون0
ويقول القرطبي(إن هذا الجنس قد يستعمله بعض الوعّاظ في المقاصد الصحيحة تحسيناً للكلام وترغيباً للمستمع،وهو ممنوع لأنه قياس في اللغة،وذلك غير جائز)([2])
الوجه الثاني: أن يتسارع المفسر إلى تفسير القرآن بظاهر العربية، من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة، وما فيه من الاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير0فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطة، وعد تفسيره من التفسير بالرأي ([3])0
والقرطبي بذلك يحث على أهمية النقل والسماع في الفهم والاستنباط، وذلك لأنه كثير من غرائب القرآن لا تفهم إلا بالسماع، فيجب أحكام الظاهر قبل الولوج في الباطن0ويستشهد على ذلك بقوله تعالى﴿ **00وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا00** ﴾([4]) ومعناه: آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها، ولكن الناظر إلى ظاهر الآية يظن إن الناقة كانت مبصرة، ولا يدري بماذا ظلموا، وإنهم ظلموا غيرهم وأنفسهم ففي الآية من الحذف والإضمار وأمثاله في القرآن كثير([5])
وهكذا نجد في محصلة الكلام إجماع كلمة المفسرين في النهي عن القول في مراد الله تعالى بحسب الهوى والاستحسان وغير المستند إلى دليل سمعي وعقلي ومن دون الحيازة على قواعد اللغة والأصول الواجب توفرها عند المفسر 0
وقد أطلق بعضهم عليها(أصول التفسير)أو(شروط التفسير)وأحيانا(آداب التفسير)0

---

[1] - طه:24
[2] - القرطبي/تفسير القرطبي/33/1
[3] - م0ن/34/33/1
[4] - الإسراء: 59
[5] - القرطبي/تفسير القرطبي/34/1 0

ومن أمثلة التفسير بالرأي المنهي عنه ما نقله لنا الدكتور الصغير عن محمد بن الحسن ابن فورك(ت:406هـ)في تفسيره لقوله تعالى:﴿0وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي00 ﴾([1])
من إن إبراهيم(عليه السلام)كان له صديق، وصفه بأنه قلبه فطلب إبراهيم(عليه السلام) من الله أن يريه كيفية المعاد ليسكن هذا الصديق إلى هذه المشاهدة إذا رآها عياناً ([2])
بعد ما تقدم بالإمكان إعطاء فكرة مختصرة عن طبيعة ما توصل إليه هذا المبحث تتلخص بأن الرأي المستند إلى الاستنباط من اللغة أو الحديث أو القرآن هو من إعمال الفكر ، وإعمال الفكر من التدبر في القرآن ،وهو محمود ،أما المذموم من التفسير بالرأي فهو الذي يوافق الهوى أو العاطفة أو التعصب بلا هوى ،نعوذ بالله من ذلك 0

[1] - البقرة: 260
[2] - ظ:محمد حسين علي الصغير/المبادئ العامة/104 عن مصدره0

4- المنهج اللغوي:

لا يخفى أن للغة أهميتها الكبرى في تفسير القرآن الكريم،ذلك لأن القرآن نزل بلغة العرب،قال تعالى:﴿ **إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ ([1]) وقال:﴿ **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ** ﴾ ([2])

هذا التعظيم لهذه اللغة من أشرف الكتب السماوية التي أنزلت على أشرف المخلوقات على الإطلاق لدليل على شرفها وعظمتها وعن أبي عبد الله الصادق(عليه السلام):

((تعلموا العربية فأنها كلام الله الذي كلم بها خلقه)) ([3]) لذلك أوجب العلماء على المفسر وجعلوا من شروطه أن يكون على مستوى رفيع من الإطلاع باللغة العربية ونظامها وعلومها من نحو وصرف،ومعانٍ، وبيان وغيرها من علوم العربية([4]) 0

ومن هنا كانت عناية المفسرين باللغة فظهر التفسير اللغوي الذي يمكن عدّه أول أنواع التفسير بعد التفسير بالمأثور0

وقد قام أستاذنا الدكتور محمد حسين الصغير بإعطاء مفهوم وافٍ حول المنهج اللغوي بما يأتي:(هو المنهج الذي عني بالجانب اللغوي،وتمحض لاشتقاق المفردات وجذورها ، وشكل الألفاظ وأصولها ،فجاء مزيجاً بين اللغة والنحو والحجة والصرف والقراءات، وكان مضماره في الكشف والإبانة استعمالات العرب وشواهد أبياتهم، فابتنى الأصل اللغوي بكثير من أبعاده على الغريب والشكل والشوارد والأوابد في الألفاظ والكلمات والمشتقات ،وقد سخرت بهذا اللغة العربية طاقاتها المتعددة لخدمة القرآن، واستشهد بها على تقرير قاعدة، أو تقعيد نظرية،أو بناء أصل لغوي أو نحوي أو صرفي فتبلورت في هذا السبيل عدة مسائل في الفروع والجزئيات والأصول والقواعد وعاد النص القرآني يقذف بإشعاعه حجة إثر حجة في سماء المعرفة اللغوية، وجلاء معاني الاستعمالات العربية)([5]) 0

أما تاريخ نشوء هذا المنهج فيعود إلى العصور الأولى ،حيث لم يكن الصحابة على اطلاع كامل بمفردات اللغة العربية ،فكانوا يتوقفون عند بعض الكلمات القرآنية لعدم معرفتهم معناها،حتى يقع في أيديهم شيء من كلام العرب يتضح به ما غمض لديهم من القرآن0كما أن طبيعة المرحلة وهي مواجهة القرآن كمشكلة لغوية تفرض أن يكون من أبرز المصادر للتفسير هو اللغة العربية نفسها،كشرط أساسي في محاولة تفسير القرآن الكريم([6]) 0

ومن منظور هذا الكلام يوصف أستاذنا الدكتور الصغير كلام ابن خلدون:بأن العرب كلهم يفهمون القرآن ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه كونه نزل بلغتهم0 على أن فيه مبالغة،وكذلك رأي السيد الطباطبائي من أن القرآن كلام عربي مبين لا يتوقف في فهمه عربي ولا غيره ممن هو عارف باللغة وأساليب الكلام العربي 0بأنه مهما بلغ العربي من

---

[1] - الزخرف:3 0

[2] - الشعراء:193-195 0

[3] - الحر العاملي/وسائل الشيعة/220/6

[4] - ظ: الزركشي/البرهان/165/2+محمد باقر الحكيم/علوم القرآن/45 0

[5] - محمد حسين علي الصغير/المبادئ العامة/105 0

[6] - محمد باقر الحكيم/علوم القرآن/323 0

الثقافة في اللغة فانه لن يستطيع سبر أغوار القرآن جميعاً وذلك لرقي القرآن نظماً وتأليفاً ،ففيه من الألفاظ المشتركة، أو المختلفة الدلالة أو الغريبة مما لم يؤلف استعماله كلفظ(عسعس)في قوله تعالى: ﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ** ﴾([1])فقيل معناه: اقبل، وقيل: ادبر وغيرها من الشواهد القرآنية([2]) 0

وأكثر من أشتهر بهذا المنهج من بين الصحابة هو عبد الله بن عباس0حيث ينقل لنا السيوطي مسائله مع نافع بن الأزرق والتي بلغت نحو مائتي مسألة،قد أجاب عنها ابن عباس بمصادقة من كلام العرب ([3]) 0

وقد سلك طريق ابن عباس الكثير من المفسرين فمنهم من أصاب ومنهم من أحبط، إلا أن رؤوس هذا المنهج في التفسير ثلاثة:

1- أبو زكريا الفراء(ت:207هـ)في كتابة(معاني القرآن)0

2- أبو عبيدة معمر بن المثنى(ت:210/209هـ)في كتابه مجاز القرآن0

3- أبو إسحاق الزجاج(ت:311هـ)في كتابه معاني القرآن([4])

وقد وجد البحث إن معظم بل اغلب التفاسير القديمة قد استخدمت هذا المنهج جنباً إلى جنب مع المنهج الاثري0وذلك بعرض اللغة ،والقراءة،والأعراب،والنظم، في بداية كل سورة أو مقطع منها وأحياناً كل آية0والاستشهاد بالأبيات الشعرية وأقوال العرب في أثناء تفاسيرهم 0

إلا أن بعض المفسرين يرجح التفسير النقلي على اللغوي إذا اجتمعا في تفسير آية معينة، ولا يأخذ باللغوي ،وهذا ما نجده عند الطبري في تفسير قوله تعالى:﴿ **وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾([5]) فقد ردّ على من زعم من أهل العربية أن معنى قوله(**وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا**) أنه متشابه في الفضل، أي كل واحد منه له الفضل في نحوه مثل الذي للآخر في نحوه،قائلاً:(وليس هذا قول نستجيز التشاغل بالدلالة على فساده لخروجه عن قول جميع علماء أهل التأويل)([6])

وفي قول آخر:((خروجه عن قول أهل العلم دلالة على خطئه)([7])

وبلغت عناية بعضهم باللغة إلى ذكر لغات العرب في بعض الأحيان عند بيان المعنى اللغوي للألفاظ، فمثلاً نجد الشيخ الطوسي عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ** ﴾ ([8]) قد

---

[1] - التكوير:17 0

[2] - ظ:محمد حسين علي الصغير/المبادئ العامة/80-81 0

[3] - ظ:السيوطي/الإتقان/120/1 0

[4] - محمد حسين علي الصغير/المبادئ العامة/106 0

[5] - البقرة:25 0

[6] - الطبري/جامع البيان/172/1 0

[7] - م0ن/163/30 0

[8] - البقرة:48

قد بيّن لغة أهل الحجاز ولغة بني تميم في لفظه(تجزي)فهي في لغة أهل الحجاز بالياء،وفي لغة بني تميم بالهمزة(تجزئ)([1])

ويستشهد بعضهم ببيت من الشعر لجواز استخدام لفظ بمعنى لفظ آخر، فمثلاً نجد السمرقندي(ت:383هـ)عند تفسير قوله تعالى﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**﴾ ([2]) يقول قوله(ذلك كتاب)يعني:هذا الكتاب00ويوضح (ذلك)بمعنى(هذا)كما قال القائل:

أقول له والرمح يأطر متنه تأمل خفافاً أنني أنا ذلكا([3])0

أما الثعلبي(ت:427هـ) فنجده السبّاق في هذا المضمار، فقد استخدم جميع ضروب هذا المنهج، من ذكر الأعراب، وآراء علماء اللغة، ويذكر آراء النحويين، كما أنه يعيد بعض الكلمات إلى أصلها، ويستشهد بالأبيات الشعرية0 فمثلاً في أصل لفظ الجلالة (الله)يذكر آراء أهل الكوفة والبصرة فيه، وفي كونه مشتق أم لا يذكر الآراء أيضاً ويختار هو الرأي القائل بعدم الاشتقاق0ومن ثم يعطي أقوال القوم في الاشتقاقات ومعناها([4]) 0

كما ويعد النحاس(ت:338هـ) جهبذ من جهابذة علماء اللغة، ورائد من أكابر رواد العربية وهو تلميذ كل من الزجاج(ت:311هـ) وأبو بكر الانباري(ت:328هـ) وابن كيسان(ت:299هـ) ونفطوية(ت:323هـ)00فقد استخدم هذا المنهج في عرض أقوال المفسرين والعلماء عرضاً دقيقاً شاملاً في كتابه(معاني القرآن)،ولم يكتفِ بالعرض فقط وإنما كان يوجه السديد الصائب ويفند الضعيف الذي لا تعضده لغة العرب([5]) 0

وها هو الشريف الأجل السيد الشريف الرضي(ت:406هـ)على الرغم من قلة تأليفه وعدم تجرده له فهو مجيد فيه كإجادته في الشعر([6])،نجده في مسالة وصف الآيات المحكمات بأم بأم الكتاب وقد أبان وأوضح في كيفية جمعه تعالى بين قوله (هن) – وهو ضمير الجمع – وبين قوله (أم الكتاب) – وهو اسم لواحد – في قوله تعالى:﴿ **00مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ00** ﴾([7])

وذلك أن هذه الآيات باجتماعها وانضمام بعضها إلى بعض في إنزالها هي أم الكتاب، وليس كل واحدة أماً بانفرادها 0ولذلك جاز وصف الجمع بالواحد 0فلو قال تعالى هن أمهات الكتاب لأصبح الظن بان مراد الله أن كل واحدة من الآيات أم لجميع الكتاب0

وليس هذا المراد0ويقول الشريف الرضي بان معنى الأم هنا هو الأصل الذي يرجع أليه ويعتمد عليه([8]) 0

وذلك لأن المحكم أصل للمتشابه،وعلى ذلك سميت والدة الإنسان أماً ؛لأنها أصله الذي منه طلع وعنه تفرع0

---

[1] - ظ:الطوسي/التبيان/212/1

[2] - البقرة:2

[3] - ظ:السمرقندي/تفسير السمرقندي/48/1

[4] - ظ:الثعلبي/تفسير الثعلبي/95/1-98

[5] - ظ:النحاس/معاني القرآن/13/1-16/مقدمة المحقق:محمد علي صابوني

[6] - ظ:الشريف الرضي/حقائق التأويل/83/5/ترجمة المؤلف لعبد الحسين الحلي

[7] - آل عمران:7

[8] - الشريف الرضي/حقائق التأويل/2/5 + ظ:الطبري\جامع البيان\3\231+ الطوسي\ التبيان \2\295 +الزمخشري\ الكشاف\1\412 + الطبرسي \2\239 0

ثم يرجح الشريف الرضي دليل الشعر العربي على دليل القياس في جمع (أم)وذلك أن جمع أم:أمّات، ولكن جاء أمهات؛ لأنه جاء في الشعر الفصيح أمهة،فصح الجمع أمهات ويستشهد ببيت قصي بن كلاب:

أمهتي خندِق و الياس أبي0

وقال بعضهم :أمهات في جمع ما يعقل،وأمّات في جمع ما لا يعقل ([1]) 0

ثم يعرض الشريف الرضي لقولين من أقوال علماء النحو في مسألة وصف الآيات المحكمات بـ(أم الكتاب)، والقول الأول للأخفش: الذي يرى بأنه على وجه الحكاية كأنه قيل:ما أم الكتاب ؟ فقيل : هن أم الكتاب، كمن يقول: ما لي نصير،فيقول القوم: نحن نصيرك 0

أما القول الثاني فهو للمبرد وإسماعيل بن إسحاق القاضي وهو: إن قوله تعالى (هن أم الكتاب)نظير قوله : **﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾**([2]) فان سبحانه لم يقل(آيتين)لأنه جعلهما جميعاً آية،وذلك لأن المعنى الذي أعجز منهما شيء واحد، حيث أن مريم(عليها السلام) ولدت من غير ذكر، وولد عيسى (عليه السلام) من غير أب، ولو كان هناك زوج لكان أبوه وزوجها0

فلما كان المعنى المعجز منهما شيئاً واحداً، حسن أن يقول سبحانه(جعلناهما آية)وهما اثنان([3]) 0ثم يرجح الشريف الرضي الرأي الثاني بقوله:(وهذا حسن جداً)([4])

وبذكر البحث لهذه النماذج من التفسير اللغوي عند القوم يكون قد أحاط ولو جزئياً بمضامين هذا المنهج وأسسه0

وقد الحقَ أستاذنا الدكتور الصغير بهذا المنهج فناً آخر ألا وهو: الترتيب المعجمي لتفسير لغة مفردات القرآن الكريم، والذي برع فيه وأجاد الراغب الأصفهاني (ت:502هـ) في كتابه: المفردات في غريب القرآن0حيث رتب اغلب ألفاظ القرآن على الطريقة الحديثة في تنسيق المعاجم(الألف باء)0

ويعتبر الراغب هو المؤصل لهذا المنهج المعجمي([5])

---

[1] - ظ: - الشريف الرضي/حقائق التأويل/1/5 – 3 0

[2] - المؤمنون:50

[3] - ظ:الشريف الرضي/حقائق التأويل/5/4-6+الطوسي/التبيان/2/296 +الطبرسي/مجمع البيان /2/240 +الطبري/جامع البيان/3/232+النحاس/معاني القرآن/1/348

[4] - الشريف الرضي/حقائق التأويل/5/6 0

[5] - محمد حسين علي الصغير/المبادئ العامة/108/109

5- المنهج البياني:

وهو من المناهج التفسيرية المرضي عنها([1]) 0وقد عبرت عنه عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) بأنه:(فهم مفردات القرآن وأساليبه،فهماً يقوم على الدرس الأدبي الدقيق المتذوق،المدرك لأقصى ما يستطيع من إيحاء التعبير([2])وعبرت عنه كذلك بأنه :دراسة القرآن الكريم نصاً أدبياً،وذلك بفقه أسلوبه،والاهتداء إلى أسراره البيانية لمعرفة مدلول اللفظ القرآني وإيحاء التعبير به([3]) 0

ويعرفه أستاذنا الدكتور الصغير بأنه: (المنهج الذي تدور مباحثه حول بلاغة القرآن في صوره البيانية من تشبيه واستعارة وكناية وتمثيل ووصل وفصل وما يتفرع من ذلك من استعمال حقيقي أو استخدام مجازي أو استدراك لفظي،أو استجلاء للصورة أو تقويم للبنية، أو تحقيق في العلاقات اللفظية والمعنوية أو كشف للدلالات الحالية والمقالية0 والبحث في هذا الجانب يعد بحثاً أصيلاً في جوهر الإعجاز القرآني ومؤشراً دقيقاً في استكناه البلاغة القرآنية) ([4]) 0

وهو بهذا التعريف قد ذكر جميع أصول البيان العربي أنفة الذكر مما يدل على تورعه في هذا المجال ،ولم لا وهو أستاذ الدراسات البلاغية الأول0

نبذة تاريخية:

لم يكن لهذا المنهج كما لا لغيره انعدام الوجود في الفترة الأولى لصدر الإسلام، غير أن الباحثين حين يتحدثون عنه يتعدون هذه الفترة إلى ما بعدها حين تهيأت الأسباب العلمية إلى الحديث الاصطلاحي عن مسائل البلاغة النقدية 0

إلا أن الواقع الملموس يدل على أن القوم آنذاك قد درسوا القرآن دراسة من يعرف مناحي القول المختلفة في بيانه،وإن فاتهم الوقوف على المصطلحات البلاغية التي ظهرت عبر تتابع الزمن فلم يفتهم في شيء جوهر هذه المصطلحات: إذ عرفوا بفطرتهم مكان الإيجاز والإطناب ،وموضوع الحقيقة والمجاز،وقد نقل عنهم في ذلك ما يصح أن يكون بذرة التفسير البلاغي للقرآن ([5]) 0

وقد تعرض الرسول (صلى الله عليه وآله) في تفسيره للقرآن إلى الكثير من تشبيهاته وكناياته؛ وذلك أن القرآن الكريم هو أرفع أنماط البلاغة العربية بلا منازع0 ومما يدل على ذلك هو الخبر المنقول عن عدي بن حاتم لما سأل الرسول(صلى الله عليه وآله) في قوله تعالى ﴿ **00وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ000**﴾ ([6]) أهما

---

[1] - محمد حسين علي الصغير \المبادئ العامة \89 0

[2] - عائشة عبد الرحمن \التفسير البياني للقرآن الكريم \ 7 0

[3] - ظ: م0ن \6- 7 0

[4] - محمد حسين علي الصغير\المبادئ العامة \110 0

[5] - ظ: رجب البيومي \ خطوات التفسير البياني \9 – 10 0

[6] - البقرة : 187 0

الخيطان المعروفان ؟ فقال النبي (صلى الله عليه وآله) : بل هما سواد الليل وبياض النهار0ففي قوله هذا انتقال من المعنى الحقيقي إلى المجاز ([1]) 0

ويجد الزمخشري أن الأسلوب البياني هنا من باب التشبيه لا الاستعارة ،وذلك لقوله تعالى (من الفجر)الذي أخرجه من باب الاستعارة إلى التشبيه ([2])0

وكذلك تفسيره (صلى الله عليه وآله)لقوله تعالى:﴿**وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ** ﴾ ([3]) الرزق بالشكر ([4])0وهو من المجاز المرسل ([5]) وهو واسع الانتشار في القرآن الكريم كونه وسيلة العربية في إضافة المعاني الجديدة، وذلك الانتشار كان دربة لأهل اللغة من وجه ودليل على الإعجاز البياني من وجه آخر ([6]) 0

وجنباً إلى جنب رسول الله(صلى الله عليه وآله) نجد بعض الصحابة قد نهج هذا المنهج أيضاً، كما في تفسير قوله تعالى: ﴿ **أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ** ﴾ ([7])فقد فسّره ابن عباس بأنه مثل ضربه الله عز وجل، فقال أيود أحدكم أن يعمل عمره بعمل أهل الخير وأهل السعادة حتى إذا كان أحوج ما يكون إلى أن يختمه بخير حين فني عمره واقترب أجله ،ختم ذلك بعمل من عمل أهل الشقاء،فأفسده كله فحرقه أحوج ما كان إليه ([8]) 0

ويعلق الثعالبي على تفسير ابن عباس بأنه:من باب الاستعارة التمثيلية ([9])

والتمثيل كماعرفنا من تعريف الدكتور الصغير للمنهج البياني هو أحد الصور البيانية

أما أقطاب هذا المنهج من المتقدمين فهم : الشريف الرضي (ت: 406هـ) وعبد القاهر الجرجاني (ت: 471هـ) وجار الله الزمخشري (ت:538هـ) 0

ويجد البحث أن ما في كتاب (مجاز القرآن)لأبي عبيدة (ت:210هـ) ما لا يمكن أجحاده 0 وهو كتاب أختص بغريب القرآن ،وقيل أنه سئل عن تفسير قوله تعالى

:﴿ **طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ** ﴾ ([10]) وذلك أن في الآية وعد وإيعاد ،وإنما يقع الوعد والإيعاد بما عرف مثله وهذا لم يعرف ،فأجاب أبو عبيدة :أنما كلم الله العرب على قدر كلامهم 0 ثم أورد قول امرئ القيس :

---

[1] - المجاز : هو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوع له بالتحقيق استعمالاً في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن إرادة معناه في ذلك النوع 0 ظ: محمد حسين على الصغير\ مجاز القرآن ،خصائصه الفنية وبلاغته العربية \58 عن مصدره

[2] - ظ: الزمخشري \الكشاف \1\257 0

[3] - الواقعة : 82 0

[4] - ظ: الطباطبائي \الميزان \19 \142 0

[5] - المجاز المرسل هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه ،وما وضع له ملابسة غير التشبيه 0 ويفترق عن الاستعارة كونه الأخير مقيدة بأن المشبه يجب أن يكون من جنس المشبه به ، أما المجاز المرسل فهو مطلق من ذلك التقييد 0ظ: محمد حسين علي الصغير \مجاز القرآن \144 – 145 0

[6] - ظ: محمد حسين علي الصغير\ مجاز القرآن \146 0

[7] - البقرة : 266 0

[8] - ظ: الطبري \جامع البيان \3\47 0

[9] - الثعالبي \تفسير الثعالبي \1\89 0

[10] - الصافات : 65 0

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال
والعرب لم تر الغول قط ،ولكنهم لما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به 0
وقيل أن هذه المناسبة التي جرت في مجلس الفضل بن الربيع في بغداد كانت هي السبب في وضع أبي عبيدة لهذا الكتاب ([1])

تعقيب :
عند قراءتي لهذه المعلومة قادني الفضول العلمي إلى البحث عن الآية محل الشاهد في كتاب (مجاز القرآن) لأبي عبيدة فلم أجد لذكرها أثر في ذلك الكتاب ،فتعجبت لما أورده الحموي وغيره في ذلك،وهل يعقل أن يؤلف أحد ما كتاب لسبب ولا يذكر ذلك السبب في صفحات كتابه ولا حتى في المقدمة0
وقد عدّ الثعالبي أبا عبيدة هو المؤصل لهذا المنهج وصاحب الخطوة الأولى فيه وواضع اللبنة الأولى في صرح الدراسات البلاغية للقرآن وذلك عند إشارته إلى ما تدل عليه النصوص القرآنية من حقيقة أو مثل أو تشبيه أو كناية وما يتضمن من ذكر وحذف أو تقديم أو تأخير ([2])
ومن أمثلة ما جاء عن أبي عبيدة ،في قوله تعالى :﴿ **أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ ([3]) أنه قد عد الآية من مجاز التمثيل حيث قال : (مجاز الآية : مجاز التمثيل ،لأن ما بنوه على التقوى أثبت أساساً من البناء الذي بنوه على الكفر والنفاق ،فهو على شفا جرف ،وهو ما يجرف من الأودية ،فلا يثبت البناء عليه) ([4]) 0
ومما ينبغي الإشارة إليه أن أبا عبيدة لم يعنِ بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة كما هو معلوم لدينا،وإنما عنى بمجاز الآية مدلولها الذي تشير إليه،كما هو ملاحظ في استخدامه لهذه الكلمة في كتابه (مجاز القرآن) 0
أما منهج الشريف الرضي والذي تناوله البحث في المنهج اللغوي ،فكانت أكثر مؤلفاته تمت إلى مسائل البيان بأقوى الوشائج ،فكأن هيامه بالبلاغة العربية لم يقف عند تأليف الشعر البليغ بل تعداه إلى تفصيل القول في أسرار التركيب الأدبي وتحليل الصور الفنية0
وربما يرجع سبب تأليفه لكتاب (نهج البلاغة) والذي جمع فيه أثار الإمام علي (عليه السلام) ليس لصلة النسب والانتماء فحسب وإنما لما لمسه من هذه الآثار العلوية الرائعة من مصطفى القول ونادر الحديث ([5]) 0
وكان منهج الشريف الرضي في كتابه (حقائق التأويل) هو الإيجاز الدقيق دون أن تفوته فصاحة القول وسلاسة التعبير ،بل إن روعة البيان القرآني قد تركت أثرها الواضح في تحليله الأدبي ([6])

---

[1] - ظ: ياقوت الحموي \معجم الأدباء \19 \158 0
[2] - ظ: الثعالبي \تفسير الثعالبي \1\89 + محمد رجب البيومي \خطوات التفسير البياني \46 0
[3] - التوبة : 109 0
[4] - أبو عبيدة \مجاز القرآن \1\269 0
[5] - ظ: محمد رجب البيومي \خطوات التفسير البياني \176 – 177 0
[6] - م0ن \179 0

ومن ذلك مثاله ما قدمناه في المنهج اللغوي في بيان قوله تعالى:﴿ 00هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ00 ﴾
ومثال آخر في قوله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولا** ﴾ ([1]) 0
حيث أورد عدة أقوال للعلماء في معنى (نطمس وجوهاً) وكان رأيه هو أن المراد بالوجوه في الآية غير الأبعاض المخصوصة،بل هي محمولة على معنيين :
أحدهما أن المراد بها أماثل القوم ورؤساءهم،ومعنى الآية:من قبل أن نهلك رؤساكم ومتقدمي دينكم،ويقول الشريف الرضي هنا: (إنما جاء تعالى بلفظ الطمس كناية عن الإهلاك00وهذا من الإغراق في منازع الفصاحة،والإحكام لمعاقد البلاغة) ([2]) 0
وكلامه هذا فيه دلالة على أن استعمال وجوه في الآية هو استعمال مجازي لاستدلال بأنه لو كان الكلام محمول على ظاهره – الحقيقة – لكان أصبح قوله(أو نلعنها) بدلاً من (أو نلعنهم) فقوي هذا قوله في المراد 0
والثاني: أن يكون المراد بالوجوه:الأعيان والذوات ، لا الأعضاء و الأبعاض، كما يقال:هذا وجه الأمر وهذا وجه الرأي0 وهو أيضاً استخدام مجازي،ويكون معناه قريباً من المعنى الأول0 أي آمنوا من قبل أن نهلك أعيانكم وذواتكم ([3])0
ثم جاء بعد ذلك الشيخ عبد القاهر الجرجاني(ت:471هـ)والذي وصفه الدكتور الصغير بأنه: (عالم واسع الثقافة،مرهف الحس،متوقد الذكاء) ([4]) 0
وقد برز منفرداً في منهجه التحليلي بروزاً واضحاً،فهو لم يكتف بالدراسة التقليدية ،بل أخذ يتعمق في المسائل،وينقب عن العلل،حتى عرف أن النحو قد حيد به عن مذهبه الأكمل حين قصره بعض دارسيه على ضبط أواخر الكلمات وما يخصها من إعراب وبناء ،مع أنه علم يؤدي إلى المعرفة الصحيحة لتركيب الجمل،وبناء الأساليب،وبالوقوف على مسائله يستطيع الكاتب أن يأتي بتعبيره المحكم المتماسك في غير ضعف أو تفكك ([5]) ([5])
ونظراً لذوقه الصافي،وحسه الدقيق فقد أخذ يوضح أسرار البلاغة العالية في ما يتناول من نصوص ،كما يحلل النظم القرآني ليقف على دقائق الإعجاز،وقد قام البحث بتوضيح منهجيته من خلال مبحث(إعجاز القرآن) في موضوع جهة التحدي في القرآن الكريم 0
وما أن جاء القرن السادس الهجري حتى برز في هذا المجال تفسير لم يسبق مؤلفه إليه،وهو تفسير(الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) لجار الله الزمخشري(ت:538هـ) الذي أحتذا فيه حذو الجرجاني في مجال البلاغة القرآنية التطبيقية ،مع ما أضافه من نكت بلاغية ومعانٍ إعجازية ([6]) 0

---

[1] - النساء : 47 0
[2] - الشريف الرضي \حقائق التأويل \5\355 0
[3] - ظ: م0ن \5\355 – 356 0
[4] - محمد حسين علي الصغير\ المبادئ العامة \110 0
[5] - ظ: محمد رجب البيومي\ خطوات التفسير البياني \204 0
[6] - ظ: محمد حسين علي الصغير\ المبادئ العامة \110 0

ونظراً لما أمتاز به الزمخشري من نبوغ علمي وأدبي فقد أضفى ذلك على تفسيره ثوباً جميلاً ،لفت إليه أنظار العلماء،وعلق به قلوب المفسرين ([1])0

ويميز أستاذنا الدكتور الصغير بين الجرجاني والزمخشري: بأن الأول قد اعتنى بالمعاني وعلاقتها بالنظم،في حين أهتم الثاني ببديع القرآن وجعله أساساً يندرج تحت مفهوم البيان باعتبار البديع(أشكالاً وقوالب وصوراً ،تفنن بها القرآن وأبرزها على نحو فني تتميز به أساليب القول) ([2]) 0

ومن الأمثلة على ما جاء في تفسير الكشاف في تفسير قوله تعالى:﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾ ([3]) فبعد تفسيره للوجه بأنه عبارة عن الجملة،والناضرة من نضرة النعيم ،نجده يبين موضع الاختصاص في الآية،وهو من تقديم المفعول،بأن الوجوه تنظر إلى ربها خاصة لا تنظر إلى غيره 0

ومن ثم ينتقل إلى بيان معنى(النظر) في الآية وإيجاب حمله على معنىً يصح معه الاختصاص،فكان عنده بمعنى التوقع والرجاء،كما يقول الناس: أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي 0 فيكون معنى الآية : أنهم لا يتوقعون النعمة والكرامة إلا من ربهم ،كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون إلا إياه ([4]) 0

ومثال آخر في تفسير قوله تعالى:﴿ **فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا *إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا** ﴾([5])

حيث نجد الزمخشري قد بين أن معنى (مع) الصحية،ولما أراد الله تعالى أن يصيب المؤمنين بيسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان يسير،قد جاء الاستعمال ب(مع) بدلاً من (بعد) التي تفيد التفاوت في الزمن فقرّب اليسر حتى جعله كالمقارن للعسر زيادة في التسلية وتقوية للقلوب([6]) 0

وقد علقت عائشة عبد الرحمن صاحبة كتاب (التفسير البياني للقرآن الكريم) على ذلك بقولها:(هو ملحظ دقيق، وإن كان التعبير عنه قد خان الزمخشري في موضعين:

الأول : حين قال: يصيبهم بيسر،واستعمال الإصابة في مقام البشرى غير مقبول فضلاً عن إننا نؤثر أن تكون الآية تقوية للرسول خاصة لا للمؤمنين بوجه عام، إذ السياق قبلها وبعدها،يجعل هذا التخصيص أولى بالمقام0

الثاني: حين قال: حتى جعل اليسر كالمقارن للعسر0 والأولى عندنا أن يقال (مقارناً للعسر) لما في إسقاط أداة التشبيه من أدعاء المماثلة على ما يقول البلاغيون)([7]) 0

ويجد البحث والله العالم صحة تعليق عائشة على الزمخشري ولكن بالنسبة للنقطة الأولى فقط أما الثانية فكلام الزمخشري أضبط وأدق، لأنه لم يرد المماثلة بين العسر واليسر ،وإنما جعله كالمقارن له وليس مقارناً ، لأن المعية هنا تعني : وجود يسر لكل عسر، أي لابد منه ،وجاء في الآية قرب الزمان بينهما وذلك لايشترط الأقتران0

---

[1] - ظ: محمد حسين الذهبي \التفسير والمفسرون \1\366 + محمد هادي معرفة \التفسير والمفسرون \2\901

[2] - محمد حسين علي الصغير\ المبادئ العامة \111 0

[3] - القيامة : 22 – 23 0

[4] - ظ: الزمخشري \الكشاف \4\662 0

[5] - الانشراح : 5 – 6 0

[6] - ظ: الزمخشري \الكشاف \4\221 0

[7] - عائشة عبد الرحمن \التفسير البياني \58 – 59 0

وأخيراً فقد نهج منهج الكشاف جمع من العلماء المفسرين ،لما لأهمية هذا المنهج في استجلاء الصور البيانية للقرآن الكريم، واستكناه دلائل الإعجاز فيه،ومنهم الأستاذ أمين الخولي، والذي دعا إلى أن يُتناول هذا المنهج تناولاً موضوعياً بحيث يفرغ لدراسة الموضوع الواحد فيه، فيجمع كل ما في القرآن عنه، ويهتدي بمألوف استعماله للألفاظ والأساليب، بعد تحديد الدلالة اللغوية لكل ذلك([1])0

وقد طبق استأذنا الدكتور محمد حسين علي الصغير هذا المنهج تطبيقاً ناجحاً في كتابه: الصورة الفنية في المثل القرآني ،حيث قام بجمع الآيات التي تتضمن الأمثال في القرآن الكريم وقام بدراستها دراسة موضوعية حتى خرج بنظرية قرآنية رائعة حول الأمثال في القرآن الكريم0

وممن ساروا على هذا المنهج أيضاً عائشة عبد الرحمن في تفسيرها الأدبي ،التفسير البياني للقرآن الكريم 0

[1] - عائشة عبد الرحمن \التفسير البياني \ 10 0

6- المنهج الموضوعي:

سوف تكون دراستنا لهذا المنهج على عدة خطوات هي :

أ- تعريفه:

بما انه لم يعرف المنهج الموضوعي عند المتقدمين كمصطلح ،فلم يجد البحث تعريفه عندهم ؛ولذلك سوف نقوم بذكره عند بعض العلماء المتأخرين،وهو:

1- عرفه أمين الخوئي:(هو أن يفسر القرآن موضوعا موضوعا،وان تجمع آيه الخاصة بالموضوع الواحد جمعاً إحصائيا مستقصياً0ويعرف ترتيبها الزمني، ومناسباتها وملابساتها الحافة بها، ثم ينظر فيها بعد ذلك لتفسر وتفهم فيكون ذلك التفسير أهدى إلى المعنى،وأوثق في تحديده)([1]) 0

2-عرفه الدكتور محمد حسين علي الصغير:(هو أن يقوم جملة من المتخصصين على دراسة شذرات ونجوم من القرآن كل حسب تخصصه ،فيجمع مادة موضوع من مواضيع القرآن ويستقصيها احصاءً لتكون هيكلاً مترابطاً يشكل وحدة موضوعية متكاملة واحدة،ثم يقوم بتفسيرها بحسب منهجه فالمتخصص بالأحكام يبحث آيات الأحكام والمتخصص بالعقائد يحصي آيات العقائد وهكذا00) ([2])

3-عرفه محمد باقر الصدر:(هو حوار من القرآن الكريم وطرحاً للمشاكل الموضوعية عليه بقصد الحصول على الإجابة القرآنية عليها)([3])

4-عرفه محمد باقر الحكيم:(هو التفسير الذي يقوم على أساس دراسة موضوعات معينة تعرض لها القرآن الكريم في مواضع متعددة أو موضع واحد)([4])

ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى أن الموضوعية هنا لا يقصد بها الموضوعية في مقابل(الذاتية)و(التحيز)،والتي هي عبارة عن الأمانة والاستقامة في البحث([5])، فهذه الموضوعية مفروضة في جميع المناهج على سواء0وانما الموضوعية هنا يقصد بها أن يبدأ المفسر عمله من مواقع الحياة فيركز عمله على موضوع من موضوعات الحياة ثم يطرحه بين يدي النص القرآني ويبدأ مع النص حواراً سؤال وجواب ، المفسر يسأل والقرآن يجيب([6])

ب- نبذة تاريخية

لم يكن للمنهج الموضوعي شيوعاً في بدايات عملية التفسير بسبب شيوع المنهج التسلسلي الترتيبي آنذاك([7]) وهو(المنهج الذي يتناول المفسر ضمن إطاره القرآن الكريم آية فآية وفق تسلسل تدوين الآيات في المصحف الشريف)([8])

---

[1] - أمين الخولي/دائرة المعارف الإسلامية/268/5 0

[2] - محمد حسين علي الصغير/المبادئ العامة/124+المستشرقون والدراسات القرآنية/71 0

[3] - محمد باقر الصدر/المدرسة القرآنية/30 0

[4] - محمد باقر الحكيم/علوم القرآن/396 0

[5] - ظ:محمد باقر الصدر/المدرسة القرآنية/36+علي جواد الطاهر/منهج البحث الأدبي/48

[6] - ظ:محمد باقر الصدر/المدرسة القرآنية/35

[7] - ظ:محمد حسين علي الصغير/المبادئ العامة/125 0

[8] - محمد باقر الصدر/المدرسة القرآنية/20

ويعود السبب في ذلك إلى:

1-النزعة الروائية والحديثية للتفسير،ويقول محمد باقر الصدر:(إن التفسير لم يكن في الحقيقة وفي البداية إلا شعبة من الحديث بصورة وأخرى، وكان الحديث هو الأساس الوحيد تقريباً مضافاً إلى بعض المعلومات اللغوية والأدبية والتاريخية التي يعتمد عليها التفسير طيلة فترة طويلة من الزمن)([1])

أي أنه يعزو سبب ظهور المنهج التسلسلي وشيوعه ثم ظهور المنهج الموضوعي في أحضانه إلى التفسير بالمأثور0

2-القدسية التي أحاطت النص القرآني والتي أدت إلى التقيد بترتيب آياته في القراءة والتفسير0

3-انتفاء الحاجة للبحث الموضوعي؛ لان المسلمين كانوا قد عاشوا النظريات الإسلامية سابقاً على مستوى التطبيق المباشر([2])

ورغم هذا الشيوع للمنهج التسلسلي فقد وجد البحث ملامح للمنهج الموضوعي بكل مقوماته منذ العصور الأولى للتفسير وخاصة في مجالي الفقه والعقائد ،وكان أهل البيت(عليهم السلام)هم السباقون لذلك، وما نقلته لنا كتب الأثر عنهم خير دليل على ذلك 0

ففي تفسير العياشي بإسناده عن أبي عمرو الزبيري عن أبي عبد الله(عليه السلام)قال:

إن الله عز وجل سبق بين المؤمنين كما سبق بين الخيل يوم الرهان، فقلت:اخبرني عما ندب الله المؤمن من الاستباق إلى الإيمان، قال(عليه السلام)قول الله:﴿ **سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ**﴾([3]) وقال:﴿ **وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ**﴾([4]) وقال:﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ** ﴾([5]) فبدأ بالمهاجرين الأولين على درجة سبقهم، ثم ثنى بالأنصار ثم ثلث بالتابعين لهم بإحسان، فوضع كل قوم على قدر حاجتهم ومنازلهم عنده([6])

ومن هذه الرواية يستفاد من كلام الإمام الصادق(عليه السلام) للسائل عن معنى استباق المؤمن إلى الإيمان،فجمع (عليه السلام)الآيات الكريمة التي من خلالها يفهم معنى السبق، ومن هم السباقون ،وإلى ماذا يتسابقون 0 فلا يمكن معرفة سباقتهم ومراتبهم وهدفهم الذي يتسابقون لأجله إلا إذا جمعت هذه الآيات بمقام واحد0

وهذا من ابرز معاني المنهج الموضوعي يتخلله تفسير القرآن بالقرآن0

وفي تفسير العياشي أيضا بإسناده عن ليث بن سليم عن أبي جعفر(عليه السلام)عندما ذكرت قصة موسى(عليه السلام)فقال الإمام(عليه السلام): ((شكا موسى إلى ربه الجوع في ثلاثة مواضع ، في قوله:﴿ **فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا** ﴾([7]) وفي قوله تعالى:﴿ **فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا**

---

[1] - محمد باقر الصدر/المدرسة القرآنية/24

[2] - ظ:محمد باقر الحكيم/تفسير سورة الحمد/103

[3] -الحديد:21

[4] -الواقعة:10-11

[5] -التوبة:100

[6] - العياشي/تفسير العياشي/111/2

[7] - الكهف:62

جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾([1]) وفي قوله تعالى:﴿ **فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾** ([2]))([3]) 0
يتضح للبحث إن الإمام الباقر(عليه السلام)قد قرن الآيات التي تناولت موضوعاً واحداً في تفسيره كما هو ظاهر في حديثه0وهذا مما يعد منهجاً للتفسير الموضوعي للقرآن الكريم([4]) 0
وبالإضافة إلى ذلك فقد وجد البحث في بطون كتب المفسرين المتقدمين نماذج متعددة لهذا النوع من المناهج ومثاله ما ذكرناه في النموذج الثاني من المنهج القرآني عند الشريف الرضي في مسألة من مسائله حول موضوع التوبة0
هذا وقد ألف العديد من العلماء الأوائل كتباً خاصة تجردوا فيها لهذا النوع من المناهج من حيث لا يقصدون، كما في كتاب الناسخ والمنسوخ لابن حزم(ت:465هـ) حيث نهج فيه منهجاً علمياً متطوراً كما هي المناهج المتبعة حديثاً في البحوث،حيث أعطى التعريف اللغوي والاصطلاحي لكل من النسخ والناسخ والمنسوخ، وذكر حد النسخ وشروطه، والأدلة العقلية والشرعية له0كما ذكر أقسام النسخ وأورد الروايات لكل قسم منها0وذكر عدد السور التي لم يدخلها ناسخ ومنسوخ وقال هي ثلاث وأربعون سورة ،وأعطى اسماءها0
وكذلك الباقلاني(ت:403هـ)في كتابه(إعجاز القرآن)،والواحدي(ت:468هـ) في(أسباب النزول)،والجصاص(ت:370هـ)في (أحكام القرآن)00وغيرهم([5])والسائد على مثل هذه الكتب هو التعصب المذهبي والخلاف بالأحكام الشرعية،إلا انه على الرغم من ذلك فان منهجهم قد كشف عن قدرات اجتهادية في الاستنباط والقياس ووجوه اعتماد الأحكام([6])

ج- مرجحات المنهج الموضوعي:

يمتاز هذا المنهج بعدة مرجحات وهي:
1- بإمكان هذا المنهج ضم جميع المناهج الأخرى كالمنهج القرآني والأثري واللغوي والتاريخي والعقلي00الخ0فهو منهج شامل0
2-(السير بهذا المنهج يغني الباحث والطالب في سبر المواضيع والاطلاع على أسرار القرآن العظيم مبوبة وممنهجة)([7])0
3-يمثل هذا المنهج حالة من التفاعل مع الواقع الخارجي،إذ أن المفسر يبدأ من مواقع الحياة،فيتخذ موضوعاً من الموضوعات الحياة،فيستوعب ما أثير حول هذا الموضوع من أفكار ومشاكل وحلول،ثم يعرضها على القرآن الكريم موضوعاً جاهزاً([8]) ومن هنا سوف

---

[1] - الكهف:77
[2] القصص : 24 0
[3] العياشي/تفسير العياشي/361/2 0
[4] - ظ:حكمت عبيد الخفاجي/الإمام الباقر وأثره في التفسير/189
[5] - ظ:محمد حسين علي الصغير/المبادئ العامة/126
[6] - ظ:م0ن/125
[7] - م0ن/124
[8] - ظ:محمد باقر الصدر/المدرسة القرآنية/29

سوف تتضح مواكبة القرآن الكريم للحياة،وممازجة الهدف الديني مع الهدف الاجتماعي([1])0

4-عن طريق هذا المنهج يمكن استخراج نظرية قرآنية(وهي التعبير عن موقف قرآني تجاه موضوع من موضوعات الحياة)([2]) 0

فعند وضع آية معينة إلى جوار آية معينة أخرى- لها نفس المعنى والدلالة- فسوف تتكون حركة جديدة ومؤثرة في المقطع القرآني كان سيفقدها فيما لو بقيت الآية معزولة عن اختها0ومن هنا يمكننا أن نعرف العامل المشترك الذي يوحد بين مجموعة الآيات التي يحتويها النص، بل ووجه صلتها بالمجموعة الأخرى المجاورة لها([3]) 0

5-التفسير الموضوعي فيه رداً لشبهات المستشرقين وتلفيق المستغربين من إن القرآن فيه تكراراً لا داعي له للموضوع الواحد([4])0

6- ومن مرجحاته إن فيه تأصيلاً لبعض الدراسات أو تصحيحاً لمسارها، كما في الدراسات حول موضوع(الإعجاز العلمي للقرآن)ففي مثل هذه المواضيع نحتاج إلى تأصيل بضبط مسارها حتى يؤمن عثارها([5]) 0

هذا ومن ابرز من نهج هذا المنهج من العلماء المعاصرين استأذنا الدكتور محمد حسين علي الصغير في أطروحة للدكتوراه الموسومة بـ(الصورة الفنية في المثل القرآني:دراسة نقدية وبلاغية)حيث قام بجمع آيات الأمثال آية آية فكانت واردة في سبعة وخمسين موضعاً من القرآن يتراوح الموضع الواحد منها بين الآية الواحدة إلى ثماني عشر آية([6])0 آية([6])0

وكذلك قام بمهمة رائعة أخرى إلا وهي تجربة المنهج التسلسلي الموضوعي وهو منهج راقي جدا حيث يجمع المنهجين التسلسلي والموضوعي في آن واحد ،وهو كالبرزخ بينهما، حيث يتناول الآيات وفق تسلسل ذكرها القرآني مجموعاً أو مقتطفاً فيكون تسلسلياً، ومن حيث ربط الآية بما يتصل بها قرآنياً مضافاً للنصوص الأخرى ليكون استكشافاً للمدلول النصي من خلال استنطاق النصوص التي تصب في مؤداه وصولاً للمراد الأخير منها لتطبيقه بكل خصوصياته وأبعاده يكون موضوعياً([7])

وذلك في تفسيره لسورة الزخرف0حيث قسم آيات السورة تسلسلياً إلى عدة مواضيع وهي:الحروف المقطعة، والقرآن الكريم، وإرسال الأنبياء، وآلاء الرحمن ،ومحاججة المشركين وتقرير أخطائهم، وإبراهيم وقومه والتوحيد، وقارنه بين القيم المقابلة، وعاقبة المعرضين ووظيفة الرسول الأعظم، وموسى وفرعون وقومه ،وعيسى وضرب المثل و البينات، ومن مشاهد القيامة،وتنزيه الباري([8])

---

[1] - محمد حسين علي الصغير/المبادئ العامة/148+حكمت عبيد الخفاجي/التفسير الموضوعي للقرآن الكريم/23

[2] - محمد باقر الصدر/المدرسة القرآنية/35

[3] -ظ:عبد الهادي الطهمازي/مجلة مآب/21 0

[4] - حكمت عبيد الخفاجي/التفسير الموضوعي للقرآن الكريم/24

[5] - محمد عبد العزيز الخضري/مقدمة في تفسير الموضوعي/6 0

[6] - ظ:محمد حسين علي الصغير/المبادئ العامة/149-150 0

[7] - ظ:الباحثة/البحث القرآني عند السيد محمد باقر الحكيم/274-275

[8] -ظ:محمد حسين علي الصغير /المبادئ العامة/155-224

هذه ابرز جوانب المنهج الموضوعي من تعريفه وحتى تطبيقه0

7-المنهج العلمي:

القرآن الكريم كتاب علم قبل أن يكون كتاب تشريع ومعاملات أو كتاب تأمل وعبادات ؛لان العقول كلما ارتقت بالعلم عرفت الله حق معرفته وما عرف الله إلا العالمون، لذا كرمهم الله وأثنى عليهم بقوله:﴿ **وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**﴾([1])
فهو يدعو في الكثير من آياته إلى التفكر في الآيات السماوية والنظام المتقن العجيب الذي تسير عليه 0وفي خلق الأرض والبحار والجبال، وما في بطون الأرض من العجائب واختلاف الليل والنهار 0
وهو يدعو إلى التفكر في خلق الإنسان نفسه والأسرار المودعة فيه،وغيرها من الأمور التي ما لبثت أن أصبحت نظريات علمية واكب عليها الدارسون قديماً وحديثاً
ولكن القرآن الكريم بدعوته هذه إنما يشترط أن يكون هذا التفكر سبيلاً لمعرفة الحق والحقيقة ومرآة لمعرفة الكون التي في مقدمتها معرفة الله تعالى0
وأما ما يشغل عن الحق والحقيقة فهو في قاموس القرآن مرادف للجهل0قال تعالى :﴿ **يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**﴾([2])
ولذلك فقد وضع أستاذنا الدكتور محمد حسين علي الصغير مفهوماً لهذا المنهج تتضح فيه معالمه وبعض الاغرافات التي عدها بعضهم من معالم هذا المنهج بقوله:(هو المنهج الذي يذهب إلى استخراج جملة العلوم القديمة والحديثة من القرآن ،ويرى في القرآن ميداناً يتسع للعلم الفلسفي والصناعي والإنساني في الطب والتشريع والجراحة والفلك والنجوم والهيئة وخلايا الجسم، وأصول الصناعات ومختلف المعادن، فيجعل القرآن مستوفياً بآياته لهذه الحيثيات بل متجاوزاً لها إلى العيافة والزجر والكهانة والطيرة، والضرب بالحصى، والخط على الرمل، والسحر والشعبذة، مما حرمه الإسلام وعارضة القرآن)([3])
وذلك فان المفسرين قد يخفقوا أحيانا في الربط بين القرآن الكريم والواقع العلمي بحسب العصر الذي هم فيه، غير مدركين إنما القرآن الكريم لكل عصر ومكان0 فيحاولوا أن يربطوا بين القرآن والظاهرة العلمية الآنية0
وهذا مما أوقعهم في الكثير من الاشتباهات والانحرافات، الأمر الذي استدعى إلى التحرز من مثل هكذا تفاسير خاصة، وكتب علمية أخرى عامةً0
والذي ساعد على بروز هذا المنهج في التفسير وتبلوره هو وجود إشارات علمية واضحة في القرآن،ولم تكن التفاسير القديمة لتخلو من ملامح هذا النمط من التفسير، وان كانت ملامح باهتة لا تصلح لتشكيل منهج تفسيري مستقل ومحدد المعالم0

---

[1] - فاطر:28
[2] - الروم:7
[3] - محمد حسين علي الصغير/المبادئ العامة/118

إلا إن هذا المنهج قد تطور وتنامى واخذ يكتسب قوة واندفاعاً في العصور الحديثة، حتى برزت العديد من التفاسير التي تنتهج بهذا المنهج متفاوتة فيما بينها شدة وضعفا في الالتزام بهذا النمط التفسيري0ومنها تفسير(الجواهر في تفسير القرآن المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات)للشيخ طنطاوي جوهري والذي جمع فيه جميع العلوم الطبيعية والرياضية والفلكية0
وقد سار على منواله في هذا المجال الأستاذ عبد الرزاق نوفل في(القرآن والعلم الحديث)، والأستاذ عبد الغني الخطيب في (أضواء من القرآن على الإنسان ونشأة الكون والحياة)وغيرهم([1])0
أما المفسرون القدماء فقد وجد البحث في مطاوي مؤلفاتهم العديد من التفسيرات العلمية لبعض من آيات القرآن وبحسب الواقع العلمي المشهود في عصرهم ومنها:

1- القول بكروية الأرض:

وجد البحث وبحسب تتبعه للآيات العلمية الخاصة بهذا الموضوع إن هناك بعض من المفسرين المتقدمين قالوا بكروية الأرض وذلك رداً على بعض من قال بانبساطها ومن هؤلاء السيد الشريف المرتضى(ت:436هـ)والشيخ الطوسي والشيخ الطبرسي وذلك في ردهم على أبي علي الجبائي(ت:303هـ)وقد استدل الأخير على انبساط الأرض من قوله تعالى:﴿ **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾([2])
وقوله:﴿ **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا**﴾([3])وقوله: ﴿ **وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا**﴾([4])0
حيث ذهب الجبائي أن الكرة لا تكون مبسوطة،والبساط لا يكون كروياً0
وقد وجد البحث إن كلمة المفسرين متفقة تقريباً على إن معنى دحاها:بسطها ومهدها للسكنى([5])0وكذلك معنى قوله(الأرض فراشاً)يعني أنه جعل الأرض مهادا وموطئا قراراً يستقر عليها([6])0
ولكن مع الاتفاق على هذه المعاني يعود الشيخ الطبرسي ويرد على الجبائي بقوله الذي نسبه إلى السيد المرتضى([7])وهو:صحيح إن الله سبحانه وتعالى قد انعم علينا بنعمة انبساط

---

[1] - ظ:محمد حسين علي الصغير/المبادئ العامة/121
[2] - البقرة:22
[3] - نوح:19
[4] - النازعات:30
[5] - ظ:الطبري/جامع البيان/59/30+النحاس/معاني القرآن/398/2+القمي/تفسير القمي /403/2 + الطوسي/التبيان/126/1+ السمرقندي/66/1+ابن زمنين/تفسير ابن زمنين/91/5 +النسفي /تفسير النسفي/315/4+الطبرسي/مجمع البيان/144/1
[6] - ظ:الطبري/جامع البيان/234/1+ابن أبي حاتم الرازي/تفسير ابن أبي حاتم /61/1+السمرقندي/تفسير السمرقندي/60/1+الثعلبي/تفسير الثعلبي/1/ 166 + الزمخشري /الكشاف /234/1
[7] - عند مراجعة البحث لرسائل السيد المرتضى وجد هذا الاحتجاج،إلا إن السيد المرتضى لم يذكر اسم اسم أبي علي الجبائي بالتحديد وإنما قال أهل الفلسفة0ظ:السيد المرتضى/رسائل المرتضى /141/3

انبساط الأرض،ولكن ليس يجب أن يكون جميعها كذلك،والمنجمون لا يدفعون أن يكون في الأرض سطوح يتصرف بها ويستقر عليها،وإنما يذهبون إلى إن جملتها كروية([1])0
وهذا المعنى قد وجده البحث عند المفسرين المتأخرين0حيث يذهب السيد الطباطبائي إلى إن معنى قوله تعالى(الذي جعل لكم الأرض فراشا)أي جعلها مطاوعة منقادة لكم يمكنكم أن تستقروا على ظهورها وتمشوا فيها([2])0ولا ينافي ذلك كرويتها لعظم حجمها([3])0
وأوضح لنا الخميني علمياً كون الأرض كروية مع أنه سبحانه وصفها بالانبساط كالفراش بقوله(إن نسبة ارفع جبال الأرض إلى الأرض نسبة سدس عرض حبة الحنطة إلى كرة قطرها ذراع فكما هو لا يضر بكرويتها كذلك انبساط الأرض)([4])0 وهو يذهب كذلك إلى إلى رأي أخر وهو:إن لفظ الأرض يمكن إطلاقه على جميع الكرة الأرضية أو على قطعة من قطعاتها،وبذلك من المحتمل أن يكون مراد الله تعالى في قوله(الذي جعل لكم الأرض فراشا00)هو قطعة من الأرض وليس جميعها وذلك باستناده إلى قوله تعالى:﴿ **اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا** ﴾([5]) ففي هذه الآية أطلق لفظ الأرض على قطعة منها([6])
واستند السيد الخوئي إلى كروية الأرض على قوله تعالى:﴿ **وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا000** ﴾([7]) وقوله:﴿ **رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ** ﴾([8])وقوله:﴿ **فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ** ﴾([9]) ﴾([9])
حيث إن في هذه الآيات دلالة على تعدد مطالع الشمس ومغاربها، وفيها إشارة إلى كروية الأرض([10])
وهذا الاستدلال عند السيد الخوئي إنما أشار إليه الإمام علي(عليه السلام)قبله بمئات السنين وذلك في رده على مسائل ابن الكوا في حديث طويل نقتطع منه ما يهم بحثنا وهو:
(قال ابن الكوا:يا أمير المؤمنين وجدت كتاب الله ينقض بعضه بعضاً0
قال الإمام علي (عليه السلام):ثكلتك أمك يا بن الكوا كتاب الله يصدق بعضه بعضاً،ولا ينقض بعضه بعضاً،فسل عما بدا لك0
قال:يا أمير المؤمنين سمعته يقول (رب المشارق والمغارب) وقال في آية الأخرى : (رب المشرقين ورب المغربين) وقال في آية أخرى:(رب المشرق والمغرب) قال الإمام(عليه السلام)ثكلتك أمك يا بن الكوا،هذا المشرق وهذا المغرب- يحتمل البحث انه الإمام (عليه السلام)قد أشار إليهما بيده- وأما قوله:رب المشرقين ورب المغربين،فان مشرق الشتاء على حده،ومشرق الصيف على حده، أما تعرف ذلك من قرب الشمس وبعدها؟ وأما

---

[1] - ظ:المرتضى/رسائل المرتضى/141/3+الطوسي/التبيان/102/1+الطبرسي/مجمع البيان /1 /124
[2] - ظ:الطباطبائي/الميزان/157/19
[3] - ظ:عبد الله شبر/تفسير شبر/43
[4] - مصطفى الخميني/تفسير القرآن الكريم/494/4
[5] - الحديد:17 0
[6] - ظ:مصطفى الخميني/تفسير القرآن الكريم/ 346/4
[7] - الأعراف : 137 0
[8] - الصافات : 5 0
[9] - المعارج: 40
[10] - الخوئي/البيان/86

قوله(رب المشارق والمغارب)فان لها ثلاثمائة وستين برجاً تطلع كل يوم من برج وتغيب في أخر،فلا تعود إليه إلا من قابل في ذلك اليوم)([1]) 0
وقد نسب كل من الطبري والنحاس مثل هذا الكلام إلى ابن عباس([2])وفي كلام أمير المؤمنين(عليه السلام)إشارة إلى كروية الأرض وعدد أيام السنة وان لكل يوم مشرق ومغرب لا يعود إليه إلا في السنة القادمة0
وهكذا يجد البحث إن المنهج العلمي كانت له إشارات وبوادر منذ العصور المتقدمة0

2- الرياح وعملية التلقيح

قال تعالى:﴿ **وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ**﴾([3])
لقد قام البحث بدراسة مستفيضة لدلالة لفظ(لواقح)في الآية الكريمة عند مجموعة من المفسرين المتقدمين، فوجد إن لها دلالتين، قد فصل بينهما بعض المفسرين، وقد جمعها بعضهم الأخر،والدلالتان تشملان التفسير العلمي الصحيح لهذه الآية ،وهما

أ- وصف الرياح باللقح بالنسبة لحملها الماء وتلقيح السحاب:

وقد اختلف فيها هل هي لاقحة أم ملقحة، وقد انقسم في ذلك المفسرون إلى قسمين:
القسم الأول: وهو الذي يرى بان(لواقح)بمعنى(حوامل)وهي جمع (لاقحة)0وقد نسب الطبري هذا الرأي إلى بعض نحويي البصرة0وفي رأي لنحويي الكوفة؛وذلك لان الرياح تحمل الماء والخير والنفع فقد لقحت بخير0 ويقال ريح لاقح كما يقال: ناقة لاقح إذا حملت الولد0وقد استشهدوا على ذلك بقوله تعالى:﴿ **وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ**﴾([4]) فجعلها عقيماً إذا لم تلقح فهي لا تأتي بخير([5])
وقد ذهب إلى هذا الرأي بعض المفسرين ومنهم الزمخشري والبغوي والنسفي([6])
وقد لاح هذا الرأي عند الراغب الأصفهاني بقوله(لواقح:أي ذوات لقاح00وحرب لاقح تشبيها بالناقة اللاقح، والملا قيح: النوق التي في بطنها أولاد)([7])
القسم الثاني: وهو الذي يرى بان(لواقح)في موضع(ملاقح)أي إن الرياح تقوم بتلقيح السحاب،أي تلقي إليه ما يحمل به الماء0ويقال لقحت الناقة إذا حملت ،وألقحها الفحل إذا ألقى إليها الماء فحملته،فكذلك الرياح هي كالفحل للسحاب0وقد ذهب إلى هذا الرأي كل من الطوسي، الطبرسي وهو المروي عن قتادة وإبراهيم والضحاك([8])

---

[1] - الطبرسي/الاحتجاج/386/1+المجلسي/بحار الأنوار/122/10 0
[2] - ظ:الطبري/جامع البيان/109/29+النحاس/معاني القرآن/8/6 0
[3] - الحجر:22 0
[4] - الذاريات: 41 0
[5] - ظ: الطبري/جامع البيان/27/14 0
[6] - ظ:الزمخشري/الكشاف/389/2+البغوي/تفسير البغوي/47/3+النسفي/تفسير النسفي/240/2
[7] - الراغب/مفردات ألفاظ القرآن/453 0
[8] - ظ:الطوسي/التبيان/328/6-329+الطبرسي+مجمع البيان/111/6،108

وقد نسبه الطبري إلى رأي لنحويي الكوفة([1])0 ويختار الطبري رأي جامع بين الرأيين وهو إن الرياح لاقحة ملقحة،فلقحها: حملها للماء، والقاحها السحاب:عملها فيه0 وقد استشهد على ذلك بما روي عن ابن مسعود بأسانيد مختلفة ،قال:(يرسل الله الرياح فتحمل الماء،فتمري السحاب،فتدر كما تدر اللقحة ثم تمطر)([2])0وقد سبقه بذلك مقاتل(ت:150هـ)بما فهمه البحث من قوله:(وذلك إن الله يرسل الريح، فتأخذ الماء بكيل معلوم من سماء الدنيا- ويقصد به بخار الماء- ثم تثير الرياح والسحاب فتلقي الريح السحاب بالماء الذي من ماء النبت، ثم تسوق تلك الرياح السحاب إلى الأرض التي أمر الرعد أن يمطرها، فذلك قوله تعالى(فأنزلنا من السماء ماء)يعني المطر)([3]) ويجد البحث إن هذا هو التفسير العلمي الصحيح0

ب- وصف الرياح باللقح بالنسبة إلى تلقيحها الأشجار:

ومن قال بهذا الرأي هم بعض من أهل الفريق الثاني السابق0 حيث إن معنى(لواقح) عندهم هو كونها(ملقحة)لا(لاقحة)،أي إنها تقوم بتلقيح الأشجار فهي ملقحة([4]) وكذلك من ذهب إلى الجمع بين المعنيين0

يقول الطبري:(وأرسل لكم الرياح لواقح لأشجار ثماركم وغذائكم وأقواتكم)([5]) وبذلك فهو فهو يفسر الريح العقيم بأنها التي لا تلقح الشجر،وهو المروي عن ابن عباس ومجاهد والضحاك فعن ابن عباس:الريح العقيم:لا تلقح الشجر،ولا تثير السحاب0وعن مجاهد:الريح العقيم ليس فيها رحمة ولا نبات ولا تلقح نباتاً0وعن الضحاك:الريح التي ليس فيها بركة ولا تلقح الشجر عن أبي رجاء قال:قلت للحسن(وأرسلنا الرياح لواقح)فقال:تلقح الشجر،قلت والسحاب؟قال :والسحاب([6])

وممن ذهب إلى هذا الرأي القمي بقوله:(وأرسلنا الرياح لواقح:التي تلقح الشجر)([7])

عن عبيد بن عمير:(يبعث الله المبشرة فتقم الأرض قماً، ثم يبعث الله المثيرة فتثير السحاب،ثم يبعث الله المؤلفة فتؤلف السحاب، ثم يبعث الله اللواقح فتلقح الشجر)([8])

وينقل هذه الرواية الثعلبي عن زيد بن عمر([9])

وقد أطال بعض المفسرين الكلام في هذا المقام حيث قام ابن العربي بعد ذكر الآراء في معنى(لواقح)بذكر كيفية التلقيح لأنواع النباتات كالقمح وغيرها([10])0

ملاحظة واستنتاج

---

[1] - ظ: الطبري/جامع البيان/27/14

[2] - الطبري/جامع البيان/28/14+الثعلبي/تفسير الثعلبي/336/5+البغوي/تفسير البغوي /47/3+السمعاني/تفسير السمعاني/3 /135

[3] - مقاتل بن سليمان/تفسير مقاتل/201/2

[4] - ظ:الثعلبي/تفسير الثعلبي/336/5+السمعاني/تفسير السمعاني/ 135/3

[5] - الطبري/جامع البيان/90/2+27/14

[6] - ظ:م0ن0/6/27+النحاس/معاني القرآن/19/4+السمرقندي/تفسير السمرقندي/253/2

[7] - القمي/تفسير القمي/375/1

[8] - الطبري/جامع البيان/29/14

[9] - ظ:الثعلبي/تفسير الثعلبي/337/5 0

[10] - ظ:ابن العربي/أحكام القرآن/101/3 0

1-استند بعض العلماء المتأخرين ومنهم السيد الطباطبائي والسيد الخوئي على قوله تعالى(وأرسلنا الرياح لواقح)في القول بأهمية الرياح وضرورتها في عملية تلقيح بعض أنواع النباتات، ويعزى هذا الاستنتاج إلى ما اكتشفه علماء النبات والأبحاث العلمية التي وفق الإنسان لها في العصور الحديثة0

ويذكر هؤلاء العلماء بان هذه الاكتشاف- تلقيح الرياح للنباتات- لم تكن قد أدركته أفكار السابقين،إنها حقائق علمية مجهولة حتى انكشف عنها الغطاء بالأبحاث العلمية الحديثة0

إلا إن ما اكتشفه البحث من خلال دراسته لأفكار السابقين([1]) إنهم قالوا بالمعنيين وهما:تلقيح السحاب وتلقيح الأشجار 0وهذا يعني إن التفسير العلمي الحديث لهذه الآية كان موجوداً منذ عهد الصحابة ولم يكن خافياً عليهم، إلا أنهم لم يفصلوا القول بان الريح تنقل حبوب اللقاح من الأعضاء الذكرية(الاسدية)لتوصلها إلى الأعضاء الأنثوية (المدقة) فيحصل هناك الإخصاب والتلاقح كما فصلته الأبحاث الحديثة0

2- يجد البحث والله العالم إن ما ذهب إليه العلماء المتقدمون من تفسير لهذه الآية كون الرياح حاملة للماء صحيح ولا يمكن تخطئته، وان فيه كبير اهتمام 0ولكن يجب تفصيله وهو إن الله سبحانه وتعالى يرسل الرياح لتحرك السحب من مكان إلى أخر ،وهذه السحب محملة بالماء المتكون نتيجة للتبخر ،حيث يرتفع بخار الماء إلى الأعلى مكوناً السحب، ولولا الرياح لما تحركت هذه السحب وتجمعت بعضها مع بعض، ولما لاقت طبقة أبرد منها بحيث تتكثف وتنزل مطراً،وهو ما يدل عليه سياق الآية بعد قوله تعالى: (وأرسلنا الرياح لواقح)قوله(فأنزلنا من السماء ماءً)حيث ربط الجملتين بالفاء وهي تفيد الترتيب 0 وكون الرياح لواقح للنبات لا يمنع أن تكون حاملة للماء0

وقد وجد البحث إن بعض العلماء المعاصرين يذهبون إلى هذا الرأي([2])

3- تذكر كتب علوم القرآن الحديثة وبالأخص التي تدرس التعبير القرآني ،العديد من وجوه إعجاز القرآن المكتشفة حديثاً ومن ناحية التعبير القرآني ومنها التناسب، وهو اختيار اللفظة مراعاة لمناسبة القول([3]) ومنها اختيار لفظ (الرياح)و(الريح)ومكانتهما في الآيات الكريمة ،حيث استعمل القرآن الكريم(الرياح)في الخير والرحمة، واستعمل (الريح)في الشر والعقوبات0

قال تعالى:**﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾**([4])

وقال:**﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾**([5])

في حيث قال:**﴿ 00رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾** ([6]) وقال: **﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾**([7]) **0**

---

[1] - لم يحدد السيد الخوئي من المعني بالسابقين ،وفي أي فترة بالتحديد ،وقد وجد البحث روايات للصحابة تقول بمعنى تلقيح الأشجار،أمثال ابن عباس وغيره ،فهل يعني السابقين قبل هؤلاء؟الله العالم0

[2] - ظ: ناصر مكارم الشيرازي/الأمثل/8/56-57 0

[3] - ظ:فاضل السامرائي/التعبير القرآني/10+ صباح عباس عنوز/محاضرات ألقيت على طلبة الدكتوراه عام 2007- 2008 م 0

[4] - الأعراف: 57 0

[5] - الروم:46 0

[6] - الأحقاف : 24 0

[7] - الذاريات : 41 0

وقد وجد البحث إشارة إلى ذلك عند المتقدمين في استعمال (الرياح) و(الريح) في القرآن الكريم حيث أن (الرياح) استعملت وجاءت لمعنى الرحمة و(الريح) لمعنى العذاب والقهر([1]) 0 وقد استشهدوا بقول الرسول (صلى الله عليه وآله)0 عن ابن عباس قال : ما هبت ريح قط إلا جثا النبي(صلى الله عليه وآله) على ركبتيه وقال: أللهم أجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً،أللهم أجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً) ([2]) فالريح تحمل الأمر بالعذاب ،فبدلاً من أن تهب الحياة تكون عاملاً على الهلاك 0

استنتاج

من خلال ما لمسه البحث في هذا المنهج من معلومات زرعها بعض المؤلفين في حقول مؤلفاتهم سواء كانت علمية أم غيرها وهي مما لا يتقبله العقل والعلم0انه يجب على الباحثين التحرز والتثبت في مثل هكذا تفاسير أو كتب علمية منسوبة في علومها إلى القرآن الكريم0هذا من ناحية0

ومن ناحية أخرى يدعو البحث المفكرين والعلماء والباحثين إلى اعتماد البعد العلمي في تفسيرهم للقرآن الكريم واستلهام المكتشفات العلمية وذلك بغية التمهيد لتنمية المجتمعات الإسلامية وتطويرها ،وذلك بالإيحاء للمسلمين بان في قرآنهم مبادئ العلوم التي دفعت بعجلة التطور في المجتمعات الراقية،فالأحرى بهم والقرآن بين أيديهم أن يقفوا على إشاراته، فيستلهموها وينطلقوا منها إلى ذرى التطور والرقي0

---

[1] - ظ: الطوسي\التبيان \4\428 + الطبرسِي\مجمع البيان \4\273 +ابن عطية الأندلسي\ المحرر الوجيز \2\412 0

[2] - الشافعي\أحكام القرآن \1\100+ البغوي \تفسير البغوي\3\47+ ابن عطية\المحرر الوجيز\ 2\412 0

الفصل الثالث

تطور البحث القرآني في تاريخ القرآن

1- ظاهرة الوحي0

2- إعجاز القرآن 0

3- نزول القرآن 0

4- تدوين القرآن وجمعه0

5- القراءات القرآنية 0

أولاً : ظاهرة الوحي

1- مفهوم الوحي لغةً واصطلاحاً

2- طرق الوحي

3- شبهات حول ظاهرة الوحي

أ- الشبهة الأولى
مناقشة هذه الشبهة والرد عليها

ب- الشبهة الثانية
مناقشة هذه الشبهة

ج- الشبهة الثالثة
مناقشة هذه الشبهة

4- الفرق بين الوحي الإلهي والوحي النفسي والمكاشفة والإلهام

توطئة:

يقصد البحث بهذا العنوان (تاريخ القرآن) جميع الظواهر والبحوث التي تحوم حول القرآن وتقوم على خدمته ،وليس لها علاقة بعلوم القرآن كونها لا تستنبط من داخله 0
وهذا ما وجهنا به الأستاذ الدكتور الصغير ،وهو توجيه سديد ،خلافاً للمتقدمين الذين عدّوها من علوم القرآن 0 وكتابه (تاريخ القرآن)([1]) يشهد بذلك ،إذ قسمه على ستة فصول ، كل فصل منها لا علاقة له بعلوم القرآن ،وإنما هو من تاريخ القرآن 0
وفي ضوء هذا الفهم يمكن للبحث التوسع فيه تطبيقياً : حيث تناولت مباحث هذا الفصل (تاريخ القرآن) بكل التفصيلات الدقيقة والأبعاد المترامية الأطراف أبتداءاً من ظاهرة الوحي،ومروراً بإعجاز القرآن ونزوله وتدوينه وجمعه وقراءاته ، وقد انتظمت هذه المباحث كالأتي :

أولاً – ظاهرة الوحي :

قال تعالى : ﴿ **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا * وَرُسُلا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**﴾ ([2]) 0
تهدف هذه الآية إلى بيان حقيقة الوحي الشاملة للأنبياء كافةً(صلوات الله على نبينا وعليهم أجمعين) ممن أقتص خبرهم وممن لم يقتص ، وإيثار موسى بالتكليم ([3]) 0
وظاهرة الوحي من أهم الظواهر القرآنية لارتباطها بالنبي (صلى الله عليه وآله) واثبات كون القرآن من الله سبحانه وتعالى وليس تأليفاً بشرياً من الرسول (صلى الله عليه وآله)،كما دلت على ذلك الشبهات الكثيرة المثارة من طرق مختلفة ومتعددة 0
وسوف يقوم البحث بإلقاء ألضوء على هذه الظاهرة من حيث التعريف،وصور الوحي ، ودلالات الوحي في القرآن الكريم ،والفرق بينه وبين المكاشفة والوحي النفسي والإلهام ، وبعض الشبهات المثارة حوله ومناقشتها 0

---

[1] - طبع لأول مرة في الدار العالمية للنشر و التوزيع \بيروت \ 1983م ، وطبع آخر في دار المؤرخ العربي \ بيروت\ 2000م
[2] - النساء : 163 – 164 0
[3] - محمد حسين علي الصغير \تاريخ القرآن \140

1- مفهوم الوحي لغةً واصطلاحا :

أ- المفهوم اللغوي :

قال الراغب الأصفهاني (ت: 502هـ) : (أصل الوحي، الإشارة السريعة،ولتضمّن السرعة قيل :أمرٌ وحيٌ(أي سريع) وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض ، وقد يكون بصوت مجرّد عن التركيب،وبإشارة ببعض الجوارح ،وبالكتابة) ([1])

ويذهب إلى هذا الرأي - من ناحية وصفه بالسرعة - الزمخشري (ت: 538هـ) بقوله : (الوحي كلام خفي في سرعة) ([2]) 0

وهنا الراغب يوضح صور الوحي في هذا التعريف والتي سيأتي ذكرها في آنها 0

وقال ابن فارس (ت: 395هـ) : (و،ح،ي،أصل يدلّ على إلقاء علم في إخفاء أو غيره،والوحي :الإشارة ، والوحي، الكتاب والرسالة ،وكل ما ألقيته إلى غيرك حتى علمه فهو وحي ،كيف كان) ([3]) 0

ويذهب إلى هذا المعنى(الإلقاء) أبو عبيدة وذلك في قوله تعالى ﴿ **وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ000** ﴾ ([4]) أي ألقيت في قلوبهم ([5])0

قال أبو إسحاق :أصل الوحي في اللغة كلّها :إعلام في خفاء ،ولذلك سميّ الإلهام وحياً 0

قال ابن بري: وحى إليه وأوحى:كلَّمه بكلام يخفيه من غيره0ووحى وأوحى : أومأ 0

وقال ابن الأنبا ري:سمي الوحي وحياً لأن المَلكَ أسرَّه على الخلق،وخص به النبي(صلى الله عليه وآله)([6]) 0

وبالجملة فأن معاني الوحي تشتمل على أنه بمعنى : الكتابة ، الإشارة ، الصوت ،السرعة ،الإعلام في خفاء، 00 والقاسم المشترك بين هذه المعاني هو الإخبار بصورة من الصور ([7])

ب- المفهوم الاصطلاحي :

عُرف الوحي اصطلاحاً بعدة تعريفات ، وقد استنبطه العلماء كل حسب مفهومه لكلام الله تعالى المتضمن لمعنى الوحي أو مادته وصيغه ومشتقاته ([8])0

فالطبري يفهم الوحي بأنه الإرسال الإلهي بالنبوة ،وذلك من خلال فهمه لقوله تعالى ﴿ **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ000** ﴾ ([9])

---

[1] - الراغب الأصفهاني \مفردات ألفاظ القرآن \515 0

[2] - الزمخشري \الكشاف \3\475 0

[3] - ابن فارس \معجم مقاييس اللغة \6\93 0

[4] - المائدة : 111 0

[5] - ظ: أبو عبيدة \مجاز القرآن \1\182 0

[6] - ظ: ابن منظور \لسان العرب \2\258+ الزبيدي\تاج العروس\10\385 0

[7] - ظ: ستار جبر الأعرجي \الوحي ودلالته في القرآن الكريم والفكر الإسلامي \ 13 0

[8] - م0ن 0 \ 33- 37 0

[9] - النساء : 163 0

حيث يقول أن معناه : (إنّا أرسلنا إليك يا محمد بالنبوة كما أرسلنا إلى نوح وإلى سائر الأنبياء الذين سميتهم لك من بعده والذين لم أسمهم لك) ([1])
أما الشريف الرضي فقد استنبط تعريف الوحي من معنى الروح في قوله تعالى ﴿ **يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ000** ﴾ ([2])
حيث يقول: (المراد بالروح هنا:الوحي الذي يتضمن إحياء الخلق والبيان عن الحق)([3])
أما الشيخ الطوسي فيعرف الوحي بصيغته المصدرية، فيقول : (الإيحاء : إلقاء المعنى في النفس على وجهٍ يخفى ،وهو ما يجيء به الملك إلى النبي عن الله تعالى فيلقيه ويخصه به من غير أن يرى ذلك غيره من الخلق) ([4]) 0
وفي هذا التعريف نجد الطوسي قد أعتمد الأصل اللغوي للوحي وهو الإلقاء في خفاء 0
وتابعه على ذلك الطبرسي بقوله : (الإيحاء : إلقاء المعنى على وجهٍ يخفى ،ثم ينقسم فيكون بإرسال الملك ،ويكون بمعنى الإلهام) ([5])0
وممن ذهب إلى هذا المنحى أيضاً الراغب الأصفهاني ، فالوحي عنده هو : الإلقاء إلى النبي(صلى الله عليه وآله) بواسطة جبرائيل(عليه السلام) أو قذفها في الروع ، أو رؤيا،مما خفي على غيره (صلى الله عليه وآله)([6])0
وقد أيد هذا الرأي من المحدثين الطباطبائي بقوله إن الوحي : (إلقاء المعنى بنحوٍ يخفى على غير من قصد إفهامه) ([7])
ويؤكد عليه أستاذنا الدكتور الصغير بقوله : (وأصل الوحي هو : الإشارة السريعة على سبيل الرمز والتعريض ، وما جرى مجرى الإيماء والتنبيه على الشيء من غير أن يفصح به) ([8])0
ومن خلال التعريفات السابقة نجد أن التعريف الاصطلاحي للوحي ينحدر عن الأصل اللغوي له ، وهذا ما توصل إليه أستاذنا الدكتور الصغير بقوله : (إن التعريف الشرعي منحدر عن الأصل اللغوي في خصوصية الإسرار والإعلام السريع وما يصاحب ذلك من الإشارة والرمز اللذين يخفيان على الآخرين) ([9])
وكذلك المفهوم الاصطلاحي أخص منه في اللغة، وذلك من حيث:
أ- أنه صادر عن الله تعالى 0
ب- أن من يلقى إليهم الوحي هم الأنبياء والرسل (عليهم السلام) ([10]) 0

---

[1] - الطبري \جامع البيان \6 \20 0
[2] - النحل : 2 0
[3] - الشريف الرضي \تلخيص البيان في مجازات القرآن \ 105 0
[4] - الطوسي \التبيان \4 \142 0
[5] - الطبرسي \مجمع البيان \7\263 0
[6] - ظ: الراغب الأصفهاني \المفردات \515 0
[7] - الطباطبائي \الميزان \12\492 0
[8] - محمد حسين علي الصغير \تاريخ القرآن \23 0
[9] - م0ن \25
[10] -ظ: ستار الأعرجي \الوحي ودلالته في القرآن \ 37 0

2- طرق الوحي :

قال تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ** ﴾ ([1])

قيل أن سبب نزول هذه الآية هو : إن اليهود قالوا للنبي (صلى الله عليه وآله) : ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبياً كما كلم الله موسى ونظر إليه ؟ فإنا لن نؤمن بك حتى تفعل ذلك ،فقال (صلى الله عليه وآله) : لم ينظر موسى إلى الله ،وأنزلت هذه الآية ([2]) 0 وقيل أن المشركين هم الذين قالوا للنبي (صلى الله عليه وآله) هلا كلمت الله ([3]) 0

وقيل أن الآية نزلت بسبب خوض كان للكفار في معنى تكليم الله موسى (عليه السلام)ونحو ذلك ،ذهبت قريش واليهود في ذلك إلى تجسيم ونحوها، فنزلت الآية مبينة صورة تكليم الله عباده كيف هو ([4]) 0

وقد صرحت هذه الآية بأنه :ما ينبغي لبشر من بني آدم أن يكلم ربه على أحد ثلاثة أوجه ([5]) :

1- **الوجه الأول** : عن طريق الوحي وهو الإلهام والقذف في القلب ([6]) ،أو المنام ([7]) كما أوحى إلى النبي إبراهيم في ذبح ولده ،وأوحى إلى داود ألزبور في صدره صدره ([8])

2- **الوجه الثاني :** أن يسمع كلامه من غير واسطة مبلغ ، من وراء حجاب ،ويعني : يكلمه بحيث يسمع كلامه ولا يراه كما كلم موسى (عليه السلام) ([9])،أي من حيث ما لا يراه مكلمه ومبلغه ([10]) 0

---

[1] - الشورى : 51 0

[2] - ظ: الو احدي \أسباب النزول \252 +ابن الجوزي \زاد المسير \7\87 +الثعلبي \تفسير الثعلبي\8\326 + السمرقندي \تفسير السمرقندي \3\237 0

[3] - ظ: السمعاني\تفسير السمعاني \5\87 0

[4] - ظ: ابن عطية الأندلسي \المحرر الوجيز \5\43 0

[5] - ظ: الطبري\جامع البيان \25 \58 + الطبرسي\جوامع الجامع \3\292 + النسفي \تفسير النسفي \4\107 + الزمخشري \الكشاف \3\475 + السمرقندي \تفسير السمرقندي \3\237 + الطبرسي \مجمع البيان \9\64 + الرازي \التفسير الكبير\27 \186 0

[6] - ظ: النحاس \معاني القرآن \6\326 + القمي\تفسير القمي \2\279 0

[7] - ظ: الطبري\جامع البيان \25 \58+ السمعاني\تفسير السمعاني \5\87 + الو احدي \تفسير الو احدي \2\968 + الطبرسي \جوامع الجامع \3\292 + النسفي \تفسير النسفي \4\107+ البغوي \تفسير البغوي \4\132 + ابن عطية \المحرر الوجيز \5\43 + السمرقندي \تفسير السمرقندي \3\237 0

[8] - ظ: الطبرسي \جامع الجوامع \3\292 + الرازي \تفسير الكبير \27 \186 + الزمخشري \الكشاف \3\475

[9] - ظ: الطبري\جامع البيان \25 \58 + البغوي \تفسير البغوي \4\132+ لثعلبي \تفسير الثعلبي\8\326 + الرازي \التفسير الكبير\27 \186 0

[10] - الراغب الأصفهاني \ المفردات \108 0

وقيل في الحجاب ثلاثة أقوال :

أ- حجاب عن أدراك الكلام لا المكلم وحده 0

ب- حجاب لموضع الكلام لا على الله 0

ج- إن موسى (عليه السلام) لما سمع كلام الله ولم يره كان بمنزلة من يسمع من وراء الحجاب ([1])

يقول الزمخشري : ((وإما على أن يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الأجرام من غير أن يبصر السامع من يكلمه ؛ لأنه في ذاته غير مرئي ، وقوله (من وراء حجاب) مثل : أي كما يكلم الملك المحتجب بعض خواصه وهو من وراء الحجاب فيسمع صوته ولا يرى شخصه)) ([2]) 0

ويقول الطبرسي : (((من وراء حجاب) وهو أن يحجب ذلك الكلام عن جميع خلقه إلا من يريد أن يكلمه به نحو كلامه لموسى (عليه السلام) لأنه حجب ذلك عن جميع الخلق إلا عن موسى (عليه السلام) وحدهُ ، وفي المرة الثانية حجبه عن جميع الخلق إلا عن موسى والسبعين الذين كانوا معه 0 وقد يقال : إنه حجب عنهم موضع الكلام الذي أقام الكلام فيه، فلم يكونوا يدرون من أين يسمعونه ، لأن الكلام عرض لا يقوم إلا في جسم ، ولا يجوز أن يكون أراد بقوله ،إن الله تعالى كان من وراء حجاب يكلم عباده ، لأن الحجاب لا يجوز إلا على الأجسام المحدودة))([3]) 0

3- الوجه الثالث : إن يرسل رسولاً فيوحي بأذنه ما يشاء 0 أي يرسل الله من ملائكته رسولاً ،إما جبرائيل وإما غيره ، فيوحي ذلك الرسول إلى المرسَل إليه ما يشاء ربهُ أن يوحيه إليه من أمر ونهي ،وغير ذلك من الرسالة والوحي ([4]) 0

وقد حصر الرازي الطريق في وصول الوحي من الله سبحانه إلى البشر أما أن يكون من غير واسطة مُبلّغ أو يكون بواسطة مُبلّغ كما يأتي :

1- وصول الوحي من غير واسطة مُبلّغ وهذا بدوره ينقسم إلى قسمين :

أ- أنه لم يسمع عين كلام الله : وهو أنه وصل إليه الوحي لا بواسطة شخص آخر وما سمع عين كلام الله ،وهو المراد بقوله تعالى (**إلا وَحْيًا**) 0

ب- إنه يسمع عين كلام الله :وهو أنه وصل إليه الوحي لا بواسطة شخص آخر ولكنه يسمع عين كلام الله ،وهو المراد من قوله تعالى : (**أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ**) 0

2- وصول الوحي بواسطة مبلغ ،وهو المراد بقوله تعالى : (**أَوْ يُرْسِلَ رَسُولا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ**) 0

---

[1] - ظ: الطوسي \التبيان \9\177 + السمعاني \ تفسير السمعاني \5\87 0

[2] - الزمخشري \ الكشاف \3\475 + ظ: الطبرسي \جوامع الجامع \3\292 0

[3] - الطبرسي \مجمع البيان \ 5\ 37 + ظ: محمد حسين علي الصغير \تاريخ القرآن \25 0

[4] - ظ: الطبري \جامع البيان\ 25 \58 + الطوسي \التبيان \9\178 + النسفي \تفسير النسفي \4\107 \4\107 + السمعاني \تفسير السمعاني\5\87 + الزمخشري \الكشاف \3\475 + الطبرسي \جوامع الجامع \3\292 + مجمع البيان \9\64 + محمد حسين علي الصغير \تاريخ القرآن \25 + البغوي \تفسير البغوي \4\132 + الرازي \التفسير الكبير \27 \186 0

ثم يعقب ويقول بأن كل واحد من هذه الأقسام الثلاثة وحي ، إلا أنه تعالى قد خصص القسم الأول باسم الوحي ؛ لأن ما يقع في القلب على سبيل الإلهام فهو يقع دفعة فكان تخصيص لفظ الوحي به أولى ([1]) 0

ويستفيد الشيخ الطوسي من قوله (**إِنَّـهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ**) في نفس الآية محل البحث من أن معناه : إن كلامه المسموع منه لا يكون مخاطبة يظهر فيها المتكلم بالرؤية ؛ لأنه العلي عن الإدراك بالأبصار وهو الحكيم في جميع أفعاله وفي كيفية خطابه لخلقه ([2]) 0

وقد وجد البحث أن معظم المفسرين بل أغلبهم قد تعرض لإعراب هذه الآية وخاصةً قوله تعالى (**أَوْ يُرْسِلَ رَسُولا**) فارتأى البحث إلى ذكر ذلك :

فقد قُرأت (**أَوْ يُرْسِلَ**) بالرفع والنصب ، فقد قرأ نافع وابن عامر بضم اللام وإذا قرأت بالضم فمعناه : أو يرسل رسولاً 0 على الابتداء 0

وأما الباقون فقد قرءوا بالنصب معطوف على معنى قوله (**إِلا وَحْيًا**) لأنه بمعنى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا أن يوحي إليه أو أن يرسل رسولاً ([3]) 0

ويقول الزمخشري : ((ومن جعل (**وَحْيًا**) في معنى أن يوحى وعطف (يرسل عليه) على معنى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً : أي إلا بأن يوحي أو بأن يرسل فعليه أن يقدّر قوله أو من وراء حجاب تقديراً يطابقهما عليه نحو أو أن يسمع من وراء حجاب)) ([4]) 0

وأما رأي الزمخشري في أعراب الآية هو : أن (وحياً) و(أن يرسل) مصدران واقعان موقع الحال ؛ لأن (أن يرسل) بمعنى (إرسالاً) و (من وراء حجاب) ظرف واقع موقع الحال أيضاً 0 والتقدير : وما صح أن يكلم أحداً إلا موحياً أو مسمعاً من وراء حجاب أو مرسلاً ([5]) 0

هذه الأصناف أو المراتب الثلاثة التي حددتها الآية الكريمة في الإيحاء هي فيما يتعلق بوحي الأنبياء، وقد تابع الدكتور الصغير هذه الظاهرة في القرآن الكريم وقد لاحظ بعض الدلالات الإيحائية لهذا التعبير (الوحي) تختلف عما تقدم ، وأهمها:

1- **الإلهام :** وهو أن يلقي الله تعالى في النفس أمراً يبعث على الفصل أو الترك، وهو نوع من الوحي ، يخص به الله من يشاء من عباده سوى الأنبياء0 كما يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ000** ﴾ ([6])

تعقيب:

تعددت أراء المفسرين حول كيفية الوحي إلى أم موسى :

فقد ذهب اغلب العلماء إلى الرأي السابق وهو الإلهام والقذف في القلب ([1])

---

[1] - ظ: الرازي \التفسير الكبير \27 \187 0

[2] - ظ: الطوسي\ التبيان\ 9\177+ السمرقندي \ تفسير السمرقندي\ 3\237 0

[3] - ظ: الثعلبي\ تفسير الثعلبي\8\326+ ابن زمنين \تفسير ابن زمنين \ 4\174 + السمرقندي \ تفسير السمرقندي \ 3\237+ ابن الجوزي \زاد المسير \7\87

[4] - الزمخشري \الكشاف\3\475 0

[5] - ظ: م 0 ن + الطبرسي\ جوامع الجامع \ 3\293 0

[6] - القصص : 7 0

وذهب بعضهم إلى أن الوحي كان إعلاماً من قبل جبرائيل (عليه السلام) وهو المروي عن مقاتل0
ولم يخصص بعضهم الملك بجبرائيل(عليه السلام)وإنما جعله عاماً 0
وذهب فريق أخر إلى أن الوحي كان بالرؤيا في المنام ، وهو ما ذهب إليه الجبائي ،وأحد الوجوه المحتملة في كيفية الوحي عند الزمخشري وعبد الجبار المعتزلي0
ورأى فريق آخر أن الوحي بواسطة نبي كان في زمانها ، وهو الوجه الأقرب مراداً عند عبد الجبار المعتزلي والزمخشري ([2])0
ويذهب البحث إلى ما ذهب إليه الدكتور الصغير وهو معنى الإلهام والقذف في القلب ؛وذلك لإجماع المفسرين تقريباً عليه 0

2- **التسخير:**وهو أن يسخر الله بعض مخلوقاته إلى عمل ما ،بهديه وإشائته،وتسخيره، بشكل من الأشكال التي لا تستوعبها بعض مداركنا أحياناً، ويستيقنها الذين آمنوا دون أدنى شبهة،ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ **وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ**﴾ ([3])([4]) 0

تعقيب:

يرجع المفسرون الوحي إلى النحل إلى عدة معانٍ منها ما ذكر أعلاه وهو التسخير،وممن يذهب إلى هذا الرأي الراغب الأصفهاني 0
ومنهم من يذهب إلى أن الوحي إلى النحل كان بإلهامها ،وممن ذهب إلى ذلك الطبري0
ومنهم من يعبر عن تصرفات النحل بالغريزة التي تخفى عن غيرها ،وبسبب هذا الخفاء المتمثل فيها عبر عنها في القرآن الكريم بالوحي ،وهذا ما ذهب إليه الحسن البصري ([5])

ويذكر باحثون آخرون دلالات أخرى للوحي في القرآن الكريم منها :

أ-وسوسة الشيطان وتزيينه الشر في نفس الإنسان([6]) ،قال تعالى : ﴿ **00وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ000** ﴾ ([7]) وقوله : ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا**

---

[1] - ظ: الطوسي التبيان \8\131 + الراغب الأصفهاني \المفردات \515 + الطبرسي \مجمع البيان \4\10 0
[2] - ستار الأعرجي \الوحي ودلالته \ 163 – 165 عن مصادره 0
[3] - النحل : 68 0
[4] - محمد حسين علي الصغير \تاريخ القرآن \25 – 26 0
[5] - ظ: ستار الأعرجي \الوحي ودلالته\ 171 – 174 عن مصادره 0
[6] - م0ن \ 66- 67 0
[7] - الأنعام : 121 0

شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ ([1]) 0

ب-ما يلقيه الله تعالى لملائكته من أمر ليفعلوه([2]) ،قال تعالى : **﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾** ([3]) 0

ج- الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيحاء كإيحاء زكريا (عليه السلام) فيما حكاه القرآن عنه : **﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾** ([4]) ([5]) 0

هذه أنحاء الوحي بوجه عام وبصورة أجمالية سواء ما كان منها الوحي الرسالي أم دلالات الوحي الأخرى 0

أما بالنسبة إلى النبي محمد (صلى الله عليه وآله) فكان يأتيه الوحي تارةً في المنام، وأكثر ذلك كان في بدء النبوة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح 0 قال الإمام الباقر (عليه السلام) : ((وأما النبي فهو الذي يرى في منامه ،نحو رؤيا إبراهيم(عليه السلام) ونحو ما كان رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله) من أسباب النبوة قبل الوحي، حتى أتاه جبرائيل(عليه السلام) من عند الله بالرسالة 000)) ([6]) وهذا البيان تفسير لمفهوم (النبي) قبل أن يكون رسولاً 0

وتارة كان يأتيه الوحي مع توسيط جبرائيل (عليه السلام) ، فكان يراه أما في صورته الأصلية أو لا يراه وإنما ينزل الوحي على قلبه(صلى الله عليه وآله) قال تعالى : **﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴾** ([7]) 0

وقد رأى النبي (صلى الله عليه وآله) جبرائيل (عليه السلام) في صورته الأصلية مرتين ([8]) ،كانت أحداهما أحداهما في بدأ الوحي بغار حراء، ظهر له جبرائيل (عليه السلام) في صورته التي خلقه الله عليها ،مالئاً أفق السماء من المشرق إلى المغرب 0

وكانت الثانية باستدعائه (صلى الله عليه وآله) الذي جاءت به الروايات : ((كان لا يزال يأتيه جبرائيل في صورة الآدميين 0 فسأله رسول الله (صلى الله عليه وآله)أن يريه نفسه مرة أخرى على صورته التي خلقه الله ،فأراه صورته فسدّ الأفق،فقوله تعالى**﴿ وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى ﴾ ([9])** كانت المرَّة الأولى ، وقوله : **﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾** ([10]) كانت المرَّة الثانية)) ([11])

---

[1] - الأنعام: 112 0

[2] - ستار الأعرجي \الوحي ودلالته \ 158 0

[3] - الأنفال : 12 0

[4] - مريم : 11 0

[5] -ظ: مناع القطان\مباحث في علوم القرآن\33+محمد هادي معرفة\تلخيص التمهيد\ 1\11 – 13 + مركز الثقافة والمعارف القرآنية \علوم القرآن عند المفسرين \1\221 عن مصدره 0

[6] - الكليني \الكافي \1\176 + ألمجلسي \بحار الأنوار \18\266 0

[7] - الشعراء : 193 – 194 0

[8] - ظ: الطبري \جامع البيان \7 \392 0

[9] - النجم : 7 0

[10] - النجم : 13 0

[11] - الطبري \جامع البيان \7\392 0

عن مسروق عن عائشة : قالت من حدثك أن رسول الله رأى ربه فقد كذب لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً يدرك أو من وراء حجاب ولكن قد رأى جبرائيل في صورته مرتين ([1]) 0

وتارةً كان يأتيه الوحي مباشرة من جانب الله بلا توسيط ملك ،ولعل أكثرية الوحي كان مباشرياً ،على ما جاء في وصف الصحابة حالته (صلى الله عليه وآله) ساعة نزول الوحي عليه ، كان ذا وطء شديد على نفسه الكريمة ،يجهد من قواه ،فكان ينكس رأسه ويتربّد وجهه ويتصبب عرقاً ،وتسطو على الحضور هيبة رهيبة،ينكسون رؤوسهم صموداً من روعة المنظر الرهيب، قال تعالى : ﴿ **إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلا ثَقِيلا** ﴾ ([2]) 0

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : ((كان ذلك إذا جاءه الوحي وليس بينه وبين الله ملك ،فكانت تصيبه تلك السبتة ويغشاه ما يغشاه لثقل الوحي عليه، أما إذا أتاه جبرائيل بالوحي فكان يقول : هو ذا جبرائيل ، أو قال لي جبرائيل 000)) ([3]) 0

قال الشيخ الصدوق (ت: 381هـ) : إن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يكون بين أصحابه فيغمى وهو يتصابُّ عرقاً ،فإذا أفاق قال : قال الله تعالى كذا وكذا وأمركم بكذا ونهاكم عن كذا 0 قال : وكان يزعم أكثر مخالفينا أن ذلك كان عند نزول جبرائيل، فسئل الإمام الصادق(عليه السلام) عن الغشية التي كانت تأخذ النبي (صلى الله عليه وآله) أكانت عند هبوط جبرائيل ؟ فقال : ((لا ، إن جبرائيل كان إذا أتى النبي (صلى الله عليه وآله) لم يدخل حتى يستأذنه، وإذا دخل عليه قعد بين يديه قعدة العبد ، وإنما ذاك عند مخاطبة الله عز وجلّ إياه بغير ترجمان وواسطة)) ([4]) 0

---

[1] - الطبرسي \مجمع البيان \9\173 +10 \446 + الكاشاني\ تفسير الصافي\2\618

[2] - المزمل : 5 0

[3] - البرقي \المحاسن \338 + الطوسي \ألآمالي \31 + ألمجلسي\بحار الأنوار\18 \ 271

[4] - الصدوق \كمال الدين \85 + ألمجلسي \بحار الأنوار \18\260 + ظ: مير محمدي زرندي \بحوث \بحوث في تاريخ القرآن وعلومه \37 0

3- شبهات حول ظاهرة الوحي :

إن ظاهرة الوحي الإلهي من بين أكثر الظواهر القرآنية تعرضاً للشبهات قديماً وحديثاً وبشتى الأساليب ، والتي كانت على يد اليهود قديماً واليوم على يد المستشرقين 0 ومن هذه الشبهات:

1- الشبهة الأولى :

وهي الشبهة التي أثارها بعض الباحثين والكتاب الذين لهم بحوث حديثة في الأديان والمذاهب – وهم المستشرقون والباحثون الذين اشتغلوا بالعلوم المادية الطبيعية – ، وهي من أخبث الأساليب في أثارة الشبه حول الوحي ،وهو الأسلوب الذي يحاول أن يضفي على النبي محمد (صلى الله عليه وآله) صفات الصدق والأمانة والإخلاص والذكاء ، الأمر الذي أدى به أن يتخيل نفسه أنه ممن يوحى إليه، وهو ما يسمى بـ(الوحي النفسي) ([1]) 0

وملخص هذه الشبهة هو :

كان نبي الإسلام نابغة عارفاً بالأوضاع الاجتماعية ، وكان يحمل روحاً نزيهة وهمة عالية ، وقد عاش في بيئة يسودها الظلام وتتكلم فيها القوة والأراجيف والهرج الاجتماعي ، وتتسم بحسب الذات والسيطرة غير المشروعة على الأموال ، وتتجلى فيها كل مظاهر الوحشية المقيتة 0 فسعى النبي (صلى الله عليه وآله) في خلاص البشرية من مهوى الوحشية والانحطاط الخلقي ورفعها إلى أوج المدنية والحرية ،فدعا الناس إلى اعتناق آرائه الطاهرة التي تجلت بشكل دين جامع كامل ([2]) 0

وكان النبي (صلى الله عليه وآله) يفرض أن أفكاره الطاهرة هي كلام الهي ووحي سماوي يلقيها الله تعالى في روعه ويتكلم بها معه ، كما كان يفرض روحه الخيرة التي تترشح منها الأفكار لتستقر في قلبه هي (الروح الأمين) و(جبرائيل) ،وسمى النبي (صلى الله عليه وآله) بشكل عام القوى التي تسوق إلى الخير وتدل على السعادة بـ (الملائكة) كما سمى القوى التي تسوق إلى الشر بـ(الشياطين) و (الجن) ، وقد سمّى واجبه الذي أملاه عليه وجدانه بـ (النبوة) و (الرسالة) ([3]) 0

---

[1] - ظ: محمد باقر الحكيم \ علوم القرآن \175+فؤاد المقدادي\ الإسلام وشبهات المستشرقين\139 0

[2] - ظ: مالك بن نبي \الظاهرة القرآنية \160 الهامش + علاء الدين شمس الدين المدرس \الظاهرة القرآنية والعقل دراسة مقارنة للكتب المتقدمة\ 69 – 72 + الطباطبائي \ القرآن في الإسلام \ 98 + مناع القطان \مباحث في علوم القرآن \40 0

[3] - ظ: الطباطبائي \ القرآن في الإسلام \ 99 + محمد باقر الحكيم \ علوم القرآن \176 + مالك بن نبي \الظاهرة القرآنية \133 0

مناقشة هذه الشبهة والرد عليها :

لقد فند العلماء هذه الشبهة جملة وتفصيلا بأدلة قطعية لا تقبل المناقشة داحرين أولئك المتخرصين وراديهم على أعقابهم 0

1- الأدلة القرآنية :

ا-قال تعالى : ﴿ **الم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ** ﴾ ([1])

الريب مصدر رابني ، أذا حصل فيه الريبة 0 وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ([2]) وقد أجمع المفسرون قديماً وحديثاً على أن تفسير (لا ريب فيه) أي لاشك في كونه منزلاً من رب العالمين ([3]) 0

يقول الزمخشري : (لا ريب فيه ، أي في كونه منزلاً من رب العالمين 0 ويشهد وجاهته قوله تعالى : (**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ**) لأن قولهم (هذا مفترى) إنكار لأن يكون من رب العالمين 0 وكذلك قوله (**بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ**) وما فيه من تقرير أنه من الله ، وهذا أسلوب صحيح محكم أثبت أولاً أن تنزيله من رب العالمين، وأن ذلك ما لا ريب فيه ، ثم أضرب عن ذلك إلى قوله (**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ**) لأن أم هي المنقطعة الكائنة بمعنى بل ، والهمزة إنكارا لقولهم وتعجيباً منه لظهور أمره في عجز بلغائهم عن مثل ثلاث آيات منه ، ثم أضرب عن الإنكار إلى أثبات أنه الحق من ربك) ([4])

ب-قال تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ ([5]) 0

أي ما كان هذا القرآن افتراء من دون الله ولكن كان تصديق الذي بين يديه – وهو ما تَقدّمَه من الكتب المنزلة – لأنه معجز دونها ، وهو عيار عليها وشاهد بصحتها 0

وما صح وما استقام وكان محالاً أن يكون مثله في إعجازه وعلو شأنه مفترى 0

ولو كان كذلك ما يدعون فليأتوا بسورة من مثله شبيهة به في البلاغة وحسن النظم ،بل لا يستطيعون ؛ لآن الله وحده القادر على أن يأتي بمثله لا يقدر على ذلك أحد غيره، وعند عجزهم عن ذلك بعد ترويض قواهم في البلاغة يتحقق لديهم أن ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة ([6]) 0

---

[1] - السجدة : 1 - 2 – 3 0

[2] - ظ: الزمخشري \الكشاف \1\112 + الطبرسي \جوامع الجامع \1\63 0

[3] - ظ: القمي \تفسير القمي \2\167 + الطوسي \التبيان \1\53 + 3\379 + 5\ 378 + 8\292 + الشريف الجرجاني \الحاشية على الكشاف \112 + الزمخشري \الكشاف \1\112 + الطبرسي \جوامع الجامع \1\274 + مجمع البيان \1\82 + الطبري \جامع البيان \1\144 + ابن حاتم الرازي \تفسير ابن أبي حاتم \3\1022 + النحاس \معاني القرآن \1\79 + السمرقندي \تفسير السمرقندي \1\48 + الثعلبي \تفسير الثعلبي \1\142 0

[4] - الزمخشري \الكشاف \3\240 + ظ: الطبرسي \جوامع الجامع \3\33 0

[5] - يونس : 37 – 38 0

[6] - ظ: الزمخشري \الكشاف \1\112 + 2\ 237 + الطبرسي \جوامع الجامع \2\127 + الثعلبي \تفسير الثعلبي\1\168 + الطباطبائي \القرآن في الإسلام \102

2-الأدلة التاريخية :

ذكر أصحاب هذه الشبهة في معرض شبهتهم عدة مقدمات تاريخية ،رُتبت لعرض نظرية الوحي النفسي ،وقد فندتها الدلائل التاريخية ،منها:

أ- ذكر بعض التفاصيل التي ليس لها مصدر تاريخي كما في مسألة لقاء الراهب بحيرا مع النبي محمد (صلى الله عليه وآله) وهو بصحبة عمه أبي طالب ،وهذا الافتراض دعاهم إلى الاستنتاج وافتراض محادثات دينية وفلسفية معقدة جرت بينهما 0

وما هذا القول إلا اختلاق منهم أو تخيل من أجل أكمال الصورة الكاذبة ، فعلى الرغم من أن الموقف العام للقرآن الكريم تجاه الديانتين اليهودية و المسيحية هو موقف المصدق لهما ، إلا أنه في الوقت نفسه جاء مهيمناً عليهما ورقيباً وحاكماً على ما فيهما من ضلالات 0

فلا يمكن أن نتصور أن النبي محمد (صلى الله عليه وآله) وهو يأخذ عن أهل الكتاب ومع ذلك يتمكن من أن يصفهم بالجهل والتحريف والتبديل بمثل هذا اليقين والثبات، ثم يوضح الموقف الصحيح في المسائل الكبرى التي اختلفوا فيها أو خالفوا الواقع الصحيح للديانة ،ثم تأتي نظريته بعد ذلك كاملة شاملة ودقيقة ليس فيها تناقض ولا اختلاف 0

وكذلك مخالفة القرآن الكريم التوراة و الإنجيل في بعض الأحداث التاريخية فيذكرها بدقة متناهية 0 ويتمسك بها بإصرار ،في الوقت الذي كان بإمكانه أن يتجاهل بعضها على الأقل ؛تفادياً للاصطدام بالتوراة و الإنجيل ([1]) 0

ولكن الحقيقة هي أن النبي محمد (صلى الله عليه وآله) لم يكن قد أخذ منهم شيئاً ،وإنما تلقى كل ذلك عن الوحي الإلهي الذي جاء مصداقاً لما سبقه من الوحي ومهيمناً على الانحراف و التحريف معاً 0

أما قصة الراهب بحيرا فقد التقى به الرسول (صلى الله عليه وآله) في أول رحلة له مع عمه إلى بصرة(سوريا) ،والذي قال لأبي طالب عند رؤيته للرسول (هذا الشاب سيقوم بدور عظيم في العالم فأرجعه إلى بلاده على عجل وأسهر عليه واحذر عليه من اليهود الذين قد يؤذونه لو علموا منه ما أعلم) ([2]) 0

ب-أدعاء مرور النبي (صلى الله عليه وآله) بأرض الأحقاف واطلاعه على أخبار عاد و ثمود والتاريخ لم يذكر مرور النبي (صلى الله عليه وآله) بها ،إضافة إلى أن هذه المنطقة (الأحقاف) لا تقع على الطريق الاعتيادي لمرور القوافل التجارية 0

ج- لم تذكر كتب السيرة النبوية - على الرغم من دقتها – بأن الرسول (صلى الله عليه وآله) كان ينتظر أن يفاجئ بالوحي، أو يأمل أن يكون هو الرسول المنتظر لينمو ويتطور هذا الأمل فيصبح واقعاً نفسياً 0

ولعل من القرائن التاريخية التي تشهد بكذب هذا الافتراض : هو ما ذكرته كتب السيرة من اضطراب النبي في البداية، وخوفه حين فاجأه الوحي في غار حراء ([3]) 0

---

[1] - محمد باقر الحكيم \علوم القرآن \180 – 181 0

[2] - ابن هشام \سيرة ابن هشام \1\115 0

[3] - ظ: مالك بن نبي\ الظاهرة القرآنية \136 + محمد باقر الحكيم \علوم القرآن \178 – 180

د- أن افتراض تعلم النبي (صلى الله عليه وآله) من نصارى الشام وغيرهم لا يتفق مع واقع الحيرة والتردد في موقف المشركين إزاء الدعوة الإسلامية ونسبة الرسالة إلى الوحي الإلهي؛ لأن مثل هذه العلاقة لو كانت موجودة فلا يمكن التستر عليها أمام أعداء الدعوة من المشركين وغيرهم ،على الرغم من أن هؤلاء لم يمسكوا عن أطلاق تهم وأراجيف شتى ضد الرسول (صلى الله عليه وآله) ،وافترضوا في الوحي الفروض المتعددة ،ومنها فرض التعلم والتلقي من أشخاص معينين كالرومي الحداد في مكة ([1]) 0 والذي أشار إليه القرآن الكريم بقوله تعالى : **﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾** ([2]) 0

ولقد كان أهل الجاهلية الأولى أذكى من ملاحدة الجاهلية المعاصرة ،فأولئك لم يقولوا أن محمداً (صلى الله عليه وآله) استقى هذه الأخبار من وحي نفسه كما يقول هؤلاء ،بل قالوا أنه درسها وأمليت عليه،قال تعالى: **﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلا ﴾** ([3]) 0

هـ - يذكر التاريخ وكتب السيرة أن النبي محمد (صلى الله عليه وآله) كان رجلاً أمياً يعيش في عصر مظلم و جاهل فأنّى له أن يأتي بهذا التشريع الواسع العميق الشامل للمجالات المختلفة من الحياة ،مع دقة التفاصيل التي تناولها، والانسجام الكبير بين هذه التفصيلات0إلا أن يكون قد تلقاه عن طريق الوحي الإلهي 0

3- لو أجرينا موازنة بين خطب الرسول (صلى الله عليه وآله) ورسائله وكلامه المنثور وبين نظم القرآن لتبين من البون بينهما مثل ما بين كلام الله عز وجل وبين كلام الناس ([4]) 0

4-وكذلك من الردود على هذه الشبهة أنهم حينما قالوا بأن هذا القرآن هو أثرٌ لاستنباط النبي (صلى الله عليه وآله) العقلي ، وإدراكه الوجدان الذي عبر عنه بأسلوبه وبيانه ،فكيف يكون ذلك وأن ما في القرآن لا يعتمد على الذكاء و الاستنباط ؟ فالجانب ألأخباري – وهو قسم كبير من القرآن – لا يمارى عاقل في أنه لا يعتمد ألا على التلقي والنقل والتعلم 0 فقوله تعالى : **﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾** ([5]) ، وقوله تعالى : **﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾** ([6]) فيها دلالة على ذكر القرآن الكريم لأنباء ما سبق من الأمم والجماعات والأنبياء والأحداث التاريخية بوقائعها الدقيقة ، ولم يعاصر النبي (صلى الله عليه وآله) تلك الأمم وهذه الأحداث حتى يشهد وقائعها وينقل أنباءها ، كما لم يتوارث كتبها ليدرس دقائقها ويروي أخبارها ([7]) 0

2- الشبهة الثانية :

[1] - ظ: محمد حسين علي الصغير \تاريخ القرآن \31 0
[2] - النحل : 103 0
[3] - الفرقان : 5 0
[4] - ظ: الباقلاني \أعجاز القرآن \ص291 0
[5] - هود : 49 0
[6] - يوسف : 3 0
[7] - ظ: مناع القطان \مباحث في علوم القرآن \ص43 0

وهي الشبهة التي أثارها بعض المستشرقين بأن الوحي ما هو إلا أثراً لنوبات الصرع التي تعتري الرسول (صلى الله عليه وآله) فكان يغيب عن صوابه ويسيل منه العرق 000 فإذا أفاق من نوبته ذكر أنه أوحي إليه ،وتلا على المؤمنين به ما يزعم أنه وحيٌ من ربه 0 ([1])

وهذه الشبهة شبيهة بسابقتها في دلالتها على أن الوحي ما هو إلا وحياً نفسي لمحمد (صلى الله عليه وآله) وقد تصدى الباحثون للرد على هذه الشبهة ومثيلاتها منهم :

أ- الباحث الإسلامي مالك بن نبي ،وذلك في قوله : (لقد تعجل بعض النقاد حين ألموا بهذه الدلائل النفسية – وهي الأعراض التي تنتاب الرسول (صلى الله عليه وآله) حين يهبط عليه الوحي – فاعتبروها أعراضاً للتشنج ،هذا الرأي يشتمل خطأ مزدوجاً حين يتخذ من هذه الأعراض الخارجية مقياساً يحكم به على الظاهرة القرآنية في مجموعها 0 ولكن من الضروري أن نأخذ في اعتبارنا قبل كل شيء الواقع النفسي المصاحب ، الذي لا يمكن أن يفسره أي تعليل مرضي 0

وأكثر من ذلك،فأن الأعراض العضوية نفسها ليست خاصة بحالة التشنج التي تحدث شللاً أرتعا شيا(أن صح التعبير)عند الفرد المحروم مؤقتاً من قواه العقلية والجسمية 0 فإذا نظرنا إلى حالة النبي (صلى الله عليه وآله) وجدنا أن الوجه وحده هو الذي يحتقن ، بينما يتمتع الرجل بحالة عادية ، وبحرية عقلية ملحوظة من الوجهة النفسية، بحيث يستخدم ذاكرته استخداما كاملاً خلال الأزمة نفسها ، على حين يمحى وعي المتشنج وذاكرته خلال الأزمة ، فالحالة بناءاً على هذه الملاحظات ليست حالة تشنج) ([2]) 0

ب- ولقد أنبرى للرد على مثل هذه الشبهة بعض من المستشرقين أمثال هنري لامنس ، وفون هامر ، إلى أن في طليعة هؤلاء السير وليم موير (ت: 1905 م)

لقد فند هذا الباحث في كتابه (حياة محمد) هذه الشبهة ،وعقب على ظاهرة الوحي وأعراضها بقوله : ((وتصوير ما كان يبدو على محمد –صلى الله عليه وآله– في ساعات الوحي على هذا النحو الخاطئ من الناحية العلمية أفحش الخطأ 0 فنوبة الصرع لا تذر عند من تصيبه أي ذكر لما مر به أثناءها ، بل هو ينسى هذه الفترة من حياته بعد إفاقته من نوبته نسياناً تاماً ، 000 لأن حركة الشعور والتفكير تتعطل فيه تمام العطل 0

هذه أعراض الصرع كما يثبتها العلم ، ولم يكن ذلك ما يصيب النبي (صلى الله عليه وآله) العربي أثناء الوحي ، بل كانت تتنبه حواسه المدركة في تلك الأثناء تنبهاً لا عهد للناس به ، يذكر بدقة ما يتلقاه ، وما يتلوه بعد ذلك على أصحابه ، ثم نزول الوحي لم يكن حتماً بالغيبوبة الحسية مع تنبه الإدراك الروحي غاية التنبه ، بل كثيراً ما يحدث والنبي (صلى الله عليه وآله) في تمام يقظته العادية)) ([3]) 0

3- الشبهة الثالثة :

وهي شبهة عجيبة في أمرها ،حيث ذهب بعض أصحاب الحديث من الجمهور إلى أمكان استحواذ إبليس على ما يوحى إلى النبي (صلى الله عليه وآله) ويجعل من تسويلاته الشيطانية في

---

[1] - ظ: محمد حسين علي الصغير \ تاريخ القرآن \20 0

[2] - مالك بن نبي \الظاهرة القرآنية \ 174 – 175 + ظ: محمد حسين الصغير \ تاريخ القرآن \20 0

[3] - محمد حسين علي الصغير \ تاريخ القرآن \20- 21 نقلاً عن مصدره 0

سورة وحي ويلبسه على النبي (صلى الله عليه وآله) ليزعمه وحياً من الله ،كما جاءت رواياتهم لقصة الغرانيق ([1]) ، وهي خرافة وضعها من يريد الامتهان بمقام الرسالة ليعبر بها على عقول البسطاء ، فكانت غنيمة بأيدي أعداء الإسلام ([2]) 0

وفيما يأتي نص هذه الخرافة :

روى الطبري بإسناد – زعمها صحيحة – عن محمد بن كعب ، ومحمد ابن قيس ،وسعيد بن جبير، وابن عباس ، وغيرهم : أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان في حشد من مشركي قريش بفناء الكعبة ، أو في نادٍ من أنديتهم ،وكانت تساوره نفسه لو يأتيه شيء من القرآن يقارب بينه وبين قومه الألدّاء ،إذ كان يتألم من مباعدتهم ،وكان يرجو الائتلاف معهم مهما كلف الأمر ،وإذ نزلت عليه سورة النجم، فجعل يتلوها حتى إذا بلغ : **﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى ﴾** ([3]) ألقى عليه الشيطان : ((تلك الغرانيق العُلى وإن شفاعتهن لترتجى)) فحسبها وحياً ،فقرأها على ملأ من قريش ،ثم مضى وقرأ بقية السورة 0حتى إذا أكملها سجد وسجد المسلمون، وسجد المشركون أيضاً ،تقديراً بما وافقهم محمد (صلى الله عليه وآله) في تعظيم آلهتهم ورجاء شفاعتهم إلا الوليد بن المغيرة – وفي رواية أخرى كان معه سعيد بن العاص – ([4]) فأنه كان شيخاً كبيراً فلم يستطع ،فأخذ بيده حفنة من البطحاء فسجد عليها وطار هذا النبأ حتى بلغ مهاجري الحبشة،فجعلوا يرجعون إلى بلدهم مكة فرحين بهذا التوافق المفاجئ كما فرح النبي (صلى الله عليه وآله) أيضاً بتحقيق أمنيته القديمة على إتلاف قومه ([5]) 0

ثم لما أمسى الليل أتاه جبرائيل (عليه السلام) فقال له : ماذا صنعت ؟ تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله ؟ وقلت ما لم أقل لك 0 فحزن الرسول (صلى الله عليه وآله) حزناً شديداً وخاف من الله خوفاً عظيماً ويقال أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال لجبرائيل : أنه أتاني آتٍ على صورتك فألقاها على لساني 0 فقال جبرائيل : معاذ الله أن أكون أقرأتك هذا 000 فأشتد ذلك على رسول الله ، فنزلت : **﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاتَّخَذُوكَ خَلِيلا * وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلا * إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ ([6]) 0**

فأشتد حزن رسول الله (صلى الله عليه وآله) على هذه البادرة المباغتة ،ولم يزل مغموماً مهموماً حتى نزلت عليه : **﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ**

---

[1] - الغرانيق : جمع الغرنوق ، وهو الشاب الناعم الأبيض ،وفي الأصل أسم لطير الماء أبيض اللون ، وقيل هو طائر أسود من طير الماء طويل العنق ،وهو تشبيه آلهة المشركين بطيور بيض متحلقة في أجواء السماء،كناية عن قربهم من الله 0ظ: ابن منظور\لسان العرب\ج10\287 + ألطريحي\مجمع البحرين \3\309 0

[2] - المفيد \عدم سهو النبي (صلى الله عليه وآله) \ 6 + ابن شهر أشوب \مناقب آل أبي طالب\1\46

[3] - النجم : 19 – 20 0

[4] - ظ : ألمجلسي \بحار الأنوار \17\56 0

[5] - ظ: ابن شهر أشوب \مناقب آل أبي طالب\1\46 + الداماد \ الرواشح السماوية \281 + ألمجلسي \بحار الأنوار \17\56 + السيد مرتضى العسكري\ أحاديث أم المؤمنين عائشة \2\308 0

[6] - الإسراء : 73 – 75 0

فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ([1]) وكانت تسليةٌ لقلبه الحزين ، فعند ذلك سرى عنه ألهم وطابت نفسه ([2]) 0

ويقال كان النبي (صلى الله عليه وآله) يصلي عند المقام إذ نعس نعسة فجرت على لسانه هاتان الكلمتان من غير شعور بهما ([3]) 0

مناقشة هذه الشبهة :

إن خرافة (الغرانيق) هذه إنما وضعت لتشويه سمعة النبي (صلى الله عليه وآله) وإسقاط فعله عن الحجية والاعتبار ([4]) وقد أُولع المستشرقون والطاعنون في الدين الإسلامي الحنيف بهذه الخرافة المصطنعة و أذاعوها وأثاروا حولها عجاجة من القول البذيء 0 في حين أنها أكذوبة مفتعلة صنعتها قرائح القصّاصين ،ونسبوها إلى بعض التابعين ومن الصحابة إلى ابن عباس ،ودلائل الكذب والافتراء بادية عليها وقد أبطل أهل التحقيق هذه الرواية ووصفوها بـ (الموضوعة) وقد احتجوا بالقرآن والسنة والعقل على بطلانها ([5]) :

1- من القرآن الكريم :

إن مضمون هذه الرواية متناقض ومتنافي مع كثير من نصوص الكتاب العزيز 0

أ- تبدأ سورة النجم – وهي السورة المدّعى فيها سهو النبي (ص) – بقوله تعالى : **﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى* عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾** ([6]) وهي شهادة صريحة من الله سبحانه بأن النبي (صلى الله عليه وآله) لا يضل ولا يغوى ولا ينطق إلا عن وحي من الله ، يعلمه الروح الأمين ([7])

فلو صح ما ذكروه في رأس الآية العشرين لكان تكذيباً فاضحاً لهذه الشهادة ،وتغليباً لجانب الشيطان على جانب الرحمن0 وهو القائل تعالى : **﴿ 00إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾** ([8]) والقائل : **﴿ كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾** ([9]) فكيف فكيف يتغلب إبليس على ضمان يضمنه الله تعالى ؟ وهل يتغلب ضعيف في كيده على قوي في إرادته ؟ فما ذلك إلا تهافت باهت وكلام فارغ لا يستطيع عاقل تصديقه ، وهو عين الكفر ([10]) 0

---

[1] - الحج : 52 0

[2] - ظ: الطبري \تفسير الطبري \17 \131 – 134 + السيوطي \الدر المنثور \4\194 ، 366 – 368 + ألمجلسي | بحار الأنوار \17 \56 + ابن شهر آسوب \ مناقب آل أبي طالب\1\46 + السيد مرتضى العسكري \أحاديث أم المؤمنين عائشة\ 2\309 + الزمخشري \الكشاف \3\19 + الطوسي \التبيان \7\330 + الطبرسي \مجمع البيان \7\162 0

[3] - ظ: مقاتل بن سليمان \تفسير مقاتل \2\387 0

[4] - ظ: المفيد \عدم سهو النبي (صلى الله عليه وآله) \ 7

[5] - ظ: : الفخر الرازي\التفسير الكبير \23 \50 + ألمجلسي | بحار الأنوار \17 \57 0

[6]- النجم : 1 – 5 0

[7] - ظ: مير محمدي زرندي \بحوث في تاريخ القرآن وعلومه \12 0

[8] - النساء : 76 0

[9] - المجادلة : 21 0

[10] - ظ: نور الله ألتستري \الصوارم المهرقة \224 + الطباطبائي \الميزان \14 \397 + ناصر مكارم الشيرازي\التفسير الأمثل \10 \378 0

ب -قوله تعالى : ﴿ **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأقَاوِيلِ * لأخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ** ﴾ ([1]) فيه تأكيد على أن أحداً لا يستطيع التقوّل على الله تلبيساً للحقيقة إلا ويهلكه الله من فوره 0 فهل يا ترى بعد هذا التأكيد يستطيع إبليس – وهو صاحب الكيد الضعيف – أن يتقول على الله ، ويلبس الأمر على رسول الله (صلى الله عليه وآله) بما يحسبه وحياً آنياً به جبرائيل الأمين ؟ 0

ج-قال تعالى : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ ([2]) فقد ضمن الله تعالى سلامة القرآن من تلاعب أيدي المبطلين ، وحفظه من دسائس المعاندين ([3]) ، أفهل يعقل بعد ذلك أن يترك إبليس وشأنه في سبيل التلاعب بالذكر الحكيم فور نزوله على الرسول (صلى الله عليه وآله) ؟ 0

د- قوله تعالى :﴿ **إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾ ([4]) وقوله : ﴿ **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلا** ﴾ ([5]) فكيف يجوز بعد بعد هذا الضمان الصريح والمؤكد أن يتسلط إبليس على أخلص عباد الله المكرمين؟ 0

هـ قوله تعالى : ﴿ **إِنْ هِيَ إِلا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى** ﴾ ([6]) استنكرت هذه الآية - وهي بعد آية﴿ **أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأخْرَى** ﴾ ([7]) بآيتين – أوثان المشركين والأصنام وبينت قبحها وسخفها ، فقد ذكرت بصراحة إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباءكم 000 فمع كل هذا الذم للأصنام كيف يمكن مدحها ([8]) ؟ 0

و- قوله تعالى : ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا**﴾ ([9]) يتبين من هذه الآية الشريفة إن المواد الدينية السماوية التي علم الإنسان بها من طريق الوحي لا يتسرب إليها الخطاء على طول الخط0

ومن هنا نعرف أن الأنبياء (صلى الله عليه وآله) يجب أن يكونوا معصومين أي لا يخطأون في تلقي الوحي وفي تبليغ ما تعلموه ،وحملهم لمميزات خلقية تميزهم بين الناس ([10]) ؛لأنهم الواسطة في الهداية العامة التي يسير الخلق إليها بطبيعة خلقتهم ، فلو أخطئوا

---

[1] - الحاقة : 44 – 46 0

[2] - الحجر : 9 0

[3] - ظ: مكارم الشيرازي\ الأمثل \10\378 0

[4] - النحل : 99 0

[5] - الإسراء : 65 0

[6] - النجم : 23 0

[7] - النجم : 19 – 20 0

[8] - ظ: مكارم الشيرازي\ الأمثل \10\378 0

[9] - الجن : 26 0

[10] - ظ: الطوسي \الاقتصاد \260 + المظفر \عقائد الإمامية\ 70 0

في التلقي أو التبليغ أو خانوا لوسائس شيطانية أو نفسية أو أذنبوا ذنباً ما ، فتكون النتيجة منعكسة في سنة الكون الدالة على الهداية العامة وهذا لا يكون أبداً ([1]) 0

2- من السنة :

أ- لم يصل تسلسل سند الحديث إلى صحابي إطلاقاً ، وإنما أسند إلى جماعة من التابعين ومن لم يدرك حياة الرسول (صلى الله عليه وآله) ، وعليه فالحديث مرسل غير موصول السند إلى من شاهد القضية – فرضاً – وقد عبر السيوطي عن طرق هذه الرواية بـ

(هي أوهى الطرق) ([2]) 0

وأما النسبة إلى ابن عباس فلا تقل عن غيرها ، فولادة ابن عباس في السنة الثالثة قبل الهجرة ، فلم يشهد القصة بتاتاً وإنما نقلت إليه ([3]) 0

ب- روي عن محمد بن إسحاق بن خزيمة أنه سئل عن هذه القصة فقال : هذه من وضع الزنادقة ، وصنف فيه كتاباً ([4]) 0

ج- قال الإمام أبو بكر البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ،وأن رواة هذه القصة مطعونون ([5]) 0

د- وقال أبو بكر محمد ابن العربي : كل ما يرويه الطبري في ذلك باطل لا أصل له ([6]) 0

0

3- وأما المعقول فمن وجوه :

أ- إن من جوّز على الرسول (صلى الله عليه وآله) تعظيم الأوثان فقد كفر ؛ لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه (صلى الله عليه وآله) كان في نفي الأوثان ([7]) 0

ب- إن الرسول (صلى الله عليه وآله) ما كان يمكنه في أول الأمر أن يصلي ويقرأ القرآن عند الكعبة أمناً لأذى المشركين له حتى كانوا ربما مدوا أيديهم إليه ، وإنما كان يصلي إذا لم يحضروها ليلاً أو في أوقات خلوة ، وذلك يبطل قولهم 0

---

[1] - ظ: الطباطبائي \القرآن في الإسلام \ 130 – 131 0

[2] - السيوطي : \الإتقان \2\189 0

[3] - محمد هادي معرفة \تلخيص التمهيد \1\45 0

[4] - الرازي \التفسير الكبير \23 \50+ ألمجلسي \بحار الأنوار \17 \57 + محمد هادي معرفة \تلخيص التمهيد \1\45 – 46 + محمد حسين هيكل \حياة محمد \124 0

[5] - الرازي \التفسير الكبير \23 \50 + ألمجلسي \بحار الأنوار \17 \57

[6] - ظ: ابن حجر \فتح الباري \8\333 0

[7] - ظ: الطباطبائي \ الميزان \14 \397 + الشيرازي \الأمثل \10 \378 0

ج- إن معاداة قريش للرسول (صلى الله عليه وآله) كانت أعظم من أن يقروا بهذا القدر من القراءة دون أن يقفوا على حقيقة الأمر ، فكيف أجمعوا على أنه عظّم ألهتهم حتى خروا سجداً مع أنه لم يظهر عندهم موافقته لهم 0

د- وهو أقوى الوجوه ، إنا لو جوزنا ذلك لارتفع الأمان عن شرعه تعالى ،وجوزنا في كل واحد من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك ، ويبطل قوله تعالى : **﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾** ([1])

فأنه لا فرق بين النقصان عن الوحي ، وبين الزيادة فيه ([2]) 0
هـ- إن القول بهذه الرواية منافٍ لإجماع الأمة وما قامت عليه الحجج على عصمة الرسول (صلى الله عليه وآله) من جريان الكفر على قلبه أو لسانه ([3])، لا عمداً ولا سهواً 0 أو أن يتشبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان ، أو يكون للشيطان عليه سبيل ، أو يتقوّل على الله ما لم ينزل عليه 0
فلولا عصمة الرسول (صلى الله عليه وآله) لزالت الثقة بالدين 0
قال النبي محمد (صلى الله عليه وآله) : ((من رآني فقد رآني فأن الشيطان لا يتمثل بي)) ([4]) 0
وقد فهم العلماء من هذا الحديث قاعدة كلية وهي : لا يستطيع إبليس التمثل بأي ولي من أولياء الله العباد المخلصين ، وبالأحرى عدم استطاعته التمثل بجبرائيل ، ملك الوحي المقرب الأمين ([5]) 0
إذاً فأنى لإبليس التلاعب بوحي السماء ، أو أن ينتحل صورة رسول من رسل الله الأكرمين 0
و- تفنيد المبررات التي أستند عليها كل من أخذ بهذا الحديث – وهم بعض كتاب السيرة وبعض المفسرين المسلمين – وهي قوله تعالى : **﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاتَّخَذُوكَ خَلِيلا ﴾ ([6])** وكذلك رجوع المسلمين الذين هاجروا هاجروا إلى الحبشة بعد ثلاثة أشهر من أقامتهم 0
فأما الاحتجاج بالآية فهو احتجاج مقلوب ؛ لأن الآية لا تشي بوقوع الأمر0فقوله تعالى : **﴿وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلا ﴾([7])** فمعنى الآية:إن الله ثبته فلم يفعل ([8]) 0
0
وأما رجوع المسلمين فكان سببه اضطرابا سياسياً عم أرجاء الحبشة على أثر ثورة جديدة قامت فيها ([1]) 0

---

[1] - المائدة : 67 0
[2] - ظ: ألمجلسي \بحار الأنوار \17 \56 – 59 + الطباطبائي \ الميزان \14 \397 0
[3] - محمد حسين هيكل \حياة محمد \124 + الطباطبائي \ الميزان \14 \396 0
[4] - مسلم النيسابوري\ صحيح مسلم\7\57 0
[5] - ظ: محمد هادي معرفة \تلخيص التمهيد \1\50 0
[6] - الإسراء : 73 0
[7] - الإسراء : 74 0
[8] - ظ: الطوسي \التبيان \6\507+الزمخشري \الكشاف \2\460 0

ومن كل هذا نستنتج أن أسطورة الغرانيق من وضع أعداء سذج ومخالفين لا يخافون الله ، اختلقوا هذا الحديث لأضعاف منزلة القرآن والرسول(صلى الله عليه وآله) ، لهذا نفى جميع الباحثين الإسلاميين من السنة و الشيعة هذا الحديث بقوة واعتبروه مختلقاً 0
وسوف يقوم البحث في المطلب التالي ببيان الفرق بين كل من الوحي الإلهي من جهة والوحي النفسي و الإلهام والمكاشفة من جهة أخرى 0

الفرق بين الوحي الإلهي و الوحي النفسي و المكاشفة و الإلهام 0

يذهب بعض علماء الدراسات الإسلامية إلى أن مصطلح (وحي) الذي يطلقه القرآن الكريم على هذه الظاهرة إنما يعبر عنه بالكلمات (المكاشفة) أو (الوحي النفسي) أو(الإلهام) وسوف يقوم البحث برصد الفوارق الرئيسية بين تلك المصطلحات وبين الوحي الإلهي :
1-تعرف المكاشفة أو الوحي النفسي بأنها معرفة مباشرة لموضوع قابل للتفكير ،أو خاض فيه التفكير فعلاً ، أما الوحي الإلهي فيمثل ظاهرة فجائية جديدة طرقت حياة الرسول (صلى الله عليه وآله) دون أن يكون له سابق استعداد أو توقع، وإن ما ألقي فيه يمثل معرفة تلقائية بحتة واطلاع على غيبيات ومعارف ومفاهيم لم تكن تشغل تفكير الرسول(صلى الله عليه وآله) بل لم تكن قابلة للتفكير في إطار عقل بشري وحده لولا أن يكون الوحي طريقاً لإدراكها ([2]) 0
2- الوحي الإلهي مصحوب بشعور واضح بأن ما يُلقى هو من طرف أعلى (ذات آمرة) منفصل عن الذات الإنسانية (ذات مخاطبة مأمورة) ،أما الإلهام فغير مصحوب بذلك الشعور([3])0
3- من الوجهة العقلية لا تنتج المكاشفة عند صاحبها يقيناً كاملاً ،بل كأنما تخلف نصف يقين، أي بعض ما يؤدي إلى ما يسمى (احتمالاً) والاحتمال معرفة يأتي برهانها بعدها، وهذه الدرجة من الشك هي التي تميز المكاشفة من الوحي الإلهي من الناحية النفسية، حيث أن يقين النبي(صلى الله عليه وآله) بالوحي قد كان كاملاً ([4])0
ولهذا لم يعتبر الدكتور الصغير بما حاوله محمد عبده بتعريفه للإلهام بأنه (وجدان تستيقنه النفس فتنساق إلى ما يطلب على غير شعور منها من أين أتى) ([5]) وحسبان ذلك طريقاً لإمكان الوحي([1]) 0

---

[1] - ظ: محمد حسين هيكل \حياة محمد \125 0
[2] - محمد حسين علي الصغير \تاريخ القرآن \ 15 + ستار الأعرجي \الوحي ودلالته في القرآن الكريم والفكر الإسلامي \154هـ 0
[3] - ظ: محمد رشيد رضا \ الوحي المحمدي \44 + مالك بن نبي \الظاهرة القرآنية \161+ محمد حسين علي الصغير \تاريخ القرآن \18 + علاء الدين المدرس \الظاهرة القرآنية والعقل \73 0
[4]- مالك بن نبي \الظاهرة القرآنية \161 0
[5] - محمد رشيد رضا \ الوحي المحمدي \440

4- إن مصاديق الوحي الإلهي متعددة وذلك كما ورد في القرآن الكريم ، فمنها الوحي بالرسالة إلى الأنبياء ،ومنها الوحي إلى البشر العاديين ،كالحواريين**﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ000﴾** ([2]) ، وأم موسى **﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ000 ﴾** ([3]) ويطلق على هذا النوع من الوحي بـ(الإلهام) عند جمع من المفسرين ([4]) ويختلف الأخير كونه عام لجميع الناس، أما الأول فهو مختص بالأنبياء فقط ([5])0

ثانياً : إعجاز القرآن

توطئة

1- مفهوم المعجزة

2- شروط المعجزة

3- موافقة المعجزة لأرقى فنون العصر

4- التحدي في القرآن الكريم

5- الصرفة في الإعجاز

6- وجوه الإعجاز

---

[1] - ظ: محمد حسين علي الصغير \تاريخ القرآن \ 17 0

[2] - المائدة : 111 0

[3] -القصص : 7 0

[4] - ظ: الطوسي \التبيان\ 4\57 + الطبرسي \مجمع البيان \7\263+ الرازي \مفتاح الغيب \11\110

[5] - محمد حسين علي الصغير \تاريخ القرآن \ 15 + ستار الأعرجي \الوحي ودلالته\ 160

ثانياً ـ إعجاز القرآن

توطئة :

لقد خصّ الله تعالى كتابه العظيم – القرآن – بالإعجاز الذي حيّر العقول وما كان لها أن تحيط بأسراره،قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ ([1]) فأن للقرآن الكريم عطاءا جديداً في كل عصر ،ومعنىً متجدداً يتجلى لكل جيل،يختلف باختلاف العقول،ويتضح بتقدم العلوم ،ويعرف بتسلسل الحوادث والأحداث0

وإن مسألة الإعجاز القرآني كانت ولا تزال تشكل الأهم من مسائل أصول العقيدة التي بنيت عليها رواسيها ودارت عليها رحى الإسلام 0

لقد أحتج الله سبحانه وتعالى بإعجاز القرآن على نبوة محمد(صلى الله عليه وآله) حيث لم يصدق العرب بما جاء به محمد (صلى الله عليه وآله) وقالوا بأنه افتراء منه وما هو بكلام ألهي وقد حاججهم بأن يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله مفتريات أو حتى بسورة واحدة،فأعجزها ذلك ولم يتمكنوا من معارضته حتى لجئوا إلى الافتراءات والسخافات ،ومن ثم إلى السيف والقوة 0

وسوف يقوم البحث ببحث الإعجاز القرآني من حيث مفهومه وموافقة المعجزة لأرقى فنون العصر،ومن ثَم مسألة جهة التحدي في القرآن لما لهذه المسألة من الأهمية في بحوث العلماء ودراستهم وتعدد الآراء فيها قديماً وحديثاً 0

1- مفهوم المعجزة :

أ-المفهوم اللغوي:

---

[1] - لقمان : 27 0

العجَز بفتح الجيم معناه مؤخر الشيء أي آخره ([1])، والعجوز بالضم :الضعف وعدم القدرة ([2]) وفي المفردات للراغب:العجز أصله التأخر عن الشيء وحصوله عند عجز الأمر أي مؤخره00، ولذلك قيل :أيام العجوز أو أيام العجز سبعة ؛ لأنها تأتي في عجز الشتاء ([3]) وصار في التعارف أسماً للقصور عن فعل الشيء وهو ضد القدرة 0
وفي الحديث:(لا تلثوا بدار معجزة)أي لا تقيموا ببلدة تعجزون فيها عن الاكتساب والتعيش ([4]) 0 وفي قوله تعالى : ﴿ **وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ 000**﴾ ([5])
قال الفرّاء :كيف وصفهم بأنهم لا يعجزون في الأرض ولا في السماء ،فالمعنى : ما أنتم بمعجزين في الأرض ولا من في السماء بمعجز 0
وقال الأخفش :المعنى لا يعجزوننا هرباً في الأرض ولا في السماء0
و قال الأزهري:وقول الفرّاء أشهر في المعنى ([6]) 0
والإعجاز الفوت ،فيقال أعجزه الأمر الفلاني أي فاته، ويقال : أعجزت زيداً أي وجدته عاجزاً، أو جعلته عاجزاً ([7]) 0

ب- المفهوم الاصطلاحي :
بعد أن علمنا معنى الإعجاز لغةً يهمنا أن نعلم معناه في الاصطلاح لأهمية ذلك في إثبات الكثير من الحقائق والرد على جميع الشبهات والدعاوي المفتراة ،وإليك تعريفات نبذة من علماء المسلمين المتقدمين والمتأخرين :
1- قال الطبري صاحب دلائل الإمامة(ت:ق4):المعجز هو أن يأتي النبي أمراً خارقاً للعادة ولقوانين الطبيعة المألوفة ،شاهداً على صدق دعواه،وأمانته في تبليغه ، يعجز غيره عن الإتيان بمثله ([8]) 0
2- قال الطوسي (ت:460هـ):(أنه صار – المعجز – بالعرف عبارة عما يدل على صدق من ظهر على يده وأختص به) ([9]) ومن خلال ذكره لشرط المعجز أستطاع البحث تكوين تعريف آخر للمعجز عنده وهو : أن يأتي المدعي لأمر خارق للعادة من فعل الله أو جارياً مجرى فعله،يتعذر على الخلق جنسه ،دالاً على صدقه ([10]) 0

---

[1] - ظ: الزبيدي \تاج العروس \8\89 وفي مختار الصحاح بضم الجيم \ ظ: محمد بن عبد القادر \مختار الصحاح \216
[2] - ظ: م 0 ن 0
[3] - ظ: الزبيدي \تاج العروس \8\90 0
[4] ظ: ألجواهري \الصحاح \1\291 +الزبيدي\تاج العروس \8\90 + محمد بن عبد القادر \مختار الصحاح \216 0
[5] - العنكبوت : 22 0
[6] - الزبيدي تاج العروس \8\ 98 0
[7] - ظ: ابن منظور \السان العرب \5\370 0
[8] - ظ: الطبري \دلائل الإمامة \9 0
[9] - الطوسي \الاقتصاد \155 0
[10] - م0 ن 0

3- قال العلامة الحلي(ت:726هـ) :(المعجز :هو ثبوت ما ليس بمعتاد أو نفي ما هو معتاد مع خرق العادة ومطابقة الدعوى) ([1]) 0
ويعلق السبحاني على هذا التعريف بقوله: (والظاهر أغناء القيد الأول عن الثاني، لأن ثبوت ما ليس بمعتاد يكون ملازماً لخرق العادة،وهكذا نفي ما هو معتاد مثله) ([2]) 0
ثم يعرف المعجز بأنه : (أمر خارق العادة،مقرون بالتحدي،مع عدم المعارضة ويكون عمله مطابقاً لدعواه) ([3]) 0
4- قال السيوطي (ت: 911هـ) : (المعجزة أمر خارق للعادة،مقرون بالتحدي،سالم من المعارضة) ([4]) 0
5- قال ألمجلسي(ت: 1111هـ)المعجزة هي:(أمراً تظهر بخلاف العادة من المدعي للنبوة أو الإمامة عند تحري المنكرين على وجه يدل على صدقه،ولا يمكنهم معارضته) ([5])
6- قال البلاغي(ت:1352هـ) : (المعجز هو الذي يأتي به مدعي النبوة بعناية أله الخاصة خارقاً للعادة وخارجاً عن حدود القدرة البشرية وقوانين العلم والتعلم ليكون بذلك دليلاً على صدق النبي وحجته في دعواه النبوة ودعوته) ([6]) 0
7-قال الطباطبائي(ت:1412هـ):المعجز:(بمعنى الأمر الخارق للعادة الدال على تصرف ما وراء الطبيعة في عالم الطبيعة ونشأة المادة لا بمعنى الأمر المبطل لضرورة العقل) ([7]) 0
0
8- قال الخوئي(ت: 1413هـ) : الإعجاز : (هو أن يأتي المدعي لمنصب من المناصب الإلهية بما يخرق نواميس الطبيعة ويعجز عنه غيره شاهداً على صدق دعواه) ([8]) 0
9- قال الأستاذ محمد حسين الصغير: (الإعجاز بمفهوم بديهي : عبارة عن خرق لنواميس الكون،وتغيير في قوانين الطبيعة،وقلب للنظام الثابت في الموازين إلى نظام متحول جديد فالثابت هو الأصل الجاري على سنن الحياة ،والمتحول هو الحالة المغايرة لأنظمة المعادلات الكونية المتكافئة) ([9]) 0
وبالنظر إلى هذه التعريفات نجد أنها جميعاً ناظرة إلى أمر واحد ،وإن قصر بعضها عن بيانه وهو إن المعجز أمر خارق للعادة،لا لحكم العقل ،فلا يمكن الجمع بين النقيضين حتى في الإعجاز 0

2- شروط المعجزة :

ومن مجموع هذه التعريفات وغيرها حدّد العلماء عناصر أو شروط المعجزة بما يأتي:

---

[1] - العلامة الحلي \كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد \158 0
[2] - م0ن \ هامش 1 \ص158 0
[3] - م 0ن 0
[4] - السيوطي \ الإتقان\ 482 0
[5] - ألمجلسي \بحار الأنوار \17 \222 0
[6] - البلاغي \آلاء الرحمن \1\3 0
[7] - الطباطبائي \الميزان \1\73 -
[8] - الخوئي \البيان \41 0
[9] - محمد حسين علي الصغير\ملامح الإعجاز في القرآن العظيم \بحوث المؤتمر الأول للإعجاز القرآني \547 0

1- عجز الآخرين عنها 0
2- إنها خرق للعادة 0
3- إنها ليست مستحيلة عقلاً 0
4- إنها في صدد إثبات دعوى المنصب الإلهي0
5- أن تكون من فعل الله أو جارية مجرى فعله ([1]) 0

وإنما اعتبرنا عجز الآخرين عنها ،أي عدم قدرتهم على معارضتها،وذلك لأن كل فعل لم يقع مع توفر الدواعي لفاعله وشدة تداعيه عليه كان قطعاً أنه لم يفعل للتعذر([2]) 0

وكذلك اعتبار كونها خارقة للعادة،أي خارجة عن القدرة العادية،لأنه لو لم يكن كذلك لم يعلم أنه فعل للتصديق دون أن يكون فعل بمجرى العادة0 فلا يمكن أن يستدل بطلوع الشمس من مشرقها على صدق الصادق ويمكن بطلوعها من مغربها ؛ وذلك لما فيه من خرق العادة([3])0

والذي يفيده القرآن الشريف في معنى خارق العادة وإعطاء حقيقته ما يأتي:

1- تصديق القرآن لقانون العليّة العامة: فالقرآن يحكم بصحة قانون العلية العامة،بمعنى أن سبباً من الأسباب أذا تحقق مع ما يلزمه ويكتنف به من شرائط التأثير من غير مانع لزمه وجود مسببه مترتباً عليه بأذن الله سبحانه ،وإذا وجد المسبب كشف ذلك عن تحقق سببه لا محالة 0
2- إثبات القرآن ما يخرق العادة :وكذلك القرآن يقتص ويخبر عن جملة من الحوادث والوقائع لا يساعد جريان العادة المشهودة في عالم الطبيعة على نظام العلة والمعلول الموجود،وهذه الحوادث الخارقة للعادة هي الآيات المعجزة التي ينسبها إلى عدة من الأنبياء الكرام،كمعجزة نوح وهود وصالح0000 فأنها أمور خارقة للعادة المستمرة في نظام الطبيعة ([4]) 0 فعودة أشلاء الطيور المتفرقة إلى الحياة من جديد كما في قصة النبي إبراهيم(عليه السلام)،وانقلاب العصا ثعبانا بأمر الله وتلقف ما يأفك السحر ثم رجوعها عصاً على حالها الأول كما في قصة النبي موسى(عليه السلام) وشفاء الأبرص والأعمى والأكمه بدون قانون أو علم وهو خارج عن حدود الطب كما في قصة عيسى(عليه السلام) وأن يخرج رجل أمي لم يتعلم ساعة من عمره ولا نشأ في بلد فيه العلماء فيقرأ كتاباً بهر بفصاحته كل كلام فصيح([5]) فهذه الحوادث خارقة للعادة، وذلك لأن الله تعالى حاكم على قوانين الطبيعة لا محكوم لها ،فلا يكون من العسير حدوث مثل هذه القضايا عليه ([6]) 0
3- القرآن يسند ما أسند إلى العلة المادية إلى الله: ثم إن القرآن كما يثبت بين الأشياء العلية والمعلوليه ويصدق سببية البعض للبعض كذلك يسند الأمر في الكل إلى الله

---

[1] - ظ: الطوسي \الاقتصاد \ص155 + العلامة الحلي \كشف المراد\ص159 + ألمجلسي \بحار الأنوار \17 \222+ 89 \122 0

[2] - ظ: الطبرسي \جوامع الجامع \1\116 0

[3] - ظ: الطوسي \الاقتصاد \155

[4] - ظ: الطباطبائي \الميزان \1\73 + الأعجاز والتحدي في القرآن \29 – 30 + الشيرازي \الأمثل \1\242 0

[5] - ظ: الطبرسي \مجمع البيان \1\5+ جوامع الجامع \2\116 + الشيرازي \الأمثل \2\283 - 284

[6] - ظ: الشيرازي \الأمثل \1\243 + 284 0

سبحانه،فيستنتج منه أن الأسباب الوجودية غير مستقلة في التأثير،والمؤثر الحقيقي بتمام معنى الكلمة ليس إلا الله عز وجل ([1]) 0قال تعالى: ﴿ **00أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ000**﴾ ([2]) وقوله :﴿ **00قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ000**﴾ ([3]) وقوله :﴿ **لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ000** ﴾ ([4]) وغيرها من الآيات الدالة على أن كل مملوك محض لله لا يشاركه فيه أحد ،وله أن يتصرف فيها كيف شاء وأراد وليس لأحد أن يتصرف في شيء منها إلا بإذنه، قال تعالى: ﴿ **00لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ000** ﴾ ([5]) وقوله :﴿ **00ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ 000**﴾ ([6]) 0

4- القرآن يثبت تأثيراً في نفوس الأنبياء في الخوارق:

قال تعالى:﴿ **00وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ** ﴾ ([7]) فأفاد إناطة إتيان أية آية من أي رسول بأذن الله سبحانه،فبين أن إتيان الآيات المعجزة من الأنبياء وصدورها عنهم إنما هو لمبدأ مؤثر موجود في نفوسهم الشريفة متوقف في تأثيره على الإذن0 وهذا المبدأ مختلف عن باقي المبادئ النفسانية التي تستند إليها باقي الأمور من سحر أو كرامات الأولياء وغيرها؛ لأنه هو الفائق الغالب على كل سبب وفي كل حال،قال تعالى :﴿ **وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ** ﴾ ([8]) وقوله :﴿ **كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾ ([9]) 0

ومن هنا يمكن أن نستنتج أن هذا المبدأ الموجود المنصور من الله أمر وراء الطبيعة وفوق المادة0فأن الأمور المادية مقدّرة محدودة مغلوبة لما هو فوقها قدراً وحداً عند التزاحم والمغالبة،والأمور المجرّدة أيضاً وإن كانت كذلك إلا أنها لا تزاحم بينها ولا تمانع إلا أن تتعلق بالمادة بعض التعلق،وهذا المبدأ النفساني المجرد المنصور بإرادة الله إذا قابل مانعاً مادياً أفاض إمداداً على السبب بما لا يقاومه سبب مادي يمنعه ([10]) 0

5- القرآن يسند الخوارق إلى أمر الله:

إن الجملة الأخيرة من قول تعالى:﴿ **00وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ000** ﴾ ([11]) وهي (فإذا جاء أمر الله قضي بالحق) تدل على أن تأثير هذا المقتضي يتوقف على أمر من الله تعالى يصاحب الإذن الذي كان يتوقف عليه أيضاً،فتأثير هذا المقتضى

---

[1] - الطباطبائي \الميزان \1\78 – 79 + الإعجاز والتحدي في القرآن الكريم \35 0

[2] - الأعراف : 54 0

[3] - النساء : 78 0

[4] - الحديد : 5 0

[5] - البقرة : 255 0

[6] - يونس : 3 0

[7] - المؤمن : 78 0

[8] - الصافات : 171 0

[9] - المجادلة : 21 0

[10] - ظ: الطباطبائي \الميزان \1\79 – 80 0

[11] - المؤمن : 78 0

يتوقف على مصادفته الأمر أو اتحاده معه0 وقد فسر (الأمر)في قوله تعالى:﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾ ([1]) بكلمة الإيجاد وقول : كن ([2]) 0

6- القرآن يسند المعجزة إلى سبب غير مغلوب:

لقد تبيّن مما سبق أن المعجزة كسائر الأمور الخارقة للعادة لا تفارق الأسباب العادية في الاحتياج إلى سبب طبيعي وأن مع الجميع أسباب باطنية،وأن الفرق بينها أن الأمور العادية ملازمة لأسباب ظاهرية تصاحبها الأسباب الحقيقية الطبيعية غالباً أو مع الأغلب،ومع تلك الأسباب الحقيقية إرادة الله وأمره،والأمور الخارقة للعادة من الشرور كالسحر والكهانة مستندة إلى أسباب طبيعية مفارقة للعادة مقارنة للسبب الحقيقي بالأذن والإرادة كاستجابة الدعاء ونحو ذلك من غير تحدٍ يبتني عليه ظهور حق الدعوة 0وإن المعجزة مستندة إلى سبب طبيعي حقيقي بأذن الله وأمره إذا كان هناك تحدٍ يبتني عليه صحة النبوة والرسالة والدعوة إلى الله تعالى 0

وإن القسمين الآخرين يفارقان سائر الأقسام في أن سببهما لا يصير مغلوباً مقهوراً قط بخلاف سائر المسببات 0

فأن قال قائل : لو فرض الإحاطة والبلوغ إلى السبب الطبيعي للمعجزة فسوف تكون المعجزة ميسورة وممكنة الإتيان لغير النبي ولم يبق فرق بين المعجزة وغيرها إلا بحسب النسبة و الإضافة فقط 0

فيكون حينئذ أمر ما معجزة بالنسبة إلى قوم لأنهم غير مطّلعين على سببها الحقيقي ،وغير معجز لقوم لأنهم مطلعون على سببها الحقيقي الطبيعي ،وعلى هذا تكون المعجزة لا حجية فيها إلا على الجاهل بالأسباب وليست حجة في نفسها0

والجواب على هذا القول :هو أن المعجزة ليست معجزة من حيث أنها مستندة إلى سبب طبيعي مجهول حتى تنسلخ عن أسمها عند ارتفاع الجهل وتسقط عن الحجية ،ولاهي معجزة من حيث استنادها إلى سبب مفارق للعادة ،بل هي معجزة من حيث استنادها إلى أمر مفارق للعادة غير مغلوب السبب قاهرة العلة البتة ، وذلك كما إن الأمر الحادث من جهة استجابة الدعاء كرامة من حيث استنادها إلى سبب غير مغلوب كشفاء المريض من غير علاج ، مع أنه يمكن أن يحدث من غير جهته كجهة العلاج بالدواء غير أنه حينئذ أمر عادي يمكن أن يصير سببه مغلوباً مقهوراً بسبب أقوى منه ([3]) 0

7- القرآن يعد المعجزة برهاناً على صحة الرسالة لا دليلاً عامياً:

وهذا هو الجواب حول الاستفسار المطروح وهو: ما هي الرابطة بين المعجزة وبين حقية دعوى الرسالة ،مع أن العقل لا يرى تلازماً بين صدق الرسول في دعوته وبين صدور أمر خارق للعادة عن الرسول0والظاهر من القرآن تقرير ذلك كما يحكيه عن قصص عدة من الأنبياء عليهم السلام0

بالإضافة إلى أن قيام البراهين الساطعة على ما يدعوا إليه الرسل من الأصول الحقة يغني العالم البصير بها عن النظر في أمر الإعجاز0 ولذا قيل أن المعجزات لإقناع نفوس العامة لقصور عقولهم عن إدراك الحقائق العقلية،وأما الخاصة فأنهم في غنىً عن ذلك 0

---

[1] - يس : 82 0

[2] - الطباطبائي \الميزان \1\80 – 81 +الإعجاز والتحدي\39 0

[3]- ظ: الطباطبائي \الميزان \1\80 – 81 +الإعجاز والتحدي\39 0

فكان الرد على هذا الاستفسار هو:إن الأنبياء والرسل لم يأتوا بالآيات المعجزة لإثبات شيء من معارف المبدأ والمعاد مما يناله العقل كالتوحيد والبعث وأمثالها من الأصول الحقة0 وإنما اكتفوا في ذلك بحجية العقل والمخاطبة من طريق النظر والاستدلال 0قال تعالى: ﴿ **قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾ ([1]) في الاحتجاج على التوحيد 0 وقوله تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ** ﴾ ([2]) في الاحتجاج على البعث 0

وإنما سئل الرسل المعجزة وأتوا بها لإثبات رسالتهم وتحقيق دعواهم،وذلك أنهم ادعوا الرسالة من الله بالوحي وأنه بتكليم إلهي أو نزول ملك ونحو ذلك، وهذا شيء خارق للعادة في نفسه من غير سنخ الإدراكات الظاهرة والباطنة التي يعرفها عامة الناس ويجدونها في أنفسهم،ولذلك لاقَ الرسل إنكاراً شديداً ومقاومة عنيفة وذلك بأن الرسل كباقي البشر،فلو كان لأحد هذا لكان للآخرين مثله0ولهذا أجاب الرسل عن حجتهم بما حكاه الله تعالى عنهم: ﴿ **قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**

وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ([3])

أي أن النبوة مختصة بالبعض وإن جازت على الكل؛ وذلك لأن الله منّ عليهم بها دون غيرهم ([4]) 0

فلما كان الوحي أمر خارق للعادة وعن طريقه أراد الله هداية الناس ،فأيده وصدّقه بخارق آخر وهو المعجزة 0

وهذا هو الذي بعث الأمم إلى سؤال المعجزة على صدق دعوى النبوة ،وكان سؤال المعجزة لتأييد الرسالة وتصديقها لا للدلالة على صدق المعارف الحقة 0

ومن خلال ما ذكرناه يتبين الشرط الرابع من شروط المعجزة وهو التلازم بين صدق الدعوى وبين المعجزة وأنها الدليل على صدق الدعوى ([5]) 0

ومن خلال ما سبق يتوصل الطباطبائي إلى نتيجتين هما :

1- التلازم بين صدق دعوى الرسالة وبين المعجزة ،وأنها الدليل على صدق دعواها وهذا هو الشرط الرابع من شروط الإعجاز0
2- إن ما يجده الرسول والنبي من الوحي ويدركه منه من غير سنخ ما نجده بحواسنا وعقولنا النظرية الفكرية،فالوحي غير الفكر الصائب ،وهذا المعنى في كتاب الله تعالى من الوضوح والسطوع بحيث لا يرتاب فيه من له أدنى فهم وأقل أنصاف0 وهو بذلك يدحض الشبهة المتقولة بأن القرآن هو وحي نفسي من محمد (صلى الله عليه وآله) وذلك ما توصل إليه جمع من ملاحدة العصر الحديث فذكروا بأن النبوة نوع نبوغ

---

[1] - إبراهيم : 10 0
[2] - ص : 27 0
[3] - إبراهيم : 11 0
[4] - ظ: الطباطبائي \الميزان \1\83 – 86 0
[5] - م0ن0

فكري وصفاء ذهني يستحضر به الإنسان المسمى نبياً كمال قومه الاجتماعي وتخليصهم من العادات والعقائد البالية([1]) 0
وقد تناول البحث هذه الشبهة ضمن الشبهات المثارة في موضوع الوحي0

أما الشرط الثالث من شروط المعجزة وهو : أنها ليست مستحيلة عقلاً 0
بعد أن عرفنا أن المعجزة خارقة للعادة يجب أن نعلم أنها ليست مستحيلة بالذات بحيث يبطلها العقل كما يبطل قولنا: الإيجاب والسلب يجتمعان ،والواحد ليس نصف الاثنين ، وأمثالها من الأمور الممتنعة بالذات،وإنما ذلك لأن عقول جم غفير من الملايين منذ أعصار قديمة تقبل ذلك وترتضيه من غير إنكار ورد0
ولو كانت المعجزة ممتنعة بالذات لم يقبلها عقل عاقل ولم يستدل بها على شيء ولم ينسبها أحد إلى أحد ([2]) 0
وأما الشرط الرابع وهو أن المعجزة تكون في صدد إثبات دعوى المنصب الإلهي فقد تحدثنا عنها مسبقاً0
والشرط الخامس والأخير هو أن تكون المعجزة من فعل الله أو جاريه مجرى فعله ،وذلك لأن المدعي للمنصب الإلهي إذا إدعى أن الله تعالى يصدقه بما يفعله فيجب أن يكون الفعل الذي قام مقام التصديق من فعل من طلب منه التصديق وإلا لم يكن دالاً عليه،وفعل المدعي كفعل غيره من العباد لأنه لا يدل على التصديق،وإنما يدل فعل من إدعى عليه التصديق 0
فأن قالوا :ليس لو كان القرآن من فعل النبي لدلّ على صدقه وكذلك نقل الجبال وطفر البحار يكون معجزاً وأن كان جميع ذلك من فعل المدعي للنبوة ،فالجواب هو أنه لو كان القرآن من فعل النبي وقد خرق العادة بفصاحته لكان هناك أمراً معجز أيضاً وهو اختصاص النبي بالعلوم التي يأتي منه بها هذه الفصاحة وتلك العلوم من فعل الله 0
وكذلك نقل الجبال وطفر البحار فإنما تحتاج إلى القدرة،وهذه القدرة التي خلقها الله فيه هي المعجزة الخارقة للعادة ([3]) 0

2- موافقة المعجزة لأرقى فنون العصر

تتنوع المعجزة حسب تنوع الأمم المرسل إليهم في المواهب و المعطيات،فهي تتناسب مع مستوى رقيهم في مدارج الكمال؛فرب خارق للعادة يعرف بعض الشعوب أنه خارق للعادة لا يكون إلا بإرادة إلهية خاصة ،ويكون في بعض الشعوب معرضاً للشك أو الجحود لإعجازه وخرقه للعادة ([4]) 0
ومما لا ريب فيه أن معرفة ذلك تختص بعلماء الصنعة التي يشابهها المعجز،فهؤلاء يميزون بين ما يعجز البشر عن الإتيان بمثله وبين ما يمكنهم0 ولذلك فالعلماء أسرع

---

[1] - م 0ن 0 87 0
[2] - م 0 ن0 75 0
[3] - ظ: الطوسي \الاقتصاد \156 + ألمجلسي \بحار الأنوار \89\129 0
[4] - ظ: البلاغي \آلاء الرحمن\1\4 0

تصديقاً بالمعجز،أما الجاهل فباب الشك عنده مفتوح على مصراعيه ما دام جاهلاً بمبادئ الصنعة،وما دام يحتمل أن المدعي للمعجز قد أعتمد على مبادئ معلومة عند الخاصة من أهل تلك الصنعة ،فيكون متباطئاً عن الإذعان ([1]) 0

ولذا قيل :إن المعجزات لإقناع نفوس العامة لقصور عقولهم عن إدراك الحقائق العقلية ،وأما الخاصة فأنهم في غنى عن ذلك ([2]) 0

ولذلك اقتضت الحكمة الإلهية أن يخص كل نبي بمعجزة تشابه الصنعة المعروفة في زمانه،والتي يكثر العلماء بها من أهل عصره، فأنه أسرع للتصديق وأقوم للحجة 0

فكان في عصر موسى(عليه السلام) من الرائج بين المصريين صناعة السحر المبتنية على قوانين عادية يجري عليها التعليم والتعلم،فكانوا يعرفون ما هو جارٍ على نواميس هذه الصناعة وما هو خارج عنها وعن حدود القدرة البشرية ،ولأجل ذلك اقتضت الحكمة أن يحتج عليهم بمعجزة العصا التي ألقاها موسى(عليه السلام) أمام أعينهم فصارت ثعباناً تلقف ما يأفكون ويسحرون به الناس من الحبال والعصي، ثم رجعت بعد ذلك عصا كحالها الأول ولم يبق لحبالهم وعصيهم عين ولا أثر ولهذا آمن السحرة بأن أمرها من الله وذلك بسبب معرفتهم لحدود السحر فعرفوا أن أمر العصا خارج عن صناعة السحر وعن حدود القدرة البشرية

وشاع الطب اليوناني في عصر المسيح (عليه السلام) وأتى الأطباء في زمانه بالعجب العجاب وكان للطب رواج باهر في سوريا وفلسطين، لأنهما كانتا مستعمرتين لليونان ،وحين بعث الله نبيه المسيح في هذين القطرين شاءت الحكمة أن تجعل برهانه شيئاً يشبه الطب، فكان من معجزاته أن يحيي الموتى،وأن يبرئ الأكمه و الابرص0 ليعلم أهل زمانه أن ذلك شيء خارج عن قدرة البشر، وغير مرتبط بمبادئ الطب، وأنه ناشئ عما وراء الطبيعة ([3]) 0

أما العرب فقد برعت في البلاغة، وامتازت بالفصاحة وبلغت الذروة في فنون الأدب ،حتى عقدت النوادي وأقامت الأسواق للمباراة في الشعر والخطابة فكانت على مقربة من الطائف سوق تجتمع إليها العرب في الأشهر الحرم – حيث الأمان المؤقت – فينصبون خيامهم بين نخيله في مكان يسمى (عكاظ) وكانت العرب تقصدها في طريقها إلى الحج، فيجتمعون منه في مكان يقال له (الابتداء) وقد اتخذته العرب سوقاً بعد عام الفيل بخمس عشرة سنة حيث جعلتها قريش مسرحاً للأدب والشعر تتسابق فيه القبائل لإظهار نوابغها من شعراء وخطباء 0 وقد بلغ من تقديرهم للشعر أن عمدوا لسبع قصائد من خيرة الشعر القديم وكتبوها بماء الذهب وعلقت على الكعبة فكان يقال هذه مذهبة فلان إذا كانت أجود شعره ([4]) 0

ولذلك فقد اقتضت الحكمة الإلهية أن يخص الله تعالى نبيه محمد (صلى الله عليه وآله) بمعجزة البيان ، وبلاغة القرآن،فعلم كل عربي أن هذا من كلام الله،وأنه خارج ببلاغته عن طوق البشر

---

[1] - الخوئي \البيان \46 0

[2] - الطباطبائي \الميزان \1\80 0

[3] - ظ: البلاغي \آلاء الرحمن\1\4 + الخوئي \البيان \46- 47 0

[4] - ظ: فريد وجدي\دائرة المعارف \6\535+ البلاغي\ألاء الرحمن\1\504 + الخوئي\البيان \47 + محمد هادي معرفة \تلخيص التمهيد \2\ 3 – 4 0

حيث أنهم يعلمون أن أعلى منازل البيان درجة ،وأسنا مراتبه مرتبة،أبلغه في حاجة المبين عن نفسه، وأبينه عن مراد قائله،وأقربه من فهم سامعه،فأن تجاوز ذلك المقدار وأرتفع عن وسع الأنام وعجز عن أن يأتي جميع العباد مثله كان حجةً وعلماً لرسل الواحد القهار ([1]) وأعترف بذلك كل عربي غير معاند، وبخضوع العرب لإعجازه وهم الخبراء في ذلك يكون أيضاً حجة على غيرهم في ذلك 0

ويدل على هذه الحقيقة ما روى عن ابن السكيت أنه قال لأبي الحسن الرضا (عليه السلام) لماذا بعث الله موسى بن عمران (عليه السلام)بالعصا ويده البيضاء،وآلة السحر ؟ وبعث عيسى(عليه السلام) بآلة الطب ؟وبعث محمداً(صلى الله عليه وآله) بالكلام والخطب ؟ فقال أبو الحسن(عليه السلام) : ((إن الله لما بعث موسى(عليه السلام) كان الغالب على أهل عصره السحر ،فأتاهم من عند الله بما لم يكن في وسعهم مثله،وما أبطل به سحرهم،وأثبت به الحجة عليهم،وأن الله بعث عيسى (عليه السلام)في وقت ظهرت فيه الزمانات ،واحتاج الناس إلى الطب،فأتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله،وبما أحيى لهم الموتى،وأبرأ الأكمه والأبرص بأذن الله،وأثبت به الحجة عليهم0

وإن الله بعث محمد (صلى الله عليه وآله) في وقت كان الغالب على أهل عصره الخطب والكلام فأتاهم من عند الله من مواعظه وحكمه ما أبطل به قولهم،وأثبت به الحجة عليهم 000)) 0 ([2])

هذا وقد قسم بعض العلماء المتقدمين أنواع المعجزة بحسب الإدراك إلى ضربين :

الأول : الحسي

وهو ما يدرك بالبصر ،وهي أمور حسية يؤيد بها الله سبحانه رسله عند بعثهم، تخالف السنن الكونية،وتشذ عن نواميس الطبيعية،وتكون من قبيل ما استحكم في زمانهم، وغلب على خاصتهم وعظم في نفوس عامتهم ، ومثالهم :ناقة صالح،وطوفان نوح ،ونار إبراهيم،وعصا موسى (عليهم السلام) 0

الثاني : العقلي

وهو ما يدرك بالبصيرة، كالإخبار عن الغيب تعريضاً وتصريحاً،والإتيان بحقائق العلوم التي حصلت من غير تعلم ([3]) 0

وقد عبر القرطبي (ت: 671 هـ) عن ذلك بقوله :الحسي ما أشتهر نقله وأنقرض عصره بموت النبي(صلى الله عليه وآله)،أما العقلي فهو ما تواترت الأخبار بصحته وحصوله،واستفاضت بثبوته ووجوده00 ومن شرطه أن يكون الناقلون له خلقاً كثيراً وجماً غفيراً00 يستحيل عليهم التواطؤ عل الكذب – وهذا معنى النقل بالتواتر – وهذه صفة نقل القرآن ،ونقل وجود النبي(صلى الله عليه وآله)؛لأن الأمة لم تزل تنقل القرآن خلفاً عن سلف،والسلف عن سلفه إلى أن يتصل ذلك بالنبي (صلى الله عليه وآله)المعلوم وجوده بالضرورة،وصدقه بالأدلة المعجزات،والرسول أخذه عن جبرائيل(عليه السلام) عن ربه عز وجل،فنقل القرآن في الأصل رسولان معصومان من الزيادة والنقصان،ونقله إلينا بعدهم أهل التواتر الذين لا يجوز

---

[1]- ظ: الطبري\جامع البيان \1\17 – 18 0 + ابن عطية \المحرر الوجيز \1\72 0

[2] - الكليني \الكافي \ج \ص + محمد حسين علي الصغير \ملامح من تاريخ القرآن

[3] - ظ: الباقلاني\إعجاز القرآن\ص5+ الراغب الأصفهاني\مقدمة في التفسير\ص102+ النهاوندي\نفخات الرحمن\1\3 – 4 0

عليهم الكذب فيما ينقلونه ويسمعونه،لكثرة العدد،لذلك وقع لنا العلم الضروري بصدقهم فيما نقلوه من وجود محمد (صلى الله عليه وآله) ،ومن ظهور القرآن على يديه وتحديه به ([1]) 0
والحسي يشترك في إدراكه العامة و الخاصة،وهو أوقع عند طبقات العامة،وأسرع لإدراكهم ،إلا أنه لا يكاد يفرق بين ما يكون معجزة في الحقيقة،وبين ما يكون كهانة أو شعبذة أو سحراً ،أو احتيالاً هندسياً،أو تمويهاً وافتعالا إلا ذو سعة في العلوم التي يعرف بها هذه الأشياء 0
وأما العقلي فيختص بإدراكه كملة الخواص من ذوي العقول الراجحة،والأفهام الثاقبة ،الذين يغنيهم إدراك الحق ([2]) 0
ولذلك فقد كانت أكثر معجزات بني إسرائيل حسية لبلادتهم وقلة بصيرتهم،ولما كانت أمة محمد (صلى الله عليه وآله) تتميز بالذكاء وكمال الأفهام فقد كانت معجزة النبي (صلى الله عليه وآله) عقلية وهي القرآن الكريم ([3]) 0
علماً أنه كان للنبي محمد (صلى الله عليه وآله) معجزات أخرى غير القرآن الكريم،كشق القمر، وتكليم الثعبان،وتسبيح الحصا وكلام الذئب وغيرها ،ولكن القرآن الكريم أعظم هذه المعجزات شأناً ،وأقومها حجة ([4]) ؛ فالمعجزات الأخرى مؤقتة لا يمكن لها البقاء ،فسرعان ما تعود خبراً من الأخبار ينقله السابق للاحق وينفتح فيه باب التشكيك ،أما القرآن فهو باقٍ إلى الأبد ،وإعجازه مستمر مع الأجيال 0

---

[1] - ظ: القرطبي\ الجامع لأحكام القرآن \1\72 0

[2] - ظ: الباقلاني\إعجاز القرآن\5+ الراغب الأصفهاني\مقدمة في التفسير\102- 103 + ابن عطية \المحرر الوجيز\1\73 +البلاغي \آلاء الرحمن \1\4 + الطباطبائي\الميزان \1\80 +الخوئي \البيان \49 0

[3] - ظ: النهاوندي\نفحات الرحمن \1\3 – 4 + الراغب الأصفهاني\مقدمة في التفسير\102

[4] -ظ: الطبري \دلائل الإمامية\10 +ابن عطية \المحرر الوجيز\1\73 +البلاغي \آلاء الرحمن \1\4 + الخوئي \البيان \48 + محمد حسين علي الصغير\ ملامح الإعجاز في القرآن العظيم \بحوث المؤتمر الأول للإعجاز القرآني\549 + التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري (عليه السلام) \181 0

3- التحدي في القرآن الكريم :

لقد كانت عرب الجاهلية الأولى تدرك الجانب البياني من جوانب إعجاز القرآن ،وذلك بحسها البدائي المرهف وذوقها الفطري السليم في سهولة ويسر، إذ كان القرآن نزل بلغتهم وعلى أساليب كلامهم،سوى كونه في مرتبة عليا وعلى درجة أرقى،كانوا يُدركونه فهماً ولا يكاد يبلغونه في مثله أداءً وتعبيراً 0

وقد كان عصر نزول القرآن أزهى عصور البيان العربي،وقد بلغت العرب من العناية بلغتها والإشادة بمبانيها مبلغ الكمال بما لم تبلغه في أي عصر من العصور حتى أنه – كما قلنا – كانت لهم أندية وأسواق يتبارون فيها في صنعة البلاغة والفصاحة0 إلى أن ظهرت فيهم الدعوة ونزل القرآن الكريم فما أن تليت عليهم آيات إلا والأسواق قد تعطلت والأندية قد أنفضّت ،وقد خلت الديار إلا من رنّة صوت القرآن 0

جاء في الكشاف : ((00 أفحم به من طولب بمعارضته من العرب العرباء،وأبكم به من تحدى به من مصاقع الخطباء، فلم يتصد للإتيان بما يوازيه أو يدانيه واحد من فصحائهم ،ولم ينهض لمقدار أقصر سورة منه ناهض من بلغائهم ،على أنهم كانوا أكثر من حصى البطحاء،وأوفر عدداً من رمال الدهناء،ولم ينبض منهم عرق العصبية مع اشتهارهم بالإفراط في المضادة و المضارة،وإلقائهم الشراشر على المعازة والمعارة ،ولقائهم دون المناضلة عن أحسابهم الخطط ،وركوبهم في كل ما يرمونه الشطط،إن أتاهم أحد بمفخرة أتوه بمفاخر،وإن رماهم بمآثره رموه بمآثر،وقد جرد لهم الحجة أولاً والسيف آخراً،فلم يعارضوا إلا السيف وحدُه ،على أن السيف القاضب مخراق لاعب إن لم تمض الحجة حدّة،فما أعرضوا عن معارضة الحجة إلا لعلمهم أن البحر قد زخر فطم على الكواكب ، وإن الشمس قد أشرقت فطمست نور الكواكب)) ([1]) 0

---

[1] - الزمخشري \الكشاف \1\3+ ظ: ألمجلسي \بحار الأنوار \9\105

وبعد هذا أقرّ جميعهم بالعجز ،وأذعنوا له بالتصديق،وشهدوا على أنفسهم بالنقص،إلا من تجاهل منهم وتعامى ،وأستكبر وتعاشى، فحاول تكلف ما قد علم أنه عنه عاجز فأتى بما لا يعجز عنه الضعيف الأخرق والجاهل الأحمق ([1]) 0وقد وصف القرآن هؤلاء بالظلم،قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** ﴾ ([2]) يقال أن هذه الآية نزلت في مسيلمة الكذاب الذي قال : (سأنزل مثلما أنزل الله) 0 وروى حفص بن عمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة: إن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة لأنه عارض القرآن فقال:(والطاحنات طحناً،والعاجنات عجناً، فالخابزات خبزاً،والثاردات ثرداً، واللاقمات لقماً) ([3])والنضر بن الحارث كان من شياطين قريش وكان ممن ينصب العداء للرسول(صلى الله عليه وآله) ([4]) وهو الذي قال لنفر من مشركي مكة – وهم أبو سفيان بن حرب والوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وغيرهم – كانوا معه يستمعون إلى الرسول(صلى الله عليه وآله) وهو يقرأ القرآن عندما سألوه : ماذا يقول محمد (صلى الله عليه وآله) ؟ فأجابهم: إنها أساطير الأولين مثلما كنت أحدثكم عن القرون الماضية0 ([5]) وقد أسر يوم بدر فقتله الرسول (صلى الله عليه وآله) ([6]) ومن أدلة عجز العرب عنه وشهادتهم على أنفسهم بالنقص ما حدث للوليد بن المغيرة حيث يروى أنه جاء إلى النبي(صلى الله عليه وآله) فقرأ عليه – النبي – (صلى الله عليه وآله)القرآن،فكأنه رقّ له،فبلغ ذلك أبا جهل،فأتاه فقال له : يا عم أن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ليعطوكه ،لئلا تأتي محمداً لتعرض لما قاله،فقال الوليد:قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً0 فقال أبو جهل: فقل فيه قولاً يبلغ أنك كاره له 0فقال الوليد: وماذا أقول؟ فو الله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني،ولا برجزه ولا بقصيدة،ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذي نقول شيئاً من هذا، ووالله أن لقوله الذي يقول حلاوة وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله،وإنه ليعلو ولا يعلى عليه،وأنه ليحطم ما تحته0 فقال أبو جهل :لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه،فقال الوليد: فدعني حتى أفكر،ثم قال:هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله و ولده ومواليه 0 فنزل قوله تعالى : ﴿ **إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ** ﴾ ([7]) 0

وقد نُقل هذا الخبر بعدة صيغ ([8]) 0

---

[1] - ظ: الطبري \جامع البيان \1\18 0

[2] - الأنعام : 21 0

[3] ظ: الطبري \جامع البيان \1\18 + النحاس \معاني القرآن \2\458 + النسفي \تفسير النسفي\1\335 +القرطبي\تفسير القرطبي\7\41 0

[4] - ظ: ابن هشام \سيرة ابن هشام \1\320 – 321 0

[5] - ظ: الطبرسي \مجمع البيان \4\286 + ألمجلسي \بحار الأنوار\9\85 0

[6] - السيوطي \ الدر المنثور\3\180 + ألمجلسي \بحار الأنوار\9\97 0

[7] - المدثر : 18 – 24 0

[8] - ظ: الزمخشري \الكشاف \1\158 + القاضي عياض\ الشفاء \1\223 + السيوطي \الإتقان \2\117 + ابن الأثير \البداية والنهاية\ 3\78 +الطبري \جامع البيان \ج 29\ 98 + عبد الكريم الخطيب \إعجاز القرآن في دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية و معاييرها \2\21 – 28 0

وكذلك من الأدلة ما يروى أن أبا جهل قال في ملأ من قريش :قد ألتبس علينا أمر محمد ، فلو ألتمستم لنا رجلاً عالماً بالشعر والكهانة والسحر ،فكلّمه ثم أتانا عن أمره،فقال عتبة: والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر ،وعلمت من ذلك علماً ،وما يخفى علي، فأتاه فأسمعه رسول الله أوائل سورة فصلت ،فلما بلغ قوله تعالى : ﴿ **00صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ000** ﴾ ([1]) أمسك عتبة على فم الرسول(صلى الله عليه وآله)،وناشده الرحم،ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش ،فلما احتبس عنهم قالوا:ما نرى عتبة إلا وقد صبأ ،فانطلقوا إليه وقالوا :يا عتبة ما حبسك عنا إلا أنك قد صبأت ؟فغضب وأقسم لا يكلم محمداً (صلى الله عليه وآله) أبداً،ثم قال: والله لقد كلمته فأجابني بشيء ،والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ،ولما بلغ : ﴿ **00صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ000** ﴾ أمسكت بفيه،وناشدته بالرحم 0 وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب،فخفت أن ينزل بكم العذاب ([2]) 0

ومن الأدلة أيضاً ما ذكره ابن رشيق القيرواني (ت:456هـ) أن قريشاً لما أرادت معارضة القرآن عكف فصحاؤهم – وكانوا قد استعانوا بما يعينهم على جيّد الشعر (الطعام الطيب،والشراب الطيب،وسماع الغناء) وهذا كان مما يرقّ الطبع ويصفّي المزاج - إلى أن بلغوا مجهودهم 0فلما سمعوا قول الله عز وجل : ﴿ **وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ ([3]) يئسوا مما طمعوا فيه،وعلموا أنه ليس بكلام مخلوق ([4]) 0

وفي مجمع البيان : فلما أخذوا فيما أرادوا سمعوا هذه الآية،فقال بعضهم لبعض:هذا كلام لا يشبه شيء من الكلام ولا يشبه كلام المخلوقين،وتركوا ما أخذوه فيه وافترقوا ([5]) 0

أما الزمخشري (ت:538هـ) فبعد أن بيّن معاني ألفاظ الآية،وكون هذه الأمور لا تكون إلا بفعل فاعل قادر،وتكوين مكون قاهر وهو الله عز وجل،قال: ((ولما ذكرنا من المعاني والنكت أستفصح علماء البيان هذه الآية ورقصوا لها رؤوسهم،لا لتجانس الكلمتين،وهما قوله: (إبلعي)و(أقلعي)وذلك وإن كان لا يخلي الكلام من حسن فهو كغير الملتفت إليه بإزاء تلك المحاسن التي هي اللب وما عداها قشور)) ([6]) وقيل أن ابن المقفع الذي كان أفصح أهل عصره عندما سمع هذه الآية قال :لم أبلغ غاية المعرفة بها،ولم أقدر على الإتيان بمثلها ([7]) 0

أما الجرجاني (ت:471هـ) فقد فاد من هذه الآية أن جهة إعجاز القرآن هي ليست بالألفاظ الفصيحة فقط وإنما هذه الفصاحة التي وقعت ضمن نظم مخصوص وهو النظم القرآني فيقول : (وهل تشك إذا فكرت في قوله تعالى – ويذكر الآية – فتجلى لك منها الإعجاز،وبهرك الذي ترى وتسمع،أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة،والفضيلة القاهرة،إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض،وأن لم يعرض لها الحسن

---

[1] - فصلت : 13 0

[2] - ظ: الزمخشري \الكشاف \1\378 + القاضي عياض\ الشفاء \1\233 0

[3] - هود : 44 0

[4] - ظ: ابن رشيق \العمدة\1\211 0

[5] - الطبرسي \مجمع البيان \5\165 0

[6] - الزمخشري \الكشاف \2\376 – 377 0

[7] - ظ: علي بن يونس ألعاملي \الصراط المستقيم \1\43 0

والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية والثالثة بالرابعة؟ وهكذا،إلى أن تستقريها إلى آخرها، وأن الفضل تناتج ما بينها، وحصل من مجموعها) ([1]) 0

ويعود الجرجاني ويذكر أوجه البلاغة والنظم في هذه الآية من عدة نواح :

1- لو قيل لفظة (إبلعي)وأعتبرها وحدها من غير النظر إلى ما قبلَها وما بعدها،فهل تؤدي هذه اللفظة من الفصاحة ما تؤديه وهي في مكانها من الآية 0
2- ومعلوم أن مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض ،ثم أمرت ،وكان النداء ب(يا) دون (أيّ) 0
3- إضافة الماء إلى الكاف دون أن يقال (أبلعي الماء) 0
4- أتباع نداء الأرض وأمرُها بنداء السماء وأمرها كذلك بما يخصها0
5- ثم إذ قيل (وغيض الماء) فجاء الفعل على صيغة (فُعِل)الدالة على أنه لم يغض إلا بأمر أمر ،وقدرة قادر،ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى (وقضي الأمر) 0
6- ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمور وهو (استوت على الجودي) ثم إضمار السفينة قبل الذكر كما هو شرط الفخامة والدلالة على عظم الشأن 0
7- ثم مقابلة (قيل)في الخاتمة ب(قيل) في الفاتحة ([2]) 0

ثم يعود الجرجاني ويؤكد على أهمية النظم والاتساق القرآني بقوله: (أفترى لشيء من هذه الخصائص التي تملؤك بالإعجاز روعة،وتحضرك عند تصورها هيبة تحيط بالنفس من أقطارها تعلقاً باللفظ من حيث هو صوت مسموع،وحروف تتوالى في النطق ؟أم كل ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتساق العجيب؟فقد أتضح إذن اتضاحا لا يدع للشك مجالاً أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجرّدة، ولا من حيث هي كلم مفردة،وأن الألفاظ تثبُت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ) ([3]) 0

وغيرها من الأخبار التي تذكر عجز العرب وإقرارهم بالنقص على أنفسهم ([4]) 0

هذا وقد وضع العطار تحدي القرآن للعرب في صورتين:

الصورة الأولى : موضوع التحدي 0

الصورة الثانية : جهة التحدي ([5]) 0

أما الصورة الأولى فهي تحدي القرآن أن يؤتى بمثله 0

ويعبر عن ذلك الجرجاني (ت:471هـ) بقوله في ذكر تحدي الرسول(صلى الله عليه وآله)للعرب: ((وحجتي أن الله قد أنزل علي كتاباً تعرفون ألفاظه وتفهمون معانيه،إلا أنكم لا تقدرون على أن تأتوا بمثله ولا بعشر سور منه ولا بسورة واحدة ،ولو جهدتم جهدكم وأجتمع معكم الجن والأنس 00ولقد بلغ بهم الغيظ من مقالته حدّاً تركوا معه أحلامهم وخرجوا عن طاعة عقولهم،حتى واجهوه بكل قبيح ولقوه بكل أذىً ومكروه ووقفوا له بكل طريق)) ([6]) ([6])

---

[1] - الجرجاني \دلائل الإعجاز \36 – 37 0

[2] - ظ: م 0 ن \37 0

[3] - الجرجاني \دلائل الإعجاز \37- 38 0

[4] - ظ: عبد الكريم الخطيب \إعجاز القرآن \2\21 – 47 0

[5] - ظ: داود العطار \موجز علوم القرآن \55 0

[6] - الجرجاني\ الشافية (ثلاث رسائل في الإعجاز) \ 120 – 122 0

وفيما يلي نخص بالذكر الآيات القرآنية الدالة على ذلك 0

1- قال تعالى : ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ ([1])

فلقد صرح القرآن في الاحتجاج بإعجازه وتحدي الناس،وأعلن بالحجة وهتف بهم هتافاً مؤكداً بأن يعارضوه لو لم يكن معجزاً ،ويأتوا بمثله ([2]) 0
ولما أفترى المشركون على الرسول(صلى الله عليه وآله) وقالوا بأنه تقوّل هذا القرآن أي اختلقه من تلقاء نفسه ([3])، ردّ عليهم القرآن بأن هؤلاء الكفار لا يصدقون بنبوة محمد (صلى الله عليه وآله) ولا بأن القرآن أنزل من عند الله،ثم قال تعالى على وجه التحدي : ﴿ **فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ** ﴾ يعني مثل القرآن وما يقاربه – ليس المراد مثله في الجنس لأنه يكون حكايته فلا يقع بها التحدي وإنما المماثلة في النظم والرصف والإيجاز ([4]) – إن كانوا صادقين في أنه الرسول (صلى الله عليه وآله) شاعراً أو مجنون أو كاهن لأنه لا يتعذر عليهم مثله ([5]) 0
وقيل المثل الذي وقع التحدي به هو ما كان مثله في أعلا طبقة البلاغة ([6]) من الكلام الذي الذي ليس بشعر0 وأعلا طبقات البلاغة كلام قد جمع خمسة أوجه :

1- تعديل الحروف في المخارج0
2- تعديل الحروف في التجانس0
3- تشاكل المقاطع مما تقتضيه المعاني 0
4- تهذيب البيان بالإيجاز في موضعه و الأطناب في موضعه 0
5- الاستعارة في موضعها والحقيقة في موضعها 0

وأجراء جميع ذلك في الحكم العقلية بالترغيب في ما ينبغي أن يرغب فيه،والترهيب في ما ينبغي أن يرهب منه ،والحجة التي يميز بها الحق من الباطل،والموعظة التي تليق للعمل بالحق([7]) 0
وقيل في معنى(بحديث مثله): إن مثل محمد في فصاحته ليس بمعوز في العرب،وأن قدر محمد (صلى الله عليه وآله)على نظمه كان مثله قادراً عليه فليأتوا بحديث ذلك المثل وهذا الرأي جعل الضمير(الهاء) يعود للرسول(صلى الله عليه وآله)على الإضافة ([1]) 0

---

[1] - الطور : 34 0
[2] - البلاغي \ألاء الرحمن \1\7 0
[3] - ظ: الزمخشري \الكشاف \1\25+الثعالبي\تفسير الثعالبي \9\131 +الو احدي \تفسير الو احدي \2\1036 +السمعاني \تفسير السمعاني \5\ 377 +البغوي \تفسير البغوي \4\241 0
[4] - ظ: ابن عطية \المحرر الوجيز\5\192 0
[5] - ظ: الطبري \جامع البيان \27\44 + الطوسي \التبيان \9\414 + الثعلبي \ تفسير الثعلبي \9\131 + الطبرسي\مجمع البيان \9\280 0
[6] - للبلاغة طرفين،أعلى وأسفل وبينهما مراتب لا تحصى 0والدرجة السفلى هي التي إذا هبط الكلام عنها شيئاً ألتحق بأصوات الحيوانات ،ثم تتزايد درجة درجة متصاعدة حتى تبلغ قمتها وهو حد الإعجاز وهو الطرف الأعلى وما يقرب منه 0 ظ: السكاكي\ مفتاح العلوم\ 196 + الخطابي\ بيان إعجاز القرآن (ثلاث رسائل في الإعجاز) \26 + الباقلاني \إعجاز القرآن \مقدمة المحقق \13
[7] - ظ: الطوسي \التبيان \9\141 + ألمجلسي \بحار الأنوار \9\104 0

ويختار الطبرسي الرأي الأول وهو أن معنى(بحديث مثله) يعني مثل القرآن لقوله تعالى في سورة أخرى : **﴿00 فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ 000﴾** ([2]) وقوله : **﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ000 ﴾ ([3])** ([4]) 0

2-قال تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ000 ﴾ ([5])

أن قوله تعالى **(فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ)** ليس بأمر للمشركين وإلزام وندبة وترغيب ولكنه تحد وتعجيز ([6]) فالمتدبر لقوله تعالى يجد في هذه الآية رد على قول المشركين بأن الرسول(صلى الله عليه وآله) قد أفترى هذا القرآن،وذلك بأنه لو كان هذا القرآن من كلام بشر قد أفتراه لكان بمقدور غيره من البشر،فطلب الله سبحانه وتعالى منهم أن يمتحنوا أنفسهم ويحاولوا افتراء مثله،إلا أنهم وعلى حد تعبير الجرجاني: ((أنهم رازوا أنفسهم)) ([7]) أحسوا بالعجز على أن يأتوا بما يوازيه أو يدانيه،ولذلك فقد علم بطلان دعواهم على النبي (صلى الله عليه وآله)بالافتراء للقرآن 0 ويستعين الجرجاني بهذه الآية لإثبات أن التحدي ليس بأن يعبّروا عن معاني القرآن أنفسها وبأعيانها بلفظ يشبه لفظه ونظم يوازي نظمه0 فهذا تقدير باطل – عل حد قوله – وإنما التحدي هو أن يجيئوا في أي معنىً شاؤوا من المعاني بنظم يبلغ نظم القرآن في الشرف أو يقرب منه وبفصاحته البالغة وبلاغته الخارقة ،فقوله تعالى (بعشر سور مثله) أي مثله في النظم وإنما أطلق لهم بأن يجيؤوا في أي معنىً أرادوا ولم يقيد لهم أو يضيق([8]) 0

وهذا ما ذهب إليه جمع من العلماء ممن تقدموا الجرجاني وتأخروا عنه،ومنهم :

1- الجاحظ (ت: 255هـ) بقوله: (وفي كتابنا المنزل الذي يدل على أنه صدق،نظمه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد) ([9]) 0
2- الطبري (ت:310هـ) بقوله : (ومن أشرف تلك المعاني التي فضل بها كتابنا سائر الكتب قبله نظمه العجيب، ووصفه الغريب، وتأليفه البديع،الذي عجزت عن نظم مثل أصغر سوره الخطباء وكلّت عن وصف شكله البلغاء وتحيرت في تأليفه الشعراء) ([10])

---

[1] - ظ: الزمخشري \الكشاف \4\25 + القمي \تفسير القمي\2\333 +ابن عطية\ المحرر الوجيز \5\192 0

[2] - يونس : 38 0

[3] - الإسراء : 88 0

[4] - ظ: الطبرسي\مجمع البيان \1\126 +الفيض الكاشاني\التفسير الأصفى \2\1216 +التفسير الصافي \7\14 0

[5] - هود : 13 0

[6] - ظ: المفيد \أوائل المقالات \267 +المسائل العكبرية\93 -

[7] - - الجرجاني \دلائل الإعجاز \32 0 ومعناه جربوا أنفسهم ليختبروها 0

[8] - ظ: الجرجاني \الشافية \144 0

[9] - الجاحظ \الحيوان \4\90 0

[10] - الطبري\ جامع البيان \1\65 0

3- الجصاص (ت: 370هـ) بقوله: (فتحداهم بالنظم دون المعنى في هذه الصورة)([1]) الصورة)([1])

4- الرماني(ت:388هـ) بقوله: (وحسن البيان في الكلام على مراتب: فأعلاها مرتبة ما جمع أسباب الحسن في العبارة من تعديل النظم حتى يحسن في السمع ويسهل على اللسان وتتقبله النفس تقبُّلَ البرد،وحتى يأتي على مقدار الحاجة فيما هو حقه من المرتبة) ([2]) 0

5- الخطابي (ت: 388هـ) بقوله: (إنما صار القرآن معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني) ([3]) وقال: (ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه) ([4]) 0

والنظم عنده ليس سهلاً ميسوراً وإنما يحتاج إلى ثقافة ومهارة،قال: (وأما رسوم النظم فالحاجة إلى الثقافة والحذق فيها أكثر لأنها لجام الألفاظ وزمام المعاني وبه تنتظم أجزاء الكلام ،ويلتئم بعضه ببعض فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان)([5]) 0

6- الباقلاني (: 403هـ) بقوله :(فأما شأو نظم القرآن فليس له مثال يُحتذى عليه ولا إمام يقتدى به ،ولا يصح وقوع مثله اتفاقا كما يتفق للشاعر البيت النادر والكلمة الشاردة والمعنى الفذ الغريب والشيء القليل العجيب) ([6]) 0

7- القاضي عبد الجبار(ت: 415هـ) وقد عرض مبتدئاً رأي أستاذه أبي هاشم الجبائي(ت:321هـ) والذي يرى إنما يكون الكلام فصيحاً لجزالة لفظه وحسن معناه،وليس فصاحة الكلام بأن يكون له نظم مخصوص0 فهو بذلك لا يوجد في الكلام إلا اللفظ والمعنى ولا ثالث لهما،ولابد أن تكون الفصاحة راجعة إليهما ([7])0 0([7])

أما رأي القاضي عبد الجبار فيختلف عن رأي أستاذه حيث يرى (أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام ،وإنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة، ولابد مع الضم من أن يكون لكل كلمة صفة،وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التي تتناول الضم ،وقد تكون بالأعراب الذي له مدخل فيه،وقد تكون بالموقع وليس لهذه الأقسام الثلاثة

---

[1] - الجصاص\أحكام القرآن \1\32 0

[2] - الرماني \النكت في إعجاز القرآن\ثلاث رسائل في الإعجاز \107 0

[3] - الخطابي \بيان إعجاز القرآن \ ثلاث رسائل في الإعجاز \ 27 0

[4] - م 0 ن 0

[5] - م 0ن 036 0

[6] - الباقلاني\ إعجاز القرآن \112 0

[7] - ظ: شوقي ضيف \البلاغة تطور وتاريخ \115 0

ويذهب الجبائي إلى أن القرآن قد نقض العادة ليس بذاته وإنما بأن أنزله جبرائيل فصار معجزاً لنزوله على هذا الوجه،ومن قبله لم يكن معجزاً ،وقد خطّاء الباقلاني هذا الرأي لأنه يوجب القول بكون العرب قادرين على مثل القرآن ،وأنه لم يكن يتعذر عليهم فعل مثله وإنما تعذر بإنزاله 0ظ: الباقلاني\إعجاز القرآن\296 0

رابع،لأنه إما أن تعتبر فيه الكلمة،أو حركاتها ، أو موقعها 0 ولابد من هذا الاعتبار في كل كلمة) ([1]) 0

وقد أفاد بعض العلماء من هذه الآية في دلالتها عل جهة إعجاز القرآن وهي البلاغة والفصاحة في هذا النظم المخصوص،لأنه لو كان جهة الإعجاز غير ذلك لما قنع في المعارضة بالافتراء والاختلاق ،وبما أنه للبلاغة طبقات – كما مر ذلك – فأعلاها معجز وأدناها وأوسطها ممكن ،فالتحدي إنما وقع في الطبقة العليا ولو كان وجه الإعجاز الصرفة – كما هو عند بعض العلماء – لكان الركيك من الكلام أبلغ في باب الإعجاز ([2])0

ولقد أختار هذا الرأي الشيخ الطوسي(ت: 460هـ) بعد عرضه للأقوال في جهة إعجاز القرآن بقوله: ((وإذ قد ثبت أن القرآن معجز لم يضرّنا أن لا نعلم من أي جهة كان إعجازه غير أنّا نوميء إلى جملة من الكلام فيه :

كان المرتضى علي بن الحسين الموسوي رحمة الله عليه يختار أن جهة إعجازه الصرفة،وهي :أن الله تعالى سلب العرب العلوم التي كانت تتأتى منهم بها الفصاحة التي هي مثل القرآن متى راموا المعارضة،ولو لم يسلبهم ذلك لكان يتأتى منهم وبذلك قال النظام (ت: 231هـ) وأبو إسحاق النصيبي أخيراً 0

وقال قوم :جهة الإعجاز الفصاحة المفرطة التي خرقت العادة من غير اعتبار النظم، ومنهم من اعتبر النظم والأسلوب مع الفصاحة ،وهو الأقوى 0

وقال قوم :هو معجز لاختصاصه بأسلوب مخصوص ليس في شيء من كلام العرب0

وقال قوم: تأليف القرآن ونظمه مستحيل من العباد،كاستحالة إحداث الأجسام والألوان 0

وقال قوم : كان معجزاً لما فيه من العلم بالغائبات 0

وقال آخرون: كان معجزاً لارتفاع الاختلاف والتناقض فيه ،مع جريان العادة بأنه لا يخلو كلام طويل من ذلك 0

وأقوى الأقوال عندي قول من قال : إنما كان معجزاً خارقاً للعادة لاختصاصه بالفصاحة المفرطة في هذا النظم المخصوص،دون الفصاحة بانفرادها، ودون النظم بانفراده ودون الصرفة)) ([3]) 0

ومن ثم يسوق الدليل على ما قاله واختاره وهو من تحدي بعضهم بعضاً ،والمعتبر عندهم في التحدي هو معارضة الكلام 0بمثله في نظمه ووصفه؛ لأنهم لا يعارضون الخطب بالشعر ولا الشعر بالخطب ،والشعر لا يعارضه أيضاً إلا بما كان يوافقه في الوزن والروي والقافية،فلا يعارضون الطويل بالرجز ولا الرجز بالكامل،ولا السريع بالمتقارب،وإنما يعارضون جميع أوصافه 0

فإذا كان كذلك فقد تثبت أن القرآن جمع الفصاحة المفرطة والنظم الذي ليس في كلام العرب مثله0 فإذا عجزوا عن معارضته فيجب أن يكون الاعتبار بهما ([4]) 0

---

[1] - القاضي عبد الجبار \المغني في أبواب العدل والتوحيد \16\199 0

[2] - ظ: الجرجاني \الشافية(ثلاث رسائل في الإعجاز) \144 + ابن عطية \المحرر الوجيز\1\71 +ألمجلسي \بحار الأنوار \9\104 0

[3] - الطوسي \الاقتصاد في أصول الاعتقاد \170 0

[4] - ظ: الطوسي \الاقتصاد في أصول الاعتقاد \170+ القطب الراوندي\ الخرائج والجرائح\ 3\ 999

ولعل أسبق من ذهب إلى هذا الرأي وتوسع في البحث فيه هو أبو عبيدة معمر بن المثنى(ت:209هـ) ([1])،وقيل محمد بن زيد الواسطي(ت: 306هـ) وقيل أبو سليمان البستي(ت: 388هـ) ، وقد وجد البحث أن الراغب الأصفهاني (ت:502هـ) قد فصل القول في هذا المقام فهو في إثباته أن القرآن معجزة من جهة نظمه بيّن مسبقاً ما هو المعجز هل هو اللفظ أم المعنى أم النظم أم ثلاثتهما فأن كل كلام منظوم مشتمل على هذه الثلاثة 0

ويقول أن الأعجاز في القرآن على وجهين :

أحدهما : إعجاز متعلق بفصاحته 0

الثاني: صرف الناس عن معارضته 0

وأما الإعجاز المتعلق بالفصاحة فليس يتعلق ذلك بعنصراه وهما اللفظ والمعنى؛ لأن الفاظ القرآن هي ألفاظ العرب،قال تعالى : **﴿00 قُرْآنًا عَرَبِيًّا 000﴾** ([2]) ،ولأن كثيراً من معانيه موجود في الكتب القديمة،قال تعالى: **﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ ﴾ ([3])** 0

وما هو معجز فيه من جهة المعنى كالأخبار بالغيب فهذا لا يرجع إلى القرآن بما هو قرآن،بل هو لكونه خبراً بالغيب ،وذلك سواء كونه بهذا النظم أو بغيره،وسواء كان مورداً بالفارسية أو بالعربية أو بلغة أخرى ،أو بإشارة أو بعبارة 0

فإذا بالنظم المخصوص صار القرآن قرآناً،كما أنه بالنظم المخصوص صار الشعر شعراً،والخطبة خطبةً 0

فالنظم صورة القرآن ،واللفظ والمعنى عنصره ،وباختلاف الصور يختلف حكم الشيء وأسمه لا بعنصره ،كالخاتم والقرط والخلخال اختلفت أحكامها وأسماؤها باختلاف صورها لا بعنصرها الذي هو الذهب والفضة 0فأذا ثبت هذا ثبت أن الإعجاز المختص بالقرآن متعلق بالنظم المخصوص 0

ثم يعرج الراغب على تبين نظم الكلام؛ لكي يبين أن نظم القرآن مخالف لنظم سائره من القول ،فيقول أن لتأليف الكلام خمس مراتب:

المرتبة الأولى : النظم :وهو ضم حروف التهجي بعضها إلى بعض،حتى تتركب منها الكلمات الثلاث: الاسم والفعل والحرف 0

---

[1] - البستي : هو أبو سليمان حمد بن محمد إبراهيم الخطابي البستي،إلى بست مدينة في بلاد كابل كانت محل إقامته، وينتهي نسبه إلى زيد بن الخطاب،وهو أديب لغوي ومحدث كبير،له رسالة وجيزة وضفها في بيان إعجاز القرآن 0

والو اسطي : هو محمد بن زيد الو اسطي،أحد المتكلمين على مذهب المعتزلة ،أخذ عن أبي علي الجنائي ومات بعده بأربع سنين 0 له كتاب (الإمامة) وصنف (إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه) 0

وأما أبو عبيدة فهو معمر بن المثنى اللغوي البصري مولى بني تيْم ،تيم قريش،رهط أبي بكر 0 هو أول من صنّف (غريب الحديث) 0 كان عالماً بالنساب والأيام ،له ما يقارب مائتي مصنف منها : (غريب القرآن) و(مجاز القرآن) و(معاني القرآن) و(إعجاز القرآن) وهو من أول الدراسات القرآنية التي ظهر فيها الاتجاه إلى الكشف عن أسرار أسلوب القرآن 0

ظ: ابن النديم\ الفهرست\63+ 259 + أغا بزرك\ الذريعة \2\232+ الداوودي\طبقات المفسرين \398+ 518 0

[2] - يوسف : 2 0

[3] - الشعراء : 196 0

المرتبة الثانية: إن يؤلّف بعض ذلك مع بعض حتى تتركب منها الجمل المفيدة وهي النوع الذي يتداوله الناس جميعاً في مخاطباتهم، وقضاء حوائجهم ،ويقال له :المنثور من الكلام0

المرتبة الثالثة : أن يضم بعض ذلك إلى بعض ضماً له مبادٍ ومقاطع ومداخل ومخارج ،ويقال له : المنظوم 0

المرتبة الرابعة : أن يجعل له في أواخر الكلام مع ذلك تسجيع،ويقال له : المسجّع 0

المرتبة الخامسة: إن يجعل له مع ذلك وزن مخصوص،ويقال له : الشعر ([1]) 0

ومن هذه المراتب الخمس نخرج بنتيجة وهي :إن الكلام إما منثور فقط ،أو مع النثر نظم،أو مع النظم سجع ،أو مع السجع وزن0

ويصنف الراغب الكلام المنظوم إلى: محاورة ويقال له الخطابة،أو مكاتبة ويقال لها الرسالة0 ولكل من ذلك نظم مخصوص 0

والقرآن الكريم حاوٍ لمحاسن جميع أنواع الكلام بنظم ليس هو نظم شيء منها،بدلالة أنه لا يصح أن يقال أن القرآن رسالة،أو خطابة ،أو شعر ،كما يصح أن يقال هو كلام 0

ومن قرع سمعه فصَلَ بينه وبين سائر النظم0 قال تعالى :﴿ **00وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾ ([2]) تنبيهاً أن تأليفه ليس على هيأة نظم يتعاطاه البشر،فيمكن أن يزاد فيه كحال الكتب الأخرى ([3]) 0

وربما يستدرك بعضهم ويقول: لكن للموزون من الكلام مرتبة أعلى من مرتبة المنظوم غير الموزون،حيث كل موزون منظوم وليس كل منظوم موزون،فلم لم يبلغ بنظم القرآن الوزن الذي هو الشعر؟

فالجواب هو : إنما جنّب القرآن نظم الشعر ووزنه لخاصيّة في الشعر منافية للحكمة الإلهية،فأن القرآن هو مقر الصدق ،ومعدن الحق0 ومراد الشعر:تصوير الباطل في صورة الحق،وتجاوز الحد في المدح والذم دون استعمال الحق في تحري الصدق0 حتى إن الشاعر لا يقول الصدق ولا يتحرى الحق إلا بالعرض لأن الشاعر أذا ترك الكذب وألتزم الصدق نزل شعره ولم يكن جيداً ([4]) ولهذا يقال :من كانت قوته الخيالية فيه أكثر كان على قرض الشعر أقدر0 ومن كانت قوّته العاقلة فيه أكثر كان في قرضه أقصر000

ولأجل كون الشعر مقر الكذب ،نزه الله تعالى نبيّه (صلى الله عليه وآله)عنه فقال:﴿ **وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ 000**﴾ ([5]) 0

وأما ما وقع في القرآن من ألفاظ متّزنة فذلك بحسب ما يقع في الكلام على سبيل العرض بالاتفاق([6]) 0

وبذلك يتضح لنا السر في اختيار الله تعالى لكتابه الكريم أسماً مخالفاً لما سمى العرب كلامهم جملة وتفصيلاً؛ لأنه لو سمى القرآن (ديواناً) لكانت سميت السورة (قصيدة)والآية(بيتاً)ونهايات الآيات (قوافي) وبذلك يتحقق أقرار التعبير الجاهلي ويسير

---

[1]- ظ: الراغب الأصفهاني \مقدمة في التفسير \106-107 0

[2] - فصلت : 41 – 42 0

[3] - ظ: الراغب الأصفهاني \مقدمة في التفسير \107 – 108 0

[4] - الرازي \التفسير الكبير \2\115 + ألمجلسي \بحار الأنوار \17\165 0

[5]- يس : 69 0

[6] - ظ: الراغب الأصفهاني \مقدمة في التفسير \107

القرآن في خط الاستعمالات والأعراف الشائعة التي قبله0إلا أن القرآن ينهج في اصطلاحاته نهجاً يتفق مع ما جاء به من فكر وقيم ومفاهيم وأعراف ،ويطلق تسمياته حسب أغراض يريدها تتجاوب مع تصوراته ،وتتفق مع مدا ليله،وقيمه الخاصة ([1]) 0
ويعود الأصفهاني إلى الاختيار الآخر في جهة إعجاز القرآن وهو (الصرفة) – وهي :
((صرف الله العرب عن معارضته - القرآن-على حين أنه لم يتجاوز في بلاغته مستوى طاقتهم البشرية)) ([2]) – حيث يبدو للبحث أنه يؤيد هذه الجهة أيضاً فيقول: ((وذلك أنه ما من صناعة ولا فعلة من الأفعال محمودة كانت أو مذمومة إلا وبينها وبين قوم مناسبات خفية واتفاقات إلهية،بدلالة أن الواحد يؤثر حرفة من الحرف فينشرح صدره بملابستها وتطيعه قواه مزاولتها000 فلما رُئي أهل البلاغة والخطابة الذين يهيمون في كل وادٍ من المعاني بسلاطة أنفسهم ، وقد دعا الله جماعتهم إلى معارضة القرآن،وعجزهم عن الإتيان بمثله،وليس تهتز غرائزهم البتة للتصدي لمعارضته لم يخف على ذي لب أن صارفاً إلهياً يصرفهم عن ذلك0وأي إعجاز أعظم من أن تكون كافة البلغاء مخيرّة في الظاهر أن يعارضوه ،ومجبرة في الباطن عن ذلك)) ([3]) 0
ويقارب الأصفهاني في الرأي الرازي(ت:606هـ) حيث يجد البحث أنه يذهب إلى القول بإعجاز القرآن بالصرفة إضافة إلى الوجوه الأخرى ،حيث يضع عدم كون القرآن بالغاً حد الإعجاز في فصاحته على كفة ميزان مع بلوغه حد الإعجاز فصاحةً،وعلى هذا فالمعارضة للقرآن على هذا التقدير ممكنة مع توفر الدواعي على الإتيان بها0 فعندما لم تكن كان ذلك أمراً خارقاً للعادة معجزاً والرازي بهذا الرأي مضافاً إلى ما سبقه من كون القرآن معجز بفصاحته فهو يذهب إلى أن القرآن معجز من جميع الوجوه حتى الصرفة ، فهو يقول : وهذا الطريق عندنا أقرب إلى الصواب ([4]) 0
وسوف يقوم البحث ببحث الصرفة في مطلب آخر من هذا المبحث 0

استدراك ومناقشة وتقويم :

ولكن عند متابعة البحث لهذا الموضوع عند المتأخرين من العلماء،وجد البحث أن السيد الطباطبائي(ت:1402هـ) يوجه نقداً للرأي القائل بأن جهة إعجاز القرآن هي الفصاحة المفرطة في هذا النظم المخصوص وذلك بقوله: ((وبذلك يظهر فساد ما قيل إن جهة إعجاز القرآن إنما هي البلاغة والفصاحة في هذا النظم المخصوص 000)) ([5])

وسوف يقوم البحث بتلخيص رد السيد الطباطبائي بعدة نقاط:

1- لو كانت جهة الإعجاز في القرآن هي بلاغته فحسب وهي أمر لا يعرفه غير العرب،لم يكن لتشريك غيرهم في التحدي معنى،ولم يرجع قوله تعالى:

---

[1] - ظ: داود العطار \موجز علوم القرآن \40 – 41 0
[2] - الزرقاني \مناهل العرفان \2\414 0
[3] - الراغب الأصفهاني \مقدمة على التفسير\ 106
[4] - ظ: الرازي \التفسير الكبير\2\116 0
[5] - الطباطبائي \الميزان\ج10\163 0

﴿ 00وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ000﴾ ([1]) على ما فيه من العموم – حيث أن بيان هذه الآية هو الاستعانة بدعوة كل من يستطيعون من دون الله من الأوثان التي كانوا يزعمون أنها آلهة، وغيرها من سائر الخلق بحيث لا يبقى أحد ممن يطمع في تأثير إعانته ويرجى نفعه في ذلك ([2]) – وكذلك قوله تعالى: ﴿ **قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴾ ([3]) – حيث فيها من عموم التحدي ما لا يرتاب فيه ذو مسكة، فقد قرع بالآية أسماع الجن والأنس([4]) – إلى معنى محصل ولكان من الواجب أن يقال:(لئن اجتمعت العرب) ،(وادعوا من استطعتم من آلهتكم ومن أهل لغتكم)([5])

2- لو كانت جهة الإعجاز هي البلاغة فقط لم يصح الاحتجاج بمثل قوله تعالى: ﴿ **00وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا** ﴾ ([6]) الظاهر في نفي مطلق الاختلاف،فإن أكثر الاختلافات وهي التي ترجع إلى المعاني لا تضر بلاغة اللفظ([7]) 0

3- إن مما يؤيده الأثر إن سورة يونس قبل سورة هود في ترتيب النزول،وقد قال تعالى في سورة يونس: (فأتوا بسورة مثله) وفي سورة هود: (فأتوا بعشر سور مثله) فلو كانت جهة الأعجاز هي البلاغة لكانت هذه التحديات خارجة عن النظم الطبيعي؛ إذ لا يصح أن يكلف البلغاء من العرب المنكرين بإتيان مثل سورة منه ثم بعده بإتيان عشر سور مفتريات،بل مقتضى الطبع أن يتحدى بتكليفهم بإتيان مثل القرآن أجمع فأن عجزوا فبإتيان عشر سور مثله مفتريات فأن عجزوا فبإتيان سورة مثله 0

4- وكذلك ينقد الطباطبائي الرأي القائل :أن القرآن معجز في جميع ما يتضمنه من المعارف والأخلاق والأحكام والقصص وغيرها وينعت به من الفصاحة والبلاغة وانتفاء الاختلاف ، وإنما يتم ذلك بإتيان أمثال السور الطويلة التي تشتمل على جميع الشؤون المذكورة كسورتي الأعراف والأنعام 0 ويذكر أصحاب هذا الرأي أن من السور الطوال التي اشتملت على جميع الفنون المذكورة التي نزلت قبل سورة هود على ما ورد في الرواية هي تسع سور وهي: الأعراف ،يونس، مريم، طه،الشعراء،النمل،القصص،القمر،وسورة (ص) وعاشرتها سورة هود 0
وهذا الوجه هو في التحدي بأمرهم أن يأتوا عشر سور مثله مفتريات 0

ويتمثل نقد الطباطبائي لهذا الرأي ما يأتي:

---

[1] - هود : 13 0
[2] - ظ: الطباطبائي \الميزان \ 10\162 0
[3] - الإسراء : 88 0
[4] - ظ: الطباطبائي \الميزان \1\59 0
[5] - م0 ن 0163 0
[6] - النساء : 82 0
[7] - ظ: الطباطبائي \الميزان \10\162 0

أ- لا تعويل على الأثر الذي عوّل عليه في ترتيب نزول السور فإنما هو من الآحاد التي لا تخلو عن ضعف ولا ينبغي بناء البحث التفسيري على أمثالها 0

ب- إن رمي الرسول(صلى الله عليه وآله) بالافتراء على الله هو قول تقوّله العرب بالنسبة إلى جميع السور القرآنية طويلتها وقصيرتها من غير أن يخصوا به سوره دون سورة فمن الواجب أن يجابوا بما يحسم مادة الشبهة بالنسبة إلى كل سورة قرآنية،والتحدي بما يفي بذلك،وعجزهم عن إتيان عشر سور مفتريات طويلة تجمع الفنون القرآنية لا يثبت به كون الجميع حتى السور القصار كسورة الكوثر والعصر من عند الله اللهم إلا ببيان آخر يضم إليه،واللفظ خالٍ من ذلك 0

ت- لو أخذ بالرأي السابق وهو تخصيص ألتحدي بعشر سور طويلة جامعة فهو تقييد للفظ الآية(بعشر سور مثله) أن كان الضمير راجعاً إلى القرآن ؛لأنه معناه بعشر سور مثل القرآن عموماً0 فأصحاب هذا الرأي قد قيدوا الآية من غير وجود مقيِّد 0 ويقول الطباطبائي(وهذا تحكم وأشد منه تحكماً القول بأن المراد بالمثل مثل السور العشر التي عدها0 وإن كان الضمير راجعاً إلى سورة هود كان مستبشعاً من القول) ([1]) ويمثل لهذا بأن يقال : إن سورة الكوثر والمعوذتين من الافتراء على الله ، أئت بعشر سور مفتريات مثل سورة هود ويقتصر على ذلك 0

ويقول الطباطبائي : (أللهم إلا أن يهذروا بأن سورة هود وحدها من الافتراء على الله تعالى فيتحدى عندئذ بأن يأتوا بمثلها،ولم نسمع أحداً منهم تفوه بذلك) ([2]) 0

5- ثم يوجه الطباطبائي الاختلاف الذي يلوح من آيات التحدي توجيهاً بليغاً،فقوله تعالى (فأتوا بسورة مثله) ظاهر في التحدي بسورة واحدة،وقوله: (فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) ظاهر في التحدي بعدد خاص فوق الواحد ،وقوله (فليأتوا بحديث مثله) ظاهر في التحدي بحديث يماثل القرآن وإن كان دون السورة ،فأن كل واحدة من هذه الآيات تؤم غرضاً خاصاً في التحدي 0

ويبين الطباطبائي ذلك:

إن جهات القرآن وشؤونه التي تتقوم به حقيقته وهو كتاب ألهي مضافاً إلى ما في لفظه من الفصاحة وفي نظمه من البلاغة إنما ترجع إلى معانيه ومقاصده،ويعرج الطباطبائي على قوله:بأنه لا يقصد من المعنى ما يقصده علماء البلاغة في أن البلاغة من صفات المعنى والألفاظ مطروحة في الطريق يعنون به المفاهيم من جهة ترتبها الطبعي في الذهن،فأن الذي يعنون به من المعنى موجود في الكذب الصريح من الكلام والهزل والفحش000 إذا جرت على أسلوب البلاغة،ويوجد في الكلام الموروث من البلغاء نظماً ونثراً شيء كثير من هذه الأمور وإنما المراد من معنى القرآن ومقصده ما يصفه تعالى بأنه كتاب حكيم،ونور مبين000 وكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه00 وأنه تبيان لكل شيء ولا يمسه إلا المطهرون،فمن البين أن هذه كلها صفات لمعنى القرآن،وليست صفات لما يقصده علماء البلاغة بالمعنى البليغ الذي ربما يشتمل عليه الباطل من الكلام الذي يسميه القرآن الكريم لغواً من القول،وإنما المعنى المتصف بتلك الصفات هو شيء من المقاصد الإلهية التي تجري على الحق الذي لا يخالطه باطل،وتقع

---

[1] - الطباطبائي \الميزان \10\166

[2] - م0 ن 0

في صراط الهداية والكلام المشتمل على معنى هذا نعته وغرض هذا شأنه هو الذي تتعلق به العناية الإلهية بتنزيله وجعله رحمة للمؤمنين وذكراً للعالمين 0 وهذا هو الذي يصح أن يتحدى به بمثل قوله: (فليأتوا بحديث مثله) فلا يسمى الكلام حديثاً إلا أذا أشتمل على غرض هام يتحدث به فينقل من ضمير إلى ضمير0

ويقول الباقلاني:أن الحديث التام لا تتحصل حكايته في أقل من كلمات سورة قصيرة([1]) وكذلك قوله تعالى(فأتوا بسورة مثله) فأن الله لا يسمي مجموعة من آيات كتابه وإن كانت ذات عدد (سورة) إلا أذا اشتملت على غرض إلهي تتميز بها من غيرها 0ولولا ذلك لم يتم التحدي بالآيات القرآنية وكان للخصم أن يختار من مفردات الآيات عدداً ذا كثرة كقوله تعالى: (الضحى)(والعصر)(والطور)000(كلا والقمر)00 إلى غير ذلك من مفردات الآيات ثم يقابل كل منها بما يناظرها من الكلام العربي من غير أن يتضمن ارتباط بعضها ببعض واشتمالها على غرض يجمعها ويخرجها في صورة الوحدة0 فالذي كلف به الخصم في هذه التحديات هو أن يأتي بكلام يماثل القرآن مضافاً إلى بلاغة لفظه في بيان بعض المقاصد الإلهية المشتملة على أغراض منعوتة بالنعوت التي ذكرها الله سبحانه ([2])

6- إن الكلام الإلهي يختلف بحسب ما يظهر من خاصته ،فمجموع القرآن الكريم يختص بأنه كتاب فيه ما يحتاج إليه نوع الإنسان إلى يوم القيامة من معارف أصيلة وأخلاق كريمة وأحكام فرعية0والسورة من القرآن تختص ببيان جامع لغرض من الأغراض الإلهية0 وهذه الخاصة غير الخاصة التي يختص بها مجموع القرآن الكريم 0

والعدة من السور كالعشر والعشرين منها تختص بخاصة أخرى وهي بيان فنون من المقاصد والأغراض والتنوع فيها وهي أبعد من احتمال الاتفاق 0

ويقول الطباطبائي : إن الخصم إذا عجز عن الإتيان بسورة واحدة كان من الممكن أن يختلج في باله أن عجزه عن الإتيان بها إنما يدل على عجز الناس عن الإتيان بمثله،لا على كونها نازلة من عند الله موحاة بعلمه0 لأنه من الجائز أن يكون كسائر الصفات والأعمال الإنسانية التي من الممكن في كل منها أن يتفرد به فرد من بين أفراد النوع اتفاقا لتصادق أسباب موجبة لذلك،كفرد من الإنسان موصوف بأنه أطول الأفراد أو أشجعهم 000 ألخ 0

ويعبر الطباطبائي عن هذه الصورة بأنها كلام بليغ مشتمل على معانٍ حقه ذات صفات كريمة خالية عن مادة الكذب على الرغم من أنه مدفوع عن السورة الواحدة من القرآن التي يقصدها الخصم بالمعارضة ([3]) 0

ولكن ما هذا شأنه لا يقع عن مجرد الاتفاق والصدفة من غير أن يكون مقصوداً في نفسه ذا غرض يتعلق به الإرادة 0

---

[1] - ظ: الباقلاني \إعجاز القرآن\ 254 0

[2] - ظ: الطباطبائي \الميزان \ج10\166 – 167 0

[3] - ظ: الطباطبائي \الميزان \10\168 0

وهذا الاحتمال في الإتقان والصدفة يكون أبعد في السور المتعددة؛لأن إتيان السورة بعد السورة،وبيان الغرض بعد الغرض،والكشف عن خبيء بعد خبيء لا يدع مجالاً لاحتمال الاتفاق والصدفة وهو ظاهر ([1]) 0

وبناءً على هذه الفرضية يؤسس الطباطبائي لما يأتي:

أ- من الجائز أن يكون التحدي بمثل قوله تعالى: ﴿ **قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴾ وارداً مورد التحدي بجميع القرآن لما جمع فيه من الأغراض الإلهية ويختص بأنه جامع لعامة ما يحتاج إليه الناس إلى يوم القيامة 0

ب- ويكون التحدي في قوله : ﴿ **00قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ000** ﴾ لما فيها من الخاصة الظاهرة وهي أن فيها بيان غرض تام جامع من أغراض الهدى الإلهي بياناً فصلا من غير هزل 0

ت-وفي قوله تعالى : ﴿ **00قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ000** ﴾ تحدياً لما في ذلك من التفنن في البيان والتنوع في الأغراض من جهة الكثرة،والعشرة من ألفاظ الكثرة كالمائة والألف 0

ث-وفي قوله تعالى: ﴿ **00فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ000**﴾ تحدٍ بما يعم التحديات السابقة؛ لأن الحديث يعم السورة والعشر سور والقرآن كله،فهو تحدٍ بمطلق الخاصة القرآنية ،وهو ظاهر ([2]) 0

7- إن قوله تعالى : ﴿**00فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ000** ﴾ هي الآية الوحيدة من بين آيات التحدي وقع بها توصيف ما يأتي به الخصم بالافتراء،فلم يقل (فأتوا بسورة مثله مفتراة) وكذا في غيرها0 ويوعز الطباطبائي العلة في ذلك إلى نوع العناية في الآية المبحوث عنها غير نوع العناية في سائر آيات التحدي 0

فالعناية في سائر الآيات متعلقة بأنهم لا يقدرون على الإتيان بمثل القرآن أو بمثل السورة لما أنه القرآن مشتمل على جهات لا تتعلق بها قدرة الإنسان ولا يظهر عليها غيره تعالى وقد أطلق القول فيها أطلاقاً0

وأما هذه الآية فلما عقبت بقوله تعالى: ﴿ **فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ 000**﴾ دلّ ذلك على أن التحدي فيها إنما هو بكون القرآن متضمناً لما يختص علمه بالله تعالى ولا سبيل لغيره إليه،وهذا أمر لا يقبل الافتراء بذاته فكأنه قيل :إن هذا القرآن لا يقبل بذاته افتراء فإنه متضمن لأمور من العلم الإلهي الذي لا سبيل لغيره تعالى إليه،وأن شككتم في ذلك فأتوا بعشر سور مثله مفتريات تدعون أنها افتراء،واستعينوا بمن استطعتم من دون الله فإن لم تقدروا عليه فأعلموا أنه من العلم المخصوص به تعالى ([3]) 0

8- ويعرج الطباطبائي على معنى التحدي بالمثل : (بمثل هذا القرآن)،(بحديث مثله)،(بسورة مثله)،(بعشر سور مثله)، ويقول أن الوجه الظاهر في ذلك أن الكلام

---

[1] م 0 ن 0

[2] - الطباطبائي \الميزان \10\ 168 – 169 0

[3] - الطباطبائي \الميزان \10\169 0

لما كان آية معجزة فلو أتى إنسان بما يماثله لكفى في أبطال كونه آية معجزة ولم يحتج إلى الإتيان بما يترجع عليه في صفاته ويفضل عليه في خواصه 0

ثم يستعرض الطباطبائي ما قد يورد على هذا القول بما يأتي :

إن عدم قدرة غيره(صلى الله عليه وآله) على ذلك لا يدل على كونه معجزة غير مستندة إلى النبي(صلى الله عليه وآله)؛لأن صفات الكمال التي توجد في النوع الإنساني كالبلاغة 000وغيرها لها مراتب متفاوتة مختلفة يفضل بعضها على بعض ،وكل صفة من هذه الصفات يوجد بين الأفراد الموصوفين بها من هو حامل للدرجة العليا والغاية القصوى منها0 فلما لا يجوز أن يكون النبي(صلى الله عليه وآله) يمتلك هذه الدرجة العليا في صفة البلاغة والفصاحة بحيث يكون القرآن من كلامه الذي لا يسع لأحد أن يعارضه فيه؟ فلا يكون عجز غيره عن الإتيان بمثله دليلاً على كونه كلاماً ألهياً غير بشري([1]) 0

ويرد الطباطبائي على ذلك :

إن الصفات الإنسانية التي يقع فيها التفاضل وإن كانت على ما ذكر لكنها أياً ما كانت فهي مما تسمح بها الطبيعة الإنسانية بما أودع الله تعالى فيها من الاستعداد من غير أن تنشأ عن أتفاق ومن غير سبب يُمكِن الفرد الموصوف من الاتصاف بها 0

ولو فُرض أن فرد من الناس أختص بصفة فاضلة لا يعدله غيره ،فكان لذلك الغير أن يتمرن ويتدرب ويسلك سبيل ذلك الأفضل في ما يأتي به من الأعمال فيأتي بما يماثل بعض ما يختص به من الكمال ويقلده في نبذة من أعماله وإن لم يقدر على أن يزاحمه في الجميع،ويبقى للفرد النابغ مقام الأصالة والسبقة والتقدم 0

ولو فرض أن النبي محمد(صلى الله عليه وآله) كان أبلغ إنسان وأن القرآن الكريم من كلامه،كان من الجائز أن يهتم غيره ويتمرن ويتدرب على سلوك ما أبدعه النبي(صلى الله عليه وآله)في كلامه من النظم البديع فيقدر على تقليده في شيء من الكلام وإتيان شيء من القول بسورة مثله وأن لم يقدر على تقليد القرآن كله والإتيان بجميعه 0

ولم يقل فيما تحدى به: فليأتوا بحديث أبلغ منه (القرآن) أو أحسن حتى يقال : إن القرآن أبلغ كلام بشري أو أحسنه فليس هناك ما هو أبلغ أو أحسن منه حتى يأتي به آتٍ ،فلا يدل عدم القدرة على الإتيان بذلك على كونه كلاماً لغير البشر،بل قال : (فليأتوا بحديث مثله) ،(قل فأتوا بسورة مثله) 0

ويقول الطباطبائي: (وهكذا وفي وسع البشر الإتيان بمثل كلام غيره من البشر وإن فرض كون ذلك الغير ذا موقف من الكلام لا يعارضه غيره على ما بيناه،فالشبهة مندفعة بقوله تعالى (مثله))([2]) 0

مناقشة واستنتاج

---

[1] - الطباطبائي \الميزان \10\170 0

[2] - الطباطبائي \الميزان \10\170 0

بعد استعراض البحث لأقوال المتقدمين في جهة إعجاز القرآن والاستدراك عليه بقول السيد الطباطبائي،سوف يقوم البحث بالموازنة بين القولين عن طريق المناقشة والتقويم والتوصل إلى الرأي الراجح حسب ما يجده البحث أن شاء الله 0

1- من البديهيات التي لا غبار عليها أن القرآن الكريم نزل لكل مكان وزمان ، فهو تحدٍ للبشرية جمعاء في شتى العصور،فهو المعجزة الخالدة الباقية على مدى الدهور0

وقد اقتضت مشيئة الباري ووفق الحكمة الإلهية أن يكون التحدي للبشر وفق الصنعة السائدة في العصر،فكانت عصا موسى وإحياء عيس للموتى0إلا أن هذه المعجزات غير أبدية فهي منتهية بانتهاء وقتها 0

وأما القرآن فكان المعجزة الأبدية السرمدية كما قلنا ، فإذاً هو متعدد الوجوه في الإعجاز لكي يناسب كل عصر ومكان بحسب ما هم متقنين فيه من الفنون0 وبذلك يكون تحديه في عصر النزول وخصوصاً في بداية نزوله بالبلاغة والفصاحة كون الفن والصنعة السائدة آنذاك هي كذلك 0

ولكن كان من الممكن لأولئك البلغاء أن يأتوا بمثله أو ببعضه لو كان على هذا الحال وهو البلاغة فقط،وإنما كان التحدي بالبلاغة والفصاحة المفرطة وفق هذا النظم المخصوص الذي عليه القرآن 0

وما مر زمان ولا تجدد مكان وقد اشتهر علماؤه بفن من الفنون وحاولوا برميه على القرآن إلا وقد وجدوا القرآن لهم بالمرصاد،حتى جاء العصر الجديد والذي أمتاز في التفنن في المجالات العلمية وأسرار الكون والخليفة وما توصلوا إليه في مجال الاكتشافات والبحوث العلمية فوجدوا القرآن قد سبقهم بذلك منذ مئات السنين 0

2- إن المتقدمين من العلماء لم يلغوا الجهات الأخرى من وجوه الإعجاز والدليل على ذلك هو ذكرهم لها ولكن في مواضعها من تفاسيرهم،وإنما جاء تركيزهم على أهم وجه من تلك الوجوه ألا وهو البلاغة وفق النظم المخصوص والذي كان به التحدي والدليل على ذلك أن الشيخ الطوسي لم يضع تلك الوجوه شاملةً ضمن تعداده لأوجه التحدي0

3- في أحد موارد الطباطبائي قال : إن كانت جهة التحدي هي البلاغة وفق النظم المخصوص،لكان قوله تعالى (قل لئن اجتمعت العرب00) أي يكون النداء فقط للعرب كونهم هم أهل الصنعة وإنما جاء التحدي عموماً، فيقول البحث – والله العالم – إن موسى (عليه السلام)لم يرسل لليهود فقط ولا عيسى (عليه السلام) وكانت جهة الإعجاز مخصوصة بما أشتهر به أهل زمانهم 0فلو كان المرأى كذلك لأختص الأنبياء والرسل كلٌ بقومه فقط وذلك بحسب صنعتهم ولا يعني أن الخطاب عندما يكون موجهاً إلى العرب فهو لا يشمل غير العرب؛وإنما أذا كان القرآن قد أعجز العرب ،فغير العرب أشد عجزاً لأمرين :

الأول: أن العرب هم أهل اللسان وأهل الصنعة،وقد عجزوا عن مجاراة القرآن،فغير أهل اللسان عاجزون من باب أولى0

والثاني :إن اللغة العربية ليست لغزاً من الألغاز، وهي قابلة للتعلم،وقد نبغ فيها كثير من مسلمي غير العرب،وأتقنها جملة من المستعربين والمستشرقين حتى ترجموا القرآن إلى لغاتهم وقدموا أفضل الدراسات القرآنية ،وإنما يتحدى الإعجاز القرآني من كل أمة

علماءها،وعلماء الأمم يتمكنون من العربية فتوجه إليه التحدي وعجزوا عن ذلك في كل زمان ومكان ([1]) 0

4-ومن الإشكالات التي أورها الطباطبائي كذلك هي ترتيب سور التحدي ([2]) ،والإشكال الوارد صحيح،إلا أن ترتيب السور لا يستلزم ترتيب الآيات في السور،فكم من آية مكية تخللت سور مدنية والعكس كذلك0فمن الجائز حينئذ أن تكون آية التحدي بتمام القرآن نازلة قبل غيرها مطلقاً،ثم تكون آية التحدي بعشر مفتريات نازلة بعدها ،وآية التحدي بسورة واحدة نازلة بعد الجميع0

وثمة شيء آخر وهو : إن الطباطبائي أعتمد في هذا الإشكال على الأثر الوارد في ترتيب نزول السور ([3]) ،ويقول أنه يصح الرأي السابق لو كان ترتيب الآيات على ما وصفوه وهو التحدي بالكل قبل التحدي بالجزء0 ويقول إذا لم يصح هذا الترتيب فالإشكال باقٍ على حاله 0

يعود البحث إلى موضع آخر وهو: الرأي الذي أورده الطباطبائي للفريق الذي قال بنزول السور القرآنية الطويلة المشتملة على جميع المعارف والأخلاق والأحكام 000قبل سورة هود وهي تسع وعاشرتها سورة هود،وقد أعتمد أصحاب هذا الرأي على الأثر الوارد أيضاً في ترتيب نزول السور0 وقد تنبه البحث إلى أن السيد الطباطبائي في رده على هذا الرأي لا يعول على الأثر الوارد الذي عول عليه في ترتيب نزول السور وقال : ((إنما هو من الآحاد التي لا تخلو عن ضعف ولا ينبغي بناء البحث التفسيري على أمثالها)) ([4])،كيف وقد عوّل عليه بنفسه في الإشكال السابق الذي أورده بخصوص ترتيب السور المشتملة على آيات التحدي وذلك بأن سورة يونس نزلت قبل سورة هود 0فأذاً هو مرة يعول على الأثر ومرة ينفي التعويل على الأثر نفسه0

5-إن المتقدمين عندما قالوا بجهة التحدي في القرآن هي البلاغة وفق النظم المخصوص إنما أرادوا به جهة النظم دون المعنى وحده ولا اللفظ وحدهُ ؛ لأن بعض من أراد المعارضة حاول استخدام نفس معنى القرآن بلفظ يشبه اللفظ ونظم يوازيه ،فكان هذا رداً عليهم 0

6-نحن نعلم أن وجوه إعجاز القرآن متعددة - وهذا ما لا ينكره ذو فهم- كالمعارف والأحكام التشريعية والمغيبات وأخبار الماضين وقصص الأولين وغيرها،ولكن لو كان القرآن الكريم قد أتى بكل هذه الوجوه من دون البلاغة والفصاحة وفق هذا النظم المخصوص أكان يكون معجزاً بما هو قرآن أم يصبح فقط كتاب تشريع وقانون وأخبار كالكتب الأخرى؟

إذاً فالسر ألإعجازي للقرآن هو إحكامه لهذه الأمور لكن وفق كلام فصيح بليغ بأسلوب منظم بشكل مخصوص0 وهذا ما أشار إليه الراغب الأصفهاني([5]) ولذلك أنت تفرق أحياناً

---

[1] - محمد حسين علي الصغير \ملامح الإعجاز في القرآن العظيم\ بحوث المؤتمر الأول للإعجاز القرآني\ 551 – 552 0

[2] - ظ: نقطة رقم (3) من ملخص السيد الطباطبائي في جهة التحدي في هذا المطلب 0

[3] - ظ: الطباطبائي \الميزان \10 \163 – 164 0

[4] - ظ: الطباطبائي \الميزان \10 \163 – 164 0

[5] - ظ: الراغب الأصفهاني \مقدمة في التفسير \106 0

بين شعر وآخر وخطبة وأخرى وتميّز أحدهما على الآخر بالجودة والإتقان علماً أنهما يدوران حول المعنى نفسه أو الخبر ذاته وبألفاظ متشابهة 0

7-لقد وجد البحث أن المتقدمين من العلماء إنما وضعوا جهة التحدي في القرآن هي البلاغة وفق النظم المخصوص بالمقابل على من قال أن جهة التحدي هي الصرفة،أي أن القرآن قد تحداهم في جميع الوجوه ،إلا أن جهة التحدي الأكبر هي البلاغة وليست الصرفة0 وذلك لأن أصحاب هذا الرأي – الصرفة – قالوا بأنه كان من الممكن الإتيان بمثل هذه البلاغة والفصاحة من قبل العرب إلا إن الله تعالى قد صرفهم عن ذلك 0

8-هناك بعض الباحثين اتجهوا بالقول إلى أن جهة إعجاز القرآن هي المضمون ولكن ليس دون غيره من وجوه الإعجاز الأخرى لا سيما النظم 0

ولكن معنى المضمون والنظم عندهم هو (المعنى واللفظ) ،أما لفظه فإعجازه موجه إلى العرب أهل البلاغة، وأما مضمونه فلعموم البشر من عرب وغيرهم وبمختلف العصور أو كما قالوا : معجز بمعانيه المؤتلفة مع ألفاظه المؤاخية لها وكأن الألفاظ قطعت لها وسويت على حجمها ([1])

يقول البحث: ربما وقع هؤلاء الباحثون بالاشتباه 00 حيث أنهم فهموا المتقدمين من العلماء خطأ ؛لأن المتقدمين لم يهملوا جانب المضمون والذي عبر عنه هؤلاء ب(المعنى) وإنما قالوا إن الإعجاز ليس باللفظ ولا بالمعنى فقط،وإنما هو بالفصاحة والبلاغة المفرطة التي تعبر عن المعنى المطلوب(المضمون)وفق نظم وأسلوب خاص 0

يقول الخطابي(ت: 388هـ) : (وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة:لفظ حامل ،ومعنى به قائم،ورباط لهما ناظم 00 وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق في أنواع الكلام،فأما أن توجد مجموعة في نوع واحد منه فلم توجد إلا في كلام العليم القدير،الذي أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً0فتفهم الآن وأعلم أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظم التأليف مضمناً أصح المعاني 00) ([2]) ، وليس النظم هو اللفظ كما تبيّن من رأيهم ،وإنما هو: (تعليق الكلم بعضها ببعض،وجعل بعضها بسبب من بعض) ([3]) كما في حبات اللؤلؤ المنتظمة في سلك ،وهو مأخوذ عن المعنى اللغوي له،وهو ضم شيء إلى شيء آخر ([4]) 0

فالإعجاز ليس في الاستعارة ولا غريب الحركات والسكنات ،ولا في المقاطع والفواصل، ولا في غريب القرآن، وإنما هو النظم،وليس النظم في ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء وأتفق ،لكنه تناسق دلالات الألفاظ وتلاقي معانيها على الوجه الذي يقتضيه العقل0 فإدراك العلاقات بين الألفاظ ونظمها نظماً معيناً يؤدي إلى معنىً معين بحيث لو تغير النظم لتغير المعنى ،ولا فصاحة في اللفظ إلا وهي موصولة بغيرها ومعلقة معناها بمعنى ما يليها([5])

---

[1] - ظ: محمد أبو زهرة \المعجزة الكبرى \ص67 +حسن منديل العكيلي\ نظرات في إعجاز القرآن \مجلة مآب \34 0

[2] - الخطابي \بيان إعجاز القرآن \27 0

[3] - الجرجاني \دلائل الإعجاز \أول صفحة من مقدمة المؤلف ،بدون ترقيم 0

[4] - ظ: ألجواهري \الصحاح \5\ 2041 + ابن منظور \السان العرب \12 \578 0

[5] - ظ: الجرجاني \دلائل الإعجاز \41

الرأي الراجح :

أستطاع البحث بعد هذه الجولة المطوّلة من عرض الآراء والأقوال في المسألة ومناقشتها مناقشة علمية موضوعية بحته أن يتوصل إلى الرأي الراجح فيها وهو :

أ- من البديهيات التي لا جدال فيها تعدد وجوه الإعجاز القرآني من الناحية التشريعية والأخلاقية والتاريخية والمغيبات والمواعظ والحكم والنظريات العلمية000 ألخ 0
إلا أن القرآن قد تحدى بادئ ذي بدء العرب من جهة إعجازه البلاغي على وفق هذا النظم المخصوص،وقد جاء هذا التحدي كدليل على احتجاج الله سبحانه وتعالى لنبوة محمد (صلى الله عليه وآله) بعد أن اتهموه بالكذب والافتراء على الله وأن هذا الكلام الذي أتى به ليس كلاماً ألهياً وإنما بشرياً 0

ب- من أولويات التحدي أن يكون المتحدى به أمر عام موجود في كل سورة من سور القرآن ،لأن الله سبحانه قد جعل في صفة كل سورة أن تكون معجزة بنفسها،لا يقدر أحد من الخلق أن يأتي بمثلها فقال : ((فأتوا بسورة من مثله)) من غير تعيين وبذلك فأن وجوه الإعجاز الأخرى كالأخبار بالمغيبات أو الأخلاق والمواعظ 000 هي ليست بالأمر العام الموجود في كل سورة أما البلاغة المفرطة وفق النظم المخصوص فهي عامة في كل سورة من سور القرآن ([1]) 0

3- قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ ([2])

في هذه الآية الكريمة نجد أن التحدي قد بلغ مبلغاً،فبعد أن عجزوا عن الإتيان بمثل القرآن ولا بعشر سور مفتريات،عاودَ التحدي لهم بالإتيان ولو بسورة واحدة من مثله 0
كما في الآيات السابقات فقد استفاد المفسرون من هذه الآية في دحض الرأي القائل بأن القرآن مساوياً لكلام سائر الفصحاء،أو زائداً عليه بما لا ينقض العادة ([3]) 0
فلو كان كذلك فما منعهم من أن يعارضوه ولو بسورة 0
والقرآن الكريم عندما تحداهم بأن يأتوا بسورة من مثله لم يخصص ،وإنما كان التحدي إلى السور كلها،ولم يأتوا لشيء منها بمثل،فعلم أن جميع سور القرآن الكريم قد بلغت مبلغ الإعجاز الناقض للعادة ([4]) 0
ويستند الباقلاني على هذه الآية في تفسير قوله تعالى : ﴿ **فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ** ﴾ ([1]) لأن الحديث التام لا تتحصل حكايته في أقل من كلمات سورة قصيرة ([2])0
0([2])

---

[1] - ظ: الخطابي \بيان إعجاز القرآن \23 – 24 + مير محمدي زرندي \بحوث في تاريخ القرآن وعلومه \214 0

[2] - البقرة : 23 – 24 0

[3] - ظ: ألمجلسي \بحار الأنوار \17\165 0

[4] -ظ: الباقلاني \إعجاز القرآن \ص254 +الطباطبائي \الميزان \1\58 0

وأيضاً يستفاد من هذه الآية كما في سابقتها في الاحتجاج لنبوة محمد (صلى الله عليه وآله) وكون الوحي وحيٌ ألهي وليس وحي نفسي لمحمد (صلى الله عليه وآله) 0لأنه لو كان العرب في شك من صدق هذا الكتاب الذي أنزل على النبي محمد(صلى الله عليه وآله)وقولهم لا ندري هل هو من عند الله أم لا فليأتوا بسورة من مثل هذا القرآن ([3])

كما واستفاد الشيخ الطوسي من هذه الآية في الاستدلال على جواز الاحتجاج العقلي 0

وذلك أن الله سبحانه وتعالى قد أحتج في هذه الآية على الكافرين بما ذكره في هذه الآية وألزمهم به، وهو تصديق النبي(صلى الله عليه وآله) والمعرفة بأن القرآن كلام الله؛ لأنه قال :إن كان هذا القرآن كلام محمد فأتوا بسورة من مثله0 فقد دلهم بعقولهم أنه لو كان كلام محمد لتهيأ لهم مثل ذلك لأنهم الذين يؤخذ عنهم اللغة،وإذا كان لم يتهيأ لهم ذلك علموا بعقولهم أنه من كلام الله وهذا هو معنى الاحتجاج بالعقول([4])0

وقد سبقه الطبري إلى هذا بقوله : (وهذا من الله عز وجل احتجاج لنبيه محمد (صلى الله عليه وآله) على مشركي قومه من العرب ومنافقيهم وكفار أهل الكتاب 00) ([5]) 0

وقد أختلف في الضمير الهاء هل يعود إلى القرآن أم إلى النبي محمد (صلى الله عليه وآله) ؟

فقد ذهب أغلب المفسرين إلى أن الضمير الهاء يعود إلى القرآن الكريم ،حيث يعني قوله تعالى : فليأتوا بسورة من مثل القرآن من التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم والكتب الأربعة عشر ،فأنهم لا يجدون في سائر كتب الله سورة كسورة من هذا القرآن،فكيف يكون كلام النبي محمد(صلى الله عليه وآله)المتقوّل أفضل من سائر كلام الله وكتبه ([6])

وذهب بعض المفسرين إلى أن الهاء تعود إلى (عبدنا) أي إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) ويعني :فأتوا بسورة من بشر أمي مثله،لا يحسن الخط والكتابة،ولا يدري الكتب0 ولا أختلف إلى عالم ولا تعلم من أحد،وأنتم تعرفونه في أسفاره وحضره فأن كنتم في شك من هذه الآيات فأتوا من مثل هذا الكلام ليبين أنه كاذب كما تزعمون،لأن ما كان من عند غير الله فسيوجد له نظير في سائر خلق الله ([7]) 0

والرأي الصحيح هو الرأي الأول كما أختاره الطبري والطوسي الطبرسي واستدلا بآيات أخر على ذلك منها قوله تعالى : ((بسورة مثله)) فمعلوم أن السورة ليست لمحمدٍ(صلى الله عليه وآله) بنظير ولا شبيه ([8]) 0

أما قوله تعالى : ﴿ **00وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ000** ﴾ ،قال ابن عباس : أراد أعوانكم وأنصاركم الذين يظاهرونكم على تكذيبكم 00أي من اتخذتموهم معاونين من غير الله0 وقال الفراء: أراد وادعوا آلهتكم وهذا ما ذهب إليه القمي بقوله :

---

[1] - الطور : 34 0

[2] - ظ: الباقلاني \إعجاز القرآن \254

[3] - الطوسي \التبيان \1\103 + ظ: الطبرسي \مجمع البيان \1\126 0

[4] - ظ: الطوسي \التبيان \1\107 0

[5] - الطبري \جامع البيان \1\239 0

[6] - ظ: ألمجلسي \بحار الأنوار \9 \176 0

[7] - ظ: التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري \153 +الطبرسي \مجمع البيان \1\126 + ألمجلسي \بحار الأنوار \9\175 0

[8] - الطبري \جامع البيان \1\240 +ظ: الطوسي \التبيان \1\103 + الطبرسي \مجمع البيان \1\126 0

((يعني الذين عبدوهم وأطاعوهم)) ([1]) وغيره 0 وقال مجاهد وابن جريح :أراد قوماً يشهدون لكم بذلك ممن يقبل قولهم 0وقول ابن عباس أقوى ([2]) 0
وسبب ذلك الترجيح لأنه بمعنى :استنصروا أعوانكم على أن يأتوا بمثله لأن الدعاء (فادعوا شهدائكم) بمعنى الاستعانة ،كما قال الشاعر:

فلما التقت فرساننا رجالهم دعوا :يالكعب ،واعتزينا لعامر

أما قول مجاهد فلا وجه له ؛ لأن الشاهدين لا يخلو أما أن يكونوا مؤمنين أو كفاراً ومنافقين فالمؤمنون لا يكونون شهداء للكفار،والكفار لابد أن يسارعوا إلى أبطال الحق ، أو تحقيق الباطل ،إذا دعوا إليه 0 فمن أي الفريقين يكون الشهداء ؟ ([3]) 0
وقوله تعالى : **﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا000 ﴾** أي أن لم تأتوا بحجة رب العالمين وهي سورة من مثل القرآن تعارضونه به فلا تقيموا على التكذيب به 0ولن يأتوا بسورة مثله أبداً؛ لأن (لن) تفيد النفي على التأبيد في المستقبل ([4]) 0
وقوله : **﴿ 00فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ000 ﴾** أي فاحذروا أن تصلوا النار بتكذيبه ،تلك النار التي حطبها الناس والحجارة 0
أما الحجارة فقيل هي حجارة الكبريت لأنها أحر شيء إذا حميت وروي ذلك عن ابن عباس وابن مسعود ([5]) 0 والظاهر أن المراد بها أصنامهم المنحوتة من الحجارة كما قال تعالى : **﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ ([6])**
وقيل ذكر الحجارة دليل على عظم تلك النار ؛ لأنها لا تأكل الحجارة إلا وهي في غاية الفظاعة والهول 0
وقيل معناه : أن أجسامهم تبقى على النار بقاء الحجارة التي توقدها النار بالقدح 0
وقيل معناه : أنهم يعذبون بالحجارة المحمية بالنار ([7]) 0
ويختار الشيخ الطوسي المعنى الأول كونه أولى وأليق بالظاهر0

الصورة الثانية : جهة التحدي :

وجه القرآن الكريم التحدي إلى الإنس والجن ،في أظهر مظاهر قوتهم ومنعتهم،وهم مجتمعون0 ولكون بعض الاجتماعات تحصل بالأجسام مع تشتت الآراء والرغبات، فأضاف القرآن صفة أخرى تشديداً في تحديهم وإظهاراً لعجزهم هي :تظاهرهم أي تآزرهم وتعاونهم في ذلك الاجتماع ([8])0

---

[1] - القمي \تفسير القمي \1\34 + ظ: الجصاص \أحكام القرآن \1\33 0
[2] - الطبري \جامع البيان \1\240 + الطوسي \التبيان \1\103 + الطبرسي \مجمع البيان \1\126 0
[3] - الطبري \جامع البيان \1\242 + الطوسي \التبيان \1\105 + الطبرسي \مجمع البيان \1\127 0
[4] - ظ: التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري \153+ الطوسي \التبيان \1\105+الطبرسي \مجمع البيان \1\128 + الزمخشري \ الكشاف \1\248 0
[5] - ظ: الصنعاني\ تفسير الصنعاني \1\40 0
[6] - الأنبياء : 98 0
[7] ظ: الطوسي \التبيان \1\106 + الطبرسي \مجمع البيان \1\128+ألمجلسي \بحار الأنوار \8\235
[8] - داود العطار \موجز علوم القرآن \55 0

قال تعالى : ﴿ **قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴾ ([1])

وليس هذا وحسب بل أضاف القرآن إلى تحديه الثقلين مجتمعين ومتعاونين شهداءهم من دون الله،فقد كانت العرب تزعم أن آلهتها تشهد لها يوم القيامة بأنها على حق ([2]) 0

أما المثلية التي تحدوا بالمعارضة بها فهي معتادة بين القوم /كمعارضة علقمة لامرئ ألقيس ،ومعارضة الحرث ابن حلزمة عمرو بن كلثوم ،ومعارضة جرير الفرزدق0 وما كان ذلك خافياً عليهم ([3]) 0

وإن سأل سائل : لما جاء الخطاب في الآية موجهاً للجن والإنس وقد وقع العجز في الإنس دون الجن ؟

فالجواب أن الجن ليسوا من أهل اللسان العربي الذي جاء القرآن على أساليبه،وإنما ذُكروا في الآية تعظيماً لشأن القرآن ؛لأن للهيئة الاجتماعية من القوة ما ليس للأفراد ،فإذا فرض اجتماع الثِقلين واستعان بعضهم بالآخر ،وعجزوا عن المعارضة،كان الفريق الواحد أعجز ([4]) 0

وقيل أنما أقتصر في الآية على ذكر الإنس والجن ؛ لأن النبي محمد(ص) كان مبعوثاً إلى الثقلين دون الملائكة ([5]) 0

هذا وبعد أن عجز العرب عن معارضة القرآن لم يعارض القرآن /لأنه لو كان عورض لوجب أن ينقل ،ولو نُقِل لَعُلم ؛ لأن الدواعي متوفرة إلى نقله،ولأن المعارض لو كان لكان هو الحجة دون القرآن ،ونقل الحجة أولى من نقل الشبهة0 ([6]) بمثله أو بعشر سور أو حتى سورة واحدة لجأوا إلى معارضته بالقوة والسيف والتعذيب لأصحاب الرسول(صلى الله عليه وآله)،فلم يجدوا صدىً إلا الثبات والعزيمة والإيمان فلم يبقَ بدٌ لهم غير إثارة الشبهات والاتهامات على الرسول(صلى الله عليه وآله) والتعلق بالأوهام،وقد عبر القرآن عن ذلك بما يأتي :

1-قد وصفوا النبي (صلى الله عليه وآله) بالضلال ،والقرآن من ورائهم يناديهم : ﴿ **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى** ﴾ ([7]) 0

0

2-تداعوا مرة أخرى إلى افتراضات متناقضة فقالوا: أضغاث أحلام،وقد أيقنوا بصحوة النبي(صلى الله عليه وآله) ويقتضه،وردّوه إلى الكذب والاختلاف ،وهم أنفسهم وصفوه بالصادق الأمين،ونسبوا النبي (صلى الله عليه وآله)إلى الشعر،وقد علموا أن النبي أبعد ما يكون عن مزاج الشاعر وأخيلته : وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك بقوله : ﴿ **بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ** ﴾ ([8]) 0

---

[1] - الإسراء : 88 0

[2] - ظ: الجصاص \أحكام القرآن \1\33 0

[3] - ظ: الطوسي \التبيان \1\516 0

[4] - ظ: السيوطي \الإتقان \492+ داود العطار \موجز علوم القرآن \56 0

[5] - ظ: السيوطي \الإتقان \492 0

[6] - الطوسي \الاقتصاد في أصول الاعتقاد \167 0

[7] - النجم : 1 – 4 -

[8] - الأنبياء : 5 0

3-وعندما لم تستقم لهم الدعوى في شيء وصموه بالجنون ،قال تعالى : ﴿ **وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ** ﴾ ([1]) 0

وقد دلّت الأحداث الاستقرائية ،والسيرة الذاتية للنبي (صلى الله عليه وآله)على رجاحة عقله ،والرسول (صلى الله عليه وآله)قد لبث فيهم حقباً طويلة قبل البعثة فما مسكوا زلة ولا أدركوا غفلة،وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله: ﴿ **00فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ** ﴾ ([2]) 0

4-ثم اتهموه بالكهانة ،وردّ عليهم القرآن بقوله :﴿ **وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلا مَا تَذَكَّرُونَ**﴾ ([3]) 0 0

5-وبعد أن أعيتهم الحيلة،انطلقوا إلى القول أنه ساحر ،قال تعالى :﴿ **00إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ** ﴾ ([4]) فرد القرآن على أدعائهم:﴿ **كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ** ﴾ ([5]) 0

6-وبعد أن أدحضت كل شبهاتهم وافتراءاتهم لجأوا إلى افتراض هو أغبى مما يؤخذ عليهم ،وهو افتراض أن لمحمد (صلى الله عليه وآله) معلماً من البشر وهو غلام رومي يمتهن صناعة السيوف بمكة،فردّ القرآن بالرد الحاسم بقوله:﴿ **00لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ** ﴾([6]) وهكذا فقد بطلت كل أراجيفهم وادعاءاتهم وتمت كلمة ربك صدقاً صدقاً وعدلاً([7])0

5- الصرفة في الإعجاز

هناك قول في وجه الإعجاز – لعلّه يخالف رأي الجمهور – هو :أن الآية والمعجزة في القرآن إنما هي لجهة صرف الناس عن معارضته0

والصرفة في اللغة: من صرف، والصرف :رد الشيء عن وجهه،صرفه يصرفه صرفاً فانصرف 00 والصرف :أن تصرف إنساناً عن وجه يريده إلى مصرف غير ذلك ([8])0

وأما في الاصطلاح فهي : (صرف الهمم عن المعارضة وإن كانت مقدوراً عليها ،وغير معجزة عنها ،إلا أن العائق من حيث كان أمراً خارجاً عن مجاري العادات صار كسائر المعجزات) ([9]) أو (هي أن الله صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليها فكان هذا الصرف خارق للعادة) ([10]) 0

---

[1] - الحجر : 6 0
[2] - يونس : 16 0
[3] - الحاقة : 42 0
[4] - المدثر : 24 0
[5] - الذاريات : 52 0
[6] - النحل : 103 0
[7] - ظ: الباقلاني \ إعجاز القرآن \ص4 + محمد حسين علي الصغير \تاريخ القرآن \ص30 – 32
[8] - ظ: ابن منظور \السان العرب \9\189+الفيروز آبادي\القاموس المحيط\3\161 0
[9] - الخطابي \بيان في الإعجاز \22 +الباقلاني\إعجاز القرآن \12 \مقدمة المحقق أحمد صقر0
[10] - مصطفى صادق الرافعي\إعجاز القرآن والبلاغة النبوية \144 0

وقد عبر عنها الدكتور الصغير بأنها:حبس الله تعالى ألسنة العرب عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن ([1]) 0

ومغزى هذه المعاني هو: أن القدرة على الإتيان بمثل القرآن متوفرة، ولكن نتيجة لتدخل ألهي مباشر صُرف الناس عن المعارضة 0

وقيل أن قدرة العرب على ذلك كانت قبل بعثة النبي محمد (صلى الله عليه وآله) ([2]) 0

هذا ما يخص مفهوم الصرفة،أما تفسير مذهب الصرفة فقد اختلفت الآراء فيه على ثلاثة أقوال :

1- التفسير الأول : المراد بالصرفة أن الله تعالى سلب دواعي العرب إلى المعارضة ، مع أن أسباب توفر الدواعي في حقهم حاصلة من التقريع بالعجز وهذا هو مذهب النظام (ت:231هـ) ([3]) على رأي السيد شريف الجرجاني (ت:482 هـ) ([4]) 0

2- التفسير الثاني: وهذا القسم قد ورد في تعريف الطبرسي للصرفة وهي : (إن الله تعالى صرف العرب عن معارضته،وسلبهم العلم الذي به يتمكنون من مماثلته،في نظمه وفصاحته) ([5]) 0

ويقول التفتا زاني (ت:793هـ) :بمعنى أن هذه العلوم لم تكن حاصلة لهم،أو أنها كانت حاصلة فأزالها الله ([6]) 0

وهذا القسم هو المعنى المختار عند السيد المرتضى (ت:436هـ)على رأي بعض العلماء منهم: الشريف الجرجاني(ت:482 هـ)،وابن الميثم البحراني(ت:699هـ)،وسعد الدين التفتا زاني(ت:793 هـ) والعلامة ألمجلسي(ت:1111هـ)([7]) 0

إلا أن الظاهر من قول السيد المرتضى هو الشق الأول من كلام التفتا زاني وهو : (أنها لم تكن حاصلة لهم) ([8]) 0

وقد نسب أحمد صقر – محقق كتاب إعجاز القرآن للباقلاني - هذا القسم من التفسير للصرفة إلى النظّام حيث قال: (فقد ذهب النظّام إلى أن القرآن نفسه غير معجز،وإنما كان إعجازه بالصرفة وقال : - هذا القول نقله المحقق عن النظام – ((إن الله ما أنزل القرآن ليكون حجة على النبوة ،بل هو كسائر الكتب المنزلة لبيان الأحكام من الحلال والحرام0 والعرب إنما يعارضوه،لأن الله تعالى صرفهم عن ذلك ،وسلب علومهم به)) ([9])0

---

[1] - ظ: محمد حسين علي الصغير\ملامح الإعجاز في القرآن الكريم \552 0

[2] - ظ: ابن عطية \المحرر الوجيز \5\192+الشريف الجرجاني\شرح المواقف \3\0112

[3] - هو أبو إسحاق إبراهيم بن سيّار بن هاني البصري،كانت له معرفة بالكلام،وكان رأساً في الاعتزال الاعتزال ظ: الشهرستاني \الملل والنحل \1\57 0

[4] - ظ: الشريف الجرجاني \شرح المواقف \3\112 0

[5] - الطبرسي \مجمع البيان \1\42 0

[6] - ظ: التفتا زاني \شرح المقاصد \2\184 0

[7] - ظ: البحراني \قواعد المرام\132 + التفتا زاني \شرح المقاصد \2\184+ الشريف الجرجاني \شرح المواقف \3\112+ ألمجلسي \بحار الأنوار \81\128 0

[8] - ظ: الرافعي \إعجاز القرآن \144 0

[9] - الباقلاني \إعجاز القرآن \ص7 مقدمة المحقق 0

3- التفسير الثالث:المراد بالصرفة أن الله تعالى منعهم بالإلجاء على جهة القسر عن المعارضة مع كونهم قادرين ،وسلب قواهم عن ذلك 0
وحاصل القول في هذا القسم أنهم قادرون على إيجاد المعارضة للقرآن،إلا أن الله تعالى منعهم بالقهر ([1]) 0
وقد صرح أبو الحسن الأشعري(ت:330 هـ) بأن هذا التفسير هو المراد عند النظّام ،حيث قال :قال النظّام: الآية والأعجوبة في القرآن ما فيه من الإخبار عن الغيوب فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم ([2]) 0
والذي يفهم من هذا الكلام أن النظّام له رأي آخر في جهة الإعجاز وهو الإخبار عن الأمور الماضية والآتية (الغيب) 0
وربما قد تأثر تلميذ النظّام وهو الجاحظ(ت: 255هـ) برأي أستاذه في القول بالصرفة وأن كان قد أخفى ذلك وأومأ إليه عن عرض0
يقول الرافعي:(أما الجاحظ فأن رأيه في الإعجاز كرأي أهل العربية،وهو أن القرآن في الدرجة العليا من البلاغة التي لم يعهد مثلها 000 فقد سرد في موضع من كتاب (الحيوان) طائفة من أنواع العجز،وردها في العلة إلى أن الله صرف أوهام الناس عنها ورفع ذلك القصد من صدورهم 00 وقد يكون استرسل بهذه العبارة لما في نفسه من أثر أستاذه ،وهو شيء ينزل على حكم الملابسة،ويعتري أكثر الناس إلا من تنبّه له أو نبّه عليه ،أو هو يكون ناقلاً،ولا ندري) ([3]) 0
ومن كلام الجاحظ يتبين أن رأي النظام في الصرفة هو التفسير الأول المذكور وهو سلب الله تعالى الدواعي إلى المعارضة 0

تعقيب :

مما سبق من ذكر تعريف الصرفة،والتفسيرات الثلاثة لها ،وجد البحث أن جميع هذه التفسيرات قد نسبت للنظّام على اختلاف المنسبّين 0إلا أن البحث يرجح التفسير الأول وهو (سلب الدواعي إلى المعارضة)وذلك لما تبيّن من كلام الجاحظ وهو تلميذه وأقرب فترة إليه ،والله العالم 0

استدلال ومناقشة :

لقد استدل أصحاب القول بالصرفة بعدة أدلة سوف يقوم البحث بعرضها ومناقشتها من قبل ذوي العلم :

1- الدليل الأول :وقد أورده الباقلاني على صيغة سؤال وهو: إن بلغاء العرب وفصحاءهم كانت لهم القدرة على صنوف البلاغة،والتصرف في أجناس الفصاحة،ومن قدر على جميع هذه الوجوه البديعة بوجه من هذه الطرق الغريبة،كان على مثل نظم القرآن قادراً ، فلما الزعم على أنهم عاجزون عن الإتيان بمثله ؟ فهلّا قيل أن الله قد صرفه عنهم ضرباً من الصرف أو يمنعهم من

---

[1] - ظ: التفتازي \شرح المقاصد \2\184 0
[2] - الأشعري \مقالات الاسلاميين \1\296 0
[3] - الرافعي \إعجاز القرآن والبلاغة النبوية \146 – 147 0

الإتيان بمثله ضرباً من المنع،أو تقصر دواعيهم دونه،مع قدرتهم عليه0ليتكامل ما أراده الله من الدلالة،ويحصل ما قصده من إيجاب الحجة،لأن من قدر على نظم كلمتين بديعتين،لم يعجز عن نظم مثلها،وإذا قدر على ذلك قدر على ضم الثانية إلى الأولى،وكذلك الثالثة،حتى يتكامل قدر الآية والسورة([1]) 0

والرد على هذا الدليل هو :

لو صح قولهم ،لصح لكل من أمكنه نظم ربع بيت أن ينظم القصائد ويقول الأشعار،وصح لكل ناطق قد يتفق في كلامه الكلمة البديعة نظم الخطب البليغة والرسائل العجيبة،ومعلوم أن ذلك غير سائغ ولا ممكن ([2]) 0

2- إن الصحابة كانوا عند جمع القرآن يتوقفون في إثبات بعض السور والآيات إلى أن يشهد الثقات على أنها من القرآن ،وقد بقي ابن مسعود متردداً بين الفاتحة والمعوذتين – عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد النخعي قال: كان عبد الله بن مسعود يحك المعوذتين من مصاحفه ويقول أنهما ليستا من كتاب الله ([3]) – ولو كان النظم والبلاغة هما الكافيين للشهادة على القرآنية فما وجه هذا التوقف وذلك التردد؟ ([4]) 0

والجواب على ذلك:

إن جمع القرآن إنما كان في زمان الرسول(ص)،مضافاً إلى أن الإعجاز في جميع مراتبه وفي جميع الآيات ليس مما يظهر لكل أحد على سواء ([5]) 0

وأما تردد ابن مسعود في المعوذتين فقد رده الباقلاني من عدة وجوه :

أ- قيل أن هذا الكلام من تخليط الملحدين 0

ب-إن الرواية هي خبر آحاد 0

ت-لم يخف على الصحابة ما هو من القرآن ،وأن عدد السور عندهم محفوظ مضبوط

ث-لو كان ابن مسعود قد أنكر السورتين على ما أدعوا ،لكانت الصحابة تناظره على ذلك ،وكان يظهر وينتشر،فقد تناظروا في أقل من هذا ،وهذا أمر يوجب التكفير والتضليل ،فكيف يجوز أن يقع التخفيف فيه 0

ج- يجوز أن يكون الناقل أشتبه عليه ،لأنه ابن مسعود خالف في النظم والترتيب،فلم يثبتهما في آخر القرآن ،والاختلاف في موضع الإثبات غير الكلام في الأصل([6])

---

[1] - ظ: الباقلاني \إعجاز القرآن \29 + أبو الفضل مير محمدي\بحوث في تاريخ القرآن وعلومه\ 214 0

[2] - م 0 ن+ التفتا زاني\شرح المقاصد \2\184 0

[3] - ابن حجر \فتح الباري في شرح صحيح البخاري\8\571 0

[4] - ظ: أبو الفضل مير محمدي\بحوث في تاريخ القرآن وعلومه\ 214+ محمد هادي معرفة \تلخيص التمهيد \2\89 0

[5] - ظ: أبو الفضل مير محمدي\بحوث في تاريخ القرآن وعلومه\ 214+ محمد هادي معرفة \تلخيص التمهيد \2\89 0 + التفتا زاني\شرح المقاصد \2\184 0

[6] - ظ: الباقلاني \ إعجاز القرآن \292 0

وقد أجمع العلماء على تكذيب هذه الرواية إلا ابن حجر(ت:852هـ) فقد أبى إلا تصحيحها فقال : (والطعن في الروايات الصحيحة بغير مستند لا يُقبل بل الرواية صحيحة،والتأويل محتمل) ([1]) 0

وينكر ابن حجر على الباقلاني تأويله هذا إلا إذا أمكن حمل لفظ(كتاب الله) – الذي جاء في متن الرواية – على المصحف فيتم تأويل القاضي الباقلاني على إنكار الكتابة([2]) 0

وأما إسقاط ابن مسعود الفاتحة من مصحفه فليس لظنه أنها ليست من القرآن ،ولكنه ذهب إلى أن القرآن إنما كتب وجمع بين اللوحين مخافة الشك والنسيان،والزيادة والنقصان ، ورأى أن ذلك مأمون في سورة الحمد لقصرها ووجوب تعلمها على كل أحد([3]) 0

3- كذلك استدلوا بقوله:﴿**سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ** ﴾([4]) حيث حيث قيل أن معناها:سأصرفهم عن أبطالها وإن اجتهدوا كما اجتهد فرعون في إبطال آية موسى فأبى الله إلا علو أمره ([5])0

وقد أورد الطبرسي خمسة وجوه في تفسيرها ([6]) 0

وقد وجد البحث أن معظم المفسرين قد اتفقوا على أن معنى (سأصرف عن آياتي) بالطبع على قلوب المتكبرين وخذلانهم فلا يفكرون فيها ولا يعتبرون بها،غفلةً وانهماكاً فيما يشغلهم عنها من شهواتهم ([7]) 0

وهذا التفسير غير معنى الصرف عن الإبطال والمعارضة 0

4- كذلك استدلوا بقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ** ﴾ ([8]) مما يدل على أن العرب حسبت من نفسها القدرة على الإتيان بمثل القرآن سبكاً وصياغةً ،لولا صرف الله تعالى لهم 0

وأما الرد على ذلك فهو:أن هذا الكلام في الآية هو قولةٌ قالها،النضر بن الحارث كما أسلفنا ذلك مسبقاً عندما تعلم بعضاً من أحاديث ملوك فارس (أساطير رستم واسفنديار) والتي كان يقصها على جهلاء العرب استحواذاً عليهم ليلهيهم عن حديث الإسلام ،زاعماً أنه بذلك يقابل رسول الله(صلى الله عليه وآله)في كلامه وتلاوة قرآنه،فكان يقول ما محمد بأحسن حديثاً مني،وما أحاديثه إلا أساطير الأولين ([9]) 0

---

[1] - ابن حجر \فتح الباري في شرح صحيح البخاري\8\571 0

[2] - م 0ن 0

[3] - ظ: السيوطي \الإتقان \1\272 +محمود أبو رية \أضواء على السنة المحمدية \253 + مؤسسة آل البيت \مجلة تراثنا \12\66 0

[4] - الأعراف : 146 0

[5] - ظ: الطوسي \التبيان \4\543 +الطبرسي \مجمع البيان \4\357 0

[6] - ظ: الطبرسي \مجمع البيان \4\355 – 357 0

[7] - ظ: الزمخشري \الكشاف \ج2\ص117 + الطبرسي \مجمع البيان \ج1\ص703 + الكاشاني\التفسير الأصغر \ج1\ص401 + التفسير الصافي \ج2\ص238 0

[8] - الأنفال : 31 0

[9] - ظ: ابن هشام \سيرة ابن هشام \ ج1\ص384 + الطبرسي \مجمع البيان \ج4\ص358 + السيوطي \الدر المنثور \ج3\ص180 0

استنتاج :

1- يبدو للبحث من خلال ما سبق من أدلة وبراهين أن احتمال الصرفة منفي ،لأنه لا يناسب ظواهر الآيات القرآنية الدالة على أن عجزهم عن الإتيان بمثل القرآن إنما لخصوصية في القرآن نفسه،من الفصاحة والأسلوب،وغيرهما من الامتيازات القرآنية الأخرى وهي :

أ- قوله تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾([1]) فيستفاد من هذه الآية التي وقعت جواباً لقولهم ،قال تعالى :﴿ **وَقَالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ** ﴾ ([2]) 0

إن القرآن هو تلك الآية التي يطلبونها،وإنه كاف في ذلك،ولا سيما ملاحظة تعبيره تعالى بأن الكتاب يكفيهم ([3])، إذاً فالكتاب بنفسه هو الآية،وليست الآية هي منعهم عن معارضته والإتيان بمثله،كما هو مقتضى القول بالصرفة 0

ب - قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ** ﴾([4]) والمستفاد من هذه الآية: أنهم تعجبوا من حسن نظم القرآن وأسلوبه،فقالوا :هو سحر أو أساطير الأولين،فلو كان عدم تمكنهم من معارضة القرآن هو منعه تعالى لهم عن ذلك لكان المناسب أن يقولوا: إننا نتمكن من مجارات الآيات القرآنية،لكننا مسحورون أو ممنوعون عن ذلك،لا أن يقولوا أنه سحرٌ أو أساطير الأولين حيث أن معنى هذا هو أنهم قبلوا أن القرآن نفسه لا يقدرون على الإتيان بمثله،لأنه أساطير الأولين أو سحر0

أ- قوله تعالى : ﴿ **فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** ﴾([5]) فهذه الآية تدل على أنه أذا كان الكلام القرآني خارجاً عن قدرتهم ،فيكون أذاً منزلاً من قبل الله القادر تعالى 00 لا أنهم إذا مُنعوا عن الإتيان بمثله كشف ذلك المنع عن كونه من الله تعالى ([6]) 0

2- استند أغلب علماء القرآن على قوله تعالى:﴿ **قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴾ ([7]) في في نفي مذهب الصرفة في الإعجاز؛حيث أن في الآية إشارة إلى أمر – المجيء بمثل القرآن – طريقه التكلف والاجتهاد،وسبيله التأهب والاحتشاد 0والمعنى في الصرفة التي وصفوها لا يلائم هذه الصفة،فدل على أن المراد غيرها، والله العالم ([8]) 0 0

---

[1] - العنكبوت : 51 0

[2] - العنكبوت : 50 0

[3] ظ: السيوطي \الإتقان \ص483 0

[4] - النحل : 24 0

[5] - هود : 14 0

[6] - ظ: مير محمدي \بحوث في تاريخ القرآن \213 0

[7] - الإسراء : 88 0

[8] - ظ: الخطابي \بيان إعجاز القرآن \23 + السيوطي \الإتقان \85 0

3- إن أصحاب مذهب الصرفة يذهبون في مذهبهم هذا إلى إن فصاحة وبلاغة القرآن وأسلوبه أمر مقدور عليه وباستطاعة البلغاء والفصحاء أن يعارضوه إلا أنهم صرفوا عن ذلك للتفسيرات الأنفة الذكر،ويرد الرازي على هذا الرأي بأنه قد اجتمعت في القرآن وجوه كثيرة تقتضي نقصان فصاحته كإيجاب العبادات وتحريم القبائح والحث على مكارم الأخلاق وترك الدنيا واختيار الآخرة ،ومع ذلك فأنه في الفصاحة بلغ النهاية التي لا غاية لها وراءها فدل ذلك على كونه معجزاً ،وقد استدل بنقاط :

أ- إن فصاحة العرب أكثرها في وصف مشاهدات مثل وصف بعير أو فرس أو جارية 000ألخ،وليس في القرآن من هذه الأشياء شيء،فكان يجب أن لا تحصل فيه الألفاظ الفصيحة التي اتفقت العرب عليها في كلامهم 0

ب- إن الله تعالى تنزه عن الكذب في جميع القرآن ،وأما الشعر فإن تنزّه عن الكذب وألتزم الصدق نزل ولم يكن جيداً،كما صار في شعر لبيد بن ربيعة وحسان بن ثابت عندما أسلما فلم يكن شعرهما الإسلامي في الجودة كشعرهما الجاهلي0

والله سبحانه وتعالى مع ما تنزه عن الكذب والمجازفة جاء بالقرآن فصيحاً 0

ت- إن الكلام الفصيح والشعر كذلك وإنما يتفق في القصيدة في البيت أو البيتين،والباقي لا يكون كذلك،وليس القرآن كذلك ،فأنه كله فصيح بحيث يعجز الخلق عنه كما عجزوا عن جملته 0

ث- إن كل من قال شعراً فصيحاً في وصف شيء إذا كرره لم يكن كلامه الثاني في وصف ذلك الشيء بمنزلة الأول،وفي القرآن التكرار الكثير ومع ذلك كل واحد منها في نهاية الفصاحة ولم يظهر التفاوت بينهما 0

ج- إن كل شاعر من شعراء العرب البلغاء يحسن كلامه في فن من فنون الكلام ويضعف كلامه في غير ذلك ،كما أن شعر امرئ ألقيس يحسن عند الطرب وذكر النساء ووصفه الخيل ،وشعر النابغة عند الخوف 00وهكذا 0أما القرآن فأنه جاء فصيحاً في كل الفنون على غاية الفصاحة فهو فصيح في الترغيب،قال تعالى :﴿**00 وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ000** ﴾ ([1]) ،وفي الترهيب ،قال تعالى :﴿ **أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ** ﴾ ([2]) ، وفي الوعظ،قال تعالى:﴿ **أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ**﴾([3])، وفي الإلهيات الإلهيات ، قال : ﴿ **اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ** ﴾ ([4]) وهكذا 0

---

[1] - الزخرف : 71 0

[2] - الملك : 16 – 17 0

[3] - الشعراء : 205 0

[4] - الرعد : 8 0

ح – إن القرآن أصل العلوم كلها،فعلم الكلام كله في القرآن ،وعلم الفقه كله مأخوذ من القرآن،وكذا علم أصول الفقه،وعلم النحو واللغة،وعلم الزهد في الدنيا وأخبار الآخرة،واستعمال مكارم الأخلاق ([1]) 0

4- لو كان في كلام العرب من الفصاحة البالغة التي تضاهي فصاحة القرآن،وأن لا ميزة جوهرية في القرآن ،وإن فيه من التفاوت في درجة البلاغة،وعدم ظهور فرق بيّن بين مواضع من القرآن والمختار من كلام العرب([2])،فأين ياترى هذا ؟ فليأتوا بشاهد من كلام العرب أو غيرها من باب المثال يضاهي فصاحة القرآن،ولكنهم أعجز من أن يأتوا بمثله ولو اجتمعوا له0

5- يلزم من القول بالصرفة زوال الإعجاز بزوال زمان التحدي،وخلو القرآن من الإعجاز،وفي ذلك خرق لإجماع الأمة بأن معجزة الرسول العظمى باقية خالدة،ولا معجزة باقية سوى القرآن([3]) 0

وهكذا قد تبين للبحث ومن خلال ما سبق نفي احتمال الصرفة كوجه للإعجاز بل وحتى وجه من وجوه الإعجاز 0

6- وجوه الإعجاز :

قال تعالى :﴿ **وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ ([4])

تدل الآية الشريفة على أن وجوه الإعجاز غير منحصرة ولا محدودة كما حدّها بعض العلماء0فلم يستطع أحد من العلماء والباحثين من القدامى والمحدثين أن يحيط علماً بما في القرآن من وجوه الإعجاز ،فكيف يستطيع الممكن أن يدرك كلام الواجب ([5]) 0

---

[1] - ظ: الرازي \تفسير الرازي\2\115 – 116 0

[2] - ظ: الشريف المرتضى\رسائل المرتضى \2\324 0

[3] - السيوطي \الإتقان \485 0

[4] - لقمان : 27 0

[5] - الخوئي \البيان \25 0

فكلما تقدم الزمن ،وعكف الباحثون على دراسة القرآن،كلما ظهرت وجوه إعجاز جديدة لم تكن معروفة من قبل 0 فأن ما كتب في بيان وجوه إعجاز القرآن لا يستوعبه بحث ولا حتى كتاب ،بل تقصر عنه المجلدات 0
ولذلك لن يقوم البحث بالإطالة في الكلام في ذكر وجوه إعجاز القرآن المتعارف عليها بين العلماء وذلك تحاشياً للإطناب غير المبرر ،وسوف يكتفي بإحالة القارئ إلى أهم المصادر التي استوعبت ذلك ([1]) 0

ثالثاً : نزول القرآن

1- كيفية نزول القرآن

[1] - ظ: البلاغي \ألاء الرحمن \1\5 – 16 + محمد حسين علي الصغير \ملامح الإعجاز في القرآن الكريم \552 – 560 + داود العطار \موجز علوم القرآن \57 – 74 + الخوئي \البيان \55 – 89 + محمد باقر الحكيم \علوم القرآن \150 – 156 0

2- أول وآخر ما نزل من القرآن

أ- الأقوال في أول ما نزل من القرآن

ب- الأقوال في آخر ما نزل من القرآن

ثالثاً - نزول القرآن

تلقى النبي(صلى الله عليه وآله)القرآن الكريم عن طريق الوحي،ونظراً إلى أنه (صلى الله عليه وآله)كان يتلقى الوحي الإلهي من جهة عليا معنوية،وهي الله سبحانه وتعالى،ويقال عادةً:إن القرآن نزل عليه ، للإشارة باستعمال لفظ النزول إلى علو الجهة التي أتصل بها النبي(صلى الله عليه وآله)عن طريق الوحي،وتلقى عنها القرآن الكريم0

1- كيفية نزول القرآن:

يقول الله تعالى في كتابه العزيز:
﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ000 ﴾ ([1])
ويقول: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ000 ﴾ ([2]) 0
ويقول :﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ ([3]) 0
ولا تعارض بين هذه الآيات الثلاث؛ فليلة القدر هي الليلة المباركة من شهر رمضان ([4])0
إلا أن التعارض والاختلاف حدث في كيفية النزول فقيل :

1- إن الله تعالى أنزل جميع القرآن في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا،ثم أنزل على النبي(صلى الله عليه وآله)بعد ذلك نجوماً،وهو ما نقل عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن([5]) 0
2- إنه ابتدأ أنزاله في ليلة القدر ما يحتاج إليه في تلك السنة جملة واحدة،ثم ينزل على مواقع النجوم إرسالاً في الأشهر والأيام،وهو ما نقل عن السدي،يسنده إلى ابن عباس([6]) 0
3- إنه ابتدأ أنزاله في ليلة القدر،ثم نزل بعد ذلك منجماً في أوقات مختلفة،وبه قال الشعبي ([7]) 0
4- وهناك رأي يقول : أنه أنزل بيانه وتأويله في ليلة القدر منه،وأما تنزيله فكان من ابتداء بعثة النبي إلى أوان وفاته (صلى الله عليه وآله) ([8]) 0

وهذا ما وجده البحث من آراء عند المفسرين المتقدمين مستندين بذلك على عدة آيات قرآنية إضافة إلى الأخبار والروايات في ذلك 0
أما المتأخرين فلبعضهم رأي يغاير ذلك وهو :
في بادئ الأمر يجب التفريق بين الإنزال والتنزيل فكتب اللغة تقول أن كلمة (تنزيل) تختص بالموضع الذي يشير إليه أنزاله مفرقاً ومرة بعد أخرى – أي النزول التدريجي – في حين أن كلمة (إنزال)لها معنى عام يشمل النزول التدريجي والنزول دفعة واحدة ([9]) 0
0
ويرى بعض العلماء أن لكل منهما معنىً خاصاً بها وإن (تنزيل)تعني فقط النزول على عدة دفعات(تدريج)و(إنزال) تعني النزول دفعة واحدة ([10]) 0

---

[1] -البقرة : 184 0
[2] - الدخان : 3 0
[3] - القدر : 1 0
[4] - ظ: الطباطبائي \الميزان \18\130 + محمد حسين الصغير \تاريخ القرآن \37 0
[5] - ظ: الطبري \جامع البيان \ج2\ص196+الطوسي \التبيان \2\120+الطبرسي\مجمع البيان \2\14+السمرقندي\تفسير السمرقندي \1\148+القمي \تفسير القمي\2\ 431 +
ا الزمخشري \الكشاف\3\500+ابن أبي حاتم\تفسير ابن أبي حاتم\1\ 310+8\2689+التبرريزي الأنصاري\اللمعة البيضاء\514 0
[6] - ظ: الطبرسي\مجمع البيان \2\14+9\103+ ابن أبي حاتم \تفسير ابن أبي حاتم\1\310 0
[7] - ظ: ا الزمخشري \الكشاف\4\273+ الطبرسي\مجمع البيان \9\103 0
[8] - ظ: الكاشاني \تفسير الأصفى\1\88 0
[9] - ظ : الراغب الأصفهاني \المفردات \489 مادة(نزل) 0
[10] - ظ: الطباطبائي \الميزان \2\15 0

كذلك لفظ(قرآن)فهو أسم لكتاب الله،ويطلق على مجموعه وعلى أبعاضه ([1]) 0
وهكذا فبالنظر إلى الآيات السابقات وهن نزول القرآن في ليلة القدر المباركة من شهر رمضان يدل على النزول الدفعي بقرينة دلالة كلمة (أنزل)في الآيات الثلاث 0
وبالنظر لقوله تعالى:﴿ **وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلا﴾ ([2])**
- أي أنزل متفرقاً ولم ينزل جميعاً ([3]) وقد فُصّل سورٌ وآيات ([4]) - فأنها تدل على النزول النزول التدريجي في مجموع مدة الدعوة وهي ثلاث وعشرون سنة تقريباً0والمتواتر من التاريخ يدل على ذلك0
وهذا مم أدى إلى ورود الإشكال بالتنافي بين الآيتين0
ومن هذا الإشكال ربما جاءت أقوال العلماء السابقة بنزوله جملة واحدة إلى السماء الدنيا في شهر رمضان ،ثم نزل على الرسول(صلى الله عليه وآله)نجوماً0
والمتدبر في قوله تعالى في الآيات الثلاث الدالة على نزول القرآن في ليلة مباركة هي ليلة القدر من شهر رمضان يجد أن ظاهر هذه الآيات لا يلائم كون المراد من إنزال القرآن أول إنزاله أو إنزال أول بعض من أبعاضه،ولا يوجد في الكلام قرينة تدل على ذلك0
وإنما ظاهر هذه الآيات يدل الإنزال دفعة واحدة دون التنزيل بقرينة لفظ (الإنزال)0
وأما الإنزال على دفعة واحدة فيكون بلحظين :

1- بلحاظ اعتبار المجموع من الكتاب أو البعض النازل منه – حيث سبق وقلنا أن لفظ القرآن يطلق على مجموع الكتاب وعلى أبعاضه – ومثله قوله تعالى: ﴿ **00كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ000﴾** ([5]) فأن المطر إنما ينزل تدريجاً،لكن النظر ها هنا معطوف إلى أخذه مجموعاً واحداً؛ ولذلك عبر عنه بالإنزال دون التنزيل 0
2- بلحاظ كون الكتاب ذا حقيقة أخرى وراء ما نفهمه بالفهم العادي الذي يقضي فيه بالتفرق والتفصيل والانبساط والتدريج،هو المصحح لكونه واحداً غير تدريجي ونازلاً بالإنزال دون التنزيل 0

وهذا الاحتمال هو اللائح من قوله تعالى:﴿ **الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ ([6])** فأن هذا الإحكام مقابل التفصيل،والتفصيل هو جعله فصلاً فصلاً وقطعة قطعة قطعةً فالإحكام كونه بحيث لا يتفصل فيه جزء من جزء ولا يتميز بعض من بعض لرجوعه إلى معنى واحد لا أجزاء ولا فصول فيه0 والآية ناطقة بأن هذا التفصيل المشاهد في القرآن إنما طرأ عليه بعد كونه محكماً غير مفصل 0
قال تعالى:﴿ **وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا**

---

[1] - ظ: م0ن + أبو عبد الله الزنجاني \تاريخ القرآن \38 0
[2] - الإسراء : 106 0
[3] ظ: الطوسي \التبيان \6\530 0
[4] - ظ: الطبرسي\مجمع البيان 6\302 0
[5] - يونس : 24 0
[6] - هود : 1 0

يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ000﴾ ([1]) فأن الآية ظاهرة الدلالة على أن التفصيل أمر طارئ على الكتاب ،فنفس الكتاب شيء والتفصيل الذي يعرضه شيء آخر ،وأنهم أنما كذبوا بالتفصيل من الكتاب لكونهم ناسين لشيء يؤول إليه هذا التفصيل وغافلين عنه،وسيظهر لهم يوم القيامة ويضطرون إلى علمه000

قال تعالى:﴿ **فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لا يَمَسُّهُ إِلا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾** ([2])

ظاهر هذه الآيات أن للقرآن موقعاً هو في (الكتاب المكنون)لا يمسه هناك أحد إلا المطهرون من عباد الله،وإن التنزيل بعده،والكتاب المكنون عبر عنه القرآن مرة بـ(أم الكتاب) قال تعالى:﴿ **حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾** ([3]) ،ومرة بـ(اللوح المحفوظ)قال تعالى:﴿ **بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾** ([4]) 0

فالكتاب المبين(اللوح المحفوظ)هو أصل القرآن،وإنما القرآن بمنزلة اللباس له 0وبمنزلة المثال من الحقيقة،وبمنزلة المثل من الغرض المقصود بالكلام0

وبناءاً على ما سبق نتوصل إلى القول بوجوب حمل قوله تعالى في الآيات الثلاث بنزول القرآن في ليلة القدر المباركة من شهر رمضان على إنزال حقيقة الكتاب والكتاب المبين إلى قلب رسول الله(صلى الله عليه وآله)دفعه واحدة كما أنزل القرآن المفصّل على قلبه تدريجاً في مدة الدعوة النبوية ([5]) 0

ويستند الطباطبائي في هذا الرأي على قوله تعالى: ﴿ **00وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ000﴾** ([6]) ،وقوله تعالى: ﴿ **لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾** ([7])

حيث يذهب إلى أن ظاهر هذه الآيات هو : علم الرسول (صلى الله عليه وآله) بما سينزل عليه بالجملة فكان يتعجل بالقرآن؛ولذلك نُهي عن الاستعجال بالقراءة قبل انقضاء الوحي0 وأمر أن يطلب من الله علماً جديداً بالصبر واستماع الوحي([8]) 0

وهذا يدل على أن القرآن ،المنزل تدريجاً على النبي متكأ على حقيقة متعالية عن أن تدركها أبصار العقول العامة أو تناولتها أيدي الأفكار المتلوثة بألواث الهوسات وقذارات المادة ، وإن تلك الحقيقة أنزلت على النبي إنزالاً فعلّمه الله بذلك حقيقة ما عناه بكتابه ([9])0

0([9])

---

[1] - يونس : 37 – 39 0

[2] - الواقعة : 75 – 80 0

[3] - الزخرف : 1 – 4 0

[4] - البروج : 21 – 22 0

[5] - ظ: الطباطبائي \الميزان \2\14 – 19 + ناصر مكارم الشيرازي\الأمثل \15\14 +16\119 0

[6] - طه: 114 0

[7] - القيامة : 16 – 19 0

[8]- ظ: الطباطبائي \الميزان\14\215 0

[9] - م 0 ن \ 2\18 +14\214 – 215 0

إلا أن للمفسرين المتقدمين وجوهاً أخرى في معنى قوله تعالى:﴿ 00وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ000﴾ وهي:

1- معناه: لا تعجل بتلاوته قبل أن يفرغ جبرائيل من إبلاغه،حيث كان رسول الله(صلى الله عليه وآله)إذا لُقن الوحي نازع جبرائيل القراءة ولم يصبر إلى أن يتمها مسارعةً إلى الحفظ وخوفاً من النسيان 0 عن ابن عباس والحسن والجبائي ([1]) 0

2- معناه: ولا تقرأه لأصحابك،ولا تمله عليهم حتى يتبين لك معانيه أو ما كان مجملاً،عن مجاهد وقتادة وعطية وأبي مسلم ([2]) 0

3- معناه :لا تسأل إنزال القرآن قبل أن يأتيك وحيه،لأنه تعالى إنما ينزله بحسب المصلحة،وقت الحاجة([3])0

4- وقيل معناه:لا تحكم قبل أن ينزل حكم الله ([4])0 وذلك لسبب نزول آخر غير الذي سبق وهو أن رجلاً لطم امرأته ،فجاءت إلى الرسول(صلى الله عليه وآله)تطلب القصاص ، فجعل رسول الله (صلى الله عليه وآله)القصاص،فنزلت هذه الآية،فوقف رسول الله(صلى الله عليه وآله) حتى نزل قوله تعالى(والرجال قوامون على النساء) قاله الحسن البصري([5]) 0 ويستبعد الرازي هذا الرأي ([6]) 0 كذلك الطباطبائي حيث يقول: ((والحديث لا يخلو من شيء فلا الآية الأولى بمضمونها تنطبق على المورد ولا الثانية) ([7]) وجميع هذه الوجوه المذكورة ليس فيها ما يدل على علم النبي(صلى الله عليه وآله) بالقرآن قبل نزوله عليه 0

وهذا ما استفاد منه بعض الباحثين في نقض رأي السيد الطباطبائي بقوله بعلم الرسول (صلى الله عليه وآله)بالقرآن قبل نزوله عليه0 حيث أنه لو فرض أن النبي غير عارف بالقرآن لصح أن يقال :لا تعجل بإنزال القرآن ، أو لا تبادر إلى قراءة القرآن حتى يفرغ منه جبرائيل ، ويشهد على ذلك قوله تعالى ﴿ لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ فهذه الآية تفسر المراد من النهي عن العجلة بالقرآن،ويشهد لذلك قوله سبحانه في الآية التي بعدها:﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ يعني يا أيها النبي لا تعجل بقراءة القرآن مخافة النسيان فنحن نجمعه،ونحن نكرر قراءته عليك حتى يستقر في صدرك فلا يفوت منه شيء ([8]) 0

---

[1] - ظ: القمي \تفسير القمي\2\65 + السمرقندي\تفسير السمرقندي \2\413+ ابن زمنين\تفسير ابن زمنين\3\130 +الثعلبي\تفسير الثعلبي\10 \87+الطوسي \التبيان \6\530+الو احدي \تفسير الو احدي \2\706+ السمعاني\تفسير السمعاني\3\357 + البغوي\تفسير البغوي\3\232+ النسفي\تفسير النسفي\3\69+ 4\300 +الطبرسي\مجمع البيان \7\59 0

[2] - ظ: الطبري\جامع البيان \16\272+ الثعلبي\تفسير الثعلبي\6\262 +الطوسي\التبيان \6\530+البغوي\تفسير البغوي\3\233+الزمخشري\الكشاف \2\555+ الطبرسي مجمع البيان\7\59+ الرازي \مفاتح الغيب\22\121 0

[3] - ظ: الطوسي\التبيان \6\530+ الطبرسي\مجمع البيان \7\59 + الرازي \مفاتح الغيب\22\121 0

[4] - ظ: السمعاني\تفسير السمعاني\1\423+ ابن عطية\المحرر الوجيز\4\66 0

[5] - ظ: ابن الجوزي\زاد المسير \5\224 +ابن عطية\المحرر الوجيز\4\66 +ابن العربي \ أحكام القرآن\1\530 +ابن أبي شيبة الكوفي\المصنف \6\366 0

[6] ظ: الرازي \التفسير الكبير\22\122 0

[7] - الطباطبائي \الميزان \14\217 0

[8] - ظ: مير محمدي زرندي\بحوث في تاريخ القرآن وعلومه \66 – 68 0

5- ويوافق باحثون آخرون السيد الطباطبائي في رأيه حيث يذكرون أن القرآن الكريم نزل على النبي (صلى الله عليه وآله) مرتين:

الأولى: إنه نزل جملةً واحدة على سبيل الإجمال،وكانت بنزول المعارف الإلهية التي يشتمل عليها القرآن ،وأسراره الكبرى،والهدف من هذا الإنزال هو تنوير النبي(صلى الله عليه وآله) وتثقيف الله سبحانه وتعالى له بالرسالة التي أعده لحملها 0

الثانية: أنه نزل تدريجياً على سبيل التفصيل بألفاظه المحددة وآياته المتعاقبة والتي كانت في بعض الأحيان ترتبط بالحوادث والوقائع في زمن الرسالة وكذلك مواكبة تطورها خلال المدة التي قضاها النبي (صلى الله عليه وآله)في أمته منذ بعثته إلى وفاته ،والهدف من هذا النزول هو تربية الأمة وتنويرها وترويضها على الرسالة الجديدة ،وكذلك تثبيت النبي في مواقفه وتسديده فيها ،وإثبات إعجاز القرآن بتحديه بأوائل السور وببعضها،وإثبات كونه كلام الله وليس بكلام بشر ،وهذا يحتاج إلى التدرج([1])

ويجد البحث أن هذا الرأي هو الصحيح والله العالم 0

2- أول و آخر ما نزل من القرآن :

كما اختلف العلماء في كيفية نزول القرآن ،كذلك اختلفوا في أول وآخر ما نزل منه على الرسول (صلى الله عليه وآله) في عدة أقوال حسب الأخبار والأثر الوارد في ذلك:

أ- الأقوال في أول ما نزل من القرآن:

[1] - ظ: أبو عبد الله الزنجاني\تاريخ القرآن \38 – 39 + محمد حسين الصغير \تاريخ القرآن\38 – 46 + محمد باقر الصدر \المدرسة القرآنية\221 – 224+ محمد باقر الحكيم \علوم القرآن \31 – 36 0

1- قيل إن أول ما نزل من القرآن هو أوائل سورة العلق،وهذا ما عليه أغلب المفسرين في رواية أبي الجار ود عن أبي جعفر(عليه السلام)في قوله: (ما وعدك ربك وما قلى)وذلك أن جبرائيل أبطأ عن رسول الله(صلى الله عليه وآله)،وأنه كانت أول سورة نزلت: (اقرأ باسم ربك الذي خلق) ثم أبطأ عليه،فقالت خديجة:لعل ربك قد تركك فلا يرسل إليك،فأنزل الله تبارك وتعالى: وما ودعك ربك وما قلى ([1]) 0 وهذا القول نسب أيضاً إلى ابن عباس،والزهري،وعائشة،ومجاهد،وعطاء ،وابن سيار ،وعبيد بن عمير، وجابر بن زيد ([2]) 0

2- قيل أن أول ما نزل من القرآن هو (يا أيها المدثر) وهو المروي عن جابر بن عبد الله ([3]) 0 عن يحيى بن أبي كثير قال: سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن،فقال : (ياءيها المدثر) قلت: يقولون: (أقرأ باسم ربك الذي خلق) ؟ فقال أبو سلمة :سألت جابر بن عبد الله :أي القرآن أنزل أول ؟ فقال : (يأيها المدثر)فقلت يقولون (أقرأ باسم ربك الذي خلق) فقال :لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله(صلى الله عليه وآله):قال الرسول (صلى الله عليه وآله): جاورت بحراء فلما قضيت جواري، هبطت ، فاستبطنت الوادي ،فنودي فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً ،فنظرت عن شمالي فلم أر شيئاً ،ونظرت خلفي فلم أر شيئاً فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض،فجثثت منه رعباً،فرجعت فقلت :دثروني دثروني ،فنزلت: (يا أيها المدثر قم فأنذر) – إلى قوله – والرجز فأهجر ([4]) 0

وينقد الطباطبائي هذا الحديث بما يأتي:

أ- الحديث معارض بالأحاديث الأخر الدالة على كون سورة اقرأ أول ما نزل من القرآن ويؤيدها سياق سورة إقرأ0

ب- إن قوله (فإذا الملك الذي جاءني بحراء)يشعر بنزول الوحي أليه قبلاً ([5]) 0

3- وقيل أول ما نزل هو فاتحة الكتاب ،وهو المروي عن أبي رجاء العطاردي ([1]) ، وعمرو بن شرحبيل0

---

[1] - القمي \تفسير القمي\2\428 + الكاشاني \الصافي \5\340+ الحويزي\تفسير نور الثقلين\5\594

[2] - ظ: الحاكم الحسكاني \شواهد التنزيل \2\410+الصنعاني \تفسير الصنعاني\3\327 +384 + الطبري \جامع البيان \29\180+ النسفي \تفسير النسفي\4\348+الجصاص\أحكام القرآن 3\631+السمرقندي \تفسير السمرقندي\3\458+ الطوسي \التبيان\ 10\171+378 +الزمخشري \الكشاف\4\270+أبو عمرو الداني\البيان في عد آي القرآن \135+ الو احدي \أسباب النزول \6 +ابن العربي\أحكام القرآن \4\417 0

[3] - ظ: ابن زمنين\تفسير ابن زمنين \5\54 +ابن العربي\أحكام القرآن \4\417+ابن عطية \المحرر الوجيز \5\392+ الطوسي \التبيان \10\171 0

[4] - ظ: الطبرسي \جامع البيان \29\179 +ابن العربي\أحكام القرآن \4\338+السيوطي \الدر المنثور\ \

[5]- ظ: الطباطبائي\الميزان\20\83 0

روى الثعلبي بإسناده عن عمرو بن شرحبيل إنه قال : أول ما نزل من القرآن (الحمد لله رب العالمين)وذلك أن رسول الله (صلى الله عليه وآله)أسرّ إلى خديجة فقال :(لقد خشيت أن يكون خالطني شيء) فقالت : وما ذاك ؟ فقال : (إني إذا خلوت سمعت النداء بإقرأ) ثم ذهب إلى ورقة بن نوفل فسأله عن تلك الواقعة فقال له ورقة : إذا أتاك النداء فثبت له ،فأتاه جبرائيل (عليه السلام) وقال له: قل بسم الله الرحمن الرحيم،الحمد لله رب العالمين0 وبإسناده – الثعلبي – عن أبي صالح عن أبن عباس قال :قام رسول الله فقال (بسم الله الرحمن الرحيم) فقالت قريش :دق الله فاك([2]) 0 ويقول الزمخشري : (وأكثر المفسرين على أن الفاتحة أول ما نزل ثم سورة القلم) ([3]) وقد فند أبن حجر هذا القول وصرح بأن هذا القول لم يقل به إلا عدد أقل من القليل 0

4- - قيل أن أول ما نزل من القرآن هو : (بسم الله الرحمن الرحيم) ثم (اقرأ باسم ربك) وهو مروي عن الضحاك عن عبد الله بن عباس قال: أول ما نزل جبرائيل على محمد (صلى الله عليه وآله) ،قال : يا محمد قل أستعيذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، ثم قال : قل (بسم الله الرحمن الرحيم) ثم قال (اقرأ باسم ربك الذي خلق)([4]) وروي كذلك عن عكرمة والحسن مثله ([5]) 0 ويعقب الدكتور الصغير على هذا الرأي بأنه لا ريب فيه ،ولا غبار عليه ؛لأنه من ضرورة نزول السورة نزول البسملة معها، فهي أول آية نزلت على الإطلاق ([6]) 0

5- وهناك قول فريد وجده البحث عند ابن العربي فقط وهو : إن أول ما نزل من القرآن هو ﴿ **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ000** ﴾([7]) وقد نسبه إلى الإمام علي (عليه السلام) ([8]) ولعدم ورود هكذا خبر في الأثر
ولتفرد ابن العربي به فهو مرفوض جملةً وتفصيلاً 0
ومن خلال ما ذكر من أقوال في أول ما نزل من القرآن والأخبار الدالة عليها يجد البحث – وهو يتفق مع رأي أغلب المفسرين ومعهم رأي الدكتور الصغير – إن أوائل سورة العلق هي أول ما نزل من القرآن 0
حيث قد توفر لدى الدكتور الصغير اقتناع بذلك ،وإن منشأ هذا الاقتناع تاريخي وعقلي فالتاريخي هو مامر ذكره من أقوال وأراء للمفسرين وأساطين علوم القرآن مستندة إلى الأخبار والأثر
أما العقلي فيقول الدكتور : (فالقرآن أنزل على أمي لا عهد له بالقراءة ليبلغه إلى أميين لا عهد لهم بالتعلم ،فكان أول طوق يجب أن يكسر ،وأول حاجز يجب أن يتجاوز هو الجمود

---

[1] - ظ: الثعلبي\تفسير الثعلبي\10\244 +ابن العربي\أحكام القرآن \4\417 0
[2] - الرازي\مفاتيح الغيب \1\177 0
[3] - الزمخشري\ الكشاف \4\270 0
[4] - الطبري \جامع البيان 1\76 +الرازي \مفاتيح الغيب\1\61 0
[5] - ظ: الو احدي \أسباب النزول\6 0
[6] - ظ: محمد حسين علي الصغير \تاريخ القرآن \36 عن مصدره 0
[7] - الأنعام : 151 0
[8] - ظ: ابن العربي\أحكام القرآن \4\417 0

الفكري،والتقوقع على الأوهام ،وما سبيل ذلك إلا الافتتاح بما يتناسب مع هذه الثورة،وقد كان ذلك بداية للرسالة) ([1])

ب- الأقوال في آخر ما نزل من القرآن :

1- قيل أن آخر ما نزل على الرسول (صلى الله عليه وآله)سورة المائدة ([2]) : عن عيسى بن عبد الله الله عن أبيه عن جده عن علي (عليه السلام) قال :كان القرآن ينسخ بعضه بعضاً وإنما كان يؤخذ من أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله)بآخره فكان من آخر ما نزل عليه سورة المائدة فنسخت ما قبلها ولم ينسخها شيء،لقد نزلت وهو على بغلة الشهباء 0000 ([3]) وروي ذلك عن عائشة([4]) 0

2- قيل إن آخر ما نزل من القرآن آية الربا ،وهو المروي عن أبن عباس وعمر بن الخطاب([5]) 0 عن سعيد بن المسيب قال : قال عمر بن الخطاب :إن آخر ما نزل من القرآن آية الربا، وإن رسول الله قبض ولم يفسرها فدعوا الربا والريبة ([6]) 0

3- قيل إن آخر ما نزل من القرآن قوله تعالى : ﴿ **يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ000** ﴾ ([7]) وهو المروي عن البراء بن عازب ([8]) 0

4- -قيل إن آخر ما نزل هو قوله تعالى: ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ** ﴾ ([9]) وهو المروي عن ابن عباس والسدي والضحاك وبن جريح ([10]) 0

---

[1] - محمد حسين علي الصغير \تاريخ القرآن \36 0

[2] - ظ: العياشي \تفسير العياشي\1\288 +الجصاص\أحكام القرآن\3\21 + الثعلبي\تفسير الثعلبي\4\93 +البغوي \تفسير البغوي\2\52 +الطبرسي\مجمع البيان \3\257 +الكاشاني\ الأصفى \1\308 +الحويزي\تفسير نور الثقلين\1\582

[3] - العياشي \تفسير العياشي\1\288 0

[4] - ظ: الباقلاني\إعجاز القرآن \292 0

[5] - ظ: الطبري \جامع البيان 3\156 +الطوسي \التبيان \2\369 + الجصاص\أحكام القرآن \1\563 \1\563 + ابن عطية \المحرر الوجيز\1\ 378 + الطباطبائي\الميزان\12\128

[6] - احمد بن حنبل \مسند احمد \1\36 + 50 0

[7] - النساء : 176 0

[8] - ظ: ابن عطية \المحرر والوجيز\2\142 +القرطبي\تفسير القرطبي\1\60 +الو احدي \ أسباب النزول \8 +ابن الجوزي\زاد المسير \1\3 0

[9] - البقرة: 281 0

[10] - ظ: النحاس \معاني القرآن \1\312 + ابن عطية \المحرر الوجيز\1\ 378 + القرطبي\تفسير القرطبي\1\60 + ابن كثير\تفسير ابن كثير \1\ص34 + ابن الجوزي\زاد المسير \ج1\ص3 + الثعلبي\تفسير الثعلبي\ج2\ص290 + ابن أبي حاتم \تفسير ابن أبي حاتم \ج2\ص554 0

5- وقيل إن آخر ما نزل هو قوله :﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾ ([1])إلى قوله ﴿ **فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ** ﴾ ([2])وهو المروي عن ابي بن كعب ([3]) 0
6- - وقيل آخر ما نزل هو قوله تعالى :﴿ **وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا** ﴾([4]) وهو المروي عن سعيد بن جبير جبير وابن عباس ([5])
7- وقيل آخر ما نزل هو سورة النصر، وقد نزلت بمنى في حجة الوداع([6])

ويقول الباقلاني :أنه يجوز أن يكون في مثل هذا خلاف،وإن كل واحد ذكر آخر ما سمع([7])

رابعاً: تدوين القرآن وجمعه

---

[1] التوبة : 128 0
[2] - التوبة : 129 0
[3] - ظ: أحمد بن حنبل\مسند احمد\5\134 + ابن أبي حاتم \تفسير ابن أبي حاتم\6\1919 + النحاس \معاني القرآن \3\272+ أبو عمرو الداني\ \البيان في عد آي القرآن \26 +والواحدي\أسباب النزول\8+البغوي\تفسير البغوي\2\342+ابن الجوزي\زاد المسير\1\3 0
[4] - النساء : 93 0
[5] - ظ: الطبري \جامع البيان \5\297 + البخاري \صحيح البخاري\5\182 0
[6] - ظ: الزمخشري \الكشاف \4\810 +الباقلاني\إعجاز القرآن\293 + الطبرسي\جوامع الجامع \3\865+ابن الجوزي\زاد المسير\1\3 0
[7] -ظ:الباقلاني\إعجاز القرآن\293 0

1- معنى الجمع

2- مراحل جمع القرآن

أ- جمع القرآن في عهد الرسول(صلى الله عليه وآله)

ب- جمع القرآن بعد وفاة الرسول(صلى الله عليه وآله)

ج- جمع القرآن على قراءة واحدة

تقويم واستنتاج

رابعاً: تدوين القرآن وجمعه

إن البحث في موضوع جمع القرآن من البحوث المهمة ؛ لما لهذا البحث من آثار مترتبة حول القول بتحريف القرآن وعدمه،وكذلك تعدد القراءات، وترتيب السور والآيات في المصحف 00 وغيرها من الأمور0

ولذلك فقد أخذت الأقلام مأخذاً في مسألة جمع القرآن،ويعود السبب في ذلك إلى تناقض وتضارب الروايات في هذا المقام،حتى أن الباحث في هذه المسألة يلاقي صعوبات كثيرة جراء هذا التنافر والتضارب ولكن قبل الولوج في عرض هذه الروايات وما آلت إليه من آراء ونتائج يجب علينا أن نتدبر لفظ (الجمع) الوارد في تلك الروايات0

1- معنى الجمع

من خلال دراسة تلك الروايات ومراجعة الأبحاث في هذا الصدد،يبدو أن لفظ (الجمع)استعمل وأريد به أحد المعاني التالية:

أ- الجمع بمعنى الحفظ في القلب،ومنه يقال لحفاظ القرآن جمّاعه ([1])0 وقد أجمع نزر من المفسرين على هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ** ﴾ ([2]) - علماً أن هذه الآية هي الوحيدة في القرآن التي جاءت بها مادة الجمع بهذا المعنى – حيث ذهبوا إلى أن معناه هو:إن علينا جمعه وحفظه في صدرك يا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ([3]) 0 ويعلق الطباطبائي بأن هذا المعنى لا يخلو من بُعد ([4]) 0

ووجد البحث كذلك في حديث لأبي هريرة ينقله عدة من المفسرين ،إن معنى الجمع هو الحفظ والقراءة ،وهو: حدثني رسول الله (**صلى الله عليه وآله**): (إن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة دعا العباد ليقضي بينهم،وكل أمة جاثية،فأول من يدعو : رجل جمع القرآن ، ورجل قتل في سبيل الله000فيقول الله للقارئ :ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي ؟ قال بلى يارب0 قال ماذا عملت فيما علمت؟ قال كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار 00) ([5])

وهذا دليل على أن معنى الجمع الوارد في الحديث هو الحفظ والقراءة 0

ب- الجمع بمعنى الكتابة على الأدوات المتوفرة،ولكن مفرّق الآيات والسور،أو مرتب الآيات مفرّق السورة على رقعة من الرقاع 0

وقد وجد البحث أن هذا المعنى هو ما دلت عليه الروايات القائلة بأن الجمع قد تم في عهد الرسول(**صلى الله عليه وآله**)0 وقد وجد لدى قسم من الصحابة 0

ت- الجمع بمعنى كتابة القرآن متسلسل الآيات،مرتب السور في مصحف واحد0

وقد وجد البحث أن هذا المعنى هو ما دلت عليه الروايات القائلة بأن جمع القرآن قد تم في عهد أبي بكر بعد وفاة الرسول (**صلى الله عليه وآله**) 0

ث- الجمع بمعنى نسخ القرآن على قراءة واحدة متواترة في مصحف واحد 0

وقد وجد هذا المعنى في الروايات الدالة على جمع عثمان للمصحف 0

---

[1] - ظ: صبحي الصالح \مباحث في علوم القرآن \65 0

[2] - القيامة : 17 0

[3] -ظ:الطبري \جامع الطبري 1\65+ابن أبي حاتم \تفسير ابن أبي حاتم\10\ 3387+ السمرقندي\تفسير السمرقندي\3\500+ الطوسي \التبيان \10\ 196 + الزمخشري \الكشاف\4\191+الطبرسي \مجمع البيان \10\197+ الثعلبي\ تفسير الثعلبي\ 10\ 87 + السمعاني \تفسير السمعاني \6\106+ البغوي\تفسير البغوي\4\423+ ألطريحي \تفسير غريب القرآن\ \60+الكاشاني\الأصفى\2\ 138 0

[4] - ظ: الطباطبائي \الميزان \20\110 0

[5] - ظ: الثعلبي\تفسير الثعلبي\5\160 +البغوي\ تفسير البغوي\1\251+ ابن العربي \أحكام القرآن\3\15+ الرازي\17\199 0

وهذا ما يخص معنى (الجمع) الوارد في الروايات 0
وأما بالنسبة إلى الروايات فقد ارتأى البحث أدراجها وفق تقسيمه لمراحل جمع القرآن ، حيث قام البحث بتقسيم عملية جمع القرآن إلى ثلاثة مراحل هي :

2- مراحل جمع القرآن

أ-جمع القرآن على عهد الرسول (صلى الله عليه وآله) :

إن جمع القرآن بالمعنى الاستظهاري تم في عهد الرسول(صلى الله عليه وآله) بصورة جلية واضحة لا تقبل الشك،ولا تحتاج إلى تدليل عليها،وكان الرسول(صلى الله عليه وآله) أول الحفاظ وسيدهم قاطبة 0
وقد جدّ المسلمون أيضاً في حفظ القرآن وضبطه،لأن النبي(صلى الله عليه وآله) أمر بتعليم القرآن إياهم﴿ **بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾([1]) 0وعن عبد الله بن مسعود أنه قال لأصحابه في الكوفة: إني قرأت من لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله)سبعين سورة ([2]) 0
كذلك يروى أن الصحابة كانوا يستقرئون من النبي (صلى الله عليه وآله) ،فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعلموا ما فيها من العلم،فتعلموا القرآن والعمل جميعاً ([3])
كما إن جمّاع القرآن أي حفاظه على عهد رسول الله(صلى الله عليه وآله)كانوا أكثر من أن تحصى أسماؤهم ويكفي للإشارة إلى كثرتهم أنه قُتل منهم(سبعون) سنة 4هـ في معركة بئر معونة ([4]) وكان اهتمام الرسول(صلى الله عليه وآله)بالقرآن وحفظه وتعليمه مواكباً لنشر الدعوة الإسلامية منذ خيوط فجرها الأولى ،فأنه (صلى الله عليه وآله)أرسل مصعب بن عمير إلى المدينة،مع من بايعه بالعقبة الأولى وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ([5]) 0
وكذلك من الأسباب التي دفعت بالمسلمين لاستظهار القرآن وحفظه في الصدور ،كونه دستورهم الذي يسيرون بموجبه،وفقههم الذي يبين لهم الحلال والحرام،وما لهم وما عليهم،فلا بد أن يستظهروه 0 والقرآن آية كبرى في البلاغة،وكانت عادة العرب استظهار النصوص البلاغية ،فكيف بالقرآن الذي تحدى ببلاغته كل بليغ،وقد كانت العرب بأجمعهم متوجهين إليه سواء في ذلك مؤمنهم وكافرهم ، فالمؤمن يحفظه ويعمل به لإيمانه،والكافر يأتي خفية في الليالي المظلمة إلى قرب بيت النبي(صلى الله عليه وآله) ويستمع إلى الآيات ويحفظها لأنه يريد معارضتها وإبطال حجتها ([6]) 0
إضافة إلى ما للحفاظ من منزلة مرموقة بين المسلمين عامة،ولدى الرسول(صلى الله عليه وآله) خاصة0وهذا كافٍ بحد ذاته لتزاحم وتنافس المسلمين على استظهار القرآن 0
وكذلك الأجر والثواب الذي يستحقه القارئ والحافظ بقراءة القرآن وحفظه0

---

[1]- النحل : 58 0
[2] - ظ: الطبري \جامع البيان \1\28 0
[3] - م0ن \80 0
[4] - ظ: الزنجاني \تاريخ القرآن \65 0
[5] - ظ: ابن هشام \سيرة ابن هشام\2\76 0
[6] - ظ: الطباطبائي\ القرآن في الإسلام \168+ الخوئي \البيان \270 0

هذا فيما يخص أمر الاستظهار ، أما تدوين القرآن وجمعه مكتوباً،فهذا أمر واقع لا محال في عهد النبي(صلى الله عليه وآله)،فقد كان القرآن مجموعاً في قلوب المسلمين وكتاباتهم له ([1])
ويدل على ذلك العديد من الروايات التي تنص على جمع عدة من الصحابة للقرآن منها:
عن الشعبي قال: (جمع القرآن على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)ستة من الأنصار ،أبي بن كعب، وزيد بن ثابت،ومعاذ بن جبل، وأبو الدرداء ،وسعد ابن عبيد،وأبو زيد 0 وكان مجمع بن جارية قد أخذه إلا سورتين أو ثلاث) ([2]) 0
وعن قتادة قال : (سألت أنس بن مالك من جمع القرآن على عهد النبي؟ قال :أربعة كلهم من الأنصار: أبي بن كعب ومعاذ بن جبل ،وزيد بن ثابت، وأبو زيد) ([3]) 0
ويعلق السيد الخوئي في مثل هذه الروايات على من قال بأن المقصود من الجمع هو الجمع في الصدور([4]) (الحفظ) بأنه دعوى لا شاهد عليها إضافة إلى أن حفاظ القرآن – كما وسبق القول – على عهد الرسول (صلى الله عليه وآله)كانوا أكثر من أ، تحصى أسماؤهم، فكيف يمكن حصرهم في عدد محدود ؟ ([5])0
وهكذا يكون المقصود من الجمع في هذه الروايات هو جمعه كتابةً لا حفظاً 0
إلا أن جمعه في مصحف واحد مرتب الآيات والسور كما هو عليه اليوم مما اختلف فيه العلماء0
فقد ذهب بعض المتقدمين ومنهم السيد المرتضى(ت:436هـ) إلى أن القرآن كان مجموعاً مؤلفاً في زمن الرسول(صلى الله عليه وآله)على ما هو عليه في زمانه0وذلك حسب ما نقلته عنه بعض المصادر،وجاء فيها: قال المرتضى (رحمه الله)في جواب المسائل الطرابلسيات :
إن العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقايع العظام،والكتب المشهورة،وأشعار العرب المسطورة،فأن العناية اشتدت والدواعي توفرت على نقله وحراسته،وبلغت إلى حد لم يبلغه فيما ذكرناه 000 إن القرآن كان على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن 0
ثم استدل السيد بأدلة وهي:أن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان،حتى عين على جماعة من الصحابة في حفظهم له، وأنه كان يعرض على النبي(صلى الله عليه وآله)ويتلى عليه،وإن جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي(صلى الله عليه وآله)عدة ختمات ،وكل ذلك يدل بأدنى تأمل على أنه كان مجموعاً مرتباً غير مبتور ولا مبثوث ([6]) 0

---

[1] - ظ: البلاغي \آلاء الرحمن\1\170
[2] - المتقي الهندي \منتخب كنز العمال\ 2\48 0
[3] - م0ن \2\52 0
[4] - ظ: البلاغي \آلاء الرحمن\1\170
[5] - الخوئي \البيان \267 – 268 0
[6]- ظ: الطبرسي\مجمع البيان \1\43+نعمة الله الجزائري\نور البراهين \1\525 +الكاشاني \الصافي\1\53+مسلم الحلي\القرآن والعقيدة\48 +ألعاملي \الانتصار\ 3\11 + محسن الأمين\أعيان الشيعة \1\45 0

فيما ذهب بعض المتأخرين ومنهم السيد الطباطبائي إلى أن القرآن لم يجمع في مصحف واحد على عهد الرسول(صلى الله عليه وآله) وأن ما تدل عليه روايات الجمع السابقة هي مجرد جمع ما نزل من السور والآيات وأما العناية بترتيب السور والآيات كما هو اليوم فلا ([1])

ويستدل على هذا الرأي بما يأتي:

1- عن أبي بكر الحضرمي عن أبي عبد الله(عليه السلام) قال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله)قال لعلي (عليه السلام) : يا علي إن القرآن خلف فراشي في الصحف والحرير والقراطيس، فخذوه واجمعوه، ولا تضيعوه كما ضيّعت اليهود التوراة ، وأنطلق علي(عليه السلام) فجمعه في ثوب أصفر ثم ختم عليه في بيته وقال: لا أرتدي حتى أجمعه،وإن كان الرجل يأتيه فيخرج إليه بغير رداء حتى جمعه،قال : وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لو أن الناس قرءوا القرآن كما أنزل ما أختلف اثنان ([2]) 0

وهذا يعني أن القرآن كان مكتوباً ومجموعاً ولكن في القراطيس والصحف 0

2- تنزيل القرآن منجماً: فقد كانت تنزل بعض آيات سورة من السور،وتنقطع بنزول آيات سورة أخرى – قبل تلك السورة أو بعدها – ثم يستأنف الوحي آيات السورة الأولى ،وهكذا كمل التنزيل 0

ولا شك أن حالة كهذه يتعذر ،بل يستحيل معها جمع القرآن مباشرة عند نزوله في مصحف واحد، إذ يلزم ذلك تغييراً مستمراً في الرقاع المدوّن عليها ،لتوضع الآية الجديدة محلها،أو أن يدوّن القرآن حسب نزوله،وعندئذ لا يكون المصحف الذي بأيدينا،لتداخل نزول آيات سورة بآيات أخرى عند ذلك0

3- بعد أن ختم الله تعالى الوحي وأتم النعمة وأكمل الدين،لم يعش رسول الله(صلى الله عليه وآله)فترة مناسبة ليقوم هو بترتيب وجمع الرقاع ونحوها في مصحف منسق واحد،فأنه(صلى الله عليه وآله)قبض في السنة التي نزلت فيها آخر آية من القرآن([3]) 0غير أنه(صلى الله عليه وآله)ما توفي إلا بعد أن أعلم العدد الغفير من الصحابة بترتيب القرآن الكريم ،حتى صار حفاظ القرآن الكريم يقرأونه كاملاً مرتباً على نحو ما أمر به الرسول(صلى الله عليه وآله)بتعليم من جبرائيل(عليه السلام) في العرضة الأخيرة،فكان ذلك ضماناً لترتيب السور والآيات في مصحف واحد ([4])0

أما الشيرازي فيذهب مذهب السيد المرتضى وهو إن القرآن قد جمع في زمن الرسول (صلى الله عليه وآله)بهذا الترتيب الذي هو عليه الآن،ويستدل على ذلك بتسمية سورة الحمد بفاتحة الكتاب،حيث أن هذه السورة ليست أول سورة في ترتيب النزول حتى تسمى بهذا الاسم،وإنما اتخاذها بهذا الاسم دليل على إثبات جمع القرآن على عهد الرسول بهذا الترتيب الذي عليه الآن ([5]) 0

---

[1]- ظ: الطباطبائي \الميزان \12\120- 121 + البلاغي \آلاء الرحمن \1\18 + داود العطار\موجز علوم القرآن\164 +عبد الله شبر\تفسير شبر\13+مؤسسة آل البيت\مجلة تراثنا\12\56 0

[2] - القمي \تفسير القمي\2\451+ ألمجلسي \بحار الأنوار\89\48 0

[3] - ظ: البلاغي \آلاء الرحمن\1\18 0

[4] - داود العطار \موجز علوم القرآن\ 164 0

[5] - الشيرازي\الأمثل \1\23 0

والجواب على دليله هو ما ذكرناه قبل قليل من أن الرسول(صلى الله عليه وآله)كان قد أعلم الصحابة بترتيب القرآن إضافة إلى أنه قد وردت أسماء كثير من السور في أحاديث جمة منقولة من طرق الخاصة و العامة([1]) 0

وكذلك من الدلائل على أ، القرآن كان مجموعاً كتابياً على حياة الرسول(صلى الله عليه وآله) ما يروى عن زيد بن ثابت قوله : (كنا عند رسول الله (صلى الله عليه وآله)نؤلف القرآن من الرقاع إذ قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) طوبى للشام 000) ([2]) 0

وفي هذا دليل واضح على أن الرسول (صلى الله عليه وآله) كان قد أمر بكتابة القرآن على عهده،أي إن القرآن إنما جمع على عهده ([3]) 0

ويعلق السيد الطباطبائي على هذا الحديث بقوله: (ولعل المراد ضم بعض الآيات النازلة نجوماً إلى بعض السور أو ألحاق بعض السور إلى بعضها مما يماثل صنفاً كالطوال والمئين والمفصلات فقد ورد لها ذكر في الأحاديث النبوية،وإلا فتأليف القرآن وجمعه مصحفاً واحداً إنما كان بعد ما قبض النبي(صلى الله عليه وآله)بلا إشكال)([4]) وهو أيضاً يحمل الروايات الواردة بشأن من جمع القرآن على عهد الرسول(صلى الله عليه وآله) وكذلك الرواية عن ابن عمر قال: (جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة فبلغ النبي(صلى الله عليه وآله)فقال اقرأه في شهر) ([5]) على أنه أقصى ما تدل عليه هذه الروايات مجرد جمعهم ما نزلت من السور والآيات ،وأما العناية بترتيب السور والآيات كما هو اليوم أو بترتيب آخر فلا ([6]) 0

وكذلك ممن ذهب إلى هذا من المتأخرين السيد علي محمدي زرندي،حيث يعتمد على حديث زيد بن ثابت المتقدم، بأن القرآن كان متفرقاً بين الرقاع،وإن زيداً ومن معه كانوا يجمعون القرآن في مصحف واحد،وهو عند رسول الله (صلى الله عليه وآله)،وواضح أن التأليف يستلزم الترتيب،فإذا كان الترتيب عند رسول الله (صلى الله عليه وآله)فالترتيب عنه أيضاً وبأمره0

ويذكر أن سبب اختلاف الصحابة في ترتيب مصاحفهم كما في مصحف أُبي وابن مسعود اللذين يختلفان في ترتيبهما عن المصحف الذي بأيدينا هو : إنه لعل هذا الاختلاف كان قبل وقوفهم على أنه أمر توقيفي،وقبل أن يأمر النبي(صلى الله عليه وآله) بتأليف القرآن من الرقاع،فهم رتبوا ما سمعوا من النبي (صلى الله عليه وآله)لأنفسهم بحسب آراءهم ([7])0 والذي والذي يورده البحث على هذا الاستدلال بأنه:

---

[1] - ظ: الطباطبائي \القرآن في الإسلام \ص170 0

[2] - احمد بن حنبل \مسند احمد \5\185+ الترمذي \سنن الترمذي\5\390+ الحاكم النيسابوري \المستدرك \2\229 + ابن أبي شيبه\المصنف\4\583+ الطبراني\المعجم الكبير \5\158 + المتقي الهندي\كنز العمال\14\152 0

[3] - ظ: الخوئي \البيان \271 0

[4] - الطباطبائي\ الميزان \12\120+ ظ: الزركشي \البرهان \1\256+ السيوطي\الإتقان \1\160 0

[5] - احمد بن حنبل \مسند احمد \2\163 + ابن حجر \فتح الباري\9\47 0

[6] - ظ: الطباطبائي\ الميزان \12\121 0

[7] - ظ: السيوطي \الإتقان \1\58+ الزنجاني \تاريخ القرآن\ص45+ الزركشي \البرهان \1\238 0

إن كان هؤلاء الصحابة قد ألفوا مصاحفهم قبل أمر النبي(صلى الله عليه وآله) بتأليف القرآن حسب الترتيب ألتوقيفي فلما يا ترى قد أبقوا على ترتيبهم بعد ما أمر النبي بذلك؟ ولِمَ لم يغيروا من ذلك الترتيب حيث بقيت مصاحفهم بتلك الصفة منسبة إليهم ؟

وممن يذهب إلى أن القرآن لم يجمع في مصحف واحد على حياة الرسول(صلى الله عليه وآله) من المتقدمين أبو عبد الله المحاسبي(ت: 243هـ) بقوله: (كتابة القرآن ليست بمحدثه،فأنه (صلى الله عليه وآله) كان يأمر بكتابته ،ولكنه كان مفرقاً في الرقاع والأكتاف والعسب000كان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ([1]) 0

وهكذا نستنتج بأن القرآن كان كله مدوناً ومجموعاً وعلى مختلف الأدوات على عهد الرسول(صلى الله عليه وآله) وكان في بيت الرسول ولكنه ليس في مصحف واحد بين الدفتين0

أما ما استند عليه بعضهم من أطلاق لفظ الكتاب في بعض الآيات والأحاديث النبوية على أن القرآن مجموع في مصحف على حياة النبي(صلى الله عليه وآله) ،فجوابه:

إنما لفظ(الكتاب) وكذلك (القرآن)وهما أسمان لكتاب الله تعالى سواء أكان مجموعاً في مصحف أم في الصحف والقراطيس،يطلق على جميعه وأبعاضه،فحتى السورة الواحدة يطلق عليها قرآن وكتاب 0

والدليل على ذلك في قوله تعالى في سورة البقرة:﴿ **الم* ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِين** ﴾ والمعلوم أن سورة البقرة هي أول سورة نزلت في المدينة،وهي ليست آخر سورة نزلت من القرآن حتى يكون قد أكتمل القرآن بها ويكون إطلاق لفظ الكتاب على جميع القرآن0 فالقرآن حينذاك لم يكتمل بعد، فكيف أطلق سبحانه وتعالى عليه لفظ الكتاب أذا لم يكن قد أكتمل وجمع بعد في مصحف0

والذي يراه البحث والله العالم إنما إطلاق لفظ الكتاب هو إطلاق معنوي،يعني به القرآن كونه كتاب سماوي سواء أكان مكتوباً مجموعاً في مصحف أم مفرقاً في الصحف فهو كتاب ألهي،ولا يشترط أن يكون مجموعاً بين غلافين لكي يتصف بتلك الصفة0

ويقول السيد محمد باقر الحكيم: في تسمية الكلام الإلهي بـ(الكتاب) أشارة إلى الترابط بين مضامينه ووحدتها في الهدف والاتجاه ،وبالنمو الذي يجعل منها كتاباً واحداً([2])0

---

[1] - ظ: مير محمدي زرندي\ بحوث في تاريخ القرآن وعلومه \103 0

[2] - ظ: محمد باقر الحكيم \علوم القرآن \20 0

ب- جمع القرآن بعد وفاة الرسول(صلى الله عليه وآله)

علمنا أن القرآن كان كله مكتوباً مدوناً على العسب واللخاف والرقاع،مجموعاً محفوظاً في بيت الرسول(صلى الله عليه وآله)وعند بعض من الصحابة والذي أطلق عليهم آنذاك بـ(جمّاع القرآن) 0

وبما أن الوحي الإلهي لم ينقطع عن الرسول(صلى الله عليه وآله)حتى آخر سنة من حياته، فلم يتسنَ للرسول(صلى الله عليه وآله)جمع القرآن في مصحف واحد بين الدفتين ([1])، إلا أنه أعلم الصحابة بترتيب الآيات في السور في مواضعها،وقد أوصى وصيه الإمام علي(عليه السلام) بأن يجمع القرآن من بعده كي لا يضيع على المسلمين كما ضاعت التوراة على اليهود0

روى العياشي في تفسيره عن عمرو بن أبي المقدام عن أبيه عن جده (00قال علي (عليه السلام): إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أوصاني إذا واريته في حفرته أن لا أخرج من بيتي حتى أؤلف كتاب الله،فإنه في جرائد النخيل وفي أكتاف الإبل 00) ([2]) 0

وفي تفسير القمي عن أبي بكر الحضرمي،عن أبي عبد الله (عليه السلام)قال : (إن رسول الله(صلى الله عليه وآله)قال لعلي(عليه السلام): يا علي القرآن خلف فراشي في الصحف والحرير والقراطيس فخذوه واجمعوه ولا تضيعوه كما ضيعت اليهود التوراة ،فأنطلق علي فجمعه في ثوب أصفر،ثم ختم عليه في بيته وقال:لا ارتدي حتى أجمعه ،وإن كان الرجل ليأتيه فيخرج عليه بغير رداء حتى جمعه،قال: وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله):لو أن الناس قرءوا القرآن كما أنزل الله ما أختلف اثنان) ([3]) 0

فحين أتم الإمام علي(عليه السلام) تجهيز الرسول(صلى الله عليه وآله):وتكفينه ودفنه،والناس منصرفون إلى شؤون البيعة والخلافة في سقيفة بني ساعدة،أنصرف أمير المؤمنين(عليه السلام) إلى تنسيق تلك الرقاع وتنظيمها وترتيب سورها وآياتها بحسب نزولها ،وجعلها كتاباً موحداً يحقق ما لم يتسن لرسول الله (صلى الله عليه وآله)تحقيقه،وعكف في بيته يجمع القرآن في مصحف واحد من الرقاع المتنوعة غير المنتظمة0 وهذا هو معنى الجمع الذي مارسه الإمام علي (عليه السلام)،لا الجمع من صدور الرجال كما توهم بعضهم 0

وفي الكافي عن سالم بن سلمة عن أبي عبد الله(عليه السلام) :قال (00قال – الإمام علي(عليه السلام)– لهم:هذا كتاب الله عز وجل كما أنزله على محمد(صلى الله عليه وآله)وقد جمعته من اللوحين00)([4])

والمقصود بالجمع هنا جعله بين دفتي المصحف لا كتابته ابتداءً فإنه كان مدوناً لديه([5])0

والذي تجدر الإشارة إليه أن مصحف الإمام علي(عليه السلام) لم يخالف المصحف الذي بأيدينا في شيء سوى في ترتيب سوره حسب النزول وقدم المنسوخ على الناسخ وكتب فيه تأويل بعض الآيات وتفسيرها بالتفصيل([6]) 0

---

[1] - ظ: البلاغي \آلاء الرحمن\1\18 0

[2] - العياشي \تفسير العياشي \2\66+ ألمجلسي\بحار الأنوار \28\227 + الزنجاني \تاريخ القرآن \50 0

[3] - القمي \تفسير القمي \2\451 + المجلسي \بحار الأنوار \89 \48 0

[4] - الكليني\ الكافي \ 2\633 +

[5] - داود العطار \موجز علوم القرآن \165 0

[6] -ظ: الزنجاني \تاريخ القرآن \54 + البلاغي \آلاء الرحمن\1\18+مؤسسة آل البيت \مجلة تراثنا\8\253 0

وبعد رحلة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)بسنة واحدة حدثت حرب اليمامة التي قتل فيها سبعون من القراء على بعض الروايات،وزيد في روايات أخرى ([1])0 ففكرت الخلافة حينذاك في جمع السور والآيات في مصحف واحد خوفاً من حدوث حرب أخرى وفناء القراء وذهاب القرآن على أثر موتهم 0

ورد في صحيح البخاري عن زيد بن ثابت قال: (أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده 0 قال أبو بكر:إن عمر أتاني فقال :إن القتل قد أستحرّ يوم اليمامة بقراء القرآن ،وإني أخشى أن يستحرّ القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القراء ، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن0قلت لعمر:كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله(صلى الله عليه وآله)؟قال عمر:هذا والله خير،فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ،ورأيت في ذلك الذي رأى عمر0 قال زيد :قال أبو بكر:إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك،وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله - (صلى الله عليه وآله)- فتتبع القرآن فاجمعه 0فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني من جمع القرآن0 قلت:كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله-(صلى الله عليه وآله)- ؟ قال :هو والله خير،فلم يزل أبوبكر يراجعني حتى شرح الله صدري0 للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر،فتتبعت القرآن أجمعه من العسب ،واللخاف،وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره: ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ** ﴾ ([2]) حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله،ثم عند عمر حياته ،ثم عند حفصة بنت عمر) ([3])0

على أن هذه الرواية وغيرها لا تعارض ولا تزاحم الروايات الأخرى من أن أول المبادرين إلى جمع القرآن في مصحف واحد هو الإمام علي ([4]) 0

ولا يبعد أن يكون الإمام علي (عليه السلام) قد جع القرآن باعتباره وصي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأبو بكر جمع القرآن باعتباره خليفة المسلمين ،في آن واحد 0

وقول زيد بن ثابت في الرواية السابقة(فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال) قد أوهم بعض الباحثين أن القرآن لم يدون في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) والشواهد التاريخية والوقائع تثبت أن زيداً أراد بقوله(00وصدور الرجال) أن يعارض ما هو مدون لديه بما هو مستظهر من القرآن عند الحفاظ،ليجمع بذلك صحة الاستظهار وصحة التدوين في مصحف واحد ([5]) 0

---

[1] - ظ: علي الخفيف \جمع القرآن وتدوينه\27 0

[2] - التوبة: 128 – 129 0

[3] - البخاري \صحيح البخاري\6\98 0

[4] - البخاري \صحيح البخاري \6\98 0

[5] - ظ: محمد حسين الصغير \تاريخ القرآن \86 + داود العطار \موجز علوم القرآن\161 0

ج- جمع القرآن على قراءة واحدة:

ظل المسلمون بالرغم من جمع القرآن وتنسيقه في مصحف واحد،يقرءونه بقراءات شتى -لأسباب قد تم ذكرها في مبحث القراءات – فكان الاختلاف في الحركة الأعرابية مثلاً مثاراً للخلاف بينهم وتشتيت كلمتهم،الأمر الذي دعا حذيفة بن اليمان(ت:36هـ) بعد عودته من فتح بلاد أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق أن يسرع إلى الخليفة عثمان بن عفان ويذكره بمنع النبي(صلى الله عليه وآله)من الاختلاف في القرآن ([1])

روى ابن شهاب إن أنس بن مالك حدثه:

(إن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان ،وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق0فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة 0

فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى،فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف،ثم نردها إليك،فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت،وعبد الله بن الزبير،وسعد بن العاص،وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام،فنسخها في المصاحف ،وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة:إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش،فإنما نزل بلسانهم ،ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردّ عثمان الصحف إلى حفصة،فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ،وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق) 0

قال ابن شهاب: (وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت سمع زيد بن ثابت قال:فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف،قد كنت أسمع رسول الله (صلى الله عليه وآله)يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري0

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ000 ﴾ ([2])فألحقناها في سورتها في المصحف) ([3])

فقام عثمان بجمع المسلمين على قراءة واحدة وهي القراءة التي كانت متعارفة بين المسلمين،والتي تلقوها بالتواترعن النبي(صلى الله عليه وآله)([4])0 ومنع سائر القراءات وإحراق المصاحف أو أتلفها وقيل سلقها بالماء الحار والخل([5]) 0وعدا المصحف الذي اختاره واستنسخته لجنة من زيد بن ثابت وجماعة آخرين0 وكان لعمل عثمان عدة أسباب إضافة للسبب المتقدم([6]) 0

فلم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين اللوحين،وإنما قصد جمعه على القراءة الثابتة المعروفة عن النبي(صلى الله عليه وآله)وإلقاء ما ليس كذلك ([7]) 0

---

[1] - ظ: اليعقوبي\تاريخ اليعقوبي\2\159

[2] - الأحزاب : 23 0

[3] - البخاري\صحيح البخاري\6\99 0

[4] - ظ: الخوئي \البيان \277 0

[5] - ظ: اليعقوبي\تاريخ اليعقوبي\2\159 0البخاري\صحيح البخاري\6\99 0

[6] - ظ: الباقلاني\تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل\ص533+القرطبي\تفسير القرطبي\1\51 0

[7] - الباقلاني\إعجاز القرآن \40 مقدمة المحقق +ظ: الزركشي\البرهان\1\235+ السيوطي\الإتقان\1\60 0

تقويم واستنتاج:

يبدو للبحث مما تقدم من آراء وما استند عليه أصحاب تلك الآراء من روايات وأدلة ،إن القرآن الكريم كان محفوظاً في الصدور على عهد النبي(صلى الله عليه وآله) بلا إشكال ،وكذلك كان مدوناً ومكتوباً على مختلف الأدوات من العسب واللخاف والأكتاف 000 بأكمله من دون أي نقص،أي لم يبق قسم منه غير مدون0 وعندما توفي الرسول(صلى الله عليه وآله)كان القرآن كله مكتوباً ومحفوظاً عنده وبمراجعته (صلى الله عليه وآله)،إلا أنه لم يكن في مصحف واحد مرتب السور 0

ثم بعد رحيله (صلى الله عليه وآله)ارتأى الصحابة جمع القرآن في مصحف واحد خشية ضياعه وتفرقه لعدة أسباب ،فكان الإمام علي (عليه السلام) أول من قام بالمهمة بوصية من رسول الله(صلى الله عليه وآله)ثم توالى الصحابة على ذلك،حتى أن بعضهم قد استنسخ مصحف لنفسه0

وفي زمن عثمان خشي على القرآن من الاختلاف الذي أدى إلى الاقتتال فأمر عثمان بتوحيد المصاحف على قراءة واحدة في مصحف إمام واستنسخه وبعث به إلى الأمصار وألغى ما دونه من المصاحف الأخرى0

محافظة الإمام علي(عليه السلام)وأهل البيت على الوحدة الإسلامية:

بالرغم من أن الإمام (عليه السلام)كان أول من جمع القرآن على ترتيب النزول،وردوا جمعه ولم يشركوه في الجمع الأول والثاني،مع هذا لم يُبدِ أي مخالفة أو معارضة،وقبل المصحف ولم يقل شيئاً عن هذا الموضوع حتى في أيام خلافته0

وهكذا أئمة أهل البيت (عليهم السلام)لم يخالفوا في الموضوع ولم يقولوا شيئاً حتى لأخص أصحابهم،بل كانوا دائماً يستشهدون بما في هذا المصحف ويأمرون الشيعة بالقرآن كما يقرأ الناس0

ويتجرأ الطباطبائي ويقول :إن سكوت الإمام علي(عليه السلام) الذي كان مصحفه يخالف في الترتيب المصحف المنشور،كان لأن ترتيب النزول لم يكن ذا أهمية في تفسير القرآن بالقرآن الذي يهتم به أهل البيت(عليهم السلام)،بل المهم فيه هو ملاحظة مجموعة الآيات ومقارنة بعضها ببعض،لأن القرآن الذي هو الكتاب الدائم لكل الأزمان والعصور والأقوام والشعوب لا يمكن حصر مقاصده في خصوصية زمنية أو مكانية أو حوادث النزول وأشباهها 0

نعم ،بمعرفة هذه الخصوصيات يمكن استفادة بعض الفوائد :كالعلم بتاريخ ظهور بعض المعارف والأحكام والقصص التي كانت مقارنة لنزول الآيات ،وهكذا معرفة كيفية تقدم الدعوة الإسلامية في ثلاث وعشرون سنة وأمثالها 00ولكن المحافظة على الوحدة الإسلامية التي كانت الهدف الدائم لأهل البيت هي أهم من هذه الفوائد الجزئية ([1]) 0

---

[1] - الطباطبائي \القرآن في الإسلام \173 – 174 0

خامساً- القراءات القرآنية :

إن أقدم العلوم في الإسلام نشأة وعهداً هو علم القراءات؛ حيث أن أول ما تعلمه المسلمون من علوم الدين كان حفظ القرآن وقراءته ،ثم لما أختلف الناس في قراءة القرآن وضبط ألفاظه مست الحاجة إلى علم قراءة القرآن 0

وقد ألّف العلماء مؤلفات كثيرة مختصة بهذا الموضوع أو متضمنة له في أبواب وفصول لما له من الأهمية الكبرى في كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم وما يترتب على ذلك،فكرسوا بحثهم حول مسألة تواتر القراءات وعدم تواترها وما يترتب على ذلك في حجيتها، وبحثوا عن أسباب نشوءها وما هي المقاييس المعتمدة للأخذ بالقراءة0

وسوف ينتهج البحث في كتابة هذا المبحث طريقة عرض أقوال العلماء والمعنيين في كل مسألة على الأغلب مقارناً ومناقشاً ومستدلاً للوصول إلى أفضل النتائج 0

1- مفهوم القراءات :

أ-عرف الزركشي(ت: 794 هـ) القراءات بأنها : (اختلاف ألفاظ الوحي المذكور - أي المذكور في تعريف القرآن – في كتبة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرها) ([1]) 0 ويستخلص من تعريفه : أن القراءات تختص بالمختلف فيه من ألفاظ القرآن الكريم0

ب- ويعرفها ابن الجزري(ت:833 هـ) بأنها :(علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً لناقله) ([2])0ونجد في تعريفه قد شمل المتفق عليه والمختلف فيه0

ت- يعرف القسطلاني (ت: 923 هـ) علم القراءات بأنه : (هو علم يعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله واختلافهم في اللغة والأعراب، والحذف والإثبات، والتحريك والإسكان، والفصل والاتصال ،وغير ذلك من هيئة النطق ،والإبدال من حيث السماع) ([3]) 0 وهذا التعريف يشمل ما أتفق عليه الناقلين وما اختلفوا فيه 0

ث- كذلك يتفق معه تعريف الدمياطي البنا (ت: 1117 هـ) بقوله : (علم يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف والإثبات، والتحريك والتسكين،والفصل والوصل، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره من حيث السماع) ([4]) 0

والملاحظ في تعريفات ابن الجزري والقسطلاني والدمياطي أنهم يشترطون في القراءة النقل والسماع ،يقول ابن الجزري: (وليحذر القارئ الإقراء بما يحسن في رأيه دون النقل، أو وجه أعراب أو لغة، دون رواية) ([5]) 0

وكذلك من الملاحظ أن القراءة قد تروى لفظاً واحداً، وهو ما يعبر عنه بالمتفق عليه بين القراء ،وقد تروى أكثر من لفظ واحد،وهو ما يعبر عنه بالمختلف فيه بين القراء 0

---

[1] - الزركشي \البرهان\1\223 0

[2] - ابن الجزري \ منجد المقرئين \3 0

[3] - القسطلاني \ لطائف الإشارات \ 1\170 0

[4] - الدمياط \إتحاف فضلاء البشر\ 5 0

[5] - ابن الجزري \منجد المقرئين \3 0

2-أقسام القراءات

لقد تحرر للسيوطي – بعد أن اثنى على تقسيم ابن الجزري للقراءات بالاتقان في هذا الفصل (أي أنواع القراءات) – أن القراءات أنواع وهي :

1-المتواتر : وهو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب،عن مثلهم إلى منتهاه ، وغالب القراءات كذلك 0

2- المشهور : وهو ما صح سنده ،ولم يبلغ درجة التواتر، ووافق العربية والرسم، وأشتهر عند القراء، ولم يعدهُ من الغلط ولا من الشذوذ ويقرأ به 0

3-الآحاد : وهو ما صح سنده وخالف الرسم أو العربية ، أو لم يشتهر الاشتهار المذكور ، ولا يقرأ به 0

وقد ضرب السيوطي لهذا النوع عدة أمثلة مما أخرجه الحاكم في مستدركه0 فمنها ما أخرجه الحاكم عن ابن عباس أنه (صلى الله عليه وآله) قرأ : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) بفتح الفاء0

ومنها ما أخرجه الحاكم عن عائشة: أنه (صلى الله عليه وآله) قرأ: (فرُوحُ وَرَيْحَانُ) يعني بضم الراء ، وغيرها من القراءات المنسوبة إلى النبي(صلى الله عليه وآله) 0

تعقيب :

لقد وجد البحث عند مقارنته لما قد كتبه ابن الجزري مع ما تحرر للسيوطي إن ابن الجزري ذكر أن الآحاد هو ما صح وجهه في العربية وخالف لفظه خط المصحف وهو يقبل ولا يُقرأ به ([1]) 0

أما عند السيوطي فأن هذا النوع هو ما صح سنده وخالف الرسم أو العربية([2]) 0 فالفارق عندهم هو في صحة وجهه في العربية أم في مخالفتها 0

وقد ذكر ابن الجزري في رفض القراءة بهذا النوع علتين وهما :

أ – إنه لم يؤخذ بإجماع وإنما أخذ بأخبار الآحاد ولا يثبت قرآن يقرأ به بخبر الواحد 0

ب- إنه مخالف لما قد أجمع عليه فلا يقطع على مغيبه وصحته ،وما لم يقطع على صحته لا يجوز القراءة به ([3]) 0

4- الشاذ : وهو ما لم يصح سنده ،ومنه قراءة (ملَكَ يومَ الدين) بصيغة الماضي ونصب (يوم)

5- الموضوع: كقراءات الخزاعي0 ويعبر عنه الدكتور الصغير بـ (ما لا أصل له) ([4])0

6- ويعبر عنه السيوطي بقوله:(وظهر لي سادس يشبهه من أنواع الحديث المدرج([5])) ([1]) 0 ([1])

---

[1] - ظ: ابن الجزري \النشر\1\14 0

[2] - ظ: السيوطي \الإتقان \118 النوع الثاني إلى السابع و العشرون 0

[3] - ابن الجزري \النشر \1\14 3

[4]- ظ: محمد حسين علي الصغير \تاريخ القرآن\117 0

[5] - الحديث المدرج : هو ما كانت فيه زيادة ليست منه سواء في المتن أو السند \حسن الحكيم \مذاهب الإسلاميين \229 0 عن مصدره 0

وهو ما زيد في القراءات على وجه التفسير،كقراءة سعد بن أبي وقاص: (وله أخ أو أخت من أم)،وقراءة ابن عباس : (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج)0وقد غلط فيه بعض الرواة فالحقه بالقرآن 0
ويقول ابن الجزري: ربما كانوا يدخلون التفسير في القراءة أيضاحا وبياناً([2]) 0
أما الدكتور عبد الهادي ألفضلي فأنه يقسم القراءات في ضوء توفرها على مقاييس القراءات: (صحة السند، موافقة العربية، مطابقة الرسم) : إلى قسمين:

1- المتواترة : ويذكر فيها تعريف ابن الجزري بقوله : (كل قراءة وافقت العربية مطلقاً، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو تقديراً، وتواتر نقلها ،هذه القراءة المتواترة، المقطوع بها) ([3]) 0
2- الصحيحة :

وهي الجامعة للأركان الثلاثة : ويعرفها أيضاً ابن الجزري بقوله: (ما صح سنده بنقل العدل الضابط عن الضابط، كذا ، إلى منتهاه ،ووافق العربية و الرسم) ([4]) وهذه بدورها تنقسم إلى قسمين هما :

1- المستفيضة : وهي التي استفاض نقلها وتلقتها الأمة بالقبول 0
2- غير المستفيضة: وهي التي لم تستفض في نقلها،ولم تتلقها الأمة بالقبول0 ويعرفها ابن الجزري: (ما وافق العربية،وصح سنده ،وخالف الرسم) ([5]) 0

ومن ثم يعود ألفضلي ويلخص ما ذكره في ثلاثة أقسام :

1- المتواترة : ويعني بها القراءة المقطوع باتصالها بالنبي(صلى الله عليه وآله) سواء تواتر نقلها أم استفاض 0
2- الآحادية : ويريد بها القراءة الجامعة للأركان الثلاثة ،ولم يبلغ نقلها مستوى تفيد معه القطع باتصالها بالنبي (صلى الله عليه وآله) 0
3- الشاذة : وهي المخالفة للرسم ([6]) 0

---

[1] - السيوطي\ الإتقان \ 119 0
[2] - ظ: السيوطي\ الإتقان\ 118 – 119 + محمد حسين علي الصغير\ تاريخ القرآن\117 0
[3] - ابن الجزري\ منجد المقرئين \15 0
[4] - م0 ن \ 16 0
[5] - م 0 ن 0
[6] - ظ: عبد الهادي ألفضلي\ القراءات القرآنية\ 57 – 59 0

3- مراحل نشوء القراءات وتطورها ([1]) 0

مرت القراءات القرآنية بأدوار مختلفة ضمن مراحل شتى ،وقد تمثلت تلك الأدوار في بادئ الأمر بتعليم لتلاوة آي القرآن وسوره، فكان القرآن يقرأ للتعلم،ثم تطورت فكانت القراءة لأجل التلاوة توخياً للثواب،ثم إلى حفظ القرآن كله أو بعضه عن ظهر قلب،ثم إلى رواية تسند القراءة إلى الرسول(صلى الله عليه وآله) ،ومن بعد إلى مجال تخصص تجرد له أساتذة وتلامذة،ومن ثم إلى علم ذي قواعد وأصول ومؤلفات وأبحاث وكانت المراحل كالأتي:

1- المرحلة الأولى:

وهي بمثابة نشوء للقراءة القرآنية متمثلة بتعليم جبرائيل (عليه السلام) القرآن الكريم للنبي محمد (صلى الله عليه وآله) وذلك في بدء نزوله ([2]) حيث أعربت الآيات الأول من سورة العلق عن إقراء وتعليم جبرائيل (ع) للنبي (صلى الله عليه وآله) بقوله تعالى : (اقرأ)

2- المرحلة الثانية :

وتمثلت بتطور القراءة من تعلم النبي(صلى الله عليه وآله)للقرآن وحفظه إلى تعليمه إياه وإقراءه للمسلمين ([3]) امتثالا لقوله تعالى:﴿ **وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلا** ﴾([4]) ، وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال: (حدثنا من كان يقرئنا من الصحابة : أنهم كانوا يأخذون من رسول الله (صلى الله عليه وآله)عشر آيات فلا يأخذون العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل) ([5]) 0

3- المرحلة الثالثة:

وتمثلت في تعليم بعض المسلمين بعضهم آي القرآن وسوره ،وإقراءهم كذلك ،وكان هذا يقع بأمر النبي(صلى الله عليه وآله) وإرشاده وبقيامه بنفسه أيضاً 0كما أمر النبي(صلى الله عليه وآله) ببعث مصعب بن عمير إلى المدينة المنورة ليعلم الأوس والخزرج القرآن في العقبة الأولى ([6])

4- المرحلة الرابعة:

وفيها بداية نشوء مصطلح (القراء) ؛نظراً لوجود جماعة عرفوا بتعاهدهم القرآن الكريم بتلاوته ،وتدارسهم آيه وسوره بينهم ،وكانوا يسمون بالقراء 0مما يعطينا صورة جلية عن مدى انتشار القراءة في هذه المرحلة من تاريخ نشوئها 0

---

[1] ـ ظ: عبد الهادي ألفضلي\ القراءات القرآنية\ 13 – 52 + ابن الجزري\ النشر\ 1\6 – 50 + عبده الراجحي\اللهجات العربية في القراءات القرآنية\68 0

[2] - ظ: عبدة الراجي\اللهجات العربية في القراءات القرآنية\67 0

[3] - م 0ن 068 0

[4] - الإسراء : 106 0

[5] - ألمجلسي \بحار الأنوار \19\28 0

[6] - ظ: عبد الله الزنجاني\تاريخ القرآن \46 0

5- المرحلة الخامسة :
تتمثل في تصدي بعض الصحابة لحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب وقيامهم بذلك 0

6- المرحلة السادسة:
وفيها تحولت القراءة إلى تلمذة أو رجوع إلى حفظة القرآن للقراءة عليهم،وللأخذ عنهم0 كما في عرض أبو عبد الرحمن السلمي على عثمان وعلي(عليهما السلام) وابن مسعود ،وقراءة المغيرة بن أبي شهاب المخزومي على عثمان0000([1]) 0
وهذه المرحلة لم تتعد النصف الأول من القرن الأول الهجري0فآخر من توفى من الصحابة الحفظة الذين مر ذكرهم زيد بن ثابت الذي كانت وفاته عام 45 هـ 0

7- المرحلة السابعة :
وهي المرحلة التي بدأت فيها وجوه القراءة المختلفة تأخذ طرقها في الرواية ومساراتها في النقل بعد أن استقرت القراءة القرآنية مادة تُلقى وتدرس0وهذه المرحلة لم تتعد القرن الأول الهجري0

8- المرحلة الثامنة:
وتتمثل في تعيين عثمان بن عفان(رض) مقرئاً خاصاً لكل مصر من الأمصار التي بعث إليها بمصحف بعد توحيد المصاحف وذلك ليقرأ الناس بمصحفه 0
والمبعوثون هم :
1- عبد الله بن السائب المخزومي(ت: 70هـ) إلى مكة 0
2- أبو عبد الرحمن السلمي(ت: 47هـ) إلى الكوفة 0
3- عامر بن عبد قيس (ت:55هـ) إلى البصرة 0
4- المغيرة بن أبي شهاب المخزومي(نيف وسبعين للهجرة) إلى الشام 0
5- زيد بن ثابت(ت: 45هـ) قارئ المدينة ([2]) 0
وكان هذا في سنة خمس وعشرين من الهجرة ([3])أو في حدود سنة ثلاثين من الهجرة([4])0 الهجرة([4])0
وفي هذه المرحلة كان بدء التفرقة بين القراءات المعتبرة والقراءات الشاذة وبدء دخول شرط مطابقة الرسم في اعتداد القراءة المعتبرة 0

9- المرحلة التاسعة:
وتتمثل في إقبال نفر من كل مصر على المصحف العثماني وقراءته وفق ما تلقوه من الصحابة عن النبي(صلى الله عليه وآله) ،فكأن في كل مصر قراء،كما كان الصحابة في عهد

---

[1] - ظ: الذهبي\معرفة القراء\ج1\39 0
[2] - ظ: عبد الله الزنجاني\تاريخ القرآن \74 0
[3] - ظ: العسقلاني\لطائف الإشارات \1\58 0
[4] - ظ: ابن الجزري\ النشر\ 1\7 0

الرسول(صلى الله عليه وآله) وقد شملت هذه المرحلة النصف الثاني من القرن الأول الهجري والنصف الأول من القرن الثاني الهجري0

10- المرحلة العاشرة:

وهي المرحلة التي تجرد فيها قوم للقراءة والأخذ واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية،حتى صاروا في ذلك أئمة يقتدى بهم،ويرحل إليهم ،ويؤخذ عنهم ،أجمع أهل بلدهم على تلقي قراءتهم بالقبول،ولم يختلف عليهم فيها اثنان ،ولتصديهم للقراءة نسبت إليهم 0 ومن بين هؤلاء القوم القراء السبعة 0

11- المرحلة الحادية عشرة:

وهي مرحلة بدء التأليف في القراءات وتدوينها0

وقد أختلف في أول من ألف فيها،فذهب الأكثر إلى أنه أبو عبيد القاسم ابن سلام (ت: 224هـ) 0وقيل أنه أبو حاتم السجستاني (ت: 255هـ) وقيل هو أبان بن تغلب الكوفي(ت: 141هـ) 0

والحقيقة أن التأليف في القراءات القرآنية كان منذ القرن الأول الهجري وعلى يد يحيى بن يعمر (ت: 90هـ) ([1]) وفي هذا دليل على أن الكتب المؤلفة في القراءات آنذاك لم تكن مختصة في القراءات السبعة فقط0

12- المرحلة الثانية عشرة:

وهي المرحلة التي جُمعت فيها قراءات قراء سبعة في مؤلف خاص من قبل ابن مجاهد(ت: 324هـ) في كتابه (قراءات السبعة) 0

ويعلل مكي بن أبي طالب(ت: 437هـ) السبب في اختيار هؤلاء السبعة دون غيرهم بقوله : (إن الرواة من الأئمة من القراء كانوا في العصر الثاني والثالث كثيراً في العدد ،كثيراً في الاختلاف، فأراد الناس في العصر الرابع أن يقتصروا من القراءات التي توافق المصحف على ما يسهل حفظه وتنضبط القراءة به، فنظروا إلى إمام مشهور بالثقة والأمانة وحسن الدين وكمال العلم،قد طال عمره،وأشتهر أمره وأجمع أهل عصره على عدالته فيما نقل ،وثقته فيما قرأ وروى ،وعلمه بما يقرأ ،فلم تخرج قراءته عن خط مصحفهم المنسوب إليهم ،فأفردوا من كل عصر وجّه إليه عثمان مصحفاً،إماماً هذه صفته، وقراءته على مصحف ذلك العصر) ([2]) 0

وقد اشتهر لكل واحد من هؤلاء السبعة رواة من بين الرواة الذين لا يعدون حصراً([3]) ، وفيما يأتي تعريف لهؤلاء القراء السبع :

1- نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي وهو مولى شعوب الليثي حليف حمزة بن عبد المطلب أو حليف أخيه العباس،قرأ على طائفة من تابعي أهل المدينة وأهله

---

[1] - عبد الهادي ألفضلي\ القراءات القرآنية\ 27 0

[2] - مكي بن أبي طالب\ الإبانة\ 47 – 48 0

[3] - أبو عبد الله الزنجاني\تاريخ القرآن \88 – 94 + الطباطبائي \القرآن في الإسلام \184

من اصبهان، توفي سنة 169هـ ([1]) 0 والراوي عنه قالون(ت: 220هـ) و ورش (ت: 197هـ) ([2])0

2- عبد الله بن كثير ويكنى أبا سعيد ويقال أبو بكر من قراء مكة من الطبقة الثانية وكان مولى عمر بن علقمة الكناني،توفي سنة 120 هـ بمكة ([3]) 0 والراوي عنه قنبل (ت:291هـ) وبزي(ت:250هـ) يرويان عنه بواسطة واحدة ([4]) 0

3- أبو عمرو بن العلاء المازني المقرئ النحوي البصري الإمام مقرئ أهل البصرة وأسمه زَبّان على الأصح وقيل العريان ،أخذ القراءة عن أهل الحجاز وأهل البصرة،توفي سنة 154هـ ([5])0والراوي عنه الدوري(ت:246هـ) والسوسي (ت:261 هـ) يرويان عنه بواسطة([6])0

4- عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم اليحصبي الدمشقي المقرئ وكنيته أبو عمران أخذ القراءة عن أبي الدرداء الصحابي ثقة ، توفي سنة 118هـ ([7]) والراوي عنه هشام (ت:245هـ) وابن ذكوان (ت:202هـ) يرويان عنه بواسطة 0

5- عاصم بن بهدلة ويكنى أبا بكر بن أبي النجود،مولى بني حذيفة بن مالك بن نصر بن قعين في الطبقة الثالثة من الكوفيين،وقرأ على أبي عبد الرحمن السلمي وزر بن حبيش،توفي سنة 128هـ ([8]) 0والراوي عنه أبو بكر (ت:193هـ) شعبة بن العياش وحفص(ت:180هـ) ([9]) 0

6- حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الإمام مولى آل عكرمة بن ربعي التيمي الزيات،وقرأ القرآن عرضاً على الأعمش وحمران بن أعين وطلحة بن مصرف وجعفر الصادق (عليه السلام) وقد تصدى للإقراء مدة ،توفي سنة 156هـ ([10]) 0 والراوي عنه خلف (ت: 229هـ) وخلاد (ت:220هـ) ويرويان عنه بواسطة ([11])0

7- علي بن حمزة بن عبد الله ألأسدي الكوفي وكنيته أبو الحسن ألكسائي ،من أئمة النحو والقراءة ،أخذ النحو عن يونس النحوي والخليل بن أحمد الفراهيدي وأخذ القراءة عن حمزة الزيات وشعبة بن عياش توفي سنة 189هـ ([12]) والراوي عنه الدوري وأبو الحارث(ت:240) ([13]) 0

---

[1] - ظ: ابن حجر \تهذيب التهذيب\1\363+ الذهبي\معرفة القراء الكبار\107 – 111 0

[2] - الطباطبائي \القرآن في الإسلام \184 0

[3] - الزر كلي\الإعلام\5\219 +ابن حجر \تهذيب التهذيب\1\524 0

[4] - الطباطبائي \القرآن في الإسلام \184

[5] - الذهبي \سير أعلام النبلاء\6\407+ابن عساكر\تاريخ مدينة دمشق\67\103

[6] - الطباطبائي \القرآن في الإسلام \185 0

[7] - ابن حجر \تهذيب التهذيب\1\ 504 + الزر كلي\الإعلام\3\249 0

[8] - ظ: ابن النديم\ الفهرست \31+ ابن حجر \تهذيب التهذيب\1\456 0

[9] - الطباطبائي \القرآن في الإسلام \184 – 185 0

[10] - ظ: الذهبي\ميزان الاعتدال\1\650+ ابن حيان\مشاهير علماء الأمصار\266 0

[11] - الطباطبائي \القرآن في الإسلام \185 0

[12] - ظ: الزر كلي\الأعلام \4\4\283 +ابن حجر \تهذيب التهذيب\7\275 0

[13] - الطباطبائي \القرآن في الإسلام \185 0

ويعقب ابن مجاهد بعد ذلك بقوله:(فهؤلاء سبعة نفر،من أهل الحجاز والعراق، والشام، خلفوا في القراءة التابعين،وأجمعت الأمة على قراءتهم العوام من أهل كل مصر من هذه الأمصار التي سميت وغيرها من البلدان التي تقرب من هذه الأمصار) ([1]) 0
ويتضح لدى الدكتور الصغير بأن تقسيم ابن مجاهد تقسيم إقليمي نظر فيه إلى اعتبار الأمصار التي وجهت إليها المصاحف في عهد عثمان(رض) لا باعتبار تعصبي إقليمي من قبله ([2]) 0
ويجد البحث بالإضافة إلى ذلك بأن المقياس أو الاعتبار الذي على أساسه أختار ابن مجاهد هؤلاء القراء السبعة هو منصب على تقويم شخصية القارئ كما سيتضح ذلك في المطالب القادمة 0
هذا وقد عدّ الشيخ الطبرسي القراء عشرة ([3]) ،فأضاف إليهم زيادة على تسبيع ابن مجاهد مجاهد بعد أن أسقط نافع بن عبد الرحمن :

1- خلف بن هشام بن ثعلب البزاز البغدادي المقرئ ،وكنيته أبو محمد المقرئ كان خيّراً فاضلاً عالماً بالقراءات ،كتب عنه أحمد بن حنبل، وكان من الحفاظ المتقين توفي سنة 229هـ ([4]) 0
2- يزيد بن القعقاع أبو جعفر المقرئ ،مدني مشهور ،رفيع الذكر،قرأ القرآن على مولاه عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي،تصدى دهراً لإقراء القرآن ،وقد اختلفوا في سنة وفاته فقيل 127هـ ،وقيل 128هـ وقيل 130هـ وقيل 131هـ وقيل 132هـ ([5]) 0
3- يعقوب بن إسحاق الحضرمي قارئ أهل البصرة في عصره،وقد قرأ القرآن على أبي المنذر سلام بن سليم وعلى أبي الأشهب العطاردي ومهدي بن ميمون وغيرهم ، توفي سنة 205هـ ([6])0
4- أبو حاتم سهل بن محمد بن محمد بن القاسم السجستاتي،من ساكني البصرة،قرأ كتاب سيبويه على الأخفش مرتين،وروى عن أبي عبيدة، وأبي زيد ، والأصمعي ، وروى له النسائي في سننه والبزّار في مسنده،صنف عدة كتب منها كتاب: القراءات وكتاب: اختلاف المصاحف 000توفي سنة 248هـ ([7])0

وهكذا فقد كانت هذه المرحلة المنطلق في وضع نظام القراءات السبع وفي تشذيذ القراءات الشاذة ،حيث أفرد ابن مجاهد شواذ القراءات بمؤلف خاص 0 والتي يعني بها ما كان خارجاً عن قراءة القراء السبعة عنده0

13- المرحلة الثالثة عشر:

وهي مرحلة الاحتجاج للقراءات في جوانبها اللغوية من صوتية وصرفية ونحوية

---

[1] - ابن مجاهد\ قراءات السبعة\87 0
[2] - محمد حسين علي الصغير\ تاريخ القرآن\108 0
[3] - ظ: الطبرسي\مجمع البيان\ 1\11 0
[4] - ظ: الذهبي \سير أعلام النبلاء\ 1\576 +ابن سعد \الطبقات الكبرى\7\348
[5] ظ: الذهبي\معرفة القراء الكبار\ 72+76 0
[6] - ظ: م0ن0\157 0
[7] - ظ: الداوودي\طبقات المفسرين\150 – 151 0

وما إليها 0 وكان كتاب ابن مجاهد مثار هذه الاحتجاجات ومدارها 0حتى أصبح الاحتجاج في هذه المرحلة ظاهرة من ظواهر التأليف في القراءات 0
ومن بين الذين ألّفوا في الاحتجاج للقراءات السبع : أبو بكر محمد بن السري (ت:316هـ) والمعاصر لأبن مجاهد،ومحمد بن الحسن الأنصاري (351هـ) في كتابه (كتاب السبعة بعللها الكبير)،وابن مقسم العطار(ت:362هـ)في عدة كتب منها (كتاب السبعة الأوسط) 0

14- المرحلة الرابعة عشر0

وهي المرحلة التي توالت فيها التواليف في القراءات السبع بعد ابن مجاهد وأشهرها :
1- مؤلفات أبي عمرو بن عثمان الداني ((ت: 444هـ) أمثال (التيسير في القراءات السبع)0وكتاب (جامع البيان في القراءات السبع) 0
2- منظومة أبي القاسم بن فيرة الأندلسي الشاطبي(ت:590هـ) المسماة بـ (حرز الأماني ووجه التهاني) والمعروفة بـ(الشاطبية) ،وهي نظم لكتاب التيسير للداني0 وقد كانت من أعظم أسباب شهرته 0وعدتها ألف ومائة وثلاثة وسبعون بيتاً0 وقد حظيت بشروح عدة([1]) ويمكن اعتبار عصر الداني هو العصر الذي استقرت فيه الحدود بين القراءات الصحاح و القراءات الشواذ ([2]) 0

15 – المرحلة الخامسة عشرة :

وهي مرحلة تفريد القراءات وتسديسها وتثمينها وتعشيرها ،دفعاً لما علق في كثير من الأذهان من أن الأحرف السبعة الوارد ذكرها في الحديث : (أنزل القرآن على سبعة أحرف) ([3]) هي القراءات السبع التي اختارها ابن مجاهد وأعتبرها الصحاح وما وما عداها شواذ 0
ويذكر أبو الفضل عبد الرحمن الرازي (ت: 454 هـ) بأن السبب في زيادة الناس للقراءات على السبعة الذين اقتصر عليهم ابن مجاهد لأجل هذه الشبهة وهي الضن بأن القراءات السبع هي الأحرف السبعة ([4]) 0
وقد امتدت هذه الفترة من القرن الرابع الهجري حتى القرن الثاني عشر 0

16- المرحلة السادس عشرة:

وهي المرحلة التي تطور فيها المقياس الضابط بين القراءة الصحيحة وغيرها 0 فأصبح المقياس يستوجب توفر عدة أركان لغرض الضبط والوقاية وهي :
1- صحة السند 0
2- موافقة العربية0
3- موافقة رسم المصحف 0

---

[1] - ظ: عبد الهادي ألفضلي\ القراءات القرآنية\ 39 – 42 0
[2] - م 0ن 0\ 45 0
[3] - الطبري \جامع البيان \1\11 +البخاري \صحيح البخاري \6\227 0
[4] - ظ: ابن الجزري \النشر في القراءات العشر\1\43 0

ومتى فقد ركن من هذه الأركان فالحكم على القراءة بأنها شاذة ([1]) 0
وسوف يقوم البحث بالتصدي لهذا الموضوع وهو تطور مقياس القراءات من خلال هذا المبحث 0

4- مقاييس القراءات (أركانها)

لقد أعتمد المؤلفون وأمثالهم في اختياراتهم القراءات القرآنية التي اختاروها أن تتوافر فيها عدة أركان وهي :

1- كانت هذه الأركان في البداية تحمل الطابع الشخصي لأصحابها كما نستشف ذلك من قول الطبرسي: ((أنما أجتمع الناس على قراءة هؤلاء – ويقصد بهم القراء العشر – واقتدوا بهم لسببين :

أ- أنهم تجردوا لقراءة القرآن، واشتدت بذلك عنايتهم ،مع كثرة علمهم ،ومن كان قبلهم أو في أزمنتهم ،ممن نسب إلى القراءة من العلماء ،وعدت قراءتهم في الشواذ، لم يتجردوا لذلك تجردهم،وكان الغالب على أولئك الفقه والحديث أو غير ذلك من العلوم 0

ب-إن قراءتهم وجدت مسندة لفظاً أو سماعاً ، حرفاً ،من أول القرآن إلى آخره ،مع ما عرف من فضائلهم وكثرة عملهم بوجوه القرآن)) ([2]) 0

فكان هذا هو المقياس للقراءة الصحيحة من غيرها 0

ويؤكد ذلك الدمياطي ألبنا (ت:1117 هـ) في معرض كلامه حول سبب اختيار هؤلاء القراء؛ وهو كثرة الاختلاف فيما يحتمله رسم المصاحف العثمانية الموجهة إلى الأمصار والذي أوزع لأهل البدع والأهواء بأن يقرأوا بما لا يحل تلاوته وفاقاً لبدعتهم ؛فلهذا أتفق رأي المسلمين آنذاك على قراءات هؤلاء القراء كونهم أئمة ثقات تجردوا للاعتناء بشأن القرآن العظيم ،فاختاروا من كل مصر وجه إليه مصحف أئمة مشهورين بالثقة و الأمانة في النقل وحسن الدراية وكمال العلم ،أفنوا عمرهم في القراءة و الإقراء ،وأشتهر أمرهم ،وأجمع أهل مصرهم على عدالتهم ولم تخرج قراءتهم على خط مصحفهم ([3]) 0

وعلى أساس ذلك يعتمد ابن مجاهد (ت: 324هـ) في تقسيمه لأنواع القرّاء ووضع أركان القراءة الصحية 0 حيث يقسم حملة القرآن إلى :

أ- المُعرب العالم بوجوه الإعراب والقراءات العارف باللغات ومعاني الكلام البصير بعيب القراءات المنتقد للآثار ،فذلك الإمام الذي يفزع إليه حفظ القرآن في كل مصر من أمصار المسلمين 0

---

[1] - ظ: عبد الهادي ألفضلي \القراءات القرآنية\48 – 52 0

[2] - الطبرسي\مجمع البيان\1\25 0

[3] - ظ: الدمياطي ألبنا\إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر\5 – 6 + ظ: محمد جواد ألعاملي\مفتاح الكرامة\2\391 0

ب-من يُعرب ولا يلحن ولا علم له بغير ذلك ،فذلك كالإعرابي الذي يقرأ بلغته ولا يقدر على تحويل لسانه فهو مطبوع على كلامه 0

ت- من يؤدي ما سمعه ممن أخذ عنه ليس عنده إلا الأداء لما تعلم لا يعرف الأعراب ولا غيره0 فذلك الحافظ فلا يلبث مثله أن ينسى أذا طال عهده فيضيع الأعراب 00 لأنه لا يعتمد على علم العربية وإنما اعتماده على حفظه وسماعه، وقد تدعوه الشبهة إلى أن يروي عن غيره ويبرئ نفسه ،وذلك لا يُقلّد القراءة ولا يحتج بنقله 0

ث-من يعرب قراءته ويبصر المعاني ويعرف اللغات ،ولا علم له بالقراءات واختلاف الناس والآثار ،وهذا ربما يدعوه بصره بالأعراب إلى أن يقرأ بحرف جائز في العربية لم يقرأ به أحد من الماضين فيكون ذلك مبتدعاً ([1]) أما المقياس الذي أتبعه ابن مجاهد في اختياره قراءات السبعة فهو:

أ- أن يكون القارئ مجمعاً على قراءته من قبل أهل مصره 0

ب-أن يكون أجماع أهل مصره على قراءته قائماً على أساس من توفره على العلم بالقراءة واللغة توفراً يدل على أصالة وعمق ([2]) 0

وكما قلنا فأن هذا المقياس – لابن مجاهد وغيره – منصب على تقويم شخصية القارئ 0

2- مقياساً للقراءة لا يقوم على أساس التقويم الشخصي وإنما على أساس تقويم القراءة وهذا ما وجِد عند تلميذ ابن مجاهد وهو ابن خالويه (ت: 270هـ) حيث المقياس عنده هو :

أ- أن يكون الاختلاف في اللفظ القرآني غير مخالف للمصحف 0

ب-أن يكون الاختلاف في اللفظ القرآني غير مخالف للأعراب 0

ت- أن يكون الاختلاف في اللفظ القرآني مما تتوارثه الأئمة ([3]) 0

3- مقياساً للقراءة أعتمده العديد من المؤلفين في فترة امتدت تقريباً من القرن الرابع الهجري حتى القرن الثاني عشر من أمثال : هبة الله بن أحمد الحريري (ت: 531هـ) صاحب كتاب الكفاية في القراءات الست 0 وابن غلبون الحلبي (ت: 399هـ) صاحب كتاب : التذكرة في القراءات الثماني 0 ونصر بن عبد العزيز الفارسي (ت: 461 هـ) صاحب كتاب : الجامع في القراءات العشر 0 ويوسف بن علي الهذلي (ت: 465 هـ) صاحب كتاب : الكامل، الذي جمع فيه خمسين قراءة من الأئمة في ألف وأربعمائة وتسعة وخمسين طريقاً ([4]) 0 وغيرهم 0

ويقول مكي بن أبي طالب (ت: 437 هـ) : ((وأكثر اختياراتهم إنما هو في الحرف أذا أجتمع فيه ثلاثة أشياء :

أ- قوة وجهها في العربية 0

---

[1] - ظ: ابن مجاهد \ قراءات السبعة\45 0

[2] - م0 ن0 38 0

[3] - عبد الهادي ألفضلي \القراءات القرآنية\39 عن مصدره0

[4] - ظ: عبد الهادي ألفضلي \القراءات القرآنية\ 46 0

ب-موافقتها لرسم المصحف العثماني 0
ت-اجتماع العامة عليها ([1]) 0
وهذه الأركان لا تحمل الطابع الشخصي لأصحاب القراءات ،بل هي ضمن قواعد قد تتسم بالطابع الشمولي العام ([2]) 0 حيث أنه لم تترك القراءة بقراءة غير القراء السبعة،فكان هناك اختيار لغير هؤلاء (السبعة)في كل الأمصار من المشرق وهؤلاء الذين اختاروا إنما قرءوا لجماعة ،وبروايات ،فاختار كل واحد مما قرأ وروى قراءة تنسب إليه بلفظ الاختيار ([3]) 0
ويوضح مكي بن أبي طالب المقصود بـ(العامة) في الركن الثالث عندهم هو :
أ- ما أتفق عليه أهل المدينة وأهل الكوفة 0
ب-ما أجتمع عليه أهل الحرمين ([4]) 0
وبملاحظة الأركان الثلاثة التي وضعها المؤلفون كمقياس للقراءات في الفترة المذكورة نجد أن الركن الأخير والثالث أشترط فيه أن تكون القراءات مما أجتمع عليه العامة بدلاً من أن تكون مما توارثته الأئمة كما في المقياس الثاني وهذا تطور واضح حدث لمقياس القراءة المتمثل بوضع قيود ضابطة ووافية أكثر 0

4- مقياساً للقراءة أريد به الوقاية من أن يدخل القراءة القرآنية ما ليس منها مما هو غير مسند، أو ضعيف الرواية،أو مما هو ليس بمتواتر أو مستفيض،أو مما تفرد به راوٍ واحد عن السبعة 0
والمقياس هو أن تشتمل القراءة على الشروط و الأركان الآتية :
أ- صحة السند 0
ب-موافقة العربية 0
ت-موافقة رسم المصحف العثماني ([5]) 0
وينقل ابن الجزري (ت:833هـ) قول موفق الدين أبو العباس أحمد بن يوسف الكواشي الموصلي (ت:680هـ) في أول تفسير (التبصرة) : ((وكل ما صح سنده واستقام وجهه في العربية ووافق لفظه خط المصحف الإمام فهو من السبعة المنصوص عليها ولو رواه سبعون ألفاً مجتمعين أو متفرقين فعلى هذا الأصل بنى قبول القراءات عن سبعة كانوا أو عن سبعة آلاف ومتى فقد واحد من هذه الثلاثة المذكورة في القراءة فأحكم بأنها شاذة)) ([6]) 0

وفي ضوء هذا المقياس قسموا القراءة إلى :
أ- صحيحة :وهي ما توافرت فيها الشروط المذكورة 0
ب- غير صحيحة : وهي ما تخلف فيها ركن من الأركان الثلاثة المذكورة ([7])0
0([7])

---

[1] - ظ: مكي بن أبي طالب\ الإبانة في معاني القراءات\ 48 0
[2] - ظ: محمد حسين علي الصغير\ تاريخ القرآن\ 112 0
[3] - ظ: مكي بن أبي طالب\ الأبانة في معاني القراءات \48 0
[4] - م 0ن 0
[5] - ظ: عبد الهادي ألفضلي\القراءات القرآنية\48+ محمد حسين علي الصغير\ تاريخ القرآن\ 115
[6] - ابن الجزري\النشر في القراءات العشر\1\44 + ظ: الالقسطلاني\ لطائف الإشارات\ 1 \67 0
[7] - عبد الهادي ألفضلي \القراءات القرآنية \49 0

وأما عوامل وضع هذا المقياس فهي :

أ- كثرة القراء وتفرقهم وانتشارهم في البلاد ،وخلفهم أمم بعد أمم 0

ب- اختلاف صفات القراء ،فمنهم المتقن للتلاوة المشهور بالرواية والدراية،ومنهم المقتصر على وصف من الأوصاف 0

ت- كثرة الاختلاف بين القراء ،وقلة الضبط وأتساع الخرق ،وكاد الباطل يلتبس بالحق ([1]) 0

5- مقياسا متطوراً عن السابق فيه شيء من التوسع في الشرطين الثاني والثالث، فالأركان هي :

أ- صحة السند 0

ب- موافقة العربية ولو بوجه 0

ج- موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا 0

وقيل أن القراءة المتوافرة فيها هذه الأركان هي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردّها ، ولا يحل إنكارها ([2]) 0

ومتى أختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم ([3]) 0

وقد اختلفوا في مستوى صحة السند ،فذهب بعضهم إلى اشتراط التواتر فيه معللاً ذلك بأنها قرآن و القرآن لا يثبت إلا بالتواتر 0 واكتفى آخرون باستفاضته لأن الاستفاضة تفيد القطع المطلوب – في رأيهم – في أثبات قرآنية القراءة 0 ومن هؤلاء أبو شامة (ت: 665هـ) وابن الجزري (ت:833هـ) 0

وذهب مكي بن أبي طالب (ت: 437هـ) إلى الاكتفاء بالاستفاضة في صحة السند ،غير أنه فصل القول بالنسبة للركنين الأخيرين :

أ- ما صح وجهه في العربية ووافق لفظه المصحف فهو قرآناً وقراءة 0

ب- ما صح وجهه في العربية إلا أنه خالف لفظه المصحف فهو قراءة فقط 0

ت- ما وافق لفظه رسم المصحف إلا أنه لا وجه له في العربية فهو قراءة ([4]) 0

وقد سبق إلى مثل هذا المقياس كل من ابن شنبوذ ([5]) (ت: 328هـ) و ابن المقسم ([6]) (ت: 354 هـ) وذلك في زمن ابن مجاهد 0

فكان مقياس ابن شنبوذ هو جواز القراءة بما خالف الرسم ما دامت الرواية صحيحة النقل أما مقياس ابن المقسم فهو عدم أشترط السند والاكتفاء بمطابقة رسم المصحف ووجهاً في

---

[1] - ظ: ابن الجزري\ النشر في القراءات العشر \1\9 0

[2] - ظ: المصدرين السابقين + محمد حسين الصغير \تاريخ القرآن\115 0

[3] - ابن الجزري\ النشر في القراءات العشر \1\9 0

[4] - ظ: مكي بن أبي طالب \الإبانة في معاني القراءات \48 0

[5] - هو محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شنبوذ، من كبار القراء من أهل بغداد ،نفي إلى المدائن وتوفي في بغداد وقيل في محبسه بدار السلطان ،من قراءاته: إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فأمضوا إلى ذكر الله 0 ظ: ابن النديم \الفهرست\34 + الزر كلي\الأعلام\5\305 0

[6] - وهو محمد بن الحسين بن يعقوب بن الحسن بن مقسم العطر ،أبو بكر : عالم بالقراءات والعربية من أهل بغداد 0 ظ: الزر كلي\الإعلام\ 6\81 0

العربية إلا إن هذين المقياسين ماتا في مهدهما لعدم تلقي المسلمين لهما بالقبول ولرفضهم لهما ([1]) 0

وهذا المقياس الأخير (الخامس) هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف – على حد تعبير ابن الجزري – وهو ما صرح به أبو عمرو الداني ([2]) (ت: 444هـ) وغيره، بحيث لو لم تدخل قراءة واحد من القراء السبعة في هذا الضابط لما أطلق عليها لفظ الصحة0 ولو نقلت القراءة عن غير هؤلاء السبعة ومستوفية لهذه الشروط فلا تخرج عن الصحة ؛ لأن الاعتماد على استجماع تلك الشروط على عمن تنسب إليه القراءة 0

إلا أن هؤلاء المحققين يعتبرون صحة السند هو الأصل الأعظم والركن الأقوم حيث أن مقصدهم في الركن الأول بـ(ولو بوجه) يراد به وجهاً من وجوه النحو سواء كان أفصح أم فصيحاً مجمعاً عليه أم مختلفاً فيه اختلافا غير مضر ،فكم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو ؟ ولم يعتبر إنكارها كإسكان (بارئكم ويأمركم) لأبي عمرو فقد أنكر سيبويه عليه ذلك ،فردّ أبو عمرو بأن الإسكان أصح في النقل وأكثر في الأداء 0

ويقول أبو عمرو الداني في هذا المعنى : ((وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة و الأقيس في العربية بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل والرواية إذا ثبت عنهم ،لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها)) ([3]) 0

ويؤكد الدكتور الصغير ما ذهب إليه الداني بقوله : ((وما أبداه الداني لا يخلو من نظر أصيل ،إذ القراءة أذا كانت متواترة صحيحة السند، فهي تفيد القطع، ولا معنى لتقييد القطع بقياس أو عربية،فالعربية إنما تصحح في ضوء القرآن ،ولا يصحح القرآن في ضوء العربية)) ([4]) 0

وأما مقصدهم في الركن الثاني بـ(موافقة أحد المصاحف) فيعني ما كان ثابتاً في بعضها دون بعض كقراءة ابن عامر (وبالزبر وبالكتاب المنير) بزيادة الباء في الأسمين ، وذلك ثابت في المصحف الشامي، وكقراءة ابن كثير (جنات تجري من تحتها الأنهار) بزيادة (من) وذلك ثابت في المصحف المكي 0

ومقصدهم في نفس الركن بـ (ولو احتمالا) يعني ما يوافق الرسم ولو تقديراً، إذ موافقة الرسم قد تكون تحقيقاً وهو الموافقة الصريحة وقد تكون تقديراً وهو الموافقة احتمالا 0 ومثاله (السموات) و(الصلحت) وغيرها 0

---

[1] - ظ: عبد الهادي ألفضلي \القراءات القرآنية\ 50 – 51+ محمد حسين علي الصغير\تاريخ القرآن\ 116 0

[2] - هو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي (371- 444 هـ) المعروف بالداني لنزوله بدانية وهي مدينة بالأندلس على ساحل البحر الرومي، أهلها أقرأ أهل الأندلس 0 اشتهر في علم القرآن رواياته وتفسيره ومعانيه وإعرابه، وله معرفة بالحديث وطرقه ، وأسماء رجاله ونقلته 0 له كتاب (جامع البيان في القراءات السبع وطرقها المشهورة والعربية) وكتاب (التيسير) ظ: ياقوت الحموي \معجم البلدان\ 2\540 + الداوودي\ طبقات المفسرين\ 260 – 261 0

[3]- ابن الجزري \النشر \1\9 – 11 + محمد حسين علي الصغير \تاريخ القرآن\116 0

[4] - محمد حسين علي الصغير \تاريخ القرآن\ 116 0

وقد توافق بعض القراءات الرسم تحقيقاً ويوافقه بعضها تقديراً مثل (ملك يوم الدين) فأنه كتب بغير ألف في جميع المصاحف فقراءة الحذف تحتمله تخفيفاً ([1]) 0
هذه هي مقاييس القراءات الصحيحة عند علماء هذا الفن متسلسلةً تسلسلاً زمنياً بحسب الفترة المخصصة في البحث 0

5- اختلاف القراءات وأسبابه

أ- وجوه اختلاف القراءات :

لقد قام جمهرة من علماء القرآن بمحاولة استقراء القراءات على اختلاف أنواعها بغية التوصل إلى وجوه الخلاف فيها وحصرها0 وقد انتهت هذه المحاولة بالتوصل إلى أن أوجه الخلاف منحصرة بسبعة أوجه مما يأتي:

1- اختلاف أعراب الكلمة أو حركة بنائها فلا يزيلها عن صورتها في الكتاب ولا يغير معناها0 كما في قوله تعالى :﴿ **وَيَضِيقُ صَدْرِى** ﴾ ([2]) حيث قرئ برفع (يضيق) ونصبها، وقوله تعالى ﴿**00هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ 000**﴾ ([3]) برفع (أطهر) ونصبها ([4]) 0

2- - الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها، مما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها في الكتابة،نحو قوله تعالى : ﴿**00وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا000**﴾ ([5]) فقد قرئ بتخفيف الفعل ورفع (زكريا) وقرئ بتشديد الفعل ونصب زكريا0 وقوله تعالى : ﴿ **رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا** ﴾ **([6])** فقد قرئ ربنا باعد بين أسفارنا بضم الباء وفتح الدال0 وينسب ابن جني (ت: 392هـ) هذه القراءة لابن عباس وابن يعمر وأبي رجاء وأبي صالح وسلام ويعقوب وابن أبي ليلى والكلبي ([7]) 0

3- الاختلاف في حروف الكلمة دون أعرابها، مما يغير معناها ولا يزيل صورتها ، نحو قوله تعالى: ﴿**00 وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا 000**﴾ ([8]) فقد قرئ (ننشزها) بالزاي المعجمة وهي قراءة ابن عامر وحمزة وخلف والكسائي وقرئ (ننشرها) بالراء المهملة،وهي قراءة الباقين([9]) 0

---

[1] - ظ: ابن الجزري\النشر\1\11 – 12 0

[2] -الشعراء : 13 0

[3] - هود : 78

[4] - ظ: ابن جني\ المحتسب \1\325+ ابن حيان الأندلسي\البحر المحيط\ 5\247 + الطوسي \التبيان\1\8+ ابن الجزري\النشر\1\26 0

[5] - آل عمران : 37 0

[6] - سبأ : 19 0

[7] - ظ: ابن جني\ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها \2\189+ الطبرسي \مجمع البيان \22\195

[8] - البقرة : 259 0

[9] - ظ: الطوسي \التبيان \1\8 + الطبرسي \مجمع البيان \3\315 0

4- الاختلاف في الكلمة مما يغير صورتها ولا يغير معناها،نحو قوله تعالى:
﴿ **كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ**﴾ ([1]) حيث قرئ كالصوف المنفوش،وهي قراءة ابن مسعود ([2])0 0([2])

5- الاختلاف في الكلمة مما يزيل صورتها ومعناها،نحو قوله تعالى:﴿ **وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ** ﴾([3]) حيث قرئ وطلع منضود ،وهي قراءة الإمام علي (عليه السلام) وجعفر بن محمد الصادق(عليه السلام) ([4]) 0

6- الاختلاف بالتقديم والتأخير،نحو قوله تعالى: ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ000﴾ ([5]) حيث قُرئت: وجاءت سكرة الحق بالموت ([6])

7- الاختلاف بالزيادة و النقصان،نحو قوله : ﴿ 00وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ 000﴾ ([7]) فقد قرئ :وما عملت أيديهم ،وهي قراءة أهل الكوفة ما عدا حفص ([8]) ومثل قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ ([9]) 0فقد قرئ : أن الله الغني الحميد ([10]) 0
هذه هي الأوجه السبعة في اختلاف القراءات([11])0

ب- أسباب اختلاف القراءات :

يذكر الدكتور الصغير بأن هناك اتجاهان رئيسيان في شأن نشوء القراءات القرآنية ومصادرها :

الاتجاه الأول : تجرد المصحف العثماني عن الشكل والنقط والأعاجم أدى إلى نشوء القراءات المتعددة نتيجة اختلاف النطق بالأحرف المتشابهة 0وفي هذا الضوء تكون القراءات القرآنية اجتهادية فيما احتمل موافقته للصحة من جهة الرسم القرآني أو العربية ، وهذا ما ذهب إليه الزمخشري وأنكر ذلك عليه صاحب كتاب الانتصاف الذي يرى بأن القراءات منقولة بالسماع فلا وقع لفصاحة واجتهاد القراء فيه وإنما هو ناقل كغيره ([12]) 0
وقد تكون القراءات القرآنية روائية في إيصال النص القرآني مشافهة عن طريق الإسناد، فيصبح الرسم القرآني في ضوء الإسناد الروائي 0

الاتجاه الثاني: إن منشأ القراءات هو التوصل بالرواية المسندة القطعية المرفوعة إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) في كيفية القراءة القرآنية إلى النطق بآيات القرآن الكريم كما نطقها،

---

[1] - القارعة : 5 0
[2] - ظ: الرازي \مفاتيح الغيب\ 8\165 0
[3]- الواقعة : 29 0
[4] - ظ: الزمخشري \ الكشاف \4\58 + أبو حيان الأندلسي\البحر المحيط\ 8\206 0
[5] - ق : 19 0
[6] ظ: ابن جني \المحتسب \2\282 +الزمخشري\ الكشاف \4\2 0
[7] - يس : 35 0
[8] - ظ: الطوسي \التبيان \1\ 9 + الطبرسي \مجمع البيان \23\20 0
[9] - لقمان : 26 0
[10] - ظ: ابن حيان الأندلسي\ البحر المحيط\ 5\544 0
[11] - لمزيد من الاطلاع ينظر: الطوسي\التبيان\1\8 – 9 + الطبرسي \مجمع البيان\3\315+ 22\ 195 + 23\20+ ابن الجزري\النشر\1\26- 28 + عبد الهادي ألفضلي\القراءات القرآنية\89 – 90 + حازم الحلي\ القراءات القرآنية بين المستشرقين والنحاة\ 17 – 20 0
[12]- ظ : مركز الثقافة والمعارف القرآنية\ علوم القرآن عند المفسرين \2\19 عن مصدره 0

بغض النظر عن كتابة المصحف الشريف، وفي هذا الضوء فهي الطرق المؤدية بأسانيدها المختلفة حتى تتصل بالنبي(صلى الله عليه وآله) وإذا تحققت هذه الطرق بالأسانيد الصحيحة الثابتة، فالقراءات متوترة وليست اجتهادية ([1]) 0

وهكذا فأن جميع الأسباب التي دعت إلى تعدد القراءات والتي أفاض العلماء الكلام عنها تعود لهذين الاتجاهين ،وفيما يأتي ذكر لأسباب تعدد القراءات أو ما يطلق عليه: أسباب اختلاف القراءات :

1- اختلاف قراءة النبي (صلى الله عليه وآله) :

فقد زعموا أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يقرئ الصحابة القرآن قراءات مختلفة ([2]) ويذكر أنه روي عنه (صلى الله عليه وآله)أنه قرأ (مالك يوم الدين) و(ملك يوم الدين) ([3]) ،وكذلك ما روي عن عاصم الجحدري (ت: 128هـ) عن أبي بكر أن النبي (صلى الله عليه وآله) قرأ :متكئين على رفارف خضر وعبا قري حسان ([4]) 0والذي في القرآن هو قوله تعالى: ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ ([5])

وهذا الرأي غير صحيح جملةً وتفصيلاً ،وذلك لأن معناه أن النبي (صلى الله عليه وآله) بنفسه قاد الناس إلى التفرقة في القراءات ،بينما العكس هو الصحيح وذلك لأن الاختلاف في القراءات قد جرّ المسلمين إلى صراع داخلي ونزاع هامشي تحسس الصحابة إلى خطره على القرآن فجمعوه على قراءة واحدة ([6]) 0

2- اختلاف تقرير النبي (صلى الله عليه وآله) لقراءة المسلمين:

كذلك زعموا أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد أقر قراءات مختلفة للمسلمين،وقد أورد الطبري عدة روايات فيها بيان على إقرار الرسول(صلى الله عليه وآله) لقراءة قارئين تختلف قراءة أحدهما عن الآخر([7]) 0 منها :

عن زيد القصار عن زيد بن أرقم،قال: كنا معه في المسجد فحدثنا ساعة، ثم قال :جاء رجل إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله)فقال : أقرأني عبد الله بن مسعود سورة أقرأنيها زيد ، وأقرأنيها أبي بن كعب ،فاختلفت قراءتهم،فبقراءة أيهم آخذ ؟ قال : فسكت الرسول (صلى الله عليه وآله) - قال:وعلي إلى جنبه – فقال علي : ليقرأ كل إنسان كما علم، كل حسن جميل([8]) 0

ومن هذه الرواية يتبين أنه اختلاف الصحابة في القراءة كان يحدث في المسجد0

---

[1] - محمد حسين علي الصغير \تاريخ القرآن \95 0

[2]- ظ: ابن كثير \فضائل القرآن \28 0

[3] - ظ: عبد الله العكبري\ إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الأعراب والقراءات \3-4 + أبو شامة \إبراز المعاني \55 + عبد الهادي ألفضلي\ القراءات القرآنية\92 0

[4] - ظ : ابن جني \المحتسب \2\305 0

[5] - الرحمن : 76 0

[6] - محمد حسين علي الصغير\تاريخ القرآن\ 99 0

[7] - ظ: الطبري \جامع البيان\1\24-31 0

[8] - م0 ن \ج1\26 0

وهذا الكلام أيضاً مردود ولا أصل له حيث أن وجهة التعميم وعدم الوضوح والدقة في الرواية وغيرها هي المسيطرة0 بالإضافة إلى أن أغلب رواة هذه الروايات من الوضاعين الكذابين الذين يروون الموضوعات عن الثقات ([1]) 0

3- اختلاف الرواية عن الصحابة :

يقول ابن مجاهد : (ورويت الآثار بالاختلاف عن الصحابة والتابعين توسعة ورحمة للمسلمين) ([2]) 0

ومعلوم أن الصحابة كانوا قد أخذوه عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) وزعموا أنهم أخذوا عنه(صلى الله عليه وآله)على حروف مختلفة ثم تفرقوا في البلاد وعنهم أخذ من جاء بعدهم حتى وصل الأمر على هذا النحو إلى الأئمة القراء المشهورين([3]) 0

4- اختلاف اللهجات :

ويعد هذا السبب من أهم الأسباب في اختلاف القراءات عند جماعة من الباحثين ،وقد تنبه ابن قتيبة(ت:276هـ) بقوله: (00 ولو أن كل فريق من هؤلاء – الهذلي والتميمي والأسدي 00ألخ – أمر أن يزول عن لغته، وما جرى عليه اعتياده طفلاً وناشئاً وكهلاً،لاشتد ذلك عليه وعظمت المحنة فيه ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة ، وتذليل للسان،وقطع للعادة) ([4]) 0

وقد ذهب إلى هذا القول جماعة منهم أبو شامة (ت: 665هـ) ([5])بقوله : (القرآن العربي فيه من جميع لغات العرب،لأنه انزل عليهم كافة وأبيح لهم أن يقرءوه على لغاتهم المختلفة 0فأختلفت القراءات فيه لذلك) (*) 0

إلا أن هذا السبب – اختلاف اللهجات – لم يكن موجوداً في الفترة المكية من حياة الرسول(صلى الله عليه وآله) ؛حيث كان عدد المسلمين قليلاً وكان معظمهم من قريش يتحدثون بلهجة واحدة0 وإنما ظهر في الفترة المدنية عندما انتقل الرسول (صلى الله عليه وآله)إلى المدينة،ودخل ناس كثيرون في الإسلام من قبائل مختلفة ،بلهجات متباينة،ومنهم الطفل الذي لم يستقم لسانه،والخادم الذي يجهل،والشيخ والمرأة العجوز،هنا وجدت المشكلة فأختلف الناس في القراءة([6]) 0

---

[1] - ظ: محمد حسين علي الصغير\ تاريخ القرآن\99- 100 0

[2] - ابن مجاهد\ السبعة\45 0

[3] - ظ: الزر قاني\مناهل العرفان\1\402-406 0

[4] - ابن قتيبة\تأويل مشكل القرآن\30 + ظ: ابن الجزري\ النشر\1\22 + ظ: عبدة الراجحي\اللهجات العربية في القراءات القرآنية\69 0

[5] - هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان الدمشقي،قرأ القراءات على السخاوي وبرع في في العربية 0 ظ: السيوطي\بغية الوعاء في طبقات اللغويين والنحاة \2\78 0

*- ظ: أبو شامة \أبراز المعاني \ 478 0

[6] - ظ: عبدة الراجحي\اللهجات العربية\69 0

ومما يؤكد ذلك بعض الطرق التي روي بها حديث الأحرف السبعة التي تذكر أن الرسول كان عند أحجار المراء بالمدينة،أو عند أضاة بني غفار،وهما موضعان بالمدينة([1]) ،وأن اختلاف الصحابة كما ذكرنا مسبقاً كان يحدث في المسجد([2])0
وهذا السبب قد وصفه علماء معاصرون بأنه يقبله العقل ويسيغه النقل ويقتضيه ما عليه القبائل العربية التي لم تستطع أن تغير حناجرها وألسنتها وشفاهها لتقرأ القرآن كما كان يتلوه النبي (صلى الله عليه وآله)وعشيرته قريش([3])0 ويبدو أن مسألة اللهجات متسالم على أثرها في نشوء القراءات،على أن هذا السبب لم يكن العلة عندهم لجميع اختلافات القراءات، وإنما لبعضها 0

تعقيب :
يذهب البحث إلى أن سبب تعدد اللهجات لا يعد السبب الوحيد أو الأساس لتعدد القراءات كما ذهب إلى ذلك كثير من الباحثين ومن بينهم الدكتور طه حسين ([4]) وذلك وذلك لأن الاختلاف في القراءات – وكما ذكرناها في موضوع وجوه اختلاف القراءات – ليس هو من قبيل الاختلاف في الأصوات فقط وإنما هناك اختلاف في تقديم وتأخير الكلمات ،بل وحذفها أيضاً ([5]) 0
فضلاً على إن الاختلاف في القراءات قد يقع بين أبناء القبيلة الواحدة كالخلاف الذي وقع بين عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم بن حزام وهما من قبيلة واحدة ([6]) 0

6- عدم نقط المصاحف الأئمة التي وجهها الخليفة عثمان بن عفان إلى الأمصار وعدم شكلها0فأجتهد القراء في قراءتها دونما اعتماد على رواية أو نقل عن النبي(صلى الله عليه وآله)0
وبهذا تشبث المستشرق جولد تسهير ،فزعم أن القسم الأكبر من القراءات يرجع إلى خاصية الخط العربي،وذهب إلى أن عدم نقط المصاحف وشكلها كان السبب الأول في ظهور القراءات([7]) 0
وهذا الرأي قد تصدى له ونقده جماعة من الدارسين العرب أمثال عبد الوهاب حمودة ومحمد طاهر الكردي والدكتور عبد الرحمن السيد وغيرهم،إلا أنه لقي بالوقت نفسه تأييداً من قبل آخرين أمثال الدكتور جواد علي والدكتور صلاح الدين المنجد([8]) 0

---

[1] - ظ: ابن الأثير\ النهاية\1\203 0
[2] - ظ: الطبري\جامع البيان\1\35-39 0
[3] - ظ: عبد الهادي ألفضلي\القراءات القرآنية\95 + محمد حسين علي الصغير\ تاريخ القرآن\101 عن مصدره
[4] - ظ: محمد حسين علي الصغير\ تاريخ القرآن\101 0
[5] - راجع النقطتين (6) و (7) من وجوه اختلاف القراءات 0
[6] - ظ: الطبري \جامع البيان \1\21 0
[7] - ظ: عبد الهادي ألفضلي\القراءات القرآنية \97+ محمد حسين علي الصغير\ تاريخ القرآن\ 0 96-95
[8] - م 0 ن 0

وفيما يلي تلخيص لبعض الردود :

1- أن شيوع ظاهرة القراءة القرآنية كان قبل تدوين المصاحف الأئمة0

2- ظهور حركة القراءة قبل وجود النقط والشكل،أي قبل الكتابة0

3- اعتماد القراءات على النقل والرواية:يقول أبو شامة: (والقراءة نقل ،فما وافق منها ظاهر الخط،كان أقوى،وليس أتباع الخط بمجرده واجباً ما لم يعضده نقل)([1]) 0

4- ويرجع بعضهم سبب وجود الاختلاف في رسم بعض الحروف في المصاحف الأئمة التي وجهها الخليفة عثمان إلى الأمصار لا إلى عدم تنقيطها وشكلها،وإنما هذه الحروف هي منزّلة من عند الله،ومسموعة من رسول الله(صلى الله عليه وآله)ولكن جمعها في مصحف واحد على تلك الحال غير ممكن إلا بإعادة الكلمة ،وفي رسم ذلك كذلك من التخليط والتغيير للمرسوم مالا خفاء به؛ ولذلك فقد فرّقها عثمان(رض) في المصاحف،فجاءت مثبتة في بعضها ومحذوفة في بعضها لكي تحفظها الأمة كما نزلت من عند الله عز وجل وعلى ما سمعت من رسول الله(صلى الله عليه وآله)([2]) 0

وهذا الكلام يؤدي إلى القول المشهور من أن مصدر تعدد القراءات إلى سبع أو العشر ليس اجتهاداً وإنما هو سماعاً وليس للكتابة المصحفية موقع من ذلك بالاستدلال بحديث : (00إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ،فأقرأو ما تيسر منه)([3]) 0

أدلة حديث الأحرف السبعة ومناقشتها

أستند كثير من العلماء والباحثين في قولهم بتواتر القراءات السبع وحجيتها وسبب نشوءها على حديث الأحرف السبعة،والذي تبنى هذا القول هم أصحاب الرأي الذي يقول بأن اختلاف القراءات السبع روائي وليس كتابياً0

ولقد أخرج الطبري هذا الحديث بطرق مختلفة ومتون متنوعة وفيما يلي ذكر لبعض منها:

أ- أخرج الطبري عن يونس وأبي كريب،بإسنادهما عن ابن شهاب ،بإسناده عن ابن عباس ، حدثه أن رسول الله(صلى الله عليه وآله)قال: (أقرأني جبرائيل على حرف فراجعته،فلم أزل أستزيده فيزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف) 0وروى هذه الرواية مسلم عن حرملة عن أبن وهب عن يونس([4]) 0ورواها البخاري بسند آخر([5]) 0

ب- وأخرج عن أبي كريب،بإسناده عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه:قال : (قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): قال جبرائيل :أقرأ القرآن على حرف فقال ميكائيل: استزده 0فقال على حرفين،حتى بلغ ستة أو سبع أحرف

---

[1] - أبو شامة\ أبراز المعاني \406 0

[2] - ظ : عبد الهادي ألفضلي\القراءات القرآنية \101 0

[3] - البخاري \الجامع الصحيح\ 6\227 0

[4] - مسلم \صحيح مسلم\2\202 0

[5] - ظ: البخاري\صحيح البخاري\6\100 0

،فقال:كلها شافٍ كافٍ ما لم تختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب،كقولك:هلّم وتعالَ)

ج- وأخرج عن عمرو بن عثمان العثماني،بإسناده عن المقبري عن أبي هريرة أنه قال: (قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف،فأقرءوا ولا حرج،ولكن لا تختموا ذكر رحمة بعذاب،ولا ذكر عذاب برحمة) 0

د- وأخرج عن عبيد بن أسباط،بإسناده عن أبي سلمة عن أبي هريرة،قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):(أنزل القرآن على سبعة أحرف،عليم 0حكيم0 غفور0 رحيم) 0

هـ - وأخرج عن أبي كريب بإسناده عن زر عن أبي،قال:لقي رسول الله(صلى الله عليه وآله) جبريل عند أحجار ألمراء0فقال: إني بعثت إلى أمة أميين منهم الفلاح والخادم وفيهم الشيخ الفاني والعجوز0فقال جبرائيل :فليقرءوا القرآن على سبعة أحرف) وغيرها من الروايات التي أوردها الطبري في هذا المعنى([1]) وكلها من طرق أهل السنة0

مناقشة هذه الروايات :

1- هذه الروايات جميعها معارضة بحديث أنزال القرآن على حرف واحد،ومخالفة لصحيحة زرارة عن أبي جعفر (عليه السلام)قال: (إن القرآن واحد نزل من عند واحد،ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة) ([2]) 0

وقد سأل الفضيل بن يسار أبا عبد الله(عليه السلام) فقال :إن الناس يقولون :إن القرآن نزل على سبعة أحرف 0فقال أبو عبد الله (عليه السلام):(كذبوا أعداء الله ،ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد)([3]) 0

وبما أن المرجع في أمور الدين يكون إلى كتاب الله والنبي(صلى الله عليه وآله)وأهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ،فلا قيمة للروايات أذا كانت مخالفة لما يصح عنهم0وبهذا فلا نريد أن نطيل الكلام عن أسانيد هذه الروايات ما دامت ساقطة عن الاعتبار والحجية 0

2- تخالف وتناقض هذه الروايات:

عند التمحص في قراءة هذه الروايات نجد أن بعضها فيه دلالة على أن الزيادة كانت بالتدرج،وفي بعضها كانت الزيادة مرة واحدة في المرة أن الثالثة من أقراء جبرائيل للنبي(صلى الله عليه وآله) ،وفي بعضها أن الله سبحانه أمره في المرة الثالثة أن يقرا القرآن على ثلاثة أحرف،وكان الأمر بقراءة سبعة في المرة الرابعة0

---

[1] - ظ: الطبري\ جامع البيان\1\9-15 0

[2] - الكليني\ الكافي\2\630 0

[3] - م0 ن 0

وفي بعضها دلالة على أن الزيادة كلها كانت في مجلس واحد0وأن طلب النبي(صلى الله عليه وآله) الزيادة كان بإرشاد ميكائيل،فزاده جبرائيل حتى بلغ سبعة،وبعضها يدل على أن جبرائيل كان ينطلق ويعود مرة بعد مرة([1])0

3- أن التحديد الموجود في بعض الروايات الدالة على التوسعة: (ما لم تختم آية رحمة بعذاب،أو آية عذاب برحمة)0 لا معنى له إلا أن *يراد* بالسبعة أحرف هو جواز تبديل بعض الكلمات ببعض باستثناء ختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب([2]) 0
ومثاله ما رواه الطبري عن محمد بن بشار،وأبي السائب بإسنادهما عن همام:أن أبا الدرداء كان يقرئ رجلاً﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الأَثِيمِ ﴾ ([3]) فجعل الرجل يقول: (أن شجرة الزقوم طعام اليتيم) قال :فلما أكثر عليه أبو الدر داء فرآه لا يفهم قال: (أن شجرة الزقوم طعام الفاجر)([4]) وفي هذا القول افتراء وبهتان على الرسول(ص)فقد قال تعالى : **﴿00 قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَيَّ000﴾** ([5]) 0
فكيف يجوز للقراء وهم من عامة الناس أن يبدلوا ما في القرآن أذا لم يكن ذلك جائز حتى على الرسول0
وإذا كان الرسول(صلى الله عليه وآله) لم يجوّز ذلك في الدعاء فكيف له أن يجوزه في كلام الله([6])

5- وإذا كان المراد من ذلك أن النبي (صلى الله عليه وآله) قرأ على الحروف السبعة كما مرّ في الروايات السابقة فأين هذه الأحرف السبعة التي قرأ بها النبي(صلى الله عليه وآله) والتي لم يتفق المفسرون بل المسلمون على المعنى المراد منها، فقد اختلف في معناها على أربعين قولاً ، وقيل خمسة وثلاثين ([7]) ،فقيل أن معناها : على سبعة معانٍ:أمر،ونهي،ووعد،ووعيد ،وجدل ، و قصص ،ومثل،وقال آخرون (نزل القرآن على سبعة أحرف)أي سبع لغات مختلفة،مما لا يغير حكماً في تحليل وتحريم([8]) وإلى ذلك يذهب أبو حاتم السجستاني حيث يرى أن القرآن نزل بلغة قريش وهذيل وتميم والأزد وربيعة وهوازن 00 0
وقد استنكر ذلك عليه ابن قتيبة الذي يرى أن القرآن نزل بلغة قريش فقط محتجاً بقوله تعالى **﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ00 ﴾** ([9]) إلا أن رأيه لا يختلف عن رأي السجستاني لأنه يقول بوجود اللغات السبع إلا أنها في بطون قريش فقط ([10])0

---

[1] - ظ: الخوئي \البيان \192- 193 0
[2] - ظ: البلاغي\آلاء الرحمن\1\31 0
[3] - الدخان : 43 – 44 0
[4] - ظ: الطبري\ جامع البيان \25 \78 0
[5] - يونس : 15 0
[6] - ظ: الخوئي \البيان\194-196
[7] - ظ: البلاغي \آلاء الرحمن\ج1\30 0
[8] - ظ: الطوسي\التبيان\ج1\ص7 +ابن الجزري\النشر\1\24-25 0
[9] - إبراهيم : 4 0
[10] - ظ: الصالحي الشامي \سبيل الهدى والرشاد \10 \289 0 الهامش

ولا يصح الاحتجاج بما لا يفهم معناه،ولا يقطع بمؤداه،إذ هو احتجاج بما لا يعرف،وأخذ بما لإيراد ،واعتماد على ما لا يبين،والالتزام بهذا باطل دون ريب 0 ([1])

5- لقد صرحت بعض الروايات بأن الحكمة في نزول القرآن على سبعة أحرف هي التوسعة على الأمة والتخفيف عنها لوجود الشيخ والشيخة والصبي والعجوز وما إلى ذلك وهذا ما ذهب إليه ابن الجزري في النشر ([2]) وهذا القول أوهن من سابقيه لما يأتي:

أ- إذا كان الأمر كذلك فما سبب حصر الخليفة عثمان(رض) القراءة بحرف واحد،وأمره بإحراق بقية المصاحف،وكيف له أن يتجاوز هذه الرحمة الإلهية بنزوله على سبعة أحرف،وكيف جاز للمسلمين قبول قول عثمان ورفض قول الرسول(صلى الله عليه وآله)فهل وجدوه أرأف بالأمة من نبيها(صلى الله عليه وآله)أو أنه تنبه لشيء قد جهله الرسول(صلى الله عليه وآله) وحاشاه وإما أن الوحي قد نزل على عثمان بنسخ تلك الحروف0

ب- كيف استطاع المسلمون بعد عثمان على اختلاف عناصرهم ولغاتهم أن يقرأوا القرآن على حرف واحد،في حين عَسُر ذلك على المسلمين في عهد الرسول حيث كانت العرب الفصحى ([3]) 0

وهكذا يتبين أنه لا يمكن الاستدلال بهذا الحديث للأسباب المتقدمة 0

تعقيب

ورد عن أهل البيت (عليهم السلام)بعض الأحاديث التي تشير إلى الأحرف السبعة ،منها :

1- عن الإمام الباقر (عليه السلام) : (تفسير القرآن على سبعة أحرف منه ما كان ومنه ما لم يكن بعد ذلك تعرفه الأئمة) ([4]) 0

2- عن الإمام الصادق(عليه السلام): (إن القرآن نزل على سبعة أحرف وأدنى ما للإمام أن يفتي على سبعة وجوه)([5]) 0

من الملاحظ في الحديثين السابقين أنهما يدلان على أن القرآن كونه النص الفني الخالد فأنه ينطوي على تعدد في الدلالات وان هذا التعدد في الدلالات لم يعرفه أي أحد إلا الأئمة (عليهم السلام) لأن الله تعالى منحهم علماً خاصاً بهذا الجانب،فقول الإمام الصادق(عليه السلام) (وأدنى ما للإمام أن يفتي على سبعة وجوه) فأن الوجوه هنا تفسر بتعدد التفسير أو التأويل أو الدلالات ([6])0

---

[1] - ظ: محمد حسين علي الصغير\ تاريخ القرآن\97 0

[2] - 1\22 0

[3] - ظ: البلاغي\آلاء الرحمن\1\31+ الخوئي \البيان\197+ محمد حسين علي الصغير\ تاريخ القرآن \97- 98 0

[4] - الصفار\بصائر الدرجات\216 0

[5] - الصدوق\ الخصال \385 0

[6] - ظ: محمود البستاني\دراسات في علوم القرآن الكريم\72 0

وممن يؤيد الرأي القائل بأن عدم النقط والشكل في المصاحف هو سبب نشوء القرارات : القسطلاني(ت:923هـ) بقوله: (ثم لما كثر الاختلاف فيما يحتمله الرسم،وقرأ أهل البدع والأهواء بما لا يحل لأحد تلاوته وفاقاً لبدعتهم000 رأى المسلمون أن يجتمعوا على قراءات أئمة ثقات تجردوا للاعتناء بشأن القرآن العظيم) ([1]) 0
ويؤيد هذا الرأي الدكتور الصغير بقوله: (فقد كان لاحتمال الرسم،ما تطاول به أهل البدع فيقرؤون بما لا تحل تلاوته،ولا تصح قراءته،ومعنى هذا أن قراءات ما قد نشأت عن هذا الملحظ،فأحتاط المسلمون لأنفسهم بقراءات أئمة ثقات لدفع القراءات المبتدعة) ([2])0
ومن جملة هذه الأسباب في نشوء القراءات وتعددها خرج الدكتور الصغير برأي في الموضوع وهو: أنه يرى أن (كلاً من شكل المصحف،وطريق الرواية إلى النبي(ص) وتعدد اللهجات العربية،قضايا ذات أهمية متكافئة باعتبارها مصادر من مصادر القراءات كلا لا يتجزأ 0وإلا فهي - على الأقل - أسباب عريضة في نشوء القراءات ومناهج اختلافها) ([3]) 0

6- موقف بعض العلماء من تواتر القراءات وعدمه:

أختلف العلماء من الإمامية والجمهور في القول بتواتر القراءات السبع المشهورة وعدمه على أقوال ولكل منهم أدلته على ذلك :
1-أنها متواترة مطلقاً ،وأن الكل مما نزل به الروح الأمين على سيد المرسلين وهذا الرأي المشهور عند علماء الجمهور- بحيث أفرط بعضهم فزعم أن من قال إن القراءات السبع لا يلزم فيها التواتر فقد كفر،وهو رأي منسوب إلى مفتي البلاد الأندلسية أبي سعيد فرج ابن لب ([4]) - وبعض من الإمامية كالعلامة ابن المطهر،وابن فهد، والمحقق الثاني في المعالم ،والشهيد الثاني في المقاصد العلية، والمحدث الحر ألعاملي، وغيرهم من المجتهدين الذين حكموا بتواتر القراءات السبع ([5]) 0
2-أن القراءات السبع منها : ما هو من قبيل الهيئة كالمد واللين وتخفيف الهمزة والإمالة ونحوها وذلك لا يجب تواتره وغير متواتر 0 ومنها: ما هو من جوهر اللفظ كملك و مالك ، وهذا متواتر0 وهذا الرأي للفاضل البهائي ،وابن الحاجب في مختصره ،والعضدي في شرحه ([6]) 0

---

[1] - القسطلاني\لطائف الإشارات\1\66 0
[2] - محمد حسين الصغير\ تاريخ القرآن\ 98 0
[3] - م 0ن \102 0
[4] - ظ : الزرقاني\ مناهل العرفان\ 433+ الخوئي\ البيان\ 135+محمد حسين الصغير\ تاريخ القرآن \101 0
[5] - ظ: مركز الثقافة والمعارف الإسلامية\ علوم القرآن عند المفسرين\2\78 عن مصدره + محمد حسين علي الصغير \تاريخ القرآن\119 0
[6] - م 0ن0

3-أنها ليست بمتواترة مطلقاً ولو كانت من جوهر اللفظ ،وهذا هو رأي أغلب الإمامية ومعظم الجمهور كالرازي والزمخشري 0 فالقراءات عندهم بين ما هو اجتهاد من القارئ وبين ما هو منقول بخبر الواحد ([1]) 0

احتجاج أصحاب الرأي الأول ومناقشتهم :

أ-دعوى قيام الإجماع على تواتر القراءات السبع، وهذا الدليل مرفوض وذلك :

1- حيث أن هذا الإجماع لا يتحقق عند أهل مذهب واحد عند مخالفة الآخرين ([2])0 فيستفاد منه الظن بتواتر السبع 0

2- المعارضة بما ذكره الشيخ الطوسي بقوله : (أعلموا أن العرف من مذهب أصحابنا والشائع في أخبارهم ورواياتهم أن القرآن نزل بحرف واحد على نبي واحد غير أنهم أجمعوا على جواز القراءة بما يتداوله القراء وأن الإنسان مخير بأي قراءة شاء قرأ) ([3]) وأيده بذلك الطبرسي 0

وفي قول الشيخ الطوسي دلالة على عدم الإجماع على تواتر القراءات وإنما جواز القراءة بها 0

ب- أن اهتمام الصحابة والتابعين بالقرآن يقضي بتواتر قراءته وهذا أيضاً مردود :

1- حيث أن هذا الدليل فيه أثبات لتواتر نفس القرآن لا تواتر كيفية قراءته 0

2- ولو كان كذلك لاقتضى أن تكون جميع القراءات متواترة وليس فقط السبع أو العشر0

3- إن حصر القراءات في (السبع) إنما حدث في القرن الثالث الهجري كما ذكرنا في موضع سابق من هذا المبحث0 ولم يكن له قبل هذا الزمان عين ولا أثر ،ولازم ذلك هو الالتزام أما بتواتر جميع القراءات من غير تفرقة، وإما بعدم تواتر شيء منها حتى (السبع) وببطلان الأول يتعين الثاني ([4]) 0

ت- أن القراءات السبع لو لم تكن متواترة لم يكن القرآن متواتراً ، والتالي باطل بالضرورة فالمتقدم مثله0 والرد على هذا الدليل هو :

1- أن تواتر القرآن لا يستلزم تواتر القراءات ،لأن الاختلاف في كيفية الكلمة لا ينافي الاتفاق على أصلها0 أي أن الاختلاف في كيفية النطق بالآية لا ينافي الاتفاق على كونها قرآناً 0

2- أن الواصل ألينا بتوسط القرّاء هو خصوصيات قراءاتهم0 وأما أصل القرآن فهو واصل ألينا بالتواتر بين المسلمين، وبنقل الخلف عن السلف0 فالقرآن ثابت التواتر حتى مع افتراض عدم وجود القراء السبعة أو العشرة أصلاً ([5]) 0

ولقد أوضح هذا المعنى الزركشي(ت: 794هـ) بقوله : (والقرآن والقراءات

---

[1] - ظ: الخوئي\البيان \135 0

[2] - م 0ن0 \ص170 0

[3] - الطوسي\التبيان \1\7+ ظ: الطبرسي\ مجمع البيان\1\12 0

[4] - ظ: الخوئي\البيان \171 0

[5] - ظ: الزر قاني \مناهل العرفان \428+ الخوئي\البيان\173 0

حقيقيتان متغايرتان ،فالقرآن : هو الوحي المنزّل على محمد للبيان والإعجاز، والقراءات: اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرهما والقراءات السبع متواترة عند الجمهور، وقيل بل هي مشهورة)([1]) 0

و الزركشي برأيه هذا يخالف الباقلاني(ت: 403هـ) الذي ذهب إلى أن : (القراءات قرآن منزل من عند الله تعالى،وأنها تنقل خلفاً عن سلف،وأنهم أخذوها من طريق الرواية،لا من جهة الاجتهاد ،لأن المتواتر المشهور أن القراء السبعة إنما أخذوا القرآن رواية،لأنهم يمتنعون من القراءة بما لم يسمعوه) ([2]) 0

يقول البلاغي (ت:1352 هـ) : (أن القراءات السبع فضلاً عن العشر إنما هي في صورة بعض الكلمات لا بزيادة كلمة أو نقصها ومع ذلك ما هي إلا روايات آحاد عن آحاد لا توجب اطمئنان ولا وثوقاً 0 فضلاً عن وهنها بالتعارض ومخالفتها للرسم المتداول المتواتر بين عامة المسلمين في السنين المتطاولة 0وإن كلا من القراء هو واحد لم تثبت عدالته ولا ثقته يروي عن آحاد حال غالبهم مثل حاله ويروي عنه آحاد مثله 0

وكثيراً ما يختلفون في الرواية عنه فكم أختلف حفص وشعبة في الرواية عن عاصم، وكذا قالون و ورش في الرواية عن نافع ([3]) 000 مع إن أسانيد هذه القراءات الأحادية لا يتصف واحد منها بالصحة في مصطلح أهل السنة في الإسناد فضلاً عن الإمامية كما لايخفى ذلك على من جاس خلال الديار0 فيا للعجب ممن يصف هذهِ القراءات السبع بأنها متواترة) ([4]) 0

تعقيب

يؤكد البحث على عدم تواتر القراءات عن النبي (صلى الله عليه وآله) وإنما هي متواترة عن أصحابها ، ذلك لما جاء عن الإمام الباقر (عليه السلام) : ((إن القرآن واحد نزل من واحد ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة)) ([5]) 0

وبذلك فالقراءات ليست حجة فلا يستدل بها على الحكم الشرعي وإن جوّز بعض العلماء القراءة بها، وخاصة القراءات الشائعة في عهد الأئمة والتي أقروها لشيعتهم ولم يردعوها ([6]) 0

---

[1] - الزركشي\ البرهان\1\318 0

[2] - الباقلاني\ نكن الأنصار لنقل القرآن\415 0

[3] - ظ: محمد حسين علي الصغير\تاريخ القرآن\113 0

[4] - البلاغي\ آلاء الرحمن\1\30 0

[5] - الكليني \الكافي \2\630 0

[6] - ظ: الخوئي \البيان \178 – 181 0

نتائج البحث

بعد هذه الجولة العلمية في بطون المصنفات القديمة، وبعد سبر أغوارها في ميادين التفسير وعلوم القرآن، ومقارنتها مع ما أنتجه الحاضر البعيد والقريب، ومتابعة الخط البياني لعملية التطور حتى حين، استطاع البحث التوصل إلى عدة نتائج منها ما كانت نتائج عامة وأخرى خاصة:

أ- النتائج العامة: وتشمل مجمل البحث:وهي:

1- لم يجد البحث خلال الفترة المدروسة لديه مؤلفات مستقلة في مجال علوم القرآن ، إلا ما دونه المفسرون في مقدمات تفاسيرهم0ولذلك لم يكن لعلوم القرآن اصطلاح عندهم، مما حدا بالدارسين والباحثين اللجوء إلى كتب علوم القرآن الممنهجة والمبوبة حسب اصطلاحات علوم القرآن، والتي ظهرت بعد ظهور الاصطلاحات عبر فترات زمنية متعاقبة0

2- وجد البحث إن جميع كتب الإمامية وخصوصاً التفسيرية منها، لم تنكر وجود الفريق الآخر فقد تضمنت في طياتها آراءهم وأقوالهم سواء اخذ بها أم لم يؤخذ، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على موضوعية وتقبل الرأي الأخر عند الإمامية 0

3- لقد وجد البحث إن الخط البياني لجهود المفسرين التفسيرية خلال الحقبة المدروسة لديه لا يوجد فيه تفاوت صعوداً ونزولاً إلا بنسب ضئيلة جداً، وذلك إن الطابع العام للتفسير كان هو الطابع الأثري،حتى جاء القرن الرابع الهجري فبرز إلى جانب النقل النقد والاستدلال والترجيح، وهذا ما تميز به كل من تفسير الطبري والقمي وغيرهما، وكان للمنهج اللغوي والفقهي ظهور على الساحة العلمية0
وما أن حل القرن الخامس الهجري حتى برز فطاحل المذاهب التفسيرية أمثال الشريف الرضي رائد المنهج التحليلي والبلاغي والطوسي مؤسس ومؤصل المنهج التكاملي والتفسير المقارن، ثم جاء القرن السادس الهجري فبرز رائد المنهج البياني جار الله الزمخشري00ومعتمد الإمامية في التفسير ألا وهو الطبرسي الذي الم بشوارد وموارد التفسير ، فأصبح كتابه مصدراً للمفسرين يغترفون من موارد علمه الغزير وقد أفاد من الشيخ الطوسي كثيراً في المنهج والعرض والروايات والتحليل 0
وهكذا وجد البحث إن لكل حقبة ما يميزها من الأخرى سواء في الخصائص الايجابية والسلبية0

ب- النتائج الخاصة:

وتشمل فصول البحث بحسب تسلسلها وهي:

الفصل الأول:

1- من خلال ما لمسه البحث من كلام العلماء حول مفهوم كل علم من علوم القرآن وجد إن علماء الأصول هم الأكثر توفيقاً من الآخرين في توضيحهم لمفاهيم تلك العلوم وربما يعود السبب لشدة اهتمامهم بها لما لها من مدخل في فهم النص الشرعي واستنباط الأحكام الشرعية وتقريرها، والتي هي المحصلة الأساس في الدراسات الاصولية0

2- ثبت للبحث بالأدلة الوافية واللازمة علم الراسخين في العلم بتأويل المتشابه حيث بلغت تلك الأدلة مبلغاً لا يمكن معه القول الآخر، وان أخذنا بالقول القائل بأن (الواو) استئنافية و(الراسخون) مبتدأ ،فهذا لا ينافي علم الراسخين بالعلم بتأويل القرآن الكريم انتهاءً، فالله سبحانه هو الذي يعلم تأويله ثم يهب علمه لمن يشاء من عباده ومنهم الراسخين في العلم 0

3- إن ظاهرة النسخ أمر لابد منه في كل تشريع يحاول تركيز معالمه في الأعماق، والأخذ بيد أمة جاهلة إلى مستوى عالٍ من الحضارة الراقية، الأمر الذي لا يتناسب مع الطفرة المستحيلة لولا أناة السير التدريجي المستمر خطوة بعد خطوة0

4- ذكر العلماء ثلاثة أنواع للنسخ، إلا أن بعضهم يقول بوجود نوع واحد فقط، وبعضهم الآخر يقول بوجود نوعين، وثالث يقول بوجود الأنواع الثلاثة0

5- يكاد يجزم البحث أن ما انتهى إليه العلماء من أن الإطلاق والتقييد لا يعد نسخاً حال العام والخاص بعدم كونه نسخاً،وكذا بين الإجمال والتفصيل هو أمر بديهي لا يحتاج إلى مزيد بيان 0

6- لا يوجد مجال للتشكيك في فكرة البداء إذا أخذناها في حدود فكرة النسخ مطبقة على التكوين،ولا يكون اتهام الإمامية بالانحراف لأنهم قالوا بهذه الفكرة إلا شبيهاً بالاتهام الذي وجهه اليهود والنصارى إلى عامة المسلمين لأخذهم بفكرة النسخ ،لأن البداء عند الإمامية هو لله تعالى لا على الله عز وجل 0

7- استطاع البحث التوصل إلى نوع من أنواع الخطاب القرآني جاء ضمناً في تفسير الآيات القرآنية وهو خطاب عطف العام والمراد به الخصوص على الخاص0 والمتمثل بقوله تعالى:**﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾**(المائدة:55)0

8- وجد البحث إن موضوع العام والخاص قد بُحث عند المتقدمين ضمن الحقبة المحددة للبحث بصورة جزئية عامة، إذ لم يستغرقوا جميع مباحثه بصورة مفصلة إلا غالباً في أنواع الخطاب القرآني0
في حين كان بحثه أشمل وأوسع عند المتأخرين وخصوصاً عند الأصوليين0

الفصل الثاني

9- المفهوم اللغوي للتفسير هو كشف المستور ،أما حمل اللفظ على ظاهره فليس تفسيراً بحسب أصل الكلمة 0ومع هذا الأصل وهذا المدلول فأن التفسير اليوم يشمل ما يفهمه المرء منه مطلقاً سواء كان هذا المفهوم ظاهراً منه أم خفياً 0

10- لم يكن التفسير إلا شعبة من شعب الحديث ،إلا أنه أخذ بتقادم الزمان يتطور حتى أصبح علماً مستقلا بذاته ،وهو أشرف العلوم موضوعاً وغرضاً واحتياجا 0

11- لقد فسر الرسول(صلى الله عليه وآله)القرآن الكريم على مستويين:المستوى العام، والذي لم يستوعب القرآن كله إلا في حدود الحاجة0والمستوى الخاص والذي كان شاملاً لجميع القرآن بقصد إيجاد من يحمل تراث الأمة والذي يتمثل في وضع النبي(صلى الله عليه وآله)لمبدأ أهل البيت(عليهم السلام)0

12- وجد البحث أن هناك تفاسير يصح أن يطلق عليها بـ(التفاسير الجامعة) وذلك كونها استخدمت أكثر من منهج في محاولة الكشف عن مراد الله ،كأن تكون استخدمت المنهج اللغوي جنباً إلى جنب المنهج الأثري مضافاً إلى المنهج القرآني 0
هذا وقد قام الدكتور الصغير بتجربة تفسيرية فريدة من نوعها وهي استخدام المنهج التسلسلي الموضوعي ،وذلك في تفسيره لسورة الزخرف0

13- ثبوت صحة التفسير عن أهل البيت(عليهم السلام) بثبوت حجيتهم (عليهم السلام) التي ثبتت بعصمتهم عن الذنب والرجس،فتفسيرهم كاشف لمراد الله تعالى كتفسير الرسول(صلى الله عليه وآله) كما أن علمهم محيط بجميع علوم القرآن من ناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه ، وأسباب النزول،00 ألخ 0

14- القرآن هو كتاب الله الخالد،الذي لم يحدد بمكان وزمان وأشخاص معينين،فهو لكل مكان ولكل زمان ولجميع العالمين0فلا يمكن عدّه من ضمن المنهج الأثري لأن الأثر لغة واصطلاحاً محدد بمدة وأشخاص معينين 0

15- تبين للبحث أن المفسرين المتقدمين أمثال الشريف الرضي والطوسي قد طبقوا المنهج القرآني (تفسير القرآن بالقرآن) تطبيقاً دقيقاً وعميقاً، وذلك بالإفادة من ترابط الآيات في الموضوع والمضمون ،حيث أن الموضوعات القرآنية يؤثر بعضها في بعض

وينسجم بعضها مع بعض، فهي تؤلف منظومة يحتاج في فهم كل جزء منها إلى استيعاب المجموع 0

16- يوجد بعض التفاسير يمكن أن نطلق عليها بـ(التفاسير المقارنة)،كما يطلق على بعض الكتب الفقهية بـ(الفقه المقارن) وذلك لأنها تذكر آراء المفسرين مع أدلتهم ومن ثم تعطي الرأي الراجح مع الدليل 0

17- لا ينكر البحث أن بعض المناهج التفسيرية لم يكن لها صدىً على الساحة العلمية في تفسير القرآن في تلك المرحلة،إلا أن هذا لا يعني انعدام وجودها أصلاً،كالمنهج الموضوعي والمنهج العلمي 0على العكس فلقد كان لبعض المتقدمين تفاسير ومؤلفات تختص بموضوع واحد من موضوعات القرآن كالأحكام الشرعية،وأسباب النزول،والإعجاز القرآني،والناسخ والمنسوخ000ألخ0

18- وجد في بعض التفاسير أو الكتب العلمية المنسوبة في علومها إلى القرآن الكريم ، معلومات وإشارات سواء كانت علمية أم غيرها مما لا يتقبله العقل والعلم،فكان لزاماً على الباحثين التحرز والتثبت منها 0
إلا أن هذا الأمر يجب أن لا يكون باعثاً على عدم اعتماد البعد العلمي في تفسير القرآن الكريم ،بل على المفكرين والباحثين أن يستلهموا المكتشفات العلمية بغية التمهيد لتنمية المجتمعات الإسلامية وتطويرها، وذلك بالإيحاء للمسلمين بأن في قرآنهم مبادئ العلوم التي دفعت بعجلة التطور في المجتمعات الراقية،فالأحرى بهم والقرآن بين أيديهم أن يقفوا على إشاراته،فيستلهموها وينطلقوا منها إلى ذرى التطور والرقي0

الفصل الثالث :

19- إن جميع الظواهر والبحوث التي تحوم حول القرآن وتقوم على خدمته تعد من تاريخ القرآن وليس من علومه كونها لا تستنبط منه،وهذا التفصيل ما امتاز به استأذنا الدكتور محمد حسين علي الصغير في كتابه (تاريخ القرآن)0

20- إن ظاهرة الوحي لدى النبي(صلى الله عليه وآله)لم تكن كما تصوره بعض الروايات ، فهي أشبه بالطبيعية لديه،وأما ما يغشاه من شدته فنظراً لثقل القرآن العظيم ووزنه اللامتناهٍ0

21- تبين للبحث من خلال الآراء والاستنتاجات وأدلتها أن القرآن الكريم نزل مرتين الأولى مجملاً على قلب الرسول(صلى الله عليه وآله) والأخرى تدريجياً 0

22- يبدو أن النزاع في جمع القرآن عند القوم لفظياً ،حيث أن من يقول بجمعه على عهد الرسول(صلى الله عليه وآله) يقصد جمعه مكتوباً على العسب واللخاف، ومن يرى جمعه على عهد الخليفة عثمان يقصد جمعه في مصحف واحد على قراءة واحدة0

23- تعد مسألة الإعجاز القرآني من أهم مسائل أصول العقيدة التي بنيت عليها رواسيها ودارت عليها رحى الإسلام ؛وذلك في إثبات نبوة محمد(صلى الله عليه وآله)0

24- من البديهيات التي لا جدال فيها تعدد وجوه الإعجاز القرآني إلا أن القرآن قد تحدى العرب من جهة إعجازه البلاغي وفق النظم المخصوص؛لأنه أمر عام ومن أولويات التحدي أن يكون المتحدى به أمرٌ عام موجود في كل سورة من سور القرآن0

25- لم يُعارض القرآن الكريم في أي وقت من الأوقات ، لأنه لو كان عورض لوجب أن ينقل،ولو نقل لعلم، لان الدواعي متوافرة إلى نقله ولأن المعارض لو كان لكان هو الحجة دون القرآن ونقل الحجة أولى من نقل الشبهة0

26- لم ينزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم على عدة قراءات كما ادعي في حديث الأحرف السبعة، وإنما القرآن واحد نزل من عند الواحد0
ولم تكن القراءات المتعددة متواترة عن الرسول(صلى الله عليه وآله)وإنما هي متواترة عن أصحابها كما ذهب إلى ذلك الإمام الخوئي (قدس) 0

وفي الختام نسأل الله قبول هذا العمل إنه سميع الدعاء 0

المصادر والمراجع

خير ما نبتدئ به القرآن الكريم

المصادر

حرف الألف:
***- الآلوسي:أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود(ت:1270هـ)**
1- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني\ط:دار إحياء التراث العربي- بيروت 0

***- الآمدي \ علي بن محمد الآمدي/ (ت:631 هـ)**
2- الإحكام في أصول الأحكام/ تع:عبد الرزاق عفيفي /ط2: 1402\ نشر:المكتبة الإسلامية0

***- احمد بن حنبل \ (ت:241هـ)**
3- مسند أحمد \ الناشر :دار صادرة – بيروت 0

*** ابن الأثير : أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت:606هـ)**
4- النهاية في غريب الحديث والأثر \ تح:طاهر الراوي ومحمود محمد الطناحي\ ط4: 1364هـ\ مؤسسة أسماعيليان 0
5- جامع الأصول في أحاديث الرسول\تص:عبد المجيد سليم ومحمد حامد الفقي\مط:السنة المحمدية- القاهرة – 1949م

*** - ابن إدريس الحلي: أبو جعفر محمد بن منصور بن احمد(ت: 598هـ) **
6- السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي\ تح: لجنة التحقيق\ ط2\ مط:مؤسسة النشر الإسلامي- قم 1410هـ

*** - الأردبيلي: احمد بن محمد(ت:993هـ)**
7- زبدة البيان في أحكام القرآن\تح،تع:محمد الباقر البهبودي\نشر:المكتبة المرتضوية - طهران

***- الأزهري: أبو منصور محمد بن أحمد (ت:270هـ) **
8- تهذيب اللغة \ أشراف:محمد عوض مرعب \تع: عمر سلامي و عبد الكريم حامد\ ط1 :1421هـ \دار أحياء التراث العربي0

*- الأسكندري: ناصر الدين احمد بن محمد ابن المينر(ت: 683هـ) \
9- الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال\ 1385هـ\ نشر: شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي- مصر

*- الأشبيلي : أبن عصفور (ت: 669هـ) \
10- شرح جمل الزجاجي \ تح: صاحب أبو جناح \ط2 :1393هـ \مطابع مديرية دار الكتب –جامعة الموصل 0

*- الأشعري: أبو الحسن علي بن إسماعيل(ت: 330هـ) \
11-مقالات الإسلاميين \تح: محمد محي الدين عبد الحميد\ط1: 1369هـ\مط:مكتبة النهضة المصرية

*- الأصفهاني: أبو فرج علي بن الحسين بن محمد(356هـ)\
12- الأغاني\ تح: سمير جابر\ دار الفكر – بيروت

*- الأندلسي\ ابن حزم الأندلسي \ت: 456هـ \
13-الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم/تح:د0عبد الغفار سليمان البغدادي/ط1: 1406هـ/ نشر:دار الكتب العلمية-بيروت

*- الأندلسي: أبو حيان (ت: 745هـ) \
14- البحر المحيط \تح: عادل أحمد عبد الموجود وزكريا عبد المجيد التوقي و احمد البنجولي \ط1: 1422هـ \ دار الكتب العلمية 0

*- الأنصاري: ابن هشام جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف\ (ت:761هـ)\
15- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك \تح:فخر الدين قباوة\ ط5: 1979م\ مط:دار الجيل -بيروت
16- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب\ تح: مازك المبارك ومحمد علي حمد الله\ ط6: 1985م\ مط: دار الفكر- بيروت

*- ألأهوازي: أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت:244هـ)\
17- الكنز اللغوي في اللسن العربي\ تع، نشر: أوغست هفنر\ مط: المطبعة الكاثوليكية- بيروت\ 1903م

*- الإيجي (ت: 756هـ) عضد الله والدين القاضي عبد الرحمن بن أحمد \
18- المواقف في علم الكلام \مط: عالم الكتب بيروت \مكتبة المتنبي – القاهرة ، مكتبة سعد الدين – دمشق

حرف الباء:
***- الباقلاني \ أبو بكر بن الطيب (ت:403هـ)**
19- إعجاز القرآن \ ط3 \تح : احمد صقر
20- تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل/تح: عماد الدين احمد \ط3 :1414 \مط:مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت 0
21- نكت الانتصار \تح:محمد زغلول سلام \ط:منشأة المعارف –الإسكندرية- 1971م

***- البخاري \ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة بن بردزبة البخاري الجعفي (ت: 256هـ)**
22- الصحيح \ نشر : دار الفكر للطباعة والنشر : 1401 هـ 0
3 2- خلق أفعال العباد \ ظ1: 1404هـ \ نشر:موسوسة الرسالة – بيروت
24- الأدب المفرد \ ط1: 1406هـ : مؤسسة الكتب الثقافية فقط – بيروت

***- ابن البراج \ عبد العزيز بن براج الطربلسي(ت:481هـ) **
25-جواهر الفقه\ تح: إبراهيم بهادري\ ط1: 1411\ مط:مؤسسة النشر الإسلامي- قم

***- البرجلاني \ محمد بن الحسين البرجلاني (ت: 238هـ)**
26- الكرم والجود وسخاء النفوس \ تح: عامر حسن صبري\ ط2: 1412هـ \نشر : دار ابن حزم – بيروت

***-البرقي:أحمد بن محمد بن خالد(ت:274هـ)**
27- المحاسن\تح،تص،تع:جلال الدين الحسيني\نشر:دار الكتب الإسلامية- طهران 0

***- البستي: أبو حاتم محمد بن حبان (ت: 354هـ)**
28- مشاهير علماء الأمصار \تص: فلايشهمر \مط: الجنة –القاهرة -1379هـ

***- ابن البطريق: يحيى بن الحسن الأسدي الحلي(ت:600هـ)**
29- عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار\ تح: مالك المحمودي وإبراهيم البهادري\ إشراف: جعفر السبحاني \ نشر: مؤسسة النشر الإسلامي- قم\ 1407هـ

***- البغوي \ أبو محمد الحسين بن مسعود (ت:510هـ)**
30- معالم التنزيل \تح: خالد عبد الرحمن العك\مط:بيروت- دار المعرفة 0

***- البهائي: بهاء الدين محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي الصمداني (ت:1030هـ)**
31- زبدة الأصول \ تح: فارس حسون كريم \ ط1: 1423هـ \مط: زيتون \ نشر :المرصاد

*- البيهقي: أبو بكر احمد بن الحسين بن علي (ت:458هـ)
32- السنن الكبرى\مط: دار الفكر 0

حرف التاء:
* - الترمذي (ت: 279هـ)أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي
33- سنن الترمذي و الجامع العميم\ تح:عبد الوهاب عبد اللطيف\ ط2 :1403 هـ\نشر:دار الفكر للطباعة- بيروت

*- التستري: نور الله(ت:1019هـ) \
34- الصوارم المهرقة في جواب الصواعق المحرقة\تح: سيد جلال الدين المحدث\ مط:النهضة- طهران: 1367هـ

*- التفتا زاني\ مسعود بن عمر بن عبد الله الشهير بسعد الدين التفتا زاني(ت :793هـ)
35- مختصر المعاني \ ط1: 1411\ مط:قدس –قم \نشر:دار الفكر-قم
36- شرح المقاصد \تح،تع مع مقدمة في علم الكلام:عبد الرحمن عميرة\تصديق:صالح موسى شرف \ط1: 1409هـ\ منشورات الشريف الرضي0

*- ابن تيمية: تقي الدين احمد بن عبد الحكيم(728هـ)
37- مقدمة في أصول التفسير\ تح: عدنان زرزور\ط2\ دار القرآن الكريم- الكويت\ 1982

حرف الثاء:
*-الثعالبي:عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت: 875هـ)\
38- الجواهر الحسان في تفسير القرآن\تح:عبد الفتاح أبو سنة وعلي محمد معوض وعادل احمد عبد الموجود\ط1: 1418هـ \ دار إحياء التراث العربي 0

*- الثعلبي \ (ت:427هـ)
39- تفسير الثعلبي \تح:أبو محمد بن عاشور\ تد: نظير الساعدي\ ط1: 1422 \مط:بيروت –دار إحياء التراث العربي

*- الثمالي: أبو حمزة ثابت بن دينار(ت:148هـ) \
40- تفسير القرآن الكريم\ تح: عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين\ مراجعة وتقديم: محمد هادي معرفة\ ط1: 1420هـ\ مط:العادي

حرف الجيم:
*- الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (ت:255هـ)
41- الحيوان \تح عبد السلام محمد هارون \ط2\ البابي الحلبي –مصر – 1385هـ

*- الجرجاني :أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد(ت: 471هـ)
42- دلائل الأعجاز\ تح: محمد التنجي \ط1: 1995م \دار الكتاب العربي –بيروت 0

*- الجرجاني: الشريف علي بن محمد (ت: 816هـ)
43- التعريفات \ ط1: 1424هـ \دار أحياء التراث العربي – بيروت 0

*- الجرجاني: الشريف علي بن محمد بن علي السيد زين الدين (ت: 531هـ)
44- الحاشية على الكشاف\ 1385هـ \ مط: مصطفى البابي الحلبي وأولاده

*- الجزائري: نعمة الله الموسوي(ت: 1112هـ)
45- نور البراهين أو أنيس الوحيد في شرح التوحيد\ تح: السيد مهدي الرجائي\ ط1\ مؤسسة النشر الإسلامي – 1417هـ

*- ابن الجزري الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي (ت:833هـ)\
46- النشر في القراءات العشر\ تص: علي محمد الضّبّاع \مط: مصطفى محمد – مصر
47- منجد المقرئين ومرشد الطالبين\قرأه بعد طبعه :محمد حبيب الله الشنقيطي وأبو الأشبال أحمد محمد شاكر \مط: الوطنية –مصر – 1350هـ

*- الجصاص\ أبي بكر احمد بن علي الرازي\ ت:370هـ
48- أحكام القرآن \ ضبط ونصه وخرج آياته:عبد السلام محمد علي\ ط1: 1415\ الناشر:دار الكتب العلمية-بيروت

*- ابن جني \أبو الفتح عثمان \ (ت:392هـ)
49- اللمع في العربية \ تح: حامد المؤمن \مط:العاني – بغداد\ط1: 1402هـ
50- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها \تح: علي النجدي ناصيف وصاحبيه \ط:1386هـ - القاهرة 0

*- الجواهري\ محمد حسن النجفي\ ت:1266
51- جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام \ تح: عباس القوجاني\ ط2: 1365\ مط:خورشيد

*- ابن الجوزي \ أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي(ت: 597هـ)
52- زاد المسير في علم التفسير \ تح وكتب هوامشه:محمد بن عبد الرحمن عبد الله\ تخريج أحاديثه: أبو هاجر السعيد بن بسيوني زغلول\ ط1 : 1407 \دار الفكر للطباعة والنشر \بيروت 0
53- نواسخ القرآن\ الناشر:دار الكتب العلمية-بيروت0

*- الجوهري إسماعيل بن حماد الجوهري\(ت:393هـ)\
54- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية \ تح:احمد عبد الغفور عطار\ ط1: 1376\ ط2: 1407 \ نشر:دار العلم للملايين- بيروت

حرف الحاء:
*- ابن الحاجب: جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر (ت:646هـ)\
55- مختصر المنتهى الأصولي\ مط:كردستان العلمية- القاهرة \1326هـ

*- حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله (ت:1068هـ)\
56-كشف الضنون عن أسامي الكتب والفنون\ مط: وكالة المعارف- استانبول\1934م

*- الحاكم الحسكاني\ عبيد الله بن احمد (ت: ق5 هـ)
57- شواهد التنزيل\ تح:محمد باقر المحمودي \ ط1: 1411 \الناشر: مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي-مجمع إحياء الثقافة الإسلامية-طهران

*- الحاكم النيسابوري : أبو عبد الله محمد بن محمد (ت: 405هـ) \
58- المستدرك على الصحيحين \تح: يوسف المرعشلي\ نشر: دار المعرفة – بيروت 1406 هـ

*- ابن حجر\ أبو الفضل شهاب الدين ابن حجر العسقلاني(ت:852هـ) \
59- فتح الباري بشرح صحيح البخاري \ ط2\مط:دار المعرفة والنشر-بيروت
60-تقريب التهذيب\ تح: مصطفى عبد القادر عطا\ط2: 1415هـ\ دار الكتب العلمية- بيروت
61- تهذيب التهذيب \ط1- 1404 هـ\نشر دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت0

*- الحربي \أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق(ت:285هـ)\
62- غريب الحديث\ تح:سليمان بن إبراهيم بن محمد العاير\ ط1: 1405\ مط :مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي

*- الحر العاملي: محمد بن الحسن الحر العاملي(ت:1104هـ)\
63- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة (أل البيت) \ط2: 1414\ مط:مهر- قم
64- وسائل الشيعة (الإسلامية) \تح: عبد الرحيم الرباني الشيرازي \نشر: دار أحياء التراث العربي0

*- ابن حزم: علي بن أحمد بن سعيد(ت:456هـ) \
66- الإحكام في أصول الأحكام\ ط1: 1404هـ\ مط: دار الحديث- القاهرة
67-المحلى \نشر –دار الفكر \قوبلت على النسخة التي حققها الأستاذ أحمد محمد شاكر

*- الحلبي: حمزة بن علي بن زهرة(ت:585هـ)\
68- غنية النزوع إلى علمي الأصول والفروع\ تح:إبراهيم البهادري- إشراف جعفر السبحاني\ ط1: 1417\ مط: اعتماد- قم\ نشر:مؤسسة الإمام الصادق(ع)\ توزيع: مكتبة التوحيد- قم

*- العلامة الحلي: الحسن بن يوسف بن المطهر(ت:726هـ) \
69- تذكرة الفقهاء\ تح: مؤسسة آل البيت(ع) لإحياء التراث\ ط1: 1414هـ\مط: مهر- قم \ ساعدت وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي على طبعه
70- مختلف الشيعة في أحكام الشريعة\ تح: مؤسسة النشر الإسلامي\ ط2: 1413هـ\ نشر:مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين- بقم
71- قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام \ ط1: 1413\ نفس التحقيق ونفس الناشر
72- كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد \تح: حسن زادة الآمي\ ط7: 1417هـ\ مؤسسة نشر الإسلام- قم
73-تهذيب الوصول إلى علم الأصول\مط: دار الخلافة–طهران -1308هـ (طبعة حجرية)

*- المحقق الحلي: نجم الدين أبو القاسم جعفر بن الحسن (ت:676هـ)\
74- المعتبر في شرح المختصر \ تح: عدة من الأفاضل \مط: مدرسة الإمام أمير المؤمنين(ع) \1364هـ\ نشر: مؤسسة سيد الشهداء(ع)
75- المسلك في أصول الدين\ تح: رضا الأستادي \ط2- 1421هـ \مؤسسة الطبع والنشر- الأستانة الرضوية المقدسة 0

*- الحموي:أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي(ت: 626هـ)
76- معجم الأدباء \ راجعته : وزارة المعارف العمومية \ط: الأخيرة \مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركائه – مصر

*- الحويزي: عبد علي بن جمعة العروسي (ت:1112)\
77- تفسير نور الثقلين\ تح:هاشم الرسولي المحلاتي\ ط4: 1412\ مط:مؤسسة إسماعيليان

حرف الخاء:
*- ابن خلدون:عبد الرحمن(ت: 808هـ) \
78- تاريخ ابن خلدون\ط4\دار إحياء التراث العربي

*- ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(ت:681هـ)\
79-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان\ تح: إحسان عباس\ مط: لبنان دار الثقافة

حرف الدال:
***- الداماد:محمد باقر الحسني الاستر أبادي(ت:1041هـ)**
80- الرواشح السماوية\تح:غلام حسين قيصريه ها ونعمت الله الجليل\ط1- 1422هـ دار الحديث 0

*** - الداني\ ت:444هـ\ أبو عمرو عثمان بن سعيد**
81- التيسير في القراءات السبع\ تصحيح:اوتويرتزل\ منشورات محمد علي بيضون\ ط2: 1426هـ-2005م \ مط:دار الكتب العلمية-بيروت0
82- البيان في عد آي القرآن \تح:غانم قدوري الحمد\ط1: 1414\مط:مركز المخطوطات والتراث-كويت0
83-- جامع البيان في القراءات السبع المشهورة \نح: الحافظ المقرئ محمد صدوق الجزائري \ط1:1426هـ \منشورات محمد على بيضون \مط: دار الكتب العلمية – بيروت

***- أبو داود:أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني(ت:275هـ)**
84- سنن أبي داود \تح ،تع : سعيد محمد اللحام\ط1: 1410هـ\دار الفكر للطباعة والنشر 0

***- الداوودي:الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد(ت:945هـ)**
85- طبقات المفسرين\ضبطه ووضع حواشيه:عبد السلام عبد المعين\ط1\1422هـ\دار الكتب العلمية- بيروت

***- الدمشقي:صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كليلكلدي بن عبد الله العلائي(ت:761هـ)**
86- الفصول المفيدة في الواو المزيدة، تح: د0 حسن موسى الشاعر \مط: دار النشر – عمان \ط1 : 1990م 0

حرف الذال:
***- الذهبي: أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان(ت: 748هـ)**
87- سير إعلام النبلاء\ تح: شعيب الارنؤوط وحسين الأسد\ ط9: 1413هـ \مؤسسة الرسالة- بيروت
88- معرفة القراء الكبار\ تح: بشار عواد معروف وشعيب الارنؤوط وصالح مهدي عباس\ ط1: 1404هـ\ مؤسسة الرسالة- بيروت0
89- ميزان الاعتدال في نقد الرجال\ تح:علي محمد البيجاوي\ط1: 1382هـ\ دار المعرفة- بيروت

حرف الراء:
***- الرازي:ابن أبي حاتم(ت:327هـ)**
90- تفسير ابن أبي حاتم\تح:أسعد محمد الطيب\ مط: صيدا- المكتبة العصرية 0

*-الرازي : محمد فخر لدين بن ضياء الدين (ت: 606هـ) \
91- المحصول في علم الأصول \تح: طه جابر فياض العلواني\ط2: 1412هـ\ مط: مؤسسة الرسالة بيروت 0
92-التفسير الكبير\ط3: دار إحياء التراث العربي- بيروت

*- الرازي:محمد بن أبي بكر(ت:666)\
93- مختار الصحاح\ط:دار الرسالة \1403هـ\ الكويت

*- الراغب الأصفهاني:أبو القاسم الحسين بن محمد(ت:502هـ)\
94- مفردات في غريب القرآن\ط2: 1404هـ\دفتر نشر الكتاب 0
95- مقدمة التفسير \ط1: 1329هـ \ الجمالية – مصر 0

*- الرماني \أبو الحسن عل بن عيسى بن علي(ت:386 هـ) \
96- رسالتان في اللغة \تح:د0 إبراهيم السامرائي \مط:دار الفكر\ط1 :1984م

*- الرماني (ت:386 هـ) ،الخطابي(ت: 388هـ) ،عبد القاهر الجرجاني (ت:471هـ)\
97- ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن \ \تح و تع : محمد خلف الله + محمد زغلول سلام \ط5 \ دار المعارف –القاهرة – 2008م

حرف الزاي:
*- الزبيدي: محب الدين أبو فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الحنفي (ت:1205هـ)
98- تاج العروس \تح: علي شيري \طبع:1414هـ دار الفكر –بيروت

*- الزركشي \ بدر الدين محمد بن عبد الله \
99- البرهان في علوم القرآن \ تح: محمد أبو الفضل إبراهيم\ مط: المكتبة العصرية \ 1427هـ 0

*- الزمخشري\ أبو القاسم محمود بن عمر (ت:538هـ)\
100- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل \ضبط وصححه: مصطفى حسين أحمد \مط:دار الاستقامة – القاهرة \ط2: 1373
101- المفصل في علم اللغة \مط:دار الجيل –بيروت

*- ابن زمنين \أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين \
102- تفسير ابن زمنين \ت:399هـ \ تح :أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز \ ط1 : 1423 هـ \ مط: مصر –القاهرة – الفاروق الحديثة \نشر :الفاروق الحديثة0

*- الزيلعي(ت:762هـ)\
103- تخريج الأحاديث والآثار\تح:عبد الله بن عبد الرحمن السعد\ ط1: 1414هـ\دار ابن خزيمة 0

حرف السين:
*- السبزواري: ملا محمد باقر(ت:1090هـ) \
104- ذخيرة المعاد في شرح الإرشاد \نشر: مؤسسة آل البيت(ع) لإحياء التراث

*- السرخسي: أبو بكر محمد بن احمد بن أبي سهل السرخسي(ت:490 هـ)\
105- أصول السرخسي \ تح:أبو الوفا الافغاني/ ط1: 1414\ نشر: دار الكتب العلمية – بيروت
106- المبسوط\ط: 140هـ \تص:جماعة من العلماء \نشر: دار المعرفة للطباعة-بيروت

*- أبو السعود محمد بن محمد العمادي(ت:951هـ)
107- أرشاد العقل السليم إلى مزايا لقرآن الكريم \إشراف: محمد عبد اللطيف\ مط: محمد علي صبيح وأولاده –مصر

*- السلمي: ت:412هـ \
108- تفسير السلمي\ تح:سيد عمران \ط1: 1421 \مط: دار الفكر العلمية - بيروت

*- السمرقندي: أبو ليث السمرقندي(ت:383هـ)
109- تفسير القرآن \ تح: محمود مطرجي\ مط: بيروت-دار الفكر \ نشر: دار الفكر

*- السمعاني: ت: 489هـ\
110- تفسير السمعاني \ تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم \ط1: 1418\ مط:السعودية – الرياض- دار الوطن

*- السيوري \المقداد بن عبد الله (826هـ)
111- كنز العرفان في فقه القرآن \ط1 \ دار الكتب العلمية –بيروت 1422هـ 0

*- السيوطي \جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت:911هـ)

112- همع الهوامع شرح جمع الجوامع \تص:محمد بدر الدين النعساني \مط - دار المعرفة – بيروت
113- الإتقان في علوم القرآن \ ضبط تصحيح تخريج : محمد سالم هاشم\ ط1- 1425هـ \ مط – دار الكتب العلمية – بيروت+ط1: 1416هـ\ تح:سعيد المندوب\ مط:دار الفكر لبنان
114-الدر المنثور في التفسير بالمأثور\ نشر:دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت
115- السيوطي +المحلي(ت:864هـ)\ تفسير الجلالين \ تح تق : مروان سوار \نشر: دار المعرفة للطباعة –بيروت
116- طبقات المفسرين\ راجعه: لجنة من العلماء بإشراف الناشر\ مط: دار الكتب العلمية – بيروت

حرف الشين:
الشاطبي: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي المالكي(ت: 790هـ)
117- الموافقات \شر، تع،تخ،تص: عبد الله دراز \مط: المكتبة التجارية -مصر

*- الشافعي :محمد بن إدريس (ت:204هـ) \
118- أحكام القرآن \ تح: عبد الغني عبد الخالق- 1400هـ - دار الكتب العلمية – بيروت 0

*- شبر \السيد عبد الله \ (ت:1242هـ) \
19 1- الجوهر الثمين \مط: الكويت – مكتبة الألفين \ط1: 1407 هـ 0
120- تفسير القرآن الكريم \ ط10\ الدار الإسلامية – لبنان : 1419هـ

*- الشريف الرضي: أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي(ت: 406هـ)\
121- حقائق التأويل في متشابه التنزيل \ شرح محمد الرضا الكاشف الغطاء \ ط1: 1406 هـ \ مط : دار الأضواء الطباعة والنشر – بيروت 0
122- المجازات النبوية \تح: طه عبد الرؤوف سعد \ط: الأخيرة – القاهرة – 1391هـ \أعراب وتحليل بلاغي : سعاد شرع الإسلام – دار الضياء للطباعة -النجف

*- الشريف المرتضى: علي بن الحسين الموسوي البغدادي(436هـ)\
123- الانتصار \تح:مؤسسة النشر الإسلامية التابعة لجماعة المدرسين – قم \1415هـ \ مؤسسة النشر الإسلامية0
124- رسائل الشريف المرتضى\ تق وأشراف: أحمد الحسيني \إعداد:مهدي رجائي\ مط:سيد الشهداء- قم \نشر:دار القرآن الكريم – قم 1405هـ0
125- الشافي في الإمامة \تح تع : عبد الزهراء الحسيني الخطيب \مراجعة: فاضل الميلاني\ مط: مؤسسة الصادق للطباعة والنشر – طهران – 1407هـ 0

*- ابن شهر آشوب:مشير الدين أبي عبد الله محمد بن علي المازندراني(ت:588هـ)\

126- مناقب آل أبي طالب\تح،تص،شرح:لجنة من أساتذة النجف الأشرف \مط: الحيدرية - 1376هـ 0

*- الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد(548هـ)\
127- الملل والنحل \تح:محمد سيد كيلاني\ دار المعرفة – بيروت 0

*- الشهيد الأول: محمد بن جمال الدين مكي العاملي(ت:786هـ) \
128- ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة\ تح: مؤسسة آل البيت(ع) لإحياء التراث \ط1: 1419هـ\ مط: ستاره – قم

*- الشهيد الثاني : زين الدين العاملي(ت:965هـ)
129- الرعاية لحال البداية في علم الدراية \ط1 \ مكتبة المرعشي – قم – 1480هـ

* - الشوكاني : محمد بن علي بن محمد (ت: 1250هـ)
130- أرشاد الفحول \مط: مصطفى ألبابي الحلبي وأولاده – مصر \ط1: د،ت
131- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير\مط: عالم الكتب0

*- أبن أبي شيبة:عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العبسي(ت:235هـ)\
132- مصنف ابن أبي شيبة\ضبط وتعليق:سعيد اللحام\ط1: 1409هـ\دار الفكر للطباعة والنشر- بيروت

حرف الصاد:
*- الصالحي الشامي: محمد بن يوسف(ت:942هـ)\
133- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد\ تح، تع:عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد معوض\ دار الكتب العلمية- بيروت\ ط1: 1414هـ0

*- الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي(ت: 381هـ) \
134- التوحيد \تح:هاشم الحسيني الطهراني\ط: 1387هـ\ نشر:جماعة المدرسين- قم
135- ثواب الأعمال \ط2: أمير: 1368هـ \ تح: علي أكبر غفاري\انتشارات إسلامي
136- الخصال \ تص وتع :علي أكبر غفاري \تح: مؤسسة النشر الإسلامية – قم \ط6: 1424هـ
137- المقنع \تح: لجنة التحقيق التابعة لمؤسسة الإمام الهادي (ع) – قم \مط:اعتماد – 1415هـ0
138- الهداية:ط1- 1418هـ \تح: لجنة التحقيق التابعة لمؤسسة الإمام الهادي (ع) – قم\ مط : اعتماد
139- عيون أخبار الرضا\تح،تص،تع،تق:حسين الأعلمي\مطابع مؤسسة الأعلمي- بيروت- 1404هـ 0

140- من لا يحضره الفقيه\تص،تع:علي أكبر الغفاري\ط2\نشر:مؤسسة النشر الإسلامي- قم 0

*- الصفار:أبو جعفر محمد بن الحسن(ت:290هـ)
141- بصائر الدرجات الكبرى \تق،تع،تص:ميرزا محسن\ط: 1404هـ\الأحمدي- طهران

*- الصفدي(ت:764هـ)\
142- الوافي بالوفيات\ تح: احمد الارفاؤوط وتركي مصطفى\ 1420هـ\ بيروت دار إحياء التراث0

*- ابن الصلاح : أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت: 643هـ)
143- علوم الحديث\تع،تح،تخ: نور الدين عتر \ تق: محمد النمنكاني \مط: الأصيل – حلب- 1386هـ

*- الصنعاني:عبد الرزاق بن همام(ت:211هـ)\
144- تفسير القرآن\تح:مصطفى مسلم محمد\ط1: 1410هـ\مكتبة الرشد للنشر والتوزيع- الرياض 0

حرف الطاء:
*- ابن طاووس : رضي الدين أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر(ت: 664هـ)
145-سعد السعود \ط1: 1369هـ \ الحيدرية – نجف 0

*- الطبراني : أبو قاسم سليمان بن احمد(ت:360هـ)\
146- المعجم الكبير\ تح:حمدي عبد المجيد السلفي\ط2\ نشر:دار إحياء التراث العربي- بيروت0

*- الطبرسي: احمد بن علي (ت: 560هـ)
147- الاحتجاج \ تح: محمد باقر الخرسان\ مط:النعمان- النجف: 1386هـ\ نشر: دار النعمان للطباعة 0

*- الطبرسي :أبو علي الفضل بن الحسن (548هـ) /
148- مجمع البيان في تفسير القرآن /تح تع لجنة من العلماء والمحققين \ط1 :1415هـ \ نشر:مؤسسة الأعلمي للمطبوعات-بيروت 0
149- جوامع الجامع \ تح:مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين- قم \ط1:1418هـ

*- الطبري:أبو جعفر محمد بن جرير(310هـ)\
150- جامع البيان عن تأويل آي القرآن\ضبط وتوثيق وتخريج:صدقي جميل العطار\ تقديم : خليل الميس \نشر :دار الفكر للطباعة والنشر-بيروت 0

*- الطبري الإمامي \ محمد بن جرير بن رستم (ق4) \
151- المسترشد في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب \ تح: احمد المحمودي \نشر: مؤسسة الثقافة الإسلامية –لكوشانبور \ط1: 1415هـ 0
152-دلائل الإمامة\تح:قسم الدراسات الإسلامية\ط:1- 1413هـ\مؤسسة البعثة- قم 0

*- الطريحي \فخر الدين (1085هـ) \
153- مجمع البحرين \تح :احمد الحسيني \أعاد\ بناءه :محمود عادل \ط2 :1408هـ \نشر: مكتب النشر الثقافة الإسلامية 0
154- تفسير غريب القرآن \ تح: محمد كاظم الطريحي\ ط: الحيدرية – نجف : 1372هـ

*- الطوسي\ أبو جعفر محمد بن الحسن (460هـ) \
155- التبيان في تفسير القرآن \ تح تص: احمد حبيب قصير العاملي \ ط1:1409هـ \مط :مكتب الإعلام الإسلامي
156- الغيبة \تح: عباد الله الطهراني، علي أحمد ناصح \ط1: 1411هـ \مط: بهمن- مؤسسة المعارف الإسلامية – قم
157- الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد \مط: الخيام – قم – 1400هـ \منشورات :مكتبة جامع جهلستون – طهران 0
158-الخلاف :تح: جماعة المحققين \نشر :مؤسسة النشر الإسلامي – قم – 1407هـ0
159- المبسوط في فقه الإمامية \تص تع: محمد تقي الكشفي \مط: الحيدرية – طهران 1387هـ \نشر: المكتبة الرضوية لإحياء الآثار الجعفرية 0
160- النهاية في مجر الفقه والفتاوى: انتشارات – قدس محمدي – قم \تق: حياة الشيخ الطوسي بقلم أغا بزرك الطهراني
161- تهذيب الأحكام\تح،تع:حسن الموسوي الخرسان\ط3- 1364هـ\خورشيد 0
162- الأمالي: تح:قسم الدراسات الإسلامية\ مؤسسة البعثة\ ط1: 1414\ نشر: دار الثقافة للطباعة- قم

*- الطيالسي:سليمان بن داود بن الجارود الفارسي البصري(ت:204هـ)\
163- مسند أبن داود\دار المعرفة - بيروت

حرف العين:
*- ابن عابدين: محمد أمين (1252هـ) \

164- حاشية رد المحتار على الدر المختار\ طبعه جديدة ومنقحة \ 1415هـ - دار الفكر – بيروت 0

*- العاملي : جمال الدين الحسن بن زين الدين(ت: 1011هـ) \
165- معالم الدين وملاذ المجتهدين \ ط: حجرية 0

*- العاملي: زيد الدين أبي محمد علي بن يونس(ت:877هـ)\
166- الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم\ تح:نص: تع: محمد باقر البهبودي\ ط1: 1384هـ\ مط:الحيدري0

*- العاملي: محمد جواد الحسيني(1226هـ)\
167- مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة\ تح: محمد باقر الخالصي\ ط1: 1419هـ\ مط: مؤسسة النشر الإسلامي- قم0

*- عبد القاهر الجرجاني(ت:471هـ) \
168- دلائل الإعجاز في علم المعاني\ تص: محمد عبده ومحمد محمود ألتركزي الشنقيطي \وقف على تصحيح وطبع وتعليق حواشيه : محمد رشيد رضا \ط1: 1409هـ \ مط: دار الكتب العلمية – بيروت 0

*- أبو عبيدة :معمر بن المثنى التيمي(210هـ) \
169- مجاز القرآن \عارضه بأصوله وعلق عليه: محمد فؤاد سزكين \ط: الجزء الأول – 1374 هـ \ الجزء الثاني- 1381 هـ\مط: السعادة – مصر \نشر: محمد سامي أمين الخانجي0

*- ابن العربي \ ت: 543 هـ \
170- أحكام القرآن \ تح : محمد عبد القادر عطا \مط :لبنان –دار الفكر للطباعة \ نشر: دار الفكر للطباعة والنشر 0

*- ابن عساكر: أبو قاسم علي بن الحسن(ت:571هـ)\
171- تاريخ مدينة دمشق\ تح: علي شيري\ مط: دار الفكر للطباعة والنشر- بيروت \ 1415هـ0

*- العسقلاني: شهاب الدين أبي الفضل احمد بن علي بن حجر(ت: 852هـ) \
172- فتح الباري في شرح صحيح البخاري\ ط2: دار المعرفة –بيروت 0
173- تهذيب التهذيب \ ط1: دار الفكر : 1404هـ 0

174- التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري\ تح: مدرسة الإمام المهدي\ط1: 1409هـ\ مط: مهر- قم

*- العسكري \أبو هلال (ت:ن 395 هـ)/
175- الفروق اللغوية/تح:مؤسسة النشر الإسلامي/ط1: 1412/نشر: مؤسسة النشر الإسلامية التابعة لجماعة المدرسين- قم- وجزء من كتاب السيد نور الدين الجزائري0

*- ابن عطية الأندلسي(ت: 546هـ) \
176- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز تح: عبد السلام عبد الشافي محمد \ ط1: 1413هـ \ مط : لبنان دار الفكر العلمية \ نشر : دار الفكر العلمية
177- مقدمتان في علوم القرآن\مقدمة كتاب المباني ومقدمة ابن عطية\نشر وتصحيح وطبع:آرثر جفري\مكتبة الخانجي

*- العكبري: أبو البقاء عبد الله بن الحسين(ت:616هـ)
178- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن\ دار الكتب العلمية – بيروت\ط1: 1399 0

*- العياشي:أبو النظر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي(ت:320هـ)\
179- تفسير العياشي\تح:هاشم الرسولي المحلاتي\مط:محمود الكتابجي وأولاده – طهران

*- العيني: أبو محمد محمود بن احمد (ت:855هـ)
180- عمدة القاري \مط:دار احياء التراث – بيروت

حرف الفاء:
*- ابن فارس\ أبو الحسين أحمد(ت:395هـ):
181- ألصاحبي في فقه اللغة\ تح: مصطفى الشويمي \مط:مؤسسة بدران –بيروت – 1382هـ
182- معجم مقاييس اللغة \تح: عبد السلام هارون \ط2: 1420هـ \مط: الجيل - بيروت

*- فرات الكوفي : أبو القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات (ت: 302هـ)
183-تفسير فرات الكوفي\تح:محمد الكاظم\المطبعة التابعة لوزارة الثقافة– قم - 1410هـ

*- الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد (ت: 175هـ) \
184- العين\ تح:مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي \ط2: صدر 1409هـ 0

*- الفيروز آبادي : مجد الدين محمد بن يعقوب(ت: 817هـ) \
185- القاموس المحيط\ ط1: دار إحياء التراث العربي- بيروت: 1412هـ 0

حرف القاف:
***- القاضي الجرجاني(482هـ) **
186- شرح المواقف لعضد الدين الإيجي\ تح وشرح\علي بن محمد الجرجاني \ط1: 1325هـ \مط: السعادة – مصر 0

***- ابن قتيبة:أبو محمد عبد الله بن مسلم(ت:276هـ)**
187- تأويل مختلف الحديث\نشر دار الكتب العلمية – بيروت 0
188- غريب الحديث \صنع فهارسه :نعيم زرزور \ط1: 1408هـ - دار الكتب العلمية – بيروت

***- ابن قدامة: أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد (620هـ)**
189-المغني \ دار الكتاب العربي- بيروت 0

***- القرطبي:أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري(ت:671هـ)**
190- الجامع لأحكام القرآن\تح:أحمد عبد العليم البردوني \ط2: 1405هـ\دار إحياء التراث- بيروت 0

***- القسطلاني: شهاب الدين احمد بن محمد (ت:923هـ)**
191- لطائف الإشارات لفنون القراءات \تح:عامر السيد عثمان وعبد الصبور شاهين\1972م

***- القطب الراوندي:قطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله(ت:573هـ)**
192- فقه القرآن\تح:أحمد الحسيني\ط2: 1405هـ\نشر:مكتبة النجفي المرعشي 0
193- الخرائج والجرائح \ تح: مؤسسة الإمام المهدي – قم

***- القمي:أبو الحسن علي بن إبراهيم(ت:329هـ)**
194- تفسير القمي\تح ،تص،تق:طيب الموسوي الجزائري \ط3\1404هـ\ نشر: مؤسسة دار الكتاب للطباعة –قم 0

***- القمي: علي بن محمد بن محمد السبزواري(ق:7هـ)**
195- جامع الخلاف والوفاق بين الإمامية وبين أئمة الحجاز والعراق\ تح: حسين الحسني البيرجندي\ط1\ مط: باسدار إسلام- قم

***- القيرواني : ابن رشيق(456هـ) **
196- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده\ تح: محمد محي الدين عبد الحميد \ دار الجبل – بيروت 0

حرف الكاف:
***- الكاشاني : محمد محسن الفيض الكاشاني (ت:1091هـ) **
197- تفسير الأصفى \ تح: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية \ط1: 1418هـ\ مط: مكتب الأعلام الإسلامي 0
198- تفسير الصافي \تع: حسين الأعلمي \ط2: 1416هـ \ مط: مؤسسة الهادي –قم

***- ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل (ت: 774هـ)**
199- تفسير القرآن العظيم \ مط: دار المعرفة – بيروت : 1412هـ
200- فضائل القرآن \ط1\مط: دار الأندلس - بيروت-1979م

***- الكراجكي: أبو الفتح محمد بن علي (ت: 449هـ)**
201- كنز الفوائد \ط2\مط: غدير – 1369هـ (ط حجرية)

***- الكشي : أبو عمرو بن عبد العزيز (ت: 340هـ)**
202- الرجال \الهند – 1317هـ

***- الكليني:أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق(ت:329هـ)**
203- الكافي\تح:علي أكبر غفاري\ط5: 1363هـ\حيدري 0

حرف الميم:
***- ابن ماجة:الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني(ت:275هـ)**
193- سنن ابن ماجة\تح،تر،تع:محمد فؤاد عبد الباقي\دار الفكر للطباعة والنشر 0

***- المازندراني: مولى محمد صالح(ت: 1081هـ) **
204- شرح أصول الكافي \تع: الميرزا أبو الحسن الشعراني\ضبط وتصحيح:علي عاشور \ط1- 1421\دار إحياء التراث- بيروت

***- مالك بن أنس : أبو عبد الله (ت: 179هـ) **
205- المدونة الكبرى \مط: السعادة – مصر \نشر: دار إحياء التراث – بيروت 0

***- المديني:علي بن جعفر(ت:234هـ)**
206- سؤالات ابن أبي شيبة\تح:موفق بن عبد الله بن عبد القادر\ط1: 1404هـ\مكتبة المعارف- الرياض 0

***- ابن مجاهد : أبو بكر احمد بن موسى التميمي البغدادي(324هـ)**
207- السبعة في القراءات\ تح: شوقي ضيف \ مط: دار المعارف- مصر- 1972م

*- المجلسي: محمد باقر (ت:1111هـ) \
208- بحار الأنوار \ط2: 1403\ مؤسسة الوفاء 0

*- مسلم النيسابوري :أبو الحسين مسلم بن الحجاج ابن مسلم (ت: 261هـ) \
209- صحيح مسلم \ نشر دار الفكر بيروت 0

*- المعتزلي: عماد الدين أبي الحسن عبد الجبار (ت:415هـ) \
210- تنزيه القرآن عن المطاعن\ ط: الجمالية: 1329هـ + ط: دار النهضة الحديثة – بيروت
211- المغني في أبواب التوحيد والعدل\تح:ابراهيم مدكور\اشراف:طه حسين 0

*- المفيد : أبو عبد الله محمد بن محمد النعمان العكبري البغدادي (ت:413هـ) \
212- التذكرة بأصول الفقه \تح: مهدي نجف \ط2 : 1414هـ \ نشر: دار المفيد للطباعة والنشر –بيروت0
213- تصحيح الاعتقاد\مخزن مكتبة السيد حسن السيد علي الحسيني- النجف\ خزانه 65
214- المقنعة\تح:مؤسسة النشر الإسلامي- قم\ط2- 1410هـ 0
215- المسائل العكبرية\ تح: علي اكبر الإلهي الخراساني\ ط2: 1414هـ\ نشر:دار المفسرين- بيروت
216- عدم سهو النبي(ص)\ ط2: 1414- دار المفيد
217- أوائل المقالات\تح:إبراهيم الأنصاري\ط2- 1414هـ\نشر:دار المفيد للطباعة والنشر- بيروت 0

*- مقاتل بن سليمان (ت: 150هـ) \
218- تفسير مقاتل \تح: أحمد فريد \ط1: 1424هـ\ دار الكتب العلمية – بيروت 0

*- مكي بن أبي طالب (ت:437هـ)
219- الإبانة في معاني القراءات \تح: عبد الفتاح إسماعيل شلبي\مط: الرسالة - القاهرة

ا*- بن منظور :الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري(ت: 711هـ)
220- لسان العرب \ طبع: 1405هـ \نشر : أدب الحوزة – قم 0

حرف النون:
*- النحاس :أبو جعفر النحوي المصري (ت: 832هـ) \

221- معاني القرآن \ تح: محمد علي الصابوني \ط1: 1409هـ\ نشر جامعة أم القرى – سعودية 0

*- بن النديم: أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالوراق(438هـ)\
222-الفهرست \ تح: رضا – تجدد

*- النسائي :أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت:303هـ)\
223- السنن الكبرى \تح:عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن\ ط1: 1411هـ \نشر :دار الكتب العلمية- بيروت

*- النسائي: أبو خيثمة زهير بن حرب(ت:234هـ)\
224- كتاب العلم \ بلا

*- النسفي \ أبو البركات عبد الله احمد بن محمود (ت: 537هـ) \
225- تفسير النسفي 0بلا

*- النووي: أبو زكريا محي الدين بن شرف (ت: 676هـ) \
226- شرح صحيح مسلم \ طبع: 1407هـ \ نشر:دار الكتاب العربي بيروت 0
227- المجموع \نشر :دار الفكر 0

حرف الهاء:
*- الهروي: أبو عبيد القاسم بن سلام(ت:224هـ)
228- غريب الحديث\ تح: محمد عبد المعيد خان\ ط1: 1384هـ\ مط: مجلس دائرة المعارف العثمانية- حيدر آباد الدكن الهند

*- ابن هشام(ت:218هـ)\
229- سيرة النبي \ ألفها أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي(151) وهذبها: أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري(218هـ)\ تح وضبط ،تع: محمد محي الدين عبد الحميد\ نشر: مكتبة محمد علي صبيح وأولاده- مصر\ 1383هـ\ مط: المدني- القاهرة

*- الهندي: علاء الدين علي المتقي بن حسام (ت:975هـ)
230- كنز العمال في سنن القوال والأفعال \تح:تص: بكري حياني و صفوة السقا \نشر: مؤسسة الرسالة – بيروت

*- الهيثمي: نور الدين (ت:807هـ) \

231- مجمع الزوائد ومنبع الفؤاد \ تحرير: العراقي وابن حجر\مط: دار الكتب العلمية – 1408 هـ - بيروت

حرف الواو:
*- الواحدي(ت:468هـ)\
232- تفسير الواحدي\تح:صفوان عدنان\ط1: 1415هـ\دار القلم 0
233- أسباب نزول الآيات\ط: 1388هـ\مؤسسة الحلبي وشركاؤه- القاهرة 0

حرف الياء:
*- اليحصبي: القاضي أبي الفضل عياض(ت:544هـ)\
234- الشفا بتعريف حقوق المصطفى \1409هـ\ دار الفكر للطباعة والنشر- بيروت

*- اليعقوبي: احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب(ت: 284هـ)\
235- تاريخ اليعقوبي\ نشر: دار صادر- بيروت

*- أبو يعلي\ الحافظ أحمد بن علي بن المثنى التميمي(ت:307هـ)\
236- مسند أبو يعلي الموصولي \ تح وخرج أحاديثه : حسين سليم أسد \ نشر :دار المأمون للتراث0

*- ابن يعيش(ت: 643هـ) \ موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش \
237- شرح المفصل \مط: عالم الكتب –بيروت

*- يوسف البحراني : (ت:1186هـ)\
238- الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة\ نشر: علي الآخوندي – مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين- قم
ا

المراجع

حرف الألف:
***- الاخوند الخراساني\محمد كاظم الخراساني(ت:1328هـ)**
239- كفاية الأصول\تح: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث \ط2: 1409 \مط: مهر - قم

***- أحسان الأمين**
240-التفسير بالمأثور وتطويره عند الشيعة الإمامية\ط1: دار الهادي– بيروت - 1400هـ

***- احمد كاظم البهادلي **
241- مفتاح الوصول إلى علم الأصول \ط1 \ مط: شركة حسام للطباعة الفنية المحدودة – بغداد – 1415هـ 0

***- احمد فتح الله **
242- معجم ألفاظ الفقه الجعفري\ ط1: 1415هـ \مط: المدوخل – الدمام \تق: عبد الهادي ألفضلي 0

أ*- غا بزرك الطهراني(ت: 1389هـ)
243- الذريعة إلى تصانيف الشيعة \ط3- 1403هـ \ نشر: دار الأضواء – بيروت 0

***- أمين الخولي:**
244- دائرة المعارف الإسلامية – انتشارات جهنان – تهران \ بوذر 0

حرف الباء:
***- البروجردي \ آقا حسين الطباطبائي البروجردي(ت: 1383هـ) **
245-جامع أحاديث الشيعة \ طبع : 1399هـ \مط: العلمية – قم
246- الحاشية على كفاية الأصول\ بلا

***- البلاغي (ت: 1352هـ) والخوئي (ت: 1413هـ)**
247- رسالتان في البداء\ إعداد : محمد علي الحكيم

حرف الحاء:
***- حازم سليمان الحلي**
248- القراءات القرآنية بين المستشرقين والنحاة\مط:القضاء- النجف\1407هـ

***- حامد النقوي: (1306هـ) **

249- خلاصة عبقات الأنوار \تل: الميلاني\ط: سيد الشهداء –قم 1406هـ 0

*- حسن السندوبي:
250- شرح ديوان أمرئ القيس ومعه أخبار المراقسته وأشعارهم في الجاهلية وصدر الإسلام \ط: 3 \مط: الاستقامة – القاهرة -1373 هـ

*- حسن الصدر(ت:1354هـ)\
251- نهاية الدراية\ تح: ماجد الغرباوي\ مط: اعتماد\ نشر: المشعر

*- حسن عبد الستار\
252- نظرية البداء \ط2: 1417هـ \ مؤسسة العروة الوثقى –بيروت 0

*- حسن عيسى الحكيم\
253- مذاهب الإسلاميين في علوم الحديث\بلا 0

*- حسين محمد مخلوف
254- صفوة البيان لمعاني القرآن \ ط1\مط: دار الكتاب العربي –مصر – 1377هـ

*- حكمت عبيد الخفاجي
255- الإمام الباقر وأثره في التفسير \ط1 \مط: مؤسسة البلاغ – 1426 0

*- حيدر جواد ألعبادي\
256- مختصر في علوم القرآن \ ط1: 1429 هـ 0

حرف الخاء:
*- خولة مهدي شاكر\
257- البحث القرآني عند السيد محمد باقر الحكيم\ط1- العترة الطاهرة\2008م

*- خير الدين الزر كلي(ت: 1410هـ) \
258- الإعلام\ دار الكتب العلم للملايين\ ط5: 1980هم- بيروت

حرف الدال:
*- داود العطار \
259- موجز علوم القرآن \ نشر: ذوي القربى \ط4\ مط: مهديّة : 1384هـ

حرف السين:

*- ستار جبر حمودي الأعرجي \
260- الوحي ودلالته في القرآن الكريم والفكر الإسلامي \ط1:دار الكتب العلمية – بيروت 1421هـ 0

*- سيد سابق \
261- فقه السنة\ دار الكتاب العربي- بيروت، بلا

حرف الشين:
*- شمس الدين الدسوقي\
262- حاشية الدسوقي \ تقرير وشرح: سيدي الشيخ محمد عليش\ط: دار إحياء الكتب- عيسى البابي الحلبي وشركاءه 0

*- الشنقيطي (1393هـ) \
263- أضواء البيان \تح: مكتب البحوث والدراسات \مط:بيروت -1415هـ - دار الفكر للطباعة – بيروت 0

*- شوقي ضيف
264- البلاغة تطور وتاريخ \مط: دار المعارف –مصر – 1965 م

حرف الصاد:
*- صبحي الصالح \
265- مباحث في علوم القرآن \ ط1 :1977م \مط: دار العلم للملايين –بيروت 0

حرف العين:
*- عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) \
266- التفسير البياني للقرآن الكريم \ مط – دار المعارف –مصر 1962 م

*- أبو عبد الله الزنجاني \
267- تاريخ القرآن \تق: احمد أمين\ مط: سبهر- طهران 1404 هـ

*- عبد الحسين احمد الأميني النجفي (ت: 1392هـ) \
268- الغدير \ط4: 1397هـ \ نشر : دار الكتاب العربي – بيروت 0

*- عبد الحسين شرف الدين
269- النص والاجتهاد \تق:محمد تقي الحكيم \ط2:مط: دار النهج– لبنان – 1380 هـ

*- عبد الرحمن بن ناصر السعدي\

270- تيسر الكريم الرحمن في كلام المنان \تح: ابن عثيمين \ مؤسسة الرسالة – 1421هـ - بيروت

*- عبد الكريم الخطيب\
271- الإعجاز في دراسات السابقين \دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها \ ط2: 1395هـ \مط: دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت
والجزء الثاني بعنوان إعجاز القرآن في دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها 0

*- د0 عبد الهادي ألفضلي \
272- القراءات القرآنية تاريخ وتعريف \دار القلم –بيروت \ط2: 1980

*- عبده الراجحي \
273- اللهجات العربية في القراءات القرآنية \دار المعارف بمصر 1969م

*- عثمان أمين\
274- ديكارت\ط4: 1957م\ مصر

*- علاء الدين شمس الدين المدرس\
275- الظاهرة القرآنية والعقل دراسة مقارنة للكتب المقدسة \مط: العاني – بغداد \ ط1: 1986 م

*- علي أصغر مروارید \
276- الينابيع الفقهية \ ط1: 1410هـ \ نشر : دار التراث - بيروت

*- علي جواد طاهر \
277- منهج البحث الأدبي \ط3 : أسد – بغداد 0

*- علي جواد طاهر \
278- منهج البحث الأدبي \ط3 : أسد – بغداد 0

*- علي الحسيني السيستاني\
279- الفتاوي الميسرة\ط3- 1417هـ\فائق 0

*- علي الخفيف \
280- جمع القرآن وتدوينه \مط:الأزهر -1387هـ \

*- علي الخاقاني(1334هـ) \

281- رجال الخاقاني\ تح: محمد صادق بحر العلوم\ ط2: 1404\ مط: مكتب الإعلام الإسلامي

*- علي سامي النشار
282- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام\ط2- دار نشر الثقافة- إسكندرية\ 1962م

*- علي الكوراني العاملي\
283- معجم أحاديث الإمام المهدي(ع)\ ط1: 1411هـ\ بهمن- قم

حرف الفاء:
*- فاضل صالح السامرائي \
284- التعبير القرآني \ ط5: 1428هـ \ مط :دار عمار – عمان
285-\ معاني النحو \مط: التعليم العالي- الموصل – 1986 – 1987م (الجزءان الأول والثاني)و (الجزءان الثالث والرابع) مط: دار الفكر للطباعة- 1990 م

حرف القاف:
*- أبو القاسم الموسوي الخوئي (ت: 1413هـ)
286- البيان في تفسير القرآن \مط:العمال المركزية: 1409هـ
287- معجم رجال الحديث \تح: لجنة التحقيق \ط5: 1413هـ
288- محاضرات في علم الأصول، تقرير: محمد إسحاق الفياض\ مكتبة أنصاريان- قم\ 1417

حرف الكاف:
*- كمال الحيدري\
289- أصول التفسير والتأويل\ط1: 1427هـ\مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر- بيروت 0

حرف الميم:
*- مالك بن نبي \
290- الظاهرة القرآنية \ نظرية جديدة في دراسات القرآن \ تر: عبد الصبور شاهين \نشر:مكتبة دار العروبة – القاهرة \ مط:دار الجهاد 1961 م

*- محسن الأمين(1371هـ)\
291- أعيان الشيعة\ تح: حسن الأمين\ نشر: دار التعارف للمطبوعات- بيروت

*- محسن الطباطبائي الحكيم (1390هـ) \

292-مستمسك العروة الوثقى \ط4 : 1391هـ \مط: الآداب – النجف الأشرف \نشر : مكتبة المرعشي النجفي – قم
293- حقائق الأصول\ ط5: 1408هـ\ مط: الغدير\ نشر: مكتبة بصرتي- قم

*- محسن عبد الحميد\
294- تطور تفسير القرآن ، قراءة جديدة \ 1989م –جامعة بغداد –بيت الحكمة للنشر والترجمة والتوزيع \مديرية دار الكتب للطباعة والنشر- جامعة الموصل

*- محمد احمد مصطفى السرياقوس
295- تعريف بمناهج العلوم\ دار الثقافة للطباعة والنشر

*- محمد إسحاق الفياض(ت:1411هـ) \
296- محاضرات في أصول الفقه – تقرير بحث الخوئي
ط1: 1419 هـ \ مط : مؤسسة النشر الإسلامي - قم

*- محمد باقر الحكيم \
297- علوم القرآن \ ط1: 1426هـ \نشر :مؤسسة شهيد المحراب للتبليغ الإسلامي- نجف
298- تفسير سورة الحشر \ط1\ مط: العترة الطاهرة 2007

*- محمد باقر الصدر \
299- المدرسة القرآنية \ تح: لجنة التحقيق التبعة للمؤتمر العالمي \ ط3 \مط: شريعة قم : 1426 هـ \

*- محمد باقر المجلسي\
300- بحار الأنوار في تفسير المأثور للقرآن\ تح: كاظم المراد خاني\ط1: 1411هـ\ مط: شركت اوفيست- طهران 0

*- محمد باقر الملكي الميانجي \
301- توحيد الإمامية \ تح: محمد البياباني الأسكوئي \ ط1: 1415هـ - وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي \مؤسسة الطباعة والنشر0

*- محمد تقي الحكيم \
302- الأصول العامة للفقه المقارن \ط4: 1422هـ \ مط: المؤسسة الدولية للدراسات والنشر بيروت0

*- محمد جواد البلاغي(ت:1352هـ)\

303- آلاء الرحمن في تفسير القرآن \ط:دار إحياء التراث العربي- بيروت 0
*- محمد جواد مغنية
304- التفسير الكاشف \ط1 \مط: دار العلم للملايين – بيروت – 1968م

*- محمد حسين الذهبي \
305- التفسير والمفسرون \ مط – دار الحديث – القاهرة – 1426 هـ

*- محمد حسين الطباطبائي (ت: 1412هـ)\
306- الإعجاز والتحدي في القرآن الكريم\ إعداد: قاسم الهاشمي \ط1: 1423هـ \ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات –بيروت
307- تفسير الميزان \ نشر: منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية- قم
308- القرآن في الإسلام \ ترجمة أحمد الحسيني \مط: سبهر – طهران – 1404هـ

*- محمد حسين علي الصغير\
309- المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق \ ط1 – 1420 \ مط: دار المؤرخ العربي بيروت
310- مجاز القرآن خصائصه الفنية وبلاغته العربية\ الصغير \ ط1: 1420 هـ \ مط: دار المؤرخ العربي بيروت
311- تاريخ القرآن \ ط1: 1420 \ مط: دار المؤرخ العربي –بيروت0
312- المستشرقون والدراسات القرآنية \ط1- الحمراء بيروت – 1403هـ

*- محمد حسين هيكل
313- حياة محمد \تعريف الكتاب : محمد مصطفى المراغي \مط: مصر –القاهرة – 1354هـ

*- محمد رضا المظفر (ت:1389 هـ)
314- أصول الفقه \ ط13\مط : نينوا \نشر: إسماعيليان
315- عقائد الإمامية\ تق: حامد حفني داود \نشر: انتشارات انصاريان –قم

*- محمد رواس قلعجي \
316- معجم لغة الفقهاء \ط1: 1405هـ \ ط2: 1408هـ \دار النفائس للطباعة والنشر – بيروت 0

*- محمد أبو زهرة\
317-المعجزة الكبرى القرآن \ دار الفكر العربي \ بيروت- 1390هـ

*- محمد سعيد الحكيم \

318- المحكم في أصول الفقه \ط1 : 1414هـ \مط: جاويد
319- حواريات فقهية\ط1- 1416هـ\ياران\نشر:المؤلف 0
*- محمد صادق الروحاني\
320- زبدة الأصول\ ط1: 1412هـ\ مط: قدس\ نشر: مدرسة الإمام الصادق(عليه السلام)

*- محمد طاهر بن عاشور \
321- تفسير التحرير والتنوير \ ط:الدار التونسية للنشر

*- محمد عبد العظيم الزرقاني\
322- مناهل العرفان في علوم القرآن \تح: احمد شمس الدين\ط2: 1424هـ\ دار الكتب العلمية- بيروت 0

*- محمد عبد الله دراز \
323- مدخل إلى القرآن الكريم 0عرض تاريخي وتحليل مقارن \مط:دار القلم- الكويت + دار القرآن الكريم –الكويت \ط1:1391 هـ \تر: محمد عبد العظيم علي – مراجعة محمد بدوي 0

*- محمد عبدة\
324- شرح نهج البلاغة\ نشر دار النهضة- بيروت0

*- محمد علي القراجداغي الأنصاري(ت:1310هـ)\
325- اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء(عليها السلام)\تح:هاشم الميلاني\ط1- 1418هـ مؤسسة الهادي 0
326- الموسوعة الفقهية الميسرة\ط1- 1415هـ باقري\نشر:مجمع الفكر الإسلامي

*- محمد فريد وجدي \
327- دائرة المعارف الإسلامية \ط2- دائرة معارف القرآن العشرين – 1342هـ 0

*- محمد فؤاد عبد الباقي \
328- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم\ ط: آوند دانش – طهران

*- محمد كاظم الطباطبائي اليزدي(ت:1337هـ)\
329- العروة الوثقى\ تح: مؤسسة النشر الإسلامي \ ط1: 1417هـ\ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة – قم\ مع تعليقات عدة من فقهاء العظام

*- محمد بن محمد أبو شهبة

330- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير \تق: محمد عبد الرحمن بيصار\ مط: الأميرية – مصر – 1393هـ

*- محمد مصطفى زيدان وأحمد محمد عمر
331- معجم مصطلحات علم النفس \ مط: دار الهنا – مصر \نشر: مكتبة الأنجلو المصرية

*- محمد النهاوندي
332- نفحات الرحمن في تفسير القرآن وتبين الفرقان \ط: أفست – 1357هـ

*- محمد هادي معرفة \
333- التفسير والمفسرون \ ط2 - 1426هـ \مط – مؤسسة الطبع في الأستانة الرضوية
334- تلخيص التمهيد \ ط6 \ مط : مؤسسة النشر الإسلامي 1428 هـ قم 0
335- التمهيد \ ط4- مؤسسة النشر الإسلامية –قم – 1422 هـ 0

*- محمود أبو رية\
336- أضواء على السنة المحمدية \ ط1: 1427هـ \ مط:ستار

*- محي الدين الموسوي الغريفي(ت: 1990م)
37- قواعد الحديث \تح ،تع: محمد رضا محي الدين الغريفي \ط5\مط: ثامن الحجج\إيران- 1429هـ \نشر: مؤسسة السيدة المعصومة (ع)0

*- مركز الثقافة والمعارف القرآنية\
338- علوم القرآن عند المفسرين \ نشر :مؤسسة بوستان كتاب\ مط: مؤسسة بوستان كتاب \ط2: 1428

*- مرتضى العسكري
339- حديث أم المؤمنين عائشة\ ط5: 1414هـ\ مط: صدر

*- مسلم نجل حمود الحسيني الحلي (ت:1981م)
340- القرآن والعقيدة أو آيات العقائد \تح: فارس حسون كريم\تق: محمد طه السلامي

*- مصطفى إبراهيم الزلمي\
341- أصول الفقه في نسيجه الجديد | ط11 \مط: شركة الخنساء للطباعة المحدودة – بغداد
*- مصطفى صادق الرافعي\

342- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية \ط9: 1393 هـ \نشر :دار الكتاب العربي – بيروت

*- مناع القطان \
343- مباحث في علوم القرآن \ط21 – 1407 \ مط –مؤسسة الرسالة

*- مير سيد علي الطهراني الحائري \ (ت: 1340هـ)\
344- مقتنيات الدرر \مط: دار الكتب الإسلامية- طهران\ 1337هـ

*- مير محمدي زرندي \
345- بحوث في تاريخ القرآن وعلومه \ مؤسسة النشر الإسلامي- قم \ط1 :محققة 0

حرف النون
*- ناصر مكارم الشيرازي\
346- الأمثل في كتاب الله المنزل

*- نصر حامد أبو زيد
347- مفهوم النص دراسة في علوم القرآن \ط6\ الدار البيضاء – المغرب\نشر : المركز الثقافي العربي

حرف الهاء:
*- هادي النجفي
348- موسوعة أحاديث أهل البيت \ ط1\ مط: دار أحياء التراث العربي – 1423 0

*- هدى جاسم محمد أبو طبره \
349- المنهج الأثري في تفسير القرآن الكريم \حقيقته ومصادره وتطبيقاته \مط:مكتب الإعلام الإسلامي\ط1 –تاريخ النشر 1414هـ

*- اسعد بن علي \
350- الشيخ الطوسي مجدداً\مجلة المنهاج\مركز الغدير للدراسات الإسلامية \العدد(20) السنة الخامسة 0

*- حسن منديل العكيلي
351- نظرات في إعجاز القرآن \ مجلة مآب العدد2 1427 هـ \ إصدار دائرة الشؤون القرآنية لمؤسسة شهيد المحراب للتبليغ الإسلامي مط \شركة مجموعة العدالة للطباعة والنشر

*- حكمت عبيد حسين الخفاجي \
352- التفسير الموضوعي للقرآن الكريم\ 1412هـ 0

*- سكينة عزيز
353- المجمل والمفصل في القرآن الكريم دراسة موضوعية\رسالة ماجستير\كلية الفقه \جامعة الكوفة

*- سيروان عبد الزهرة الجنابي \
354- الإطلاق والتقييد في النص القرآني :دراسة دلالية\ رسالة ماجستير \ \كلية الآداب-جامعة الكوفة

*- عبد الهادي الطهمازي
355- التفسير الترابطي00 قراءة عصرية للقرآن الكريم\مجلة مآب\ العدد:1\ 1427هـ إصدار دائرة الشؤون القرآنية لمؤسسة شهيد المحراب للتبليغ الإسلامي مط \شركة مجموعة العدالة للطباعة والنشر

*- علي الأوسي \
356- الطباطبائي ومنهجه في تفسير الميزان \ط1: معاونية الرئاسة للعلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامية

*- محمد حسين علي الصغير\
357- مصطلحات أساسية في حياة علوم القرآن\مجلة مآب العدد2 1427 هـ \ إصدار دائرة الشؤون القرآنية لمؤسسة شهيد المحراب للتبليغ الإسلامي مط \شركة مجموعة العدالة للطباعة والنشر
358- ملامح الإعجاز القرآني \ بحوث المؤتمر الأول للإعجاز القرآني المعقود بمدينة السلام بغداد للمدة 21-26 رمضان 1410هـ \مط:وزارة الأوقاف –بغداد – 1410هـ يحتوي على 29 بحثاً
*- مسلم جواد خضير

359- العياشي ومنهجه في التفسير – 1428هـ 0

*- مؤسسة آل البيت
360- مجلة تراثنا \ مط: نمونة – قم \ 1405 \العدد الأول – السنة الأولى \نشر: مؤسسة آل البيت 0

*- موسى الصدر و أمان الله فريد \
361- تطورات مناهج التفسير القرآني في القرن الأخير رصد تاريخي مقارن \ مجلة المنهاج \عدد – 32 – السنة الثامنة \ 1424هـ \ إصدار مركز الغدير للدراسات الإسلامية0

*- هدى علي عباس ألخالدي \
362- تفسير التبيان ومجمع البيان موارد الاتفاق والاختلاف \ رسالة ماجستير \1428هـ

شبكة الانترنيت

*- أحمد رجب البيومي
363\ خطوات التفسير البياني \ تقديم : محمد عبد الرحمن بيصار \ السنة الثالثة \الكتاب الثاني والأربعون \ 1391هـ \ ملتقى البيان في تفسير القرآن

*- محمد عبد العزيز الخضيري
364- مقدمة في التفسير الموضوعي

ملحق

*- فؤاد كاظم المقدادي
165- الإسلام وشبهات المستشرقين \ط2\المعارف \1425هـ 0

*- محمد علي ألرضائي الأصفهاني
366 – دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية \تعريب : قاسم البيضاني \ط1\ صدف\ 1383هـ 0

College of Jurisprudence

The Qura`nic Study Development from Al- Tabary (d.310 AH) to Al- Tabarsy (d.548 AH)

Athesis

Submitted to the Council of the College of Jurisprudence \ University of Kufa

By :-

Khawla Mahdi Shaker Al- Jarah

As a Partial Fulfillment of the Requirements of PhD Degree in Shar`ia and Islamic Science

Supervised by :-

First Experienced Prof .Mohammed Hussain ali al- Sagheer

1432 AH 2011 AD

Abstract

Praise be to God who revealed Qur`an for people , Prayer be upon His Prophet and His pure Householders.

The Holy Qur`an still attract the great deal of the Moslem attention in their different intellectual trends and jurisprudential and cognitive schools because it represents a constitution of life ,a source of jurisprudence and judge , a method of perfection and a guide for the minds and spirits for the individual and societies .Hence there were memorizers cared for its terms only and scientists understand its meaning and judgments deducing the exact meanings that are connected objectively and linguistically by certain linguistic and mental conditions , so that the aim of revealing will not be lost .

Hence the Holy Qur'an must be intercepted because it covers the whole time to the doomsday , and this is why there are many books of interpretation that clarify its meaning and structure , but no one is better than what the Householders had presented .

So the research analyzed and studied the books of the ancient experts that dealt with the sciences and knowledge of Qur`an and the development of these sciences according to their Qura`nic studies .

The period of this study last from Abi Ja`efar Mohammed bin Jareer Al- Tabary (d. 310 A.H) to Abi Al- Fadhel Mohammed bin al- Hasen Al-Tabarsy (d. 548 A.H) .

The study aims summarized in :-

1- The necessity of being acquainted with the books and studies of the Qura`nic sciences for the Late .
2- Arrange the Qur`anic topics of the some books according to a logical order.
3- Present a clear image for the development of the Qura`nic sciences since the first era of Islam till now .

4- The exact following up for the diagram of applying the followed interpretive methods.

The study contains of an introduction three chapters and a conclusion .

The introduction includes the reasons of selecting this subject and an exhibition of the chapters .

The first chapter is entitled (The development of the Qur`anic study in the Qur`anic sciences) , it includes five topics :- the perspicuous and intricate ,the abrogating and abrogated , the general and the specialized, the ambiguous and the detailed and the restricted and unrestricted .

(The development of the Qur`anic study in the Interpretation and its methods) is the title of the second chapter which includes three topics :- the linguistic and the traditional concepts of the 9 interpretation and method), the development of Interpretation , and the development of the Interpretation methods .

The third chapter is entitled (the development of the Qur`anic study in the History of Qur`an)it includes five topics :- the inspiration phenomena , the Qur`anic miracle , revealing of Qur`an , writing and collecting the Holy Quran and the Qur`anic readings .

The researcher obtained a set of results that are set in the conclusion .

The resources and references are varied to include the books of interpretation , sciences of Qur`an ,the ancient and modern history of Qura`n , jurisprudence , principles of jurisprudence , linguistics , literature , history , criticism , rhetorics and terms .

These resources are classified into ancient resources and modern references as well as the research that are published in the conferences and magazines .

Lastly Praise be to God Alone